اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم!

شعر/أحمد علي سليمان عبد الرحيم

وبعـــــدُ أبنـــــائيَ الأحبـــــابَ أنصـــــحُكم ... إنَّ النصـــــيحة تُعلـــــي مَـــــن يُواليهـــــا

فلتعبـــــدوا اللهَ رَبـــــاً لا شـــــريك لـــــه ... مَـــــن يَعبـــــدِ اللهَ حقـــــاً ينثنـــــي تِيهـــــا

وأخلِصـــــوا الـــــدينَ للمَـــــولى تطيـــــبُ لكـــــم ... مَعِيشـــــة عَظمـــــتْ جـــــداً دَواهيهـــــا

وتـــــابعوا (المصـــــطفى) فـــــي سُـــــنةٍ شـــــرُفتْ ... وعَظِمـــــوا نصَّـــــها حُبـــــاً وتنزيهـــــا

وراقِبـــــوا الله فـــــي شِـــــعري وفـــــي أدبـــــي ... قصـــــائدي بـــــدمي كـــــم عشـــــتُ أرويهـــــا

بَـــــذلتُ فيهـــــا جهـــــوداً لا حُـــــدودَ لهـــــا ... وجَنّـــــدَ الله مَـــــن بـــــالخير يُطريهـــــا

نقحتُهـــــا دُون تقصـــــير ، وعِشـــــتُ لهـــــا ... ومـــــا أردتُ بهـــــا دنيـــــا أجاريهـــــا

ديوان السليمانيات

(الجزء التاسع والعشرون)

اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله
الرحمن
الرحيم

الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي بيده الإيجاد والإنشاء ، والإماتة والإحياء ، والإعادة والإبداء ، والإنعام والآلاء ، والرخص والغلاء ، والحظ والعلاء ، والعافية والبلاء ، والداء والدواء ، خلق آدم وخلق لأجله الأشياء ، فمن رحمته كانت الأرض والسماء ، والظلمات والأضواء ، والصباح والمساء ، والريح والماء ، وعلمه العلم فانجلت عنه الظلماء ، وعرفه خط الخط فجاء على نسقه الهجاء ، الألف والباء ، والتاء والثاء ، والجيم والحاء ، والخاء والدال والذال والراء ، والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء ، والعين والغين والفاء ، والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء ، والواو ولام الألف والياء ، وبث من نسله الرجال والنساء ، فمنهم العالم الذاكر ومنهم الجاهل النسّاء ، وأكثرهم الغافلون وأقلهم الألبّاء ، وليست زرقاء اليمامة كالأعشى ، ولا النهار إذا تجلى كالليل إذا يغشى ، (إنما يخشى الله من عباده العلماء)! أحمده سبحانه ، له بتوفيقي لحمده الآلاء ، وأقِر بأنه مالك الملك يُؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وأصلي على رسوله محمد أشرف راكب حوتْه البيداء ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق مصاحبه إن وقعتِ الشدة أو الرخاء ، وعلى عمر الفاروق الذي دَوَّخَ الكفرَ فذلتْ له الأعداء ، وعلى عثمان الصابر وقد اشتد به البلاء ، وعلى عليٍّ الذي حصل له دون الكل الإخاء ، وعلى عمّه العباس الذي سألت الصحابة به الغيث فسالت السماء! وعلى جميع صحابته الأخبياء الأتقياء ، وعلى جميع تابعيه إلى يوم الجزاء! يا من عليه منازلُ الموت تدور ، وهو مستأنس بالمنازل والدور ، لا بد أن تخرج من القصور على التواني والقصور ، لا بد من الرحيل إلى بلاد القبور ، على الغفلات وعلى الفتور ، أهلكك والله الغرور ، بفنون الخداع والغرور ، يا مظلم القلب فما للقلب نور ، الباطن خراب والظاهر معمور ، لو ذكرت القبر المحفور ، كانت عين العين تفور ، ولو تفكرت في الكتاب المسطور ، دفنت الاستغفار بين السطور ، ولو تصورت النفخ في الصور ، والسماء تتغير وتمور ، والنجوم تنكدر وتغور ، والصراط ممدودٌ ولا بد من عبور ، وأنت مُتحيرٌ في الأمور ، تبكي على خلاف المأمور ، ستحاسب على الأيام والشهور ، وترى ما فعلته من فجور ، في النهار والديجور ، ستحزن بعد السرور على تلك الشرور ، إذا وفيت الأجور وبان المواصل من المهجور ، ونجا المخلصون دون أهل الزور ، تُصلي ولكن بلا حضور ، وتصوم والصوم بالغِيبة مغمور ، لو أردت الوالدان والحُور ، لسألتهم وقت السحور ، كم نتلطفُ بك يا نقفور ، كم ننعم عليك يا كفور ، كم بارزت بالقبيح والكريم غفور ، (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)! يا غافلاً هذا حادي الممات ، قد أسرع هذه سيوف المُلمات قد تقطع ، هذه قصور الإخوان بلقع ، مال صاحب المال فإذا المال يُوزع ، أنفعه حرصه حين سلب ما جمع أجمع ، إنما هذه الدنيا فخذ منها أو فدع ، إن وصلت فعلى نية أن تقطع ، وإن بذلت فبعزيمة أن تمنع ، انتظر سلبها ، يا مشغولاً بها ، وتوقع أسفاً لكبد على حبها ، تتقطع أتراها أنها ما علمت أنها تخدع ، أفيها حيلة؟ أم في وصلها مطمع؟ أين كسرى؟ أين قيصر؟ أين تبع؟ أين حاتم الجود؟ أين من كان يجمع؟ أين قيس وسحبان؟ أين ابن المقفع؟ إنها لتمحو العين ثم للأثر تقلع! إن لك مقنعاً في وعظها لو كفاك المقنع ، يا مفرقاً في البلى قل لمن تجمع ، إذا خلوت وخليت فكيف تصنع؟ أترى أنت عندنا أو ما تسمع! يا أطروش الشقوة! لله در قوم فهموا من الوجود ، وتأملوا المقصود ، واشتغلوا بطاعة المعبود ، وانتبهوا والخلق رقود ، يصفون الأقدام ، يناجون الملك العلام ، ويصفون الهمم ، ويصفون تقصيرهم ويصفون الشكر للنعم ، تحملوا

تعب السهر وكابدوا مشقة الظما وأخلصوا العمل ، فزاد عملهم ونما ، وجرى القدر فرضوا ولم يعترضوا بلم ولما ، فيا حسن مجتهدهم يذكر الذنب فيبكي ندما ، إخواني اسلكوا جادة القوم لعل مشاعلهم تلوح لكم ، تعلقوا بغبارهم لعل الحادي ينوه بكم ، صوتوا بالقوم عسى يقف بعض الساقة لكم ، ابكوا على تأخركم لعل عطف الرحمة تنعطف نحوكم! لقد وعظ الزمن بالآفات والمحن ، ولقد حدث بالطعن كل من قد ظعن ، ولقد أنذر المطلق في أغراضه المرتهن ، تالله لوصفت الفطن ، أبصرت ما بطن ، إخواني أمر الموت قد علن ، كم طحطح الردى وكم طحن ، يا بائعًا لليقين مشترياً للظنن ، يا مؤثراً للرذائل في اختيار الفتن ، إن السرور والشرور في قرن ، أنت في المعاصي مطلق الرسن ، وفي الطاعة كذي وسن ، يا رضيع الدنيا وقد آن منها فِطامه ، يا طالب الهوى وقد حان حِمامه ، قال وهب بن منبه: إن لله منادياً ينادي كل ليلة! أبناء الخمسين: هلمُّوا للحساب ، أبناء الستين: ماذا قدمتم؟ وماذا أخرتم؟ أبناء السبعين: إلى كم يا ذا المشيب؟ أما الأمر منك قريب ، كم تعب في وعظك خطيب ، كم عالجك طبيب ، إنه لمرض عجيب ، إنه لداء غريب ، عظم واهن وقلب صليب ، يا هذا لا شيء أقل من الدنيا ولا أعز من نفسك ، وها أنت تنفق أنفاس النفس النفيسة ، على تحصيل الدنيا الخسيسة ، متى يقنعك الكفاف؟ متى يردّك العفاف؟ متى يقوّمك الثقاف؟ إنك لتأبى إلا الخلاف! مقاليدك ثقالٌ وركعاتك خِفاف ، يا قبيح الخصال يا سييء الأوصاف ، يا مشتريًا بسني الخصب السنين العجاف ، قف متدبرًا لحالك فالمؤمن وقاف ، وتذكر وعيد العصاة ويحك أما تخاف؟! يا مطلقاً نفسه فيما يشتهي ويريد ، اذكر عند خطواتك المبدئ المعيد ، وخف قبح ما جرى فالملك يرى ، والملك شهيد ، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)! هلا استحيت ممن يراك إذا ركبت من هواك ما نهاك! ستبكي والله عيناك ، مما جنت يداك ، أما تعلم أنه بالمرصاد؟ فقل لي: أين تحيد؟ (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) لو صدق علمك به لراقبته ، ولو خِفت وعيده في الحرام ما قاربته ، ولو علمت سموم الجزاء في كأس الهوى ما شربته ، لقد أضعنا الحديث عند سكران يميد ، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)! قال بعض السلف: مررت برجل منفرد ، فقلت له: أنت وحدك! فقال: معي ربي وملكاي! فقلت: أين الطريق؟ فأشار نحو السماء ، ثم مضى وهو يقول: أكثر خلقك شاغل عنك! وفي الأثر: راود رجلٌ امرأة فقالت: ألا تستحي؟ فقال: ما يرانا إلا الكواكب! فقالت: وأين مكوكبها؟! والحقيقة أن كثيرين طلبوا مني في مناسبات عديدة أن أكتب الشعر عن كذا وكذا أو في فلان أو علان! وفي كل مرة كنت أعتذر لهم قائلاً: إن الشعر في حقيقة أمره شعور وعاطفة صادقة تدفعان إلى قصيدة صادقة! فكل قصيدةٍ تعكسُ في حقيقتها ما يدين به الشاعر ربه سبحانه وتعالى من جهة وما يتمثله من أخلاقيات لا يتنازل عنها بعرض من الدنيا كبير أو صغير! والشعر العربي في القديم والحديث حوى هذا النوع من الشعر الصادق الذي جاد به علينا شعراءُ صادقون! ومن هنا جاءت موضوعات ديوان: (السليمانيات) في عُمومها محاكاة لما عِشتُه من تجارب في عصري هذا! فلم تكن الموضوعات خيالية هاربة بصاحبها من الواقع المُعاش إلى عالم أفلاطوني خيالي حالم كان الشاعر قد اتخذ لنفسه فيه مشربية أو صومعة شعرية يخلد فيها إلى الراحة من ضغط الواقع الجاهلي الآسن الذي نعيش! في مقالةٍ عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (هل يريد شعرُنا الحديث أن يتخلَّى عن الموضوعات القديمة البالية التي تناولها الشعراء قبله؟ ألا يرى أن ثمة في شعرنا القديم ومضاتٍ رائعةً لشعر وجداني وشعوري وعاطفي وفكري تضيء درب الداخل وتعبِّر عن وحدة الإنسان الجوهرية؟ مرحى له إن شاء أن يضيف إلى

موضوعات شعرنا القديم أفكاراً جديدة ؛ لكن أين يجد موضوعاتٍ غابت حتى الآن عن الفكر والشعور الإنسانيين عبر تاريخ الحضارات؟! إن الشعر يُعبِّر أولاً وأخيراً عن الطبيعة والحياة والوجود ، وعن هذا الإنسان المتفاعل معها ؛ فهل سيرى شاعرٌ اليوم ما لم يَرَهُ ويبصره سلفُه من قبله؟ هنيئاً له إذن ثقته وشغفه بالمعرفة الكاملة وبالرؤيا المتكاملة! لكني لا أراه في الحقيقة يبلغ حتى شبراً واحداً من جبال الحكمة التي بلغها سلفُه. أما رؤيته – وليس رؤياه – فإنها لا تطال أن تبصر قمم المعرفة التي حققها الأقدمون. أليس حرياً بشاعر اليوم أن يبدأ من حيث بدأ سلفُه – إن لم يبدأ من حيث انتهى – فلا يتخلَّى عن الغزل مثلاً – وهو يجب ألا يتخلَّى – إنما يعطيه لو شاء من روحه النقاء والعفَّة والجمال فيبلغ به مراتب الشعر الكامل؟ لكني مع الأسف الشديد أرى شعرنا الحديث – ومعظمه غزلٌ في غزل – يتهتَّك فلا يرعوي ويفضح فلا يخجل! أم ترى أن شعرنا الحديث عمل صالحاً فتخلَّى عن المدح والهجاء وعن القيل والقال – وهذه مواضيع يجمُل به حقاً ألا يرثها عن سلفه؟ ما كان أحلى المديح في الشعر القديم بالقياس إلى ما نراه اليوم من مدحٍ للذات ومن تذلُّلٍ للأنا وللآخرين! يحاول أحياناً "شعرنا الحديث" – وإني لمرغَمٌ على تكرار هذه العبارة – أن يُفلت إلى نطاق الإنسانية ، فيتحدث عن الصراعات في العالم وعن الظلم والاضطهاد ويندِّد بالاستعمار ويحاول أيضاً "البحث" عن التأثيرات على النفس الإنسانية و"تصويرها" سلبية كانت أم إيجابية. لكنه في النهاية ينكفئ تعباً من هذا الضجيج النفسي الذي يكتنفه ، وسط أشكال مبهمة من رموز وصور غريبة عجيبة ، يتوه بها وتتوه به ؛ فإذا بدلاً من الوضوح والتفصيل والحلول والرجاء ، ضبابٌ وسخطٌ ويأسٌ وإشاراتٌ وإشارات!).هـ. إن كثيراً من الشعراء قد أدركوا ما للصراحة من تكاليف ومشاق وأعباء فتنازلوا عنها ليهربوا من ضغط الواقع إلى خيالاتٍ وأوهام فأضروا بالشعر وبالشعراء وبالقراء على حد سواء! لقد كان الأحرى بهذا النوع من الشعراء أن لا يكتب الشعر! بل يذهب إلى سيناريهات الأفلام الجاهلية الملعونة القذرة ولن يعدم وظيفة عند أصحابها من المفسدين في الأرض! أما الشعر فلا وألف لا! ذلك أن الشعر الصادق يطرقُ القلوب ويوصله إليها علام الغيوب! وينتفع به في بيان السبيل حتى لا يكون ملتبساً على سالكيه! وهناك نوع آخر من الشعراء المفلسين الذين يعمدون إلى شعر الغزل المُسِف المُزري ، فيبدو الواحد منهم كما لو عمد إلى تعرية زوجته أو معشوقته إلى القراء! حيث تصف القصيدة قوامها ووجهها وطولها وعرضها ورأسها وجزعها وقدمها وساقها وذراعها وإصبعها وظهرها وبطنها! وما حاجة القراء إلى هذا الإسفاف الوضيع الذي يُزري بالشاعر وبالقارئ وبالدارس وبالمتذوق على حدٍ سواء؟! إن المجتمع أمسى بحاجةٍ ماسةٍ إلى شعر القيم والمبادئ والأخلاق ليرتقي ولينهض من سبات الجاهلية إلى صحوة الإسلام وأفقه الواسع الجميل! إن قصائد كثيرة لو كان الأمر بيدي لأمرتُ بها فجمعتْ وأحرقتْ ووضعت في مزبلة التاريخ من الشعر العفن الذي يصل إلى درجة الإسفاف والعهر في الغزل الحسي المكشوف الذي لا يخاطب في الإنسان عاطفته وشعوره ، بقدر ما يخاطب غريزته وشهوته! وفي ظني لو كان هذا الشاعر الذي كتب هذا الهراء يستشعرُ سؤال الله له في موقف الخمسين ألفاً بالعدد ، ولو فكر ملياً في مآل قصائده بعد أن يزول هذا العصر الغابر المنحط ويأتي زمان المهدي ويبايعه المسلمون بين الركن والمقام ، ولو فكر قليلاً في عقائد الناس وأخلاقهم تلك التي كان ينبغي عليه أن يحييها فإذا به يئدها ، لما أقدم طرفة عين ولا أقل من ذلك على شعر المُجون والسُفول الذي كتبه باسم الشعر ليفسد في الأرض بغير الحق! ولقد قلت من قبل وأكرر الكلمة الطاهرة لأبي بكر بن عيّاش – رحمه الله -:

(لقد أصلح الله الأرض ببعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – فكل من دعا إلى غير هداه – صلى الله عليه وسلم – فهو من المفسدين في الأرض)! فليعلم الشعراء الذين يُعرون النساء في أشعارهم كأن القراء يرونهن رأي العين أنهم من المفسدين في الأرض! ونظرة الشاعر المحترم يجب أن تكون نظرة كلية شاملة للحياة الدنيوية والأخروية على منهاج الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. تلك النظرة نابعة من قلب يعبدُ الله بالحب والخوف والرجاء! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (إذاً حين أطالب بنظرة شاملة متكاملة فذلك لكي أبذر بذار الرؤيا الكلِّية النابعة من شعور كلِّي ، تلك التي منها وحدها يمكننا جني الشعر الحديث. أستطيع تلخيص ما سبق حول تحقيق النظرة الشاملة بالنقاط الثلاث التالية: أولاً: التوازن الداخلي أي ثبات النفس وهدوء العقل ، مما يفسح المجال لوعي ما يعتمل في داخلنا ، ولتمييز المشاعر الصادقة النابعة من الداخل عن الأحاسيس المزيفة التي تأتينا من الخارج ، والتي لا تحمل في طيَّاتها إلا القلق والشك. ثانياً: الوضوح في تعاملنا مع نفحات الشعور الداخلي مما يؤدي إلى جلاء رؤيتنا لعلاقاتنا بكلِّ ما يحيط بنا ؛ إذ علينا أن نكون مدركين لأهمية التأثر والتأثير بين الشاعر والمجتمع. فإذا كان شعرنا جلياً واضحاً كان وصوله أكثر شفافية وتأثيره أكثر عمقاً. إن في وضوح أنفسنا لنا وجلائها تحريراً عظيماً لإمكانياتنا الشعرية وإفصاحاً عن حقيقة شعورنا الدفين! ثالثاً التجربة والمعاناة والعمل على بلورة شعورنا الداخلي بعدم التهرُّب من بوتقة الصعوبة. إن أهم ما يميِّز التجربة الشعرية هو الثبات في الشدة ، واحتمال الألم ووعيه ، والانسياق في سيرورة الكفاح الجماعي من أجل تحقيق القيمة والدور الإنسانيين. إن التجربة الداخلية للإنسان هي طريق انعتاقه من تيارات الخارج ؛ ومعاناتُه هي التي تلهب شعورَه بالوحدة مع الآخرين).هـ. إن الشاعر الذي يتحلى بوصف الدكتور خوري لا يعاني من الازدواجية في الكتابة! كلا ، بل إيمانه الراسخ بالله الواحد الأحد واتباعُه للنبي – صلى الله عليه وسلم – يجعلانه لا يكتب إلا الشعر الجيد المحترم المتوازن الهادف البناء! وذلك في محاولةٍ صادقةٍ منه لإحياء موات القيم والمبادئ والمُثل التي كبرنا عليها أربعاً لوفاتها! وأنا في ديوان: (السليمانيات) حرصتُ والحمد لله على مبدأ إحياء ما اندرس من القيم والمبادئ التي كانت أمتُنا تتحلى بها ، ولكنها أصبحت اليوم تعتبر من الأحلام التي لا سبيل إلى تحقيقها! إن الشاعر داعية إلى الله لكن بالشعر! والمطلوب منه أن يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم ، والله سبحانه هو الذي يهدي الناس إلى الحق الذي حواه شعره! والله يهب العصمة والحماية - من الكفار والطواغيت والظالمين - على قدر البلاغ والصدق فيه! (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) والإمام ابن كثير – رحمه الله أورد في تفسير هذه الآية من سورة المائدة قوله بالنص: (يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى اللّه عليه وسلم باسم الرسالة ، وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله اللّه به ، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام ؛ قال البخاري عند تفسير هذه الآية عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل اللّه عليه فقد كذب ، وهو يقول: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} الآية ، وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت: لو كان محمدٌ صلى اللّه عليه وسلم كاتماً شيئاً من قرآن لكتم هذه الآية: {وتُخفِي في نفسك ما اللّه مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه}! وقال ابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجلٌ فقال له: إن ناساً يأتوننا فيخبروننا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول اللّه صلى اللّه عليه

وسلم للناس ، فقال ابن عباس: ألم تعلم أن الله تعالى قال: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} ، والله ما ورَّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء في بيضاء. وهذا إسناد جيد. وفي صحيح البخاري عن وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلمٌ بكافر. وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، وقد شهدت له أمته المسلمة بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع ، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً ، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ: (أيها الناس إنكم مسؤولون عني ، فما أنتم قائلون؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ، ويقول: (اللهم هل بلغت) !؟ وقوله تعالى: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} يعني وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به فما بلغت رسالته ، قال ابن عباس: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}: يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته ، وعن مجاهد قال: لما نزلت {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} قال: يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي؟ فنزلت: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} وقوله تعالى: {والله يعصمك من الناس} أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن ، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس. كما قال الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت ، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: (ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة) ، قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقال: (من هذا)؟ فقال: أنا سعد بن مالك ، فقال: (ما جاء بك)؟ قال: جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت: فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه ، أخرجاه في الصحيحين. وفي لفظ: سهر رسول الله ذات ليلة مقدمه المدينة ، يعني على أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها وكان ذلك في سنة ثنتين منها ، وعنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: {والله يعصمك من الناس} قالت: فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عزَّ وجلَّ) ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها الشداد وحُسّادها ومعانديها ومترفيها ، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً ، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة ، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش ، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية ، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه ، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً ، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام ، وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة ، فلما صار إليها منعوه من الأحمر والأسود ، وكلما همَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، كما كاده اليهود بالسحر ، فحماه الله منهم ، وأنزل عليه سورتين المعوذتين دواء لذلك الداء ، ولما سمّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها. وقوله: {إن الله لا يهدي

القوم الكافرين} أي بلغ أنت ، والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، كما قال تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} ، وقال: {فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب}).هـ. وإذن فالشاعر المسلم المؤمن الموحد هو في حقيقته داعية إلى الله! وأداته في الدعوة شعره الصادق المؤمن الموحد المتوضئ المسلم! ولا يتصور أن يوجد شاعر مسلم مؤمن موحد في اعتقاده ، ثم لا يكون مسلماً مؤمناً موحداً في شعره! وإلا عُد من المنافقين! ولهذا الشاعر المؤمن تجربة شعورية صادقة ضاربة بجذورها في عمق الإيمان الصادق بالله رباً وبمحمد – صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبالإسلام منهاجاً في الحياة! فالقصيدة تتحرك في قلبه جنيناً نابضاً يستقي روحه من العقيدة والتوحيد! هذه القصيدة ينفعل بها ويحس بها صاحبها الشاعر أولاً قبل أن يكتبها وينقحها ويخرجها للناس! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (قلت إن الشعر شعور وتجربة داخلية تنتهي إلى الإفصاح عن نفسها بالكلمات وبالتعابير. لكن الشاعر في تعبيره عن تلك التجربة ، لا يحاول أن ينقل للآخرين صورتها وفكرتها وحسب ، بل وفعلها فيه ، كما وشعوره بها الذي يصبح هو نفسه ، في لحظة التألُّق الشعري خلال التجربة ، الملهِم والشاعر. فكيف يعبِّر الشعور عن نفسه؟ وكيف يُعبَّر بالكلمات عن تجربة شعورية؟ هنا تظهر إمكانية الصورة والتشبيه في رسم الإطار العام للتجربة. لكن المعنى العميق الذي ينقل الشعور والمعاناة يبقى في حاجة إلى إمكانية أخرى تتجلَّى في الإطار العام بكامله ، فتحييه وتكشف فيه التألق الكامل للنور الذي عاينَه الشاعر في تجربته. وهذه الإمكانية هي الرمز. لا يهمني تعريف الرمز ، إنما أهتم أكثر لدوره في الشعر. ولهذا يجب أن أؤكد ههنا على أن الرمز ليس مجرَّد إسقاط لفكرة ما على حادثة طبيعية أو على عملية مألوفة! فنحمِّلها أكثر مما تطيق احتماله ، ونحمِّل الشعرَ بالتالي عبئاً هو في غنى عنه. علينا ألا ننسى أن كلماتنا وتعابيرنا وجملنا هي في الأصل رموز ومفاهيم ؛ وبالتالي فإن شعرنا في النهاية هو تآلف هذه الرموز والمفاهيم التي تزداد حيوية كلما كان تآلف كلماتنا متناغماً وتجربتَنا).هـ. ويحسن بنا أن نواصل الفكرة مع الدكتور الخوري حيث يقول أيضاً: (ومما لا شكَّ فيه أيضاً أن النظرة الواضحة الشاملة والشعور الصافي الكلِّي يَهَبان الشاعرَ شفافية رمزية معبِّرة ويُبعِدانه عن كلِّ غموض ولَبْس وتشويش في المعنى. إن الرمز هنا ينقل تجربة الشاعر ومعاناته كلَّها مع صفاء فكره كلِّه ، ويفسح بذلك لرؤاه أن تشرق في لحظة الكتابة ، لحظة الاستغراق في الشعور الكلِّي الجماعي ، إذ تنتفي القيود الشكلية للجُمَل وللصور وللمفاهيم ، وبذلك تتحرر ، في إطار الرمز العابق بالفكرة الكاملة الحرة ، إمكانياتُ الداخل نفسها للتعبير بأدوات الخارج. في "شعرنا الحديث" لا نلمح الهروب من قيود الوزن إلى سلاسل الألغاز الجهنمية والصور المعتمة والتراكيب الفارغة وحسب ، بل ونبصر أيضاً – وذلك ما نخجل غالباً من البوح به – الهروب إلى الرمز من المعنى ومن التجربة الحقيقية ومن الشعور الصادق. لقد صار الرمز في شعرنا هو الهدف بل هو الشعر! هل قلت "الرمز"؟! لقد أخطأت إذن وعليَّ أن أصحح فأقول: لقد صار الإبهام في شعرنا هو الهدف بل هو الشعر!).هـ. إنه لا ينبغي للشاعر أن يعيش في واد ومجتمعه يعيش في وادٍ آخر! وإذن فعليه أن يعالج الواقع بشعره إن كان شاعراً صادقاً حقاً! ومن هنا كان الجزء التاسع والعشرون من ديوان (السليمانيات) والمسمى بـ (اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم!) وصية رقيقة لأبنائي بأن يهتموا بشعري ، فليقرؤوه وليدْرسوه ولينشروه في العالمين! وذلك أن الأمر بدأ بقصيدةٍ تحمل العنوان ذاته ، ثم بدا لي أن يكون ديواناً بأكمله إن شاء الله!

المقدمة

الحمد لله سبحانه وتعالى ، اللطيف الرؤوف العظيم المنان ، الكبير القدير القديم الديان ، الغني العلي القوي السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الأول فالسبق لسبقه ، المنعم فما قام مخلوق بحقه ، الموالي بفضله على جميع خلقه ، بشرائف المنائح على توالي الزمان ، جل عن شريك وولد ، وعز عن الاحتياج إلى أحد ، وتقدس عن نظير وانفرد ، وعلم ما يكون وأوجد ، ما كان أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها ، وفرق الأشياء بقدرته وجمعها ، ودحا الأرض على الماء وأوسعها ، والسماء رفعها ووضع الميزان ، سالت الجوامد لهيبته ، ولانت وذلت الصعاب لسطوته ، وهانت وإذا بطش (انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) ، يعز ويذل ويفقر ويغني ، ويسعد ويشقي ويبقي ويفني ، ويشين ويزين وينقص ويبني ، (كل يوم هو في شأن) ، قدر التقدير فلا راد لحكمه ، وعلم سر العبد وباطن عزمه ، (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) ، ولا ينتقل قدم من مكان ، مد الأرض فأوسعها بقدرته ، وأجرى فيها أنهارها بصنعته ، وصبغ ألوان نباتها بحكمته ، فمن يقدر على صبغ تلك الألوان ثبتها بالجبال الرواسي في نواحيها ، وأرسل السحاب بمياه تحييها ، وقضى بالفناء على جميع ساكنيها ، (كل من عليها فان) ، من خدمه طامعًا في فضله نال ، ومن لجأ إليه في رفع كربه زال ، ومن عامله أربحه وقد قال ، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ، إله يثيب عباده ويعاقب ، ويهب الفضائل ويمنح المناقب ، فالفوز للمتقي والعز للمراقب! (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ، أنعم على الأمة بتمام إحسانه ، وعاد عليها بفضله وامتنانه ، وجعل شهر رمضان مخصوصاً بعميم غفرانه ، (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ، أحمده على ما خصّنا به فيه من الصيام والقيام ، وأشكره على بلوغ الآمال وسبوغ الإنعام ، وأشهد أنه الذي لا تحيط به العقول والأذهان ، وأن محمداً أفضل خلقه وبريته ، المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته ، الذي انشق وتصدع ليلة ولادته الإيوان ، {صلى الله عليه وسلم} وعلى أبي بكر الصديق رفيقه في الغار ، وعلى عمر فتاح الأمصار ، وعلى شهيد الدار عثمان ، وعلى علي كاشف غمه سيد الشجعان ، وعلى عمه العباس المطهر من الأرجاس الذي دعي به فسال من السحاب تهتان! وعلى صحابته الشجعان وعلى تابعيه إلى يوم الدين بإحسان! أيها العاصي ، يا من معاصيه كثيرة مشهورة ، يا من نفسه بمن يجني عليها مسرورة ، أفي العين كمةٌ؟ أم عشىً؟ أم الأمر إليك يجري كما تشا؟ أعلى القلب حجاب أم غشا؟ أيا من إذا قعد عصى ، وكذا إذا مشى ، كل فعلك غلط ، كل عملك سقط ، أترى هذا العقل اختلط؟ أما اعتبرت يا هذا بهذا الشمط؟ أما علم الشيب على حروف الموت ونقط؟ لقد عزم الأجل على النهوض ، وطال ما أقام والدنيا قروض ، قصر يبنى وجسم منقوض شيب وعيب يزحلق الفروض! الحمد لله العالم بعدد الرمل والنمل والقطر ، ومصرف الوقت والزمن والدهر ، الخبير بخافي السر وسامع الجهر ، القدير على كل ما يشاء بالعز والقهر ، أقرب إلى العبد من العنق إلى النحر ، (هو الذي يسيركم في البر والبحر) ، القديم فلا إله سواه ، الكريم في منحه وعطاياه ، القاهر لمن خالفه وعصاه ، خلق آدم بيده وسواه ، واستخرج منه ذريته كالذر ، أنعم فلا فضل لغيره ، وقضى بنفع العبد وضيره ، وأمضى القدر بشره وخيره ، فحث على الشكر والصبر ، أحاط علماً بالأشياء وحواها ، كيف لا وهو الذي بناها؟ وقهر المضادات فسواها ، بلا معين يمده بالنصر ، لا كيفَ له ولا شبيه ، ولا يجوز عليه التشبيه ، عالم السر وما يعرض فيه ، متنزهٌ عن تصور الفكر ، أقسم في القرآن بصنعته ، والقسم على الحقيقة بقدرته ، فتأمل ما تحت القسم من فائدته ، (والفجر وليال عشر والشفع

والوتر) ، أحمده حمداً ليس له نهاية ، وأقر له بالتوحيد فكم دلت عليه آية ، وأصلي على رسوله محمد الذي ما ردت له راية ، صلاة تصل إليه في القبر ، وعلى ضجيعه أبي بكر الصديق ، وعمر الشديد في الحق الوثيق ، وعثمان المحب الشفيق ، وعلى علي الرفيع القدر ، وعلى عمه أبي الفضل العباس الشريف الأصل كريم الأغراس الذي نسبه في الأنساب لا يقاس! وعلى صحابته الأبرار النجوم الأقباس ، وعلى تابعيه خير الخلائق وأطهر الناس! اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اللهم إني أعوذ بك من الفقر ، وأعوذ بك من القلة والذلة ، وأعوذ بك من أن أَظلِم أو أُظلَم ، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم ، والبخل والشح والفقر ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، اللهم اهدني وسددني ، اللهم إني أسالك الهدى والسداد. اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق ، وسيئات الأعمال والأهواء ، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يُسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع. وأعوذ بك من هؤلاء الأربع. اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل ، اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء ، ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ، ومن صاحب السوء ، ومن جار السوء في دار المقامة. اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت اللهم طهرني من الذنوب والخطايا ، اللهم نقني منها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد. اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني ، اللهم ارزقني حُبك وحُب من ينفعني حُبّهُ عندك ، اللهم ما رزقتني مما أُحبُ فاجعله قوة لي فيما تحب. اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم متعني بسمعي وبصري ، واجعلهما الوارث مني وانصرني على من يظلمُني ، وخذ منه بثأري ، اللهم أعني علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك! اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والهرم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من دعوة لا يستجاب لها. اللهم إني أسألك عيشة نقية وميتة سوية ومرداً غير مخزٍ ولا فاضح ، اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه ، واخلف عليَّ كل غائبة لي بخير اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي. اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنت المستعان وعليك البلاغ ، ومن العون والسداد والتوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. الحقيقة أنني لم أعَوّل على الرمز كثيراً في أشعاري وقصائدي! بل بالعكس أنا أرى أن إيغال الشاعر في الرمز يُزهق روح النص ويجعل القراء لا يصلون إلى المعنى الذي يريده الشاعر! فهل ننتظر أن يقال: والمعنى لا يزال في بطن الشاعر الذي مات منذ سنين؟! وفي مقالةٍ عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (إن الرمز في حدِّ ذاته مجرَّدٌ وجاف ؛ وهو لا يكتسب المعنى ولا يصيرُه ، إنما ينقله فقط. فالرمز ليس غاية كما أنه ليس بداية! إنه حين يعبِّر الرمزُ بالكلمة وبالمفهوم العام في القصيدة عن المعنى العميق الذي يريده الشاعر ، فإنه يكون قد أدَّى دَورَه على أكمل وجه. وعلى هذا فإن الرمز ليس شعوراً ، أي أنه ليس هو الشعور ؛ وعلينا أن ندرك هذه النقطة تماماً. الرمز يأتي من الشعور – أو هكذا يجب أن يكون الأمر – الذي يسري فيه نسقاً يحيي القصيدة بكاملها فيكون الرمز بذلك وحياً شعورياً وتجاوزاً للكلمة إلى المعنى. مما لا شكَّ فيه أن الرمز لا يعني الغموض. وعندما يريد الشاعر أن يشير في

قصيدته إلى معنى عميق في نفسه من خلال الرمز ، فإنه يتوخَّى الإفصاح عن ذلك المعنى بأسلوب ينقله كاملاً ويحافظ على نقائه وعلى صفاء شعوره به. إنه يدرك أن الكلمات المتراصَّة وحدها لا تفي ولا تعبِّر إلا عن إطار خارجي ؛ لذلك فهو يضمِّن تلك الكلمات رمزاً يحرِّك فكر الآخرين ويهزُّ مشاعرهم ، بل وينقل لهم في الوقت نفسه عين تجربته فيلتهب فيهم شعورُه بهم. هكذا أفهم الرمز وأرى دوره في الشعر. فلنقل إنه انتقالٌ من التعبير عن مفاهيم مختلفة إلى التعبير عن فكرةٍ كاملة ؛ وإنه لَيتسامى في الشعر ليفصح عن تجربةٍ وعن معاناة ولينقل شعوراً داخلياً عميقاً بشفافيةٍ وعذوبة).هـ. إن صراحة الشاعر في تشخيص الواقع ومعالجته جزءٌ من رسالته كشاعر حقيقي! وكلما كان الشاعر صادقاً كلما أيده الصادقون وحاربه الطواغيت الذين يتدينون بالكذب ، ذلك أنهم يكذبون كما يتنفسون! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ما لنا نخشى الحقيقة ونفضِّل عليها السقوط في "بئر الشعر المظلمة" ، والغرق في لُجَج العواطف الهائجة؟! لم لا ندعو الأشياء بأسمائها ونقرُّ بواقع حالنا ، فنغربل الذي عندنا ولا نُبقي إلا على الصالح والقليل – ومنه نبدأ غير متعجِّلين؟ لِمَ نجعلُ الشعرَ غاية في حدِّ ذاته ، أو طريقاً إلى قمم الوهم ، والشعرُ حقاً ليس إلا تعبيراً عن شعور داخلي. إذا لم تتحقَّق تجربةُ الشعور فمن أين ينبع الشعر؟! يقول إلياس أبو شبكة في مقدمة ديوانه أفاعي الفردوس: «وعندي أن الشعر ينزل مرتدياً ثوبه الكامل ، وهذا الثوب جزءٌ من الشعور لا يتجزأ.» وإلياس أبو شبكة – ذلك الشاعر المغترب الذي عاش بعيداً عن وطنه وأهله – أدرك هذه الحقيقة البسيطة ونَقَلَها في كلِّ بيتٍ من شعره. وإن كان سابقاً على هواة الشعر الحديث ، فهذا لا يمنعنا من الأخذ بتجربته على أنها منارة حقيقية لنا ، نهتدي بها في تجربتنا المعاصرة ، نحن الذين نريد أن يكون لنا دورُنا في المجتمع الإنساني الكبير. هكذا نعود مرة أخرى إلى الشاعر إلى التجربة الداخلية إلى الشعور ، فلا نتردد في القول إن الرمز إفصاحُ الشاعر عن شعوره وعن تجربته الداخلية بصدق وبنقاء).هـ. وإذن فالرمز مطلوب لكن الإيغال فيه غير مطلوب! وليكن عند الشاعر صدقٌ فنيٌ في قالب رمزي لم يتخذ الرمز بديلاً عن القصيدة بل وعاء لها! ويتعين على النقاد أن يصارحوا الشعراء لأنهم مسؤولون عنهم يوم القيامة! ذلك أن الناقد المؤهل الصادق يصدر عنه نقدٌ صادقٌ على مستوىً راق! وأيما مجتمع وجد فيه نقاد كلمة أمناء واعون مؤهلون فثق أن الكلمة في هذا المجتمع ستكون راقية صادقة على مستوى الأداء المطلوب! وفي مقالةٍ عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (فلنلجأ إلى الرمز فهو اللغة المتنامية أبداً من أجل التعبير عن الحقيقة. ولنبتعد عن "الرمز– الغموض" الذي صار هدف شعرنا والذي بتنا نتوهَّم أنه الشعر. أليس هذا هو فعلاً واقع شعرنا الحديث؟ ألا نرى شعراءنا يلهثون وراء "الرمز" من أجل يكتبوا شعراً؟ وفي النهاية ألا نرى الطلاسم تملأ كتيِّباتٍ تسمى "دواوين" ، ملقاة هنا وهناك في الواجهات ، وعلى طرفي دربنا الشعرية الحديثة؟! ويُطرَح السؤال مرةً أخرى – السؤال المتضمن إجابته: هل نريد شعراً حديثاً حقيقياً ، يضعنا على الدرب الإنسانية الواحدة؟ هل نعرف ما نريد ونعيه؟! إن النقد وحده يتفرَّد دوماً بالمهمة الصعبة: قول الحقيقة! أو لنقل إنه على النقد تقع مسؤوليةُ وضع النقاط على الحروف – وهي المهمة التي تحتاج حقاً إلى الهمَّة ؛ أو لنقل مرة أخرى إنها المهمة المسؤولة! تماماً كالشاعر والأديب والفنان ، في عملية الخلق أو الإبداع. إن كان إطار الموضوع لا يسمح بالتوسع في موضوع النقد فهو يسمح على الأقل بالتأكيد على النقد الصادق

النابع من الداخل الواعي لتطور الشعر ، والسابر الشعرَ في الشعور. فما أحوجنا في مثل هذه الأيام إلى مثل هذا النقد! وما أجمل أن نرى نقَّادنا يسارعون إلى إصلاح الاعوجاج في مسيرة شعرنا فينبِّهون ويوجِّهون وينقدون فلا ينقضون بل يبنون ويرفعون).هـ. وإذا كان ذلك كذلك فسوف تكون الدواوين الشعرية علاجات للواقع المزري فليست قصائدها تتماهى معه ، بل تصلحه وتداويه وتقوّمه شاء أم أبي! ومن هنا كان موقف الإسلام من الشاعر الصادق الذي يوظف شعره في خدمة القيم والأخلاق والإسلام! وتحت عنوان: (موقف القرآن من الشعر) قال الدكتور أمل عبد الجبار كريم الشرع ما نصه: (كان شعراء المدينة الأنصار من أشهر من وقف مع الرسول ضمن الفريق الأول ، كان حسان وكعب يردان على شعراء المهاجمين ، ويدافعان عن الدين الإسلامي بمثل الطريقة القديمة في الفخر والمدح والهجاء ، أي بذكر الوقائع والأيام والمآثر والأنساب ويعيرانهم بالمثالب....أما عبد الله بن رواحة فكان يعير بالكفر وعبادة الأوثان ، فكان شعر حسان وكعب شديداً على الأعداء قبل إسلامهم ، وكان شعر عبد الله بن رواحة سهلاً عليهم ، فلما أسلموا وفقهوا الدين تغيرت وجهات نظرهم ، فأصبح أشد القول عليهم شعر ابن رواحة! احتدم الصراع واضطرم بين الفريقين المتصارعين ، وحين تم نصر الله وفتحت مكة دخل معظم الشعراء العرب إلى الدين الإسلامي يدافعون عنه ضد أعدائه ، ظهر بعض اللين والضعف في المستوى الفني للشعر الإسلامي ، ومرد ذلك أن الشعراء في تلك المرحلة كانوا دون مستوى الحدث ، فلم يوفقوا كثيراً في تمثل القيم الجديدة والمباديء الناصعة التي أتى بها الإسلام ، وكان لهذا أثره في خمول الشعر وضعفه إذا ما قورن بشعر ما قبل الإسلام ، ولهذا الضعف أسبابٌ عديدة منها انشغالُ الناس بالقران وبلاغته وسمو كلماته ، وشعور المسلمين بالعجز عن مجاراته ، سواء بالشكل أو المضمون ، فانصرفوا عن قول الشعر ، وهذا ما يذكره ابن خلدون في مقدمته ، حيث يذكر ما معناه أن العرب انصرفوا عن قول الشعر أول الإسلام لانشغالهم بأمور الدين والنبوة ولاندهاشهم بأسلوب القران ونظمه ، كما أن المسلمين الذين ملأ الإيمان قلوبهم تحرَّجوا من النظم خشية أن ينالهم غضب الله (والشعراء يتبعهم الغاوون) ، فآثر بعض الشعراء الصمت مثل لبيد والنابغة الجعدي ، وبعضهم ضعف شعره ، لأنه ابتعد عن الهجاء المقذع والفخر الفاحش والمديح الكاذب ، والإسلام قد أبطل الدوافع الجاهلية التي تنشط الشعر ، ونهى عنها إذا ما درسنا الشعر إبان تلك الفترة وجدنا بوناً شاسعاً بين نظم شعراء معينين في عصر ما قبل الإسلام ونظم قالوه هم أنفسهم في عصر صدر الإسلام من حيث القوة والمستوى الفني ، ومع ذلك فإن هذا الكلام لا يعني أن الإسلام حارب الشعر أو نهى عنه ، كما ذهب بعضهم مستندين إلى بعض الآيات من القران الكريم ، فإن الشعر لم يحارب لذاته ، وإنما حورب بعضه ، ذلك الذي اعتمد على الأهواء والانفعالات الردية إذن فيم يتناول الشعراء من المعاني والأغراض وقد قال الرسول: (إنما الشعر كلامٌ مؤلفٌ ، فما وافق الحق فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه).هـ. وطبعاً قمتُ بالرد على هذا المذهب في دراستي لشعر حسان بن ثابت الأنصاري في دراسةٍ منفصلةٍ تُبينُ أن النقاد المعاصرين استندوا في ذلك إلى فِرية الأصمعي من القول بضعف شعر بعض شعراء الصحابة ومنهم حسان بعد إسلامهم! وكيف نتصور شاعراً روحُ القدس معه ويلينُ شعره؟! وهو الذي طلبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طلباً: أين حسانُ لها؟! ولقد جاءتْ فكرة الجزء التاسع والعشرون من ديوان (السليمانيات) والمسمى بـ (اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم!) أن يكون آخر بصمة لي في حياتي الشعرية والأدبية! ذلك أنني يوم شرعت في كتابته كنتُ قد جاوزتُ سن الستين بأيام! وأحسَّ قلبي بقرب لقاء الله تعالى ، فأوصيتُ أبنائي بشعري!

الافتتاحية

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، القديم الأحدي العظيم الصمدي ، الدائم الأبدي القائم السرمدي ، رفع بقدرته السماء ، وأجرى بحكمته الماء ، وعلم آدم الأسماء وأمكنه من العيش الهني ، فخالف بالأكل الصواب ، فكشف الخلاف عنه الجلباب ، فخرج وما يعرف الباب لشؤم ارتكاب المنهي ، ويستدرك سالف الفوات ، حتى عطفت على تلك العبرات ، رحمة الراحم الخفي ، فاحذر من الأفعال الخباث ، فإنها سبب الالتياث ، وتعلق بالمستغاث ، ينقذك من جهل العلماء فإنه سريع الفرج ، إذا اشتد الأمر ضيقاً فرج ، (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، رفقاً بالضعيف والقوي ، من لاذ بجنابه مريضاً صلح ، من عاذ ببابه سائلاً فتح ، سبحانه لقد جاد وسمح ، وحتى على الفاجر الشقي ، ذل لجلاله من شمخ ، وقل لكماله من بذخ ، وخرج الليل بقدرته وانسلخ ، عن النهار النقي ، تفرد بالإنعام والجود ، وأذل الأعناق له بالسجود ، وتنزه عن مشابهة كل موجود ، بالوجود الأزلي ، سعد من بطاعته يلوذ ، ونجا وأنقِذ من بجنابه يعوذ ، وأمره في خلقه نفوذ ، يعلم خفي الخافي من السر ، ويسمع أنين المضطر في الضر ، ويرى دبيب الذر في البر ، تحت أخفاف المطي ، لا يعزب عن سمعه خفي الركز ، ولا يمنع أمره حصين الحرز ، تعالى أن يشابه المخلوق في العجز ، بالعز الأبدي يوصف بالحياة والكلام والسمع والنفس ، وجلت صفاته عن وهم الحدس ، إنما هو وحي أنزله روح القدس ، على قلب النبي ، يرزق النمل في الرمل والفرخ في العش ، ويبعث المزن بالوبل والودق والطش ، خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش! أسال الله أن تكون دعوتي صادقة مع الشمس الشارقة ، أن تتوالى علي أشعاري نعمُه الدافقة. نعمة الطبع والنشر والتوزيع ، ونعمة القراءة والفهم والدراسة! فلا تبقى للقراء هموم ولا ضائقة إلا أذهبها ذلك الشعر بما حوى من فرائد الحكم وشوارد الأمثال. أيها الحاقد على أشعاري اعلم أنني أستعين الله عليك ، حيث إنني استودعتُ الله شعري كله من ألفه ليائه ، ورجوتُه سبحانه وقد غرَّتني آية قال ربي فيها: (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) أسأل الله أن يكون شعري معي في جنات النعيم أتسلى به هناك إذ العمر في الدنيا أراه ليس كافياً! اعلم أيها الكاره لما كتبت: ليس غيرُ الله يبقى ، من علا فالله أعلى ، اعلم هداك الله أنّه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، من وثق بالله أغناه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن خافه قلّت مخافته ، ومن عرفه تمت معرفته. أيها العبد تأمل الآيتين: {ومن يتق الله} هذا شرط {يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} هذا وعد فأسأل الله أن أكون قد حققتُ الشرط لأستحق الوعد. ألا إن الحياة أجمل عندما نحمد الله على ما ذهب منّا وما بقي لدينا. ووالله لقد ذهب من العمر أربعة عقود وراء هذا الديوان ديوان: (السليمانيات)! وما سيأتي إلينا الحمد لله دائمًا وأبدًا. اللهم ارزقنا عملاً صالحاً يقربنا إلى رحمتك ، ولساناً ذاكراً شاكراً لنعمتك ، وثبتنا اللهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. اللهم اجعل شعري هذا طريقاً إلى طاعتك وسبيلاً إلى مرضاتك! إنني على يقين: أن هناك شيئاً ينتظرني بعد الصبر ليبهرني وينسيني مرارة الألم ألا وهو ذاك وعد ربي [وبشر الصابرين] ، يا رب من نام على ضيق من عبادك الصالحين فأيقظه على فرج ، ومن نام على حزن فأيقظه على فرح ، ومن نام على عسر فأيقظه على يسر. اللهم أخرج من أجسامنا كل مرض وكل سقم وكل سحر وكل عين وكل حزن وكل هم وكل غم وكل ضيق ، وأبدلها بالصحة والسعادة والفرج والعافية مدي حياتنا. اللهم إنا نسألك في كل صباح ومساء أن تغفر لنا ذنوبنا ، وأن ترحم أمواتنا ، وأن تستجيب لنا

دعاءنا. يا كريم يا منّان يا الله ، خذ بيدي إليك ، فأنا الشقي وأنت الرب الودود ، فلا تقطع عني رحمتك ، وأنِر بصيرتي وقلبي بنورك. اللهم يا خالق هذا القلب املأه إيماناً بك حتي ألقاك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم. ربي إني أستودعتك حياتي فلا تجعل مُرها يشقيني. ولا حلوها يلهيني. اللهم إني استودعتك شعري كله فاحفظه بحفظك واكلأه برعايتك ، اللهم كما حفظت شعر حسان وشعر غيره من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى وصل إلينا اليوم ، اللهم فاحفظ شعري من أن يُنتحل أو يُصادر أو يُعدم! اللهم يا رب إن كنت كتبته أريد به وجهك تعلم ذلك من نيتي وتقبلته عني كعمل صالح اللهم فاحمه واحفظه بحفظك يا حي يا قيوم! اللهم اجعل ما نريده في حياتنا قريباً لناظرنا سعيداً لخواطرنا ، اللهم أسعدنا سعادتين: الدنيا بخيرها والجنة بفردوسها ، اللهم آمين آمين يا رب العالمين. ربي لا تحوجني إلى أحد ، وَأغنني عن كل أحد ، لا نجعلني يَا الله عبئاً ولا وجعاً لأحد ، وأخرج من قلبي كل إنسان يخذلني في حياتي. ربي إن أُمي وأبي كانا من أعظم عطاياك ومن أحبُّ النعم لقلبي فارحمهما رحمة واسعة. وما قصّرت في حقهما صغيراً وكبيراً فاغفره لي يا رب! اللهم أعطنا في دنيانا هذي من الخير فوق ما نرجو ، واصرف عنا السوء فوق ما نحذر ، اللهم في هذه الدنيا سخّر لنا من حظوظ الدنيا ما تعلم أنه خيرٌ لنا ، اللهم قلوبنا بين يديك فارزقها الثبات والراحه واجعل لنا في دروب التعب خير. وازرع لنا في كل خطوة سعادة اللهم أرح ثم اشف كل نفس مسلمة لا يعلم بوجعها إلا أنت! اللَّهُمّ حَاسَبنِي حِسَابَاً يَسِيرَاً ، اللَّهُمّ إنْي أَسَأَلكَ فَعَلَّ الْخَيْرَات وَتَرْك الْمُنْكِرَات وحُبّ الْمَسَاكِين ، وَأَنْ تَغْفِر لِي وترحمني ، وَإِذَا أَرَدْت فِتْنَة قَوْم فَتوفنِي غَيْر فاتن ولا مَفْتُون ، وَأَسْأَلكَ حُبَك وَحَبّ مَنْ يُحَبِّك وَحُبّ كل عَمَل يَقْرَبنِي إِلَى حُبَك. اللَّهُمّ إنْي أَعَوْذ بِكَ مِنْ الْبَرَص وَالْجُنُون وَالْجُذَام ، وَمِنْ سَيِّئ الْأَسْقَام ، اللَّهُمّ قِنِّيَ شَرّ نَفْسي وَاعْزِم لِي عَلَى أُرْشُد أَمْرِيَّ ، اللَّهُمّ اِغْفِر لِي مَا أَسَرَرْت وَمَا أَعْلَنْت وَمَا أَخْطَأْت وَمَا عَمِلْت وَمَا جَهِلْت. ربَّ أَعِنِّيٍ وَلَا تَعَنّ عَلِيّ ، وَانْصُرنِي وَلَا تَنصُر عَلِيّ ، وَامْكَر لِي وَلَا تُمْكِر عَلِيّ ، وَاهْدِنّي وَيَسِر الْهَدْي إلْي ، وَانْصُرنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلِيّ ، ربَّ اجعلني لَكَ شَاكِرَا لَكَ ذاكراً لَكَ رهَاباً لَكَ مِطْوَاعَا إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوَاهَا مُنِيبَا ، ربَّ تَقَبَّل تَوْبَتِي وَاغْسِل حوبتي وَأَجِب دَعْوَتي وَثَبّت حُجَّتي وَاهْد قَلْبي وَسَدَّد لِسَانِيٍّ واسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبي. اللَّهُمّ إنْي أَعَوْذ بِكَ مِنْ الْعَجْز وَالْكَسَل وَالْجُبْن وَالْبُخْل وَالْهَرَم وَالْقَسْوَة وَالْغَفْلَة وَالْعَلِيَّة وَالذِّلَّة وَالْمَسْكَنَة ، وَأَعُوذ بِكَ مِنْ الْفَقْر وَالْكُفْر وَالْفُسُوق وَالشِّقَاق وَالنِّفَاق وَالسُّمْعَة والرياء ، وَأَعُوذ بِكَ مِنْ الصَّمَم وَالْبَكَم وَالْجُنُون وَالْجُزَّام وَالْبَرَص وَسِيء الْأَسْقَام. اللَّهُمّ إنْي أَعَوْذ بِكَ مِنْ الْعَجْز وَالْكَسَل وَالْبُخْل وَالْهَرَم وَعَذَاب الْقَبْر ، اللَّهُمّ آت نَفْسِيَ تَقْوَاهَا زَكّهَا أَنْتَ خَيْر مِنْ زَكَاهَا أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلَاها ، اللَّهُمّ إنْي أَعَوْذ بِكَ مَنْ عِلْم لَا يَنْفَع وَمِنْ قَلْب لَا يَخْشَع وَمِنْ نَفْسُ لَا تَشْبَع وَمِنْ دَعْوَة لَا يُسْتَجَاب لَهَا. اللَّهُمّ إنْي أَسَأَلكَ الْعَافِيَة فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، اللَّهُمّ مَتِّعنِي بِسُمْعِيٍّ وَبَصَري واجعلهما الْوَارِث مَنِّيٌّ ، وَانْصُرنِي عَلَى مَنْ يظْلِمنِي ، وَخُذ مِنْهُ بِثَأْرِيٍّ ، اللَّهُمّ أَعِنِّيٍّ عِلِّيٍّ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْن عِبَادَتِكَ ، اللَّهُمّ أَحْسَن عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُور كُلَّهَا ، وَأَجِرنَا مِنْ خِزْي الدُّنْيَا وَعَذَاب الْآخِرَة. اللَّهُمّ إنْي أَسَأَلكَ عَيْشَة نَقِيَة وَمَيْتَة سَوِيَّة وَمَرَّدَا غَيْر مخزٍ وَلَا فَاضِح ، اللَّهُمّ قَنِعنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وِبَارِكَ لِي فِيهُ وَاُخْلُف عُلِي كُلّ غَائِبَة لِي بِخَيْر اللَّهُمّ أَلْهَمنِي رَشَدِيٌّ وَأَعِذنِي مِنْ شَرّ نَفْسي. اللهم إني أسألك لشعري هذا النجاح والفلاح ، اللهم اجعله على جميع القراء سهلاً يسيراً هيناً! اللهم وانشره في العالمين! اللهم قلت لإبراهيم عليه السلام وقولك الحق: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) فأذن إبراهيم في الناس بالحج وتوليت يا رب إسماع

الناس! فجاؤوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات! وأذاني كان بالشعر البناء الهادف اللهم فأسمعه وأقرئه الصالحين من عبادك والمؤمنين بك! اللهم إن تيار الشعر الحديث الذي ليس بالشعر تيار جارف يكاد يعصف بالشعر العربي الأصيل اللهم فاخذله واخذل أهله فلا يطمسوا جمال الشعر العربي الأصيل الموزون والمقفى! اللهم إن كثيراً من النقاد اليوم قد انخرطوا في سلك الشعر الحر هذا وأخذوا يثورون على الشعر العربي الأصيل باسم الحداثة ربنا ليضلوا عن سبيلك ومن سبيلك اللغة العربية لأنها لغة كتابك وسنة نبيك – صلى الله عليه وسلم – ربنا اطمس على محاولاتهمُ الدنيئة فلا تنتصر ولا تحقق مرادها من انتقاص العربية لغة الضاد شعراً ونثراً! في مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (إن المشكلة الكبرى التي تواجهنا هي أن معظم نقَّادنا انساقوا في تيار "الشعر الحديث" ، فأخذوا على عاتقهم مهمة شرحه أو "تشريحه" لكي يصل إلى القرَّاء واضحاً سلساً ؛ فزادوا الغموض غموضاً ، وعملوا على تطوير نقد حديث يلائم الشعر الحديث ويجاريه في إبهامه وتفكُّكه وضياعه ، فاستحقوا بذلك شرفَ تثبيت أركانه وتعزيز صموده ، وحثِّه على الاستمرار قُدُماً في مجاهل الضلال المظلمة! أعود فأطرح السؤال مجدداً لكنْ على النقَّاد هذه المرة: من أين لنا النقد الهادف والبنَّاء ، وليس ثَمَّ شعورٌ واعٍ للدور المنوط ، للواجب المتحتم ، وللمسؤولية الإنسانية؟ إن نقد الشعر ليس تحليلاً للكلمة أو للحرف أو الجملة ، ولا هو إمعانٌ في تجزئة الجُمَل والكلمات أو حتى الحروف ؛ إن نقدُ الشعر أولاً نظرةٌ كلِّية لكلِّية القصيدة ، ونظرةٌ إنسانية للإنسانية في القصيدة ، ونظرةٌ شعورية للشعور في القصيدة. إن النقد في جوهره وعيٌ لدور الشاعر ولرسالته في شعره ؛ ولهذا يجب على الناقد أن يكون واعياً لدوره ولرسالته في النقد. يقول ميخائيل نعيمة: (أما النقد الذي لا غنى للأدب عنه ، فهو النقد الذي يقيم للأدب أهدافاً تتناسب وعظمة الإنسان من حيث هو كائن لا نهاية لما في كيانه من الأسرار والقوى التي تجعله يصبو دائماً أبداً إلى الانعتاق من القيود والحدود والسدود مهما يكون نوعها. وهذا النقد لا يتغافل عن أن الإنسان لا يزال من لحم ودم ، وأن للَّحم والدم متطلَّباتهما ومشكلاتهما. ولكنه يأبى على الأدب أن يكون مرآة لا تعكس من الإنسان أكثر من لحمه ودمه ، فتوهمه أن الذي يراه فيها من ذاته هو كلُّ ذاته. وهكذا تقعد به عن الطموح إلى ما هو أبعد وأسمى وأبقى من حاجات اللحم والدم ، فتُحكِم عليه قيودَه وحدودَه وسدوده بدلاً من أن تساعده على الانفلات منها. والناقد الذي يُحسِن ذلك النوع من النقد هو الناقد الذي سَبَرَ من الإنسان أعمق أعماقه ، وتسلَّق أعلى أعاليه ، فبات يحسُّه كائناً قدماه على الأرض أما رأسه ففي السماء. وهذا الناقد لا ينظر إلى الكلمة نظرة القارئ العادي ولا نظرة الكاتب المتعنت. فهي عنده أكثر من أداة للتعبير ، وأكثر من وسيلة للوشي وللتنميق والتمويه والتسلية والبهرجة والحذلقة. إنها المجمرة التي فيها يحرق الإنسان بخور أشواقه. وإنها المصباح الذي ينير له طريق الحق والجمال ، والمفتاح الذي يلج به الأبواب الموصدة في وجهه. وهي لا نفع منها ما لم يتجلَّ الصدقُ في كلِّ حرف من حروفها. والكلمة الصادقة جميلة أبداً. أما الكلمة الكاذبة فهي البشاعة بعينها ، وقد استعارت أثواب الجمال. وهي السمُّ في الدسم لقائلها ولكاتبها ، ولسامعها ولقارئها بالسواء. ذلك هو النقد الذي أجلُّه ، وما عداه فأكثره هباءٌ في هباء).هـ. وأعتقد أن ميخائيل نعيمة – مهما اختلفت معه – إلا أنه هنا قد ضرب على الوتر الذي أعني! إنه لا بد من نقد صادق واع يستوعب المرحلة وطبيعتها ويؤمن بإنسانية الشعر بالمعنى الحقيقي للكلمة! وإذن فالناقد الصادق هو الذي لا يقف على ظاهر الألفاظ والكلمات

والتعبيرات ولكنه يذهب إلى ما وراء النص والكلمة واللفظة! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ولقد أسعدني أن أقرأ مؤخراً مقالاً للناقد السوري عبد الفتاح قلعه جي في جريدة تشرين اليومية ، يتناول فيه إمكانية سبر الناقد للشعر الرؤيوي وأهمية العبور من الخارج إلى الداخل ، من الظاهر إلى الباطن ، في عملية "نقد" القصيدة المفعمة بالشعور الداخلي. جاء في ذلك المقال: العبور من البرَّاني إلى الجَوَّاني ضرورة بالنسبة للناقد ؛ وهو الدخول الحقيقي في طقس الأشياء. ولكن هذه المهمة لا يستطيع أن يطلع بها إلا من يملك الذائقة الجَوَّانية والقادرُ على الاستبصار بالحدس. كيف يستطيع ناقدٌ تجزيئي برَّاني أن يتخلَّص من شباك النسيج اللغوي ومن ثوابت النقد الجمالي في منهجه الشكلاني – وربما القوالب النقدية الجاهزة – ويتماهى في تائية ابن الفارض ، أو حكايات العطَّار الشعرية في منطق الطير ، أو إبراقات ابن عربي في ترجمان الأشواق ، يحلِّق فيها الروح في مدار أبدي؟! ويستطرد موضحاً أهمية التكامل بين البرَّاني والجَوَّاني في الرمز والتعبير: والعبور إلى الجَوَّاني لا يكون إلا عن طريق البرَّاني. فالناقد الذائق العرَّاف يدرك أن الألفاظ والعبارات والبديعيات والصور ، حسية كانت أو تخيُّلية ، ونثار العواطف والمعاني ما هي إلا رموزٌ ومعالم طريق إلى جَوَّانية القصيدة. "الدخول في طقس القصيدة – الفتح أو القصيدة – الإشراقة أمرٌ مجهد بقدر ما هو ممتع للناقد لأنه يتطلَّب منه حالةَ ارتقاء روحية ، واستخداماً لأدوات نقدية جديدة تستطيع أن تحيط الجوهر في أناة ودقة ، وتقوم بإبرازه في جلاء ، مضيئةً إيَّاه من جميع جوانبه ، مع مجانبة كل تجزيء يفتِّت كلِّية العمل الشعري الرؤيوي. إذاً أمام نُقَّادنا مهمتان أوَّليتان: أولاً فرز العمل الشعري الشعوري ، أو كما أسماه الأستاذ قلعه جي "الرؤيوي" من بين الكم الهائل من الشعر المقيَّد والضائع ؛ ومن بعدُ نقد هذا العمل الإبداعي بأسلوب إبداعي. وإذن لا يتمُّ سبرُ أعماق العمل الداخلي والكلِّي إلا بالقدرة على الاستبطان وبالكلِّية في النظرة النقدية. وهذا يتطلب من الناقد عملاً معمَّقاً على الذات هو عينُه العمل المطلوب من الشاعر تحقيقُه. بغير هذا الجو يصعب على القصيدة الحديثة أن تؤدي رسالةً ودوراً في عالمنا المعاصر).هـ. أقول: وأخيراً وليس آخراً فإنني أكاد أجزم بأن شعرنا العربي الأصيل يعيش اليوم مرحلة من التردي بدرجة لا توصف! حيث ينظر إليه الكثيرون على أنه كان يناسب الظلامية وعصر ما قبل التاريخ! والعكس هو الصحيح! فإن شعر الحداثة أو الشعر الحر أو ما يحلو لي أن أسميه باللاشعر واللانثر المتفلت هو الأولى بهذه التسمية! إن أصحابه لما عجزوا عن المجيء بالشعر العربي الموزون المقفى راح الشيطان يلعب بالواحد منهم ويصور له أن التفلت من الوزن والقافية هو الوضع الصحيح! إننا في ديوان: (السليمانيات) نقدمه للناس وللتاريخ ليكون شاهداً على إمكانية التغني بشعر العرب ولو في القرن الخامس عشر الهجري أو الحادي والعشرين الميلادي! إن (السليمانيات) بآلافه يقدم الدليل على الشعر لم يتغير ولم يتبدل ، وإنما الذي تغير وتبدّل هو الشاعر الذي تسمى بالشاعر زوراً وبهتاناً! إنني لم أعمد إلى شعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر إلا واحدة ولم أكررها بالعكس إنني اعتذرتُ في وسطها وفي آخرها للشعر العربي الأصيل! إن الذي دعاني لكتابتها (أقصد قصيدة: قراءة في أوراق الماضي – ديوان عزيز النفس) هو التصنيف الفني فقط! وكنتُ قد رثيت عيني على البحور الستة عشر ومقلوبات البحور! وأما الجزء التاسع والعشرون من ديوان (السليمانيات) والمسمى بـ (اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم!) فهو وصية رقيقة لأبنائي أن يهتموا بأشعاري قراءة ودراسة وعملاً بما فيها من الحق! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

صناعة الأغبياء!

(إن صناعة الأغبياء لا تتطلبُ كثيراً من الجهد والوقت والمال! فهل عندك فكرة يا قارئنا الحبيب كيف تتم صناعة الأغبياء؟! إن مجموعة من العلماء كانوا قد وضعوا 5 قرود في قفص واحدٍ ، وفي وسط هذا القفص وجد سُلم ، بينما كان في أعلى السلم بعض الموز! وفي كل مرةٍ يَطلعُ أحدُ القرود لأخذ الموز يرشُ العلماء باقيَ القرود بالماء البارد! وبعد فترةٍ بسيطةٍ أصبح كل قردٍ يَطلع لأخذ الموز ، يقوم الباقون بمنعه وضربه حتى لا يُرَشوا بالماء البارد. وبعد مدةٍ من الوقت لم يجرؤ أي قردٍ على صعود السلم ، لأخذ الموز على الرغم من كل الإغراءات خوفاً من الضرب. وبعدها قرر العلماء أن يقوموا بتبديل أحد القرود الخمسة ، ويضعوا مكانه قرداً جديداً. فأول شيءٍ يقوم به القردُ الجديد أنه يصعد السلم ليأخذ الموز ، ولكن فوراً يضربُه الأربعة الباقون ويجبرونه على النزول. وبعد عدة مراتٍ من الضرب يفهم القرد الجديد بأن عليه أن لا يصعد السلم ، مع أنه لا يدري ما السبب. وقام العلماء أيضاً بتبديل أحد القرود القدامى بقردٍ جديدٍ ، وحل به ما حل بالقرد البديل الأول ، حتى أن القرد البديل الأول شارك زملاءه بالضرب ، وهو لا يدري لماذا يضرب؟! وهكذا حتى تم تبديل جميع القرود الخمسة الأوائل بقرودٍ جديدةٍ ، حتى صار في القفص خمسة قرودٍ لم يرش عليهم ماءٌ باردٌ أبداً! ومع ذلك يضربون أي قردٍ تسولُ له نفسه صعودَ السلم بدون أن يعرفوا ما السبب؟! وهكذا تتم صناعة الغباء الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي! ولو سألنا القرود: لماذا تضربون القرد الذي يصعد السلم؟ فسيكون الجواب المتوقع: لا ندري ، ولكن وجدنا آباءنا وأجدادنا على هذا الطريق. من قال أن زمن الجاهلية قد انتهى؟! انظر حولك عزيزي لترى أننا نعيش بعقول جاهلةٍ على أجهزة حديثةٍ فقط! ومن هذه القصة الطريفة التي لا أستبعدُ حدوثها ندركُ أن الغباء صَنعة يُتقنها بعضُ الناس ، حتى يصنعوا الأغبياءُ الذين يُنفذون لهم مُخططاتهم القذرة الدنيئة! كتبتُ في ذلك قصيدتي هذي على قافية العين ، وعلى البحر المديد أقول:)

الغبـــــاءُ صَـــــنعة لا صِـــــناعة! وانحطـــــاط لا يُـــــداني مَناعـــــة!

خِلتُـــــه يُـــــودِي بـــــدِين ودنيـــــا عنـــــدما يَلقـــــى الرضـــــا والإطاعـــــة

يَســـــتطيلُ فـــــي عقـــــول الخزايـــــا ناشـــــراً أســـــقامَه ووِجاعـــــه

لـــــيس يَرضـــــى الحُمـــــقَ إلا لِئـــــامٌ فضـــــلوا علـــــى الإبـــــاء الوَضـــــاعة

لا يُطيلـــــون المَعـــــاليَ دَربـــــاً مـــــا لـــــديهم هِمـــــة أو شـــــجاعة!

والطـــــواغي رَوَّضـــــوهم ، وســـــادوا واللئـــــامُ اســـــتُحمِروا بالقناعـــــة

كابـــدوا فـــي العـــيش حتـــى اســـتكانوا ثـــم أسْـــدَوا للفســـاد الضـــراعة

والفجـــــورُ خَصَّـــــهم بالـــــدنايا فاستســـــاغوا رِجسَـــــه والرَّقاعـــــة

قـــــال: إن الفســـــق هـــــذا اختراعـــــي والقطيـــــعُ قـــــد تبنـــــى اختراعـــــه

أغبيـــــاءُ العصـــــر أحقـــــرُ شـــــأناً ... إذ نـــــراهم يُصْـــــنعون صِـــــناعة

هـــــم ورَبـــــي للطغـــــاة عبيـــــدٌ ... ذاك حـــــقٌ ، لـــــيس هـــــذا إشـــــاعة

جُنـــــدُ طـــــاغوتٍ ، وليســـــوا كِرامـــــاً ... إنْ يَقـــــلْ قـــــولاً أجـــــادوا اســـــتماعَه

كـــــم أمـــــاتوا بالتـــــدَني قضـــــايا! ... كـــــم أضـــــاعوا كـــــل حـــــق إضـــــاعة!

رَوَّجـــــوا للبغـــــي حتـــــى تمـــــادَى ... ثـــــم بـــــاتوا مُشْـــــترين وباعـــــة

وارتضـــــوا بالـــــدون سَـــــمتاً وهـــــدياً ... والتـــــدَني هـــــل يُنِيـــــلُ الرفاعـــــة؟!

واشْـــــترَوا بالـــــدين دنيـــــا فـــــذلوا! ... تجـــــرة خابـــــتْ لأخـــــزى بضـــــاعة

ربِّ ســـــلمْ مِـــــن قطيـــــع تـــــدَنى ... ربِّ جنبْنـــــا ذلـــــه وانصـــــياعه

ربنـــــا ارحمْنـــــا إذا مـــــا زللنـــــا ... مثـــــلَ جَمـــــع لا نُحِـــــبُ اتباعـــــه!

دمعة على الزنداني!

(استحق أستاذنا عبد المجيد الزنداني دمعة تأبين ، حيث رحل عنا يوم 22 من أبريل لعام 2024م ، وكنت أتوقع كذب الخبر ككل مرة! ذلك أننا اعتدنا أن نسمع بموت الزنداني من ثلاثة عقود أو يزيد! ولكن للأسف هذه المرة توثقَ الخبر! فرحمَ اللهُ الشيخَ الزنداني! فمن هو الزنداني؟ وماذا استفدنا منه عبر مسيرةٍ علميةٍ امتدت أربعة قرون ، ونحن نطالع له موضوعاً تفرد به: (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)؟! ولد الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني سنة 1942م ، في قرية الظهبي بمديرية الشعر من محافظة إب ، إحدى محافظات الجمهورية اليمنية ، ولكن أصله من منطقة "زندان" في مديرية أرحب بمحافظة صنعاء. تلقى تعليمه الأولي في الكتّاب بمسقط رأسه ، والتحق بالدراسة النظامية في عدن ، ثم انتقل إلى مصر للدراسة الجامعية ، فالتحق بكلية الصيدلة ودرس فيها سنتين ، ثم تركها بسبب اهتمامه بالعلم الشرعي ، وأخذ يقرأ في علوم الشريعة ، وتسنى له الالتقاء بأكابر العلماء في الأزهر الشريف. انكب على الدراسة على علماء ومشايخ الأزهر الشريف قبل أن ينتقل إلى المملكة العربية السعودية ويلتقي كبار علمائها وأدبائها ، من أمثال الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين ، وحصل فيما بعد على شهادة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان. ووسّع مداركه من خلال المطالعة واستنطاق النصوص الشرعية ، ومحاولة فهمها في ضوء الحياة المعاصرة والاكتشافات العلمية ، مما فتح أمامه مجال الإعجاز العلمي في القرآن الذي شكل أحد أهم انشغالاته ومجال تميزه. وكان قد مارس التدريس أثناء وجوده في السعودية ، وتولى بعد عودته إلى اليمن وظائف ومسؤوليات مختلفة ، من بينها إدارة معهد النور العلمي ووظائف تدريس في بعض مؤسسات التعليم. ثم عاد الزنداني إلى صنعاء وتولى إدارة الشؤون العلمية في وزارة التربية والتعليم ، وساهم في تدريس عدد من المواد العلمية كمادة الأحياء ، ثم عيّن رئيساً لمكتب التوجيه والإرشاد عند إنشائه سنة 1975 م قبل أن يعين في وزارة المعارف. وشكل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية أحد الانشغالات الأهم للزنداني ، واعتبر على نطاق واسع أحد أبرز العلماء المعاصرين الذين حاولوا البرهنة على سبق القرآن في مجال الحديث عن الاكتشافات العلمية في مجالاتٍ كثيرةٍ كالطب ، وخلق الإنسان ، والجيولوجيا. وفي عام 2004م أعلن أنه اكتشف دواء لمرض فقدان المناعة المكتسب (الإيدز) ، وذلك عن طريق خلط مستخلصات من أعشاب قال إن لها تأثيراً على الفيروسات وعلى بعض الخلايا السرطانية. وأكد أن أبحاثه في هذا المجال استغرقت 15 عاماً ، رافضاً الكشف عن الوصفة خشية السطو عليها مما سماها "مافيات الأدوية". ثم أعلن عنها فيما بعد احتساباً للأجر عند الله تعالى! ونفع الله تعالى بها أناساً فشفاهم! ولم ينفع بها آخرين فلم يشفهم! ومن هنا كاد له العلمانيون الحاقدون ، فلم ينظروا للذين شفاهمُ الله بل نظروا لمن لم يشفهم ، فقالوا بفشل أعشاب الزنداني ووصفته ، وكذبوا! وساهم في تأسيس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في المملكة العربية السعودية وترأسها بعد ذلك ، ثم عاد إلى اليمن ، فأسس جامعة الإيمان للعلوم الشرعية ، بفروعها في صنعاء وعدن وحضرموت! وتواصلت مصنفاته وأبحاثه في علم الإيمان والإعجاز. والشيخ عبد المجيد الزنداني لا يجهله أحد في حِكمته وفي طريقته المثلى وعرضه الجيد للكتاب والسنة ، وقوته العلمية خاصة في الإعجاز العلمي ، ويُسْلم على يديه أساطين الكفر في فرنسا وأمريكا وبريطانيا ، أناس بلغوا علم الذرة ، ويتكلمون في الأشعة وفي دقائق العلم ، ثم جلس معهم وقدم لهم الوثيقة الربانية

(القرآن الكريم) الذي نزل قبل ألف وأربعمائة سنة ، فيدخلون في دين الله تعالى! وكان قد أثرى المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات ، كما أن له العديد من الأشرطة والمحاضرات التي فصَّل فيها مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. ومن أبرز كتبه: (تأصيل الإعجاز العلمي - علم الإيمان - طريق الإيمان - نحو الإيمان - التوحيد - البينة العلمية في القرآن الكريم)! يقول الأستاذ خالد برية ما نصه: (والزنداني فخرُ الرجال ، وشيخُ العلماء ، وصوتُ الضَّمير ، وخادم العلم ، ومربي الفضلاء ، وتاريخُ التَّاريخ ، وأحد صنَّاعِه الكبار ، أحد جبال اليمن الكبير ، يعرفُ قيمته الرجال ، وتعرفه العقول الوزانة في كلِّ مكان. لا يعني هذا أنه بلا أخطاء ؛ فهذا لا يقولهُ إلا بليد ، وإنما الرجلُ النبيل ، العامل ، الحامل لهمِّ الفكرة ينبغي أن يُحمَل علىٰ الأكتاف ولو كانَ مخالفًا ، فدفنُ فضل أهلِ الفضل والمكارم (من أي توجهٍ كان) ؛ نكرانٌ لا يليقُ بعاقلٍ نبيل ، ليكن الرجل منَّا من يكون ، ما دام مخلصًا لوطنه ، نافعًا للخلق ، باذلًا من عمره في سبيل فكرته. لا ينبغي أن يهال عليه تراب القطيعة ، والنسيان ؛ فلا يهضم حق الرجال إلا ناقص. ومن السفه أن تسيء إلىٰ رجلٍ عظيم المكارم ؛ إرضاء للسُّفهاء ، وبعض سقَطِ المتاع من الحاقدين أعداء العلم والنخب البائسة التي أطفأ الشيخ كل نور توهموه نورًا. ما تمنيتُ أن تُدوَّنَ سيرة ذاتية لرجلٍ يمني كما تمنيتُ لسيرة هذا الرجل ، لكنه لم يكتب شيئًا فيما أعلم ، وها هو الآن في لحظاتٍ حرجةٍ ، مخوفة ، يصارعُ الحياة ، كما صارعها مذ مضىٰ في طريقهِ إلىٰ الله تعالى. إياكم أن تدفنوا محاسن كباركم ، فكل فضيلةٍ تُدفن ، يحيا عليها وغدٌ يصعدُ علىٰ أنقاضِ الآخرين ، لنكن شرفاءَ حتىٰ في خصوماتنا ، وخلافنا ، لنعطِ كل ذي حقٍّ حقه ؛ لأننا سنكتشفُ في يومٍ ما أنَّ كل عظيم تربَّصَ به خصمه ، أغلقَ دونه باب التاريخ ، وطمسَ محامده ، لنبقىٰ في العراء بلا نموذج أو سيرة تستحقُّ أن تُروَىٰ في ليالي المجد الطويل).هـ. هذا ، وتوفي الشيخ عبد المجيد الزنداني يوم الاثنين 22 أبريل/نيسان 2024 م ، في أحد مستشفيات إسطنبول ، عن سن ناهز 82 عاماً. ونعاه نجله محمد بن عبد المجيد الزنداني وعلماء وهيئاتٍ إسلاميةٍ عديدةٍ من بينها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وهيئة علماء اليمن وهيئة علماء فلسطين وهيئة علماء المسلمين في العراق. العلم هو الترياق المضاد للتسمم بالجهل والخرافات. والعلم عبارة عن طريقة للتفكير أكثر من كونه قالباً جامداً للمعرفة. وأول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس نشره. يضيع العلم بين اثنين. الحياء والكبر. والناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب! وذلك لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه. وإذا لم يمنع العلمُ صاحبه من الانحدار ، كان جهل ابن البادية علماً خيراً من علمه. ونحن لسنا محتاجين الى كثير من العلم ، بقدر ما نحن محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة. والنجاح لا يحتاجإالى كثير من العلم ، بقدر ما يحتاج إلى الحكمة. والهدف النهائي للحياة هو الفعل والعمل وليس العلم وحده ، فالعلم بلا عمل لا يساوي شيئاً. ونحن نتعلم لكي نعمل. والمهم في العلم ليس أن تحصل على حقائق جديدة ، بل أن تكتشف طرقاً جديدة للتفكير في هذه الحقائق. وإن القلب الخرب يجعل من العلم سلاحاً للفساد. (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم). فانظر إلى ضراوة العلم عندما يفقد الإخلاص لله والرفق بالعباد ، كيف يثير التفرقة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل. والعلم بدون دين أعرج ، والدين بدون علم أعمى. ولو كان العلم من دون التقى شرفاً ، لكان أشرف خلق الله إبليس. ولا يصلح العلم إلا بثلاث: تعهد ما تحفظ ، وتعلم ما تجهل ، ونشر ما تعلم. ومن مشكلات التعلم الشائعة في

المجتمعات النامية الانفصام بين لغة العلم وبين لغة الحياة اليومية. والعلم هو الكتاب لا الذي يلقيه. وذو العلم حقيقٌ أن لا يَعدَمَ في كل خطب حيلة ، وإن ذا الجهل خليق أن لا يجد في أي خطب حيلة. وإن الجراءة هي علم الجاهل حين يكون له علم ، وجهل العالم حين يكون للعالم جهل. والزنداني ركز جُل اهتمامه على هذا المبدأ! والأمر كما يقولون: اصرف كل اهتمامك إلى العلم ، فإن الله لا يُعبَد إلا بالعلم. (فاعلم أنه لا إله إلا الله)! والعلم المادي أضاء لنا البيت ، ولكنه لم يضئ لنا عقولنا. إن العلم الحق لم يكن أبداً مناقضاً للدين ، بل إنه دال عليه مؤكد لمعناه. وإن كانت النوايا آثمة فواخوفي من علم ربي بالسرائر. إنه لا تعارض بين الدين والعلم ، لأن الدين في ذاته منتهى العلم المشتمل بالضرورة على جميع العلوم! وهذه الحقيقة هي التي عمل على ترسيخها الزنداني عقوداً من عمره! فلن تكون متدينا إلا بالعلم. فالله لا يعبد بالجهل. ومهما كان العلم مؤلماً ، فلن يكون أشد ألماً من الجهل. والاختبار والعلم يصقلان العبقرية ولكن لا يقومان مقامها. والمدينة العظمى هي التي يسود فيها العلم والحرية والإخاء والوفاء. والإنسان ينسج حياته على غير علم منه وفقاً لقوانين الجمال حتى في لحظات اليأس الأكثر قتامة طبعاً وفق الشرع. وإن العالِم ليطلب العلم من المهد إلى اللحد ويموت جاهلاً. وإن نشر العلم كفيلٌ بطرد الجهل كما يطرد النور الخفافيش. والهدف الدائم للعلم التجريبي هو الصدق وليس اليقين ، فليس هناك علم تجريبي يقيني ولن يكون. ومن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما أثر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله. والأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة ، هذا هو مفتاح السعادة للأفراد والجماهير. والعلم أكبر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء أحسنه. والجامعات في أمريكا وأوربا لا تبحث عن العلم من أجل العلم ، ولا تبحث عن المعرفة من أجل الارتقاء بمكانة الإنسان الاجتماعية وشبكة علاقاته بالمنشأ والحياة والمصير. وإنما هم هناك يبحثون عن المعرفة والعمل باعتبارهما عنصراً من عناصر القوة اللازمة للنجاح في الحياة بأسرها. وبعض الناس ينظرون إلى حال العلم والمعرفة كنظرهم إلى الذهب عند نساء دِيارهم ، فيبقيان مجرد حلية يباهي بهما الأفراد وحملة الشهادات بعضهم بعضاً في الداخل. والعلم وحده لا يكفي ما لم يتوج صاحبه بمكارم الاخلاق. أقبح أنواع النسيان ، نسيان المشهور تاريخه يوم كان مغموراً ، ونسيان التائب ماضيه يوم كان عاصياً ، ونسيان العالم أن الله وهبه الفهم والعلم وسيسأله عنهما ، ونسيان المظلوم آلام الظلم بعد أن يصبح منتصراً ، ونسيان الطالب الناجح فضل من كانوا سبباً في نجاحه ، ونسيان الداعية فضل الذين سبقوه أو ساروا معه ، ونسيان الفضل لكل ذي فضل مهما كان دقيقاً. ونصف العلم أخطر من الجهل. ومن هنا كان الحث على طلب العلم! والعليم اسمٌ من أسماء الله الحُسنى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ، وإذن فالله معلم أنبياءه ورسله ، وهو الذي يعلم ويعرف كُلَّ شيءٍ سرًّا وعلانيةً ، والعِلم في الاصطلاح هي مجموعة المعارف والخبرات والاستنتاجات التي يتوصّل إليها الإنسان ، ويُتقنها في مجالٍ ما من مجالات المعرفة ؛ فهناك عِلم الطّبيعة ، وعِلم الدِّين ، وعِلم الطِّب والهندسة ، وغيرها. وقد جاء في الأثر أنّ الأنبياء عليهم السّلام لا يورّثون ذهبًا ولا فضّةً ولا منصبًا وإنّما يورّثون العِلم لمن بعدهم ، والإسلام دِين العِلم والتّعليم ؛ فأوّل آيةٍ حملها جبريل عليه السّلام للنّبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ" ثُمّ تلتها قوله تعالى:"ن* والقلم وما يسطرون" فهاتان الآيتان عظّمتا شأن القراءة والكتابة ، وأقسم الله سبحانه بالقلم وهو أداة التّدوين والكتابة والحفظ ، وبالقراءة والكتابة تُكتسب العلوم المختلفة وتزدهر الحضارات وينتشر العِلم بين النّاس. حُكم طلب العِلم العِلم بحسب الشّريعة الإسلامية ينقسم إلى

قسمين اثنين هما: علوم الحياة والصِّناعة والطِّب وغيرها من العلوم الدُّنيوية اللّازمة لحياة الإنسان ، وما يترتّب عليها من اختراعاتٍ وتصاميم ؛ فحُكم هذا النّوع من العِلم فرض كفايةٍ أي لو قام به البعض سقط عن البقية. والعِلم الشّرعي وينقسم إلى قسمين هما: علوم العقيدة وكُلُّ عِلم لا تصح العبادات إلا به كعِلم التَّوحيد ، وعلوم الإسلام والإيمان وأركانهما ؛ فحُكمه فرض عينٍ على كلِّ مسّلمٍ أي يُلزم الكل بتعلُّمه. وعلوم الدِّين التي تبحث في التّفاصيل والمسائل الدَّقيقة كعِلم الفرائض - المواريث- ، وعِلم أصول الفقه والحديث والتّفسير ؛ فحُكمه فرض كفايةٍ إذا قام به بعض العلماء سقط عن الباقين. الحثّ على طلب العِلم يتّضح لنا ممّا سبق في أحكام طلب العِلم أنّها تتراوح ما بين فرض عين وفرض كفايةٍ ، أي أنّه لا بُد من طلب العِلم في الإسلام ، وقد حثّ ورغّب الإسلام في طلب العِلم والسّعي وراء الحِكمة والمعرفة ، فهي ضالّة المؤمن التي يبحث عنها. وقد طبق هذا شيخنا تطبيقاً! فرحم الله الشيخ الزنداني رحمة واسعة!)

بَكَـــى القـــريضُ بـــدمع ســـاجم حـــاني ... علـــى رَحيـــل رَفيـــع الشـــأن (زنـــداني)!

والتـــاعَ قلـــبٌ علـــى مَـــن كـــان عَلّمَنـــا ... رَبـــط العلـــوم زكَـــتْ بـــآي قـــرآن

(عبـــدَ المجيـــد) عليـــك العـــينُ ثاويـــة ... تُزجـــي الـــدموعَ لهـــا لطيـــفُ سُـــلوان

عَزيـــتُ فيـــك دِيـــاراً أصـــبحتْ مِزَقـــاً ... بـــين الفـــراعين مِـــن فـــرس ورُومـــان

عَزيـــتُ أمـــة حـــق هـــانَ سُـــؤدَدُها ... وأذهبـــتْ بأسَـــها أجنـــادُ عـــدوان

طلابُـــك اليـــوم مَـــن يقـــودُ جَحفلهـــم؟! ... ومَـــن يُناصِـــحُ فـــي سِـــر وإعـــلان؟!

ومَـــن يُفطـــنهم إلـــى شـــرافتهم؟! ... ومَـــن يقـــودُ إلـــى نصـــر وســـلطان؟!

ومَـــن يُبَصِّـــرُهم بالعائـــدات ســـبتْ ... عقـــولَ مَـــن رَكنـــوا عمـــداً لطغيـــان؟!

ومَـــن يَـــدُلُ علـــى عِـــز ومَكْرُمـــةٍ؟! ... أمَّـــن يُحَـــذرُ مِـــن غـــدر وخُـــذلان؟!

ومَـــن يُشـــاطِرُ فـــي الأحـــزان مَـــن غلبـــوا ... مِـــن بعـــد أنْ ســـقطوا فـــي ســـاح ميـــدان؟

عَزيـــتُ فيـــك بصـــنعا خيـــرَ جامعـــةٍ! ... وللفـــروع عَـــزاءٌ لاحـــقٌ ثـــاني!

أنشـــأتها ، فغـــدتْ بـــالعِلم عـــامرة ... وبعـــدُ ألبسْـــتها وشـــاحَ (إيمـــان)!

فـــي حضـــرموتٍ وفـــي صَـــنعا وفـــي عَـــدَن ... مـــأوى الأماجـــد مِـــن أبنـــاء (قحطـــان)!

غـــدا ســـيفنى جميـــع الخلـــق فـــي (يمَـــن) ... لكـــنْ صـــنيعُك هـــذا لـــيس بالفـــاني!

عَزيـــتُ فيـــك حِمـــى (الظهْبـــيِّ) فارقـــه ... ابـــنٌ مضـــى فقضـــى بـــدون حُســـبان

فـــي مَعقِـــل التـــرك فاضـــتْ رُوحُ عالِمِنـــا ... والجســـمُ وَدَّعهـــا بكـــل إذعـــان

عَزيـــتُ (زِنـــدانَ) لـــم ترقـــأ مـــدامعُها ... بـــل قـــرَّحَ الـــدمعُ فيهـــا بعـــضَ أجفـــان

ولـــو تـــرى (أرحبـــاً) تُبـــدي الحِـــدادَ صُـــوَىً ... وأظهـــرتْ للـــورى سَـــوادَ فســـتان!

(عبـــدَ المجيـــد) نفحـــت العِلـــمَ فـــي زمـــن ... فيـــه الحقـــائقُ قـــد نِيطـــتْ ببُهتـــان

فكـــم رَدَدْت علـــى قـــوم تخرُّصَـــهم! ... وكـــم دَحَضـــت لهـــم تضـــليلَ كفـــران!

وكـــم أبنـــت لمـــن ضـــلوا ضـــلالتهم ... مُـــدَعِّماً كـــل تبيـــين ببرهـــان!

وكـــم تعقبـــت مَـــن بالباطـــل انتفشـــوا ... واغتلـــت بـــاطلهم بكـــل إيقـــان!

وكـــم لقيـــت الأذى فـــي كـــل مصـــطدم ... ولـــم يُخِفـــك تحـــدي المجـــرم الجـــاني!

وكـــم تفـــردت بـــالعلوم مشـــرقة ... ومـــا أعاقـــك حقـــدُ الحاســـد الشـــاني!

وكـــم أسِـــرت ، فكـــان الأســـرُ تســـرية ... ولـــم يَهُـــزك يومـــاً قيـــدُ سَـــجَّان!

وكـــم تحمَّلـــت فـــي ليـــل الفســـاد دُجـــىً ... فقلـــت: فجـــري ســـيُردي كـــل إدجـــان!

وكـــم تغربـــت عـــن أهـــل وعـــن وطـــن ... فمـــا بكيـــت علـــى فِـــراق أوطـــان!

وكـــم أبـــدت ظلامـــاً جـــابَ مـــؤتمراً! ... وكـــم خصصـــت الألـــى جـــاؤوا بفرقـــان!

ابـــنُ الثمـــانين لـــم تفتُـــر عزائمُـــه ... بـــل عـــاشَ ذا همـــةٍ عُليـــا وإثخـــان!

حتـــى إذا زاره الشـــيبُ اســـتكانَ لـــه ... فبـــات فـــي الشـــيب كالمســـتأثر العـــاني

وحـــل ضـــيفاً عليـــه الســـقمُ دون هـــوىً ... والســـقمُ طـــاشَ بألقـــاب وتِيجـــان

وأصـــبح الشـــيخُ جُثمانـــاً تُجَندلـــه ... أغيـــارُ كـــم وأدتْ شـــبابَ جُثمـــان!

لا بـــأسَ يـــا شـــيخنا ممـــا شـــقِيت بـــه ... فـــالأجرُ مـــدخرٌ بـــدون نقصـــان

ربـــاه فارحمْـــه ، والطـــفْ يـــا رَؤوفُ بـــه ... وجُـــد عليـــه بتثبيـــتٍ وغفـــران

وكـــنْ لـــه مُؤنِســـاً فـــي القبـــر مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، ومـــا بَقيـــتْ رُوحٌ بإنســـان!

كـــم أعطـــوك؟!

(عندما يُقاسُ كل شيءٍ بالمال ، تكون طامة كُبرى قد أصابتْ وزنَ القيم! لماذا يا قومي؟ والجوابُ باختصار: لأن المال أبداً لا يشتري القيمَ ولا المبادئ! وأهلُ القيم والمبادئ ، أبداً لا يبيعونها بكنوز الأرض! وتبدأ قصة هذه القصيدة عندما استضافتْ إحدى القنوات الفضائية الفذة الرائعة المحترمة القيمية أحد الشعراء! وهذا الشاعر أمره عجيب وشأنه غريب ، رغم تمكنه من الشعر وغزارة إنتاجه الشعري وجودة موضوعاته الشعرية – وهذا من فضل الله عليه ، ثم فضل أساتذته الذين علموه - ، إلا أنه لا يهتم كثيراً ولا قليلاً بالأضواء ولا يجري وراءها ، لأنه كان يُدرك جيداً أن الأضواء تقتل صاحبها ، ولو بعد حين! وعاش يعتبر مدحَ الناس لأشعاره وقدحَهم سواء! وفوجئ ذات يوم بطلب استضافة مكتوباً من إحدى القنوات الفضائية! فتردد في الموافقة كثيراً ، ثم بعد دراسةٍ للأمر وافق! وحددَ القائمون على القناة موعداً لزيارتها ، ريثما تُجرى الترتيبات وإعداد استوديو الأخبار لأنه الأليقُ باستضافة الضيوف وخاصة الأدباء والشعراء والكُتاب! وذهب الرجل على موعده معهم ، والتقى مُعِدي البرنامج الذي سيكون ضيفاً عليه! ولم يشترط الشاعر عليهم إلا شرطاً واحداً ، وهو أن يُرفع هذا اللقاء على الميديا من خلال موقع القناة! لا للمشاهدات ، ولا للأضواء ، ولا لأي اعتبار آخر ، سوى الذكرى والتعريف بالشاعر ، وانتفاع الناس بما يُلقيه من القصائد! فقالوا: ما جئتنا بجديد ، إننا نرفع كل ما يتعلق بالقناة على موقعها مباشرة! فسُر الشاعر بذلك! وتم التسجيل ، وأعطوه موعدَ الإذاعة الحية والمُعادة على القناة! وكم كانت سعادته بهذا اللقاء ، وسُر به كذلك أحباؤه وأصفياؤه ، واغتاظ أعداؤه وانكمدوا! إلا أن المفارقة العجيبة وثافية الأثافي ، أن أحد هؤلاء الأعداء ما استطاع أن يُخفي مشاعره الحاقدة الكارهة ، حيث واجه الشاعر بقوله: كم أعطوك؟ فرد الشاعر عليه قائلاً: لأنهمُ (المجد) ، فقد أعطوني المجد والعز والفخار! لقد أعطوني ما لا يُقدّر عندي وعند أولي النهى ما يرجح كنوز الأرض منذ كانت الأرض إلى قيام الساعة! يكفي أنك تموت يوم تموت ولا يرى لك أحد صورة ولا يسمع لك أحد صوتاً! أما أنا فلقد خلد الله صُورتي وصَوتي قبل وبعد موتي يا لكاع يا حاقدُ يا شامتُ يا جاهل! على أن هذا السفيه كان يوماً من أصفى أصفياء الشاعر ، ذلك أنه لفرط قدرته على الاحتواء والخداع ، عاش يُظهر لصديقه الشاعر حِرصَه على الدين وتعصبه للسُّنة وتظاهرَه بالأخلاق والمبادئ والقيم! ولكن الحقيقة لا بد لها من أن تظهر يوماً! والأمرُ كما هو معروفٌ في أمثال الشعوب: (إنك تستطيعُ أن تخدعَ الناس بعض الوقت ، ولكنّ خداعَك لهم لا يمكنُ أن يستمر كل الوقت! وعندما ظهرتْ حقيقة ذلك الخادع المفتري الكاذب ، لم يترددِ الشاعرُ في مقاطعته!)

يـــا صـــاحباً ذبُلـــتْ فـــي القلـــب ذِكـــراهُ! ولـــم يعُـــدْ نـــاظري يَهـــوى مُحَيَّـــاه!

ولـــم يعـــدْ خـــاطري يهفـــو لطلتـــه ولـــم أعـــدْ أحتفـــي يومـــاً بلقيـــاه

خـــادعْتني زمنـــاً بـــالبر تُظهـــرُه وأنـــت أظلـــمُ مخلـــوق عرفنـــاه

صـــانعتني بادِّعـــاء العِلـــم فـــي مَـــلأ وأنـــت أجهـــلُ إنســـان خبَرنـــاه

قـــالوا: غشـــيمٌ ، فـــلا تصـــحَبْه ، إنَّ لـــهُ تصـــنعاً تُتقـــى سُـــوآى بلايـــاه!

وانظـــرْ لمـــن حولـــه ، لا يـــأبهون بـــه ... إذ مـــا لـــه فـــي الأذى والكيـــد أشـــباه

ومِـــن مَقالبـــه الجميـــعُ مـــا ســـلِموا ... وأدركـــوا المكـــرَ لحـــنُ القـــول أخفـــاه

وعـــاينوا الحِقـــدَ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... كـــأنَّ إبلـــيسَ – للـــدهقان - أوحـــاه!

وناصـــحوه ، فلـــم يُنصـــتْ لمَـــن نصـــحوا ... ومـــا اســـتكانَ بمـــا قـــالوا لمَـــولاه!

ومـــا تضـــرَّعَ للـــرحمن عـــن رَغـــب ... حتـــى يُزيـــلَ دُجـــى جهـــل تغشّـــاه!

ومـــا تفقـــدَ قلبـــاً كـــي يُعالجَـــه ... مِـــن الضـــلال الـــذي اســـتعلى ، فـــأرداه

ومـــا تعقـــبَ نفســـاً كـــي يُزكّيَهـــا ... مِـــن اللجـــاج الـــذي كـــم كـــان يهـــواه

ومـــا تحمـــلَ نقـــداً مِـــن أقاربـــه ... ولا الأباعـــدِ ، إذ مـــا كـــان يرضـــاه

واليـــومَ يســـألني سُـــؤالَ مُكتـــرثٍ ... بمـــا أحَصِّـــلُ مِـــن مـــال ليُعطـــاه!

حتـــى يُبـــدِّدَه ، بـــلا مُســـاءلةٍ ... كمـــا تعـــوَّدَ ، فـــالإخلاصُ جافـــاه!

لـــم يَعـــرفِ الصـــدقَ يومـــاً فـــي معاملـــةٍ ... حاشـــاه يُسْـــدِي حقـــوقَ النـــاس حاشـــاه!

يقـــولُ: أعطـــوك كـــم؟ أطـــربْ بهـــا أذنـــي ... يقولهـــا فـــاغِراً بجَرْسِـــها فـــاه

فقلـــتُ: أعطـــوْنِيَ الأمجـــادَ مُشـــرقة! ... والخيـــرَ أدنـــاهُ أعطـــوْنِي ، وأعـــلاه!

هـــم خلـــدوا فـــي الـــدنا ذِكـــرايَ طيِّبـــة ... مُـــذ سَـــجَّلوا الشـــعرَ فواحـــاً بـــذكراه

هـــم بـــوَّأوني مِـــن الغايـــات أعـــذبِها ... ومِـــن زهـــاء العُـــلا فـــي النـــاس أســـماه

هـــم عَطـــروا سُـــمعتي بمـــا يُناسِـــبُها ... وضَـــمَّخوا الاســـمَ ، فاســـتعلى بسِـــيماه

هـــم أركبـــوني سِـــنامَ الفخـــر مُســـتمياً ... علـــى الحُـــزون ، فقـــد أتـــانيَ الجـــاه!

عَطـــاءَهم أجزلـــوا ، فـــالقومُ مـــا بخِلـــوا ... لكـــنّ مِثلـــك لا يُشـــجيه مَغـــزاه

عطـــاؤهم لـــيس يُفنـــي الـــدهرُ رَونقـــه ... ولـــيس تفنـــى - مـــدى الأيـــام - فحـــواه

عطـــاؤهم ليســـت الأمـــوالُ تُثقِلـــه ... فالمجـــدُ لـــيس ببـــذل المـــال نلقـــاه

إنْ مِـــتُّ غـــرَّدَ فـــي ســـمْع الزمـــان صَـــدى ... صَـــوتي بشـــعر ، ألا مـــا كـــان أحـــلاه!

شِـــعري الـــذي ذِعتُـــه فـــي عَـــذب أمســـيةٍ ... حتـــى يُـــرَدِّدَهُ جيـــلٌ تبنـــاه

شِـعري الـذي لـم يَهِـمْ فـي حُسـن غانيـةٍ ... ولا تنـــاولَ قـــداً فـــي ثنايـــاه!

ولـــم يُحَسِّـــنْ قبيحـــاً فـــي قصـــائده ... ولـــم يُـــرَوِّجْ لبُهتـــان تمـــلاه!

ولـــم يُـــداهنْ لطـــاغوتٍ ليَنشـــره ... ولاســـتماتته - فـــي الحـــق - عـــاداهُ!

شِـعري الـذي عِبـت بـين النـاس يـا سَـمِجاً ... لأن عقلـــك لـــم يَفطِـــنْ لمَعنـــاه!

أهـــلُ القنـــاة أعـــارُوني مســـامعَهم ... فـــأدركَ الشـــعرُ - بالأمـــداح - مَحيـــاه

وعِشْـــتُ أجمـــلَ ســـاعاتٍ أتِيـــهُ بهـــا ... وزالَ عنـــي الجَـــوى والوَجـــدُ والآه!

أنـــا المَـــدينُ لهـــم بكـــل مـــا بَـــذلوا ... والشـــعرُ باشـــرَ فـــي القنـــاة مـــأواه!

فـــادفنْ سُـــؤالك فـــي الحضـــيض ، وانْـــأ بـــه ... عنـــي ، فقلبـــي دَرَى فـــي التـــو عُقبـــاه

ودار حقـــدَك عنـــي يـــا أســـيرَ هـــوىً ... أواهُ منـــك ، ومـــا قلـــت أواه!

كفـــاك هُـــزءًا وتدليســـاً وسفســـطة ... هـــل كـــاذبٌ مُفتـــر تـــدومُ دَعـــواه؟!

إنـــي اشـــتكيتُك للجبـــار يـــا لَكَعـــاً ... ولـــنْ يَضـــيعَ الـــذي ظهيـــرُه الله!

وأنـــت باركـــت حُكـــمَ الله يـــوم جَـــزا ... ويومَهـــا يَحتفِـــي عَبـــدٌ بشـــكواه!

كذبتني ، فهل صدقت؟!

(عندما تقومُ الصداقة على المبادئ والقِيم والأخلاق ، فإنها تستمر إلى الأبد ، ولكن عندما تقوم على الهُزء والاستخفاف والسخرية والاستهزاء والانتفاع الخسيس الرخيص ، فإنها سُرعان ما تتلاشى ، وتُصبحُ أثراً بعد عَين! ولا نعجبُ مِن زوالها بقدر ما نعجبُ كيف استمرتْ ثلاثة عُقود! والاستمرارُ عائدٌ إلى أنَّ أحد الصديقين كان يُحسنُ الظن ، وينتظرُ لعل صديقه يتغير ، أو لعل الله يُحدِثُ بعد ذلك أمراً! وتكذيب الصديق لصديقه أمرٌ مستحيل! إنه بسبب استخفافه بصديق كان يثقُ فيه جداً ، وصلتِ العلاقة بينهما إلى القطيعة. فأشفقَ صاحبٌ علمَ بقصتهما ، فأراد التدخلَ للإصلاح ، فنصحَه المظلومُ الصادق بأن المواجهة مستحيلة ، لأن هذا الرجل مغالط ، واعتادَ أن يقلبَ الحقائق في أقل من لمح البصر! فاقترحَ ذلك الصالحُ المُصلحُ أن يقومَ المظلوم بتسجيل شريطٍ يتناولُ فيه العلاقة منذ نشأتها عام 1978م ، وحتى 2007م ، وتحديداً حتى يوم عقد الصلح بينهما! ويقوم بإسماعه إياه ، لعل وعسى نصلُ إلى الإصلاح والتوفيق! فوافقَ المظلومُ على شرطين: الأول: أن لا يُوقفُ الشريط ولا يُعلقُ عليه أثناء إذاعته. والثاني: أن يعودَ إليه الشريط كما هو إلى صاحبه الذي سجَّله فهو أولى الناس به! فقام الرجل بالتسجيل ، وذكرَ الأحداث بعد رصدها من الألف للياء! وعند تسليم الشريط للوسيط سأله الطيب الموفق سؤالاً مفاجئاً ، فقال: ماذا تتوقع من الرجل بعد سماعه؟ فقال بدون تردد: سوف يقول لك: فلانٌ بن فلان كذاب ، ولن يعترفَ بحدثٍ واحدٍ من الأحداث ، ولن يُسَلم بحقيقة من الحقائق! فقال الوسيط حسن النية: ليس إلى هذا الحد يا رجل! أراك تُبالغ بعض الشيء ، إن لم يكن كله! فعقب الأول: سترى مدى صحة كلامي. وكان الأمرُ بعد السماع كما توقع الأول. حيث استمعَ الصاحب المغرض المغالط المجادل لثلاثة أرباع الشريط مع آخرين ، وقال ومن قبل أن يُسأل: هذا الكلامُ كله كذب! فقال الوسيط: سبحان الله ، إنها ذاتُ الكلمات التي قالها الرجل عندما سألتُه: ماذا تتوقعُ من فلان؟ فأوقف الشريط ونزعه من المسجل! وطلب الطرف المغالط المعاند: لو شئت أعطيتني الشريط! فقال وسيط الصلح والسلام: يستحيل ، على جثتي أن يحدث هذا ، لأنني أعتبر الشريط أمانة في عُنقي! فلا بد من تسليمه لصاحبه! إن ذلك وعدٌ وعدتُه وعهدٌ عاهدتُه! فعاد المغالط وألح في إكمال السماع للآخر ، فقال له الوسيط: إنه لا فائدة من السماع! لأن باقي الشريط سيكون كذباً كسابقه! فما يكون لرجل أن يكذب ساعة ونصف ، ويصدقَ في نصف ساعةٍ باقية! فلما عاد الوسيط بالشريط ، وقصَّ عليه ما عاين ورأى وسمع ، قال له الرجل: ارجعْ إليه وأخبرَه أن فلاناً رفع القضية من محكمة الأرض إلى محكمة السماء ، وأن الذي سيقضي فيها بينهما هو الله رب العالمين! والله حَكمٌ عدل! ولن يأتي اليوم الذي يلتقيان في ساحة جدال عن هذا الملف مطلقاً إلا أن يشاء الله ربي شيئاً! فعاد الوسيط وأخبر ، فإذا بالصاحب المُستفز المغالط يقول بكل برودٍ: ونعم بالله! وكأنه اتخذ عند الله عهداً والعياذ بالله! فأنشدتُ هذه القصيدة حكاية على لسان المظلوم الذي نال منه ذلك الصاحب المستفز المغالط العنيد كثيراً! وأسأل: ما قيمة الصداقة بدون تضحياتٍ من الطرفين؟! أما إن كان أحدهما هو الذي يقدم ، والثاني هو الذي يأخذ ولا يعطي ، فهذه صداقة المنفعة التي تنتهي بانتهاء المنفعة! وعن التضحية قال الأستاذ أحمد الجموي ما نصه بتصرف: (التضحية كلمة من حروف محدودة ، لكن معناها عظيم ثقيل بوزن الجبال الراسيات لا بوزن حروف هذه الكلمة وهي تحمل شحنات من المروءة ، والثبات على المبدأ ، والشجاعة ، والإحساس بواجب المرء تجاه المبادئ التي يحملها ، والفكرة التي آمن بها واعتقدها. وقد شهد التاريخ وما يزال ،

مضحين بذلوا وقدموا في سبيل ما آمنوا به من مبادئ ، وما حملوه من أفكار. وربما كانت تلك المبادئ والأفكار صحيحة ، وربما كانت خاطئة منحرفة ، لكن إيمان صاحبها بها دفعها إلى البذل والتضحية من أجلها وفي سبيلها. لكن تضحية المسلم أعلى وأسمى من غيرها من التضحيات. فهي تضحية غايتها نيل رضاء الله عز وجل والتقرب منه. ويرجو صاحبها شيئاً وراء هذا العالم ، فهي تضحية تخترق أهدافها الزمان والعوالم ، وتسمو بعيداً عن دوافع الشهرة وحب المديح ، وبعيداً عن الحقد وحب الانتقام. وهكذا فإن تضحية المسلم عطاء وبذل في سبيل الدين دون انتظار مقابل في الدنيا ، ومن غير دوافع شخصية رخيصة. وهي بهذا تعبير رائع عن التجرد والإخلاص والتحليق والرفعة. وهي عنوان على نقاء المضحي من الأنانية وحب الذات ، وعلى امتلاء القلب باليقين بموعود الله سيحانه ، والرغبة في الآجل الباقي ، والإعراض عن العاجل الفاني. فما أحلاها وأروعها من كلمة ، وما أجمل ما تحمله من معان وتفيض به من دلالات. إن الصراع بين الحق والباطل قديم مستمر لم يتوقف ولن يتوقف! وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: (ولا يزالون مختلفين) وقال أيضاً: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) وما دام الأمر هكذا فلا بد للحق من أقوام يدفعون عنه عدوان المعتدين ، ويحفظونه من عبث الضالين المبطلين. وهيهات أن تقوم للحق قائمة أو أن يكون له وجود إلا بالتضحية والبذل ، قال سبحانه: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) ، نعم إن الحق بحاجةٍ إلى من يَحيمه ويدفع عنه ولم يكن سدنة الشر ليكفوا عن الحق ويتركوه لأنه حق فحسب ، بل لابد من وجود من يتصدى لهم ويقارعهم. وهل يكون ذلك دونما بذل وتضحية؟! فلا حياة للمبادئ من غير تضحية ، ولا قيام للدعوات والأفكار مطلقاً إلا بها. وعلى أكتاف المضحين تنهض الدعوات ، وبتضحياتهم تحيا وتعيش ، وتجتاز المحن والصعاب وتحطم السدود والقيود. وما كان للجبناء المتخاذلين الذين يُؤثرون الدعة ، ويقدسون المصلحة الشخصية والسلامة الذاتية ، أن يحملوا دعوةً ، أو يدافعوا عن حق ، أو أن يحرسوا أسوار الدين ، ويذودوا عن حياضه ومبادئه).هـ. وإذن فلا قيمة للصداقة إن لم يكن هناك بذل وتضحية من الطرفين! وتعساً لصداقة الانتفاع الخسيسة التي هي بريئة من الإخلاص والوفاء والخُلق!)

إنـــــي اشـــــتكيتُك للمليـــــك الكـــــافي ... يـــا صـــاحبَ القلـــب المَـــريض الجـــافي

كَـــــذبتني ، ورأيـــــتَ نفسَـــــك صـــــادقاً ... وجهـــرتَ فـــي عِـــز وفـــي استشـــراف

وطغـــى غـــرورُك ، لـــم تُفِـــدك حكـــايتي ... وضَـــجرتَ مِـــن إرهاصـــة الإيقـــاف

وطعنـــــتَ بالتكـــــذيب خاصـــــرة الوفـــــا ... وغـــدا العِنـــادُ هـــو الـــدليلَ الكـــافي

والصـــحبُ كـــم عـــابوا علـــيَّ تســـامحي ... مـــــع راعـــــن مُستبشـــــع الإجحـــــاف

سَـــــرَدُوا لـــــيَ التـــــاريخ دون تجمُّـــــل ... سَـــــرداً نزيهـــــاً طيِّـــــبَ الأوصـــــاف

فعلِمـــــتُ أخبـــــاراً يُشـــــينُك ذِكرُهـــــا ... حَفلـــــتْ بالاســـــتلئام والإســـــفاف

كـــم قِيـــلَ عنـــك مِـــن الحقـــائق مُـــرَّة ... وأنـــــا أدافِـــــعُ عنـــــك باســـــتعفاف!

كـــــم رَدَّدَ الأقـــــوامُ عنـــــك مَعائبـــــاً ... تُـــزري بصـــاحب سُـــؤدَدٍ وطِـــراف!

كـــم عَـــدَّدُوا عنـــك المَســـاوئ فجَّـــة ... والقـــومُ بـــين مُصَـــدِّق ومُنـــافي!

كـــم صَـــدَّروا لـــي عنـــك أســـوأ قـــولِهم ... بعبـــــارةٍ مَرســـــومَة الأهـــــداف!

لكننـــــــي واللهِ مـــــا صـــــــدَّقتُهم ... وبـــرغم مـــا ذكـــروه مِـــن إنصـــاف

كـــم كنـــتُ مَـــأخوذاً بلهجـــة ثـــائر ... يَهـــوى اتبـــاعَ طريقـــة الأســـلاف!

حتـــى إذا كُشِـــفتْ حقيقـــة خـــادع ... مُتتـــرس خلـــفَ الجَـــلال الضـــافي

فجَفـــــاك قلبـــــي دونَ أي تـــــردُّدٍ ... وقلتْـــك رُوحـــي دونمـــا اســـتعطاف!

وأمرتُـــك: اخـــرجْ مِـــن بُيَيتـــي عازمـــاً ... ألا أعـــــودَ لمَبـــــدأ الإســـــراف

أســـرفتُ فـــي حبـــي لأرذل صـــاحب ... وزعمـــتُ صُـــحبته الإخـــاءَ الـــدافي

وخسِـــرتُه إذ لـــم يُـــراع أخـــوتي ... كالصـــفوة الرئبالـــة الأشـــراف

وســـعى إلـــى الإصـــلاح خِـــل طيـــبٌ ... أدلـــى بـــدلو وافـــر الألطـــاف

ليُقِيـــلَ عَثـــرة مُبتلـــى فـــي حُبِّـــه ... فأذقتَـــه بـــالمَكر سُـــوءَ تجـــافي

لـــم يَســـتطعْ صَـــرفاً لعِنـــدِك لحظـــة ... فالعِنـــدُ ســـاقَ الخُلـــفَ بالأضـــعاف

فـــأتى بأذيـــال العِتـــاب يَجُرُّهـــا ... نحـــوي ، وجـــاهرَ بـــالمَلام الصـــافي

ودعـــا إلـــى مُنـــاظرةٍ لـــيَحكمَ بعـــدها ... بالشـــرع ، لا بضـــوابط الأعـــراف

ليكـــون حُكمـــاً لا يُخالطـــه الهـــوى ... بالعـــدل مُتصـــفاً وبالإنصـــاف

يبقـــى نهائيـــاً بـــلا نقـــض ، ولا ... طلـــب بـــإبرام ، ولا اســـتئناف!

فنصـــحتُه ألا يـــواجهني بمـــن ... وأدَ الإخـــا ، أبـــئسْ بـــذا العَسَّـــاف!

فاختـــارَ تســـجيلَ الكـــلام إنابـــة ... وبـــدون إبطـــاءٍ ولا إيجـــاف

فشـــرعتُ فـــي التســـجيل أوردُ قِصـــة ... حـــدثتْ قـــديماً فـــي قـــرى وفيـــافي

صِـــيغتْ بـــأتعس أحـــرُفٍ وعِبـــارةٍ ... والحِبـــرُ صُـــنِّعَ مِـــن نقيـــع زعـــاف

بـــدمي وأعصـــابي نســـجتُ فصـــولها ... لمَّـــا افتـــرَى حِلـــفٌ مِـــن الأجـــلاف!

وذكـــرتُ أحـــداثاً تُعَـــرِّي ظالمـــاً ... وتُمِـــيط أســـتاراً مِـــن الإســـداف

مِـــن يـــوم مَعرفتـــي بـــأحقر صـــاحب ... حتـــى نهايـــة مُشْـــكِل وخِـــلاف

يَنـــدَى الجبـــينُ لِمَـــا أنـــا سَـــجَّلته ... خجَـــلاً بمـــا صَـــنعَ الســـفيهُ الغـــافي

والقلـــبُ يبكـــي حســـرة وندامـــة ... ويُســـيلُ دَمـــعَ المَـــدمع الـــذراف

والـــنفسُ تُوبقهـــا مَـــرارة حُزنهـــا ... والسِّـــرُّ تـــركُ نصـــيحة الأشـــراف

وختمـــتُ تســـجيلي بصـــادق دعـــوتي ... لله ذي الإكـــــرام والألطـــــاف

ليكـــون حَســـبي فـــي القيامـــة وحـــده ... مَـــن مِثلَـــه يَجـــزي الـــورى ويُكـــافي؟!

وأتـــاك بالتســـجيل أصـــدقُ صـــاحب ... فـــي حَيـــدةٍ كنضـــارة الأصـــداف

وتـــلا لـــك الشـــرطين كـــي يتحققـــا ... والـــنصُّ خـــالفَ عـــن رَويِّ القـــافي

وســـمعت ، واحترقـــتْ ســـخائمُ حاقـــدٍ ... لفضـــائح تُلِيَـــتْ علـــى الأضـــياف

أحـــداثُ لـــم أجهـــرْ بهـــا يومـــاً ، ولا ... ناقشـــتُها فـــي مَعـــرض استضـــعافي

والآن أذكرُهـــا بـــدون تحفـــظٍ ... واليـــومَ أذكـــرُ مـــا بـــدا والخـــافي

عقـــدين مِـــن عمـــري أصـــارعُ كَبـــوتي ... بسِـــنيِّ ذل فـــي الـــبلاء عِجـــاف

واليـــومَ تمحقهـــا بقولـــك: (كـــاذبٌ)! ... أنـــا (كـــاذبٌ) يـــا أيهـــا المتجـــافي؟!

والصـــدقُ قولـــك! يـــا كـــذوبُ ، ألا أفِـــقْ ... إن الكـــــلام مُشـــــعَّبُ الأطـــــراف

وشـــهودُ مـــا قـــد قلـــتُ يُمكـــنُ سُـــؤلهم ... لكننـــــي رفقـــــاً بكـــــم ســـــأعافي

قـــولي وقولـــك يـــا خصِـــيمُ تباينـــا ... شـــتانَ بـــين الـــدُّوم والخُـــذراف!

هـــذا القصـــيدُ أخطـــه متحققـــاً ... ليكـــون مِـــن كـــل الكُلـــوم يُشـــافي

ولقاؤنـــا يـــا فـــظ عنـــد مُهـــيمن ... جَـــلَّ المليـــكُ المُســـتعانُ الكـــافي

يَقـــتصُّ منـــك ، ولا إخالـــك ناجيـــاً ... ربِّ اشـــفنا ممـــا أتـــى يـــا شـــافي!

فاعدِلْ بينهم!

(قام ذلك الأب الظالم لنفسه ولعائلته ، بتقسيم عقاراته وأراضيه فأعطى زيداً من الأبناء وحرم عَمْراً! وزادَ حبّاتِ الطين بلة عندما تعمدَ حِرمانَ بناته مُغلباً مِلة أبي لهب وأبي جهل! فقِيلَ له: يا فلان بن فلان اعدلْ بينهم ليكونوا لك في البر سواء! فاستكبر وقال: أنا لا أورّث إنما أهبُ وأعطي! فقِيلَ له: هذا ظلمٌ كذلك بنص الحديث! وظل في تلاعُبه وظلمه وتجاوزه حتى أدركه الموت ، وهو ظالم لنفسه ولأبنائه! ليس ذلك فقط ، بل ترك أبناءه فريقين: ظالمين يدعون له بالرحمة ، ومظلومين يدعون عليه باللعنة! جاء في (إسلام ويب) ما نصه بتصرف زهيد: (رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القدوة والأسوة الذي يَجب أن يقتدي به الآباء والمُرَّبون في تربيتهم ، ولا شك أن حياته وسيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مليئة بالمواقف الجديرة بالوقوف معها لاستخراج فوائدها ودروسها ، والتعامل من خلالها مع الصغار والكبار والأبناء والناس أجمعين ، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} وقد حفظت لنا السيرة النبوية العديد من هذه المواقف ، ومنها موقفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع النعمان بن بشير وأبيه ـ رضي الله عنهما ـ الذي يظهر فيه حرصه على بيان أهمية العدل مع الأبناء. عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ: أن أباه أتى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: إني نَحَلْتُ (أعطيت) ابني هذا غلاماً كان لي ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أَكُلَّ وَلدِك نَحَلتَه مثل هذا؟ فقال: لا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فأرجِعْه ، وفي رواية: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا ، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ، فرجع أبي ، فرد تلك الصدقة) ، وفي رواية: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم ، قال: أَكُلَّهم وهَبْتَ له مثل هذا؟ قال: لا ، قال: فلا تُشهدني إذاً ، فإني لا أشهد على جور) ، وفي رواية: (لا تُشهدْني على جور) البخاري ومسلم وغيرهما. وفي رواية ابن ماجه عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: (انطلق به أبوه يحمله إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال: اشهد أني قد نحَلْتُ (أعطيت) النعمان من مالي كذا وكذا ، قال ـ صلى الله عليه وسلم فكل بنيك نحلتَ مثل الذي نحلت النعمان؟ ، قال: لا ، قال: فأشهد على هذا غيري ، قال: أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ ، قال: بلى ، قال: فلا ، إذاً! وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أولادكم ، اعْدِلوا بين أولادكم). رواه أحمد. قال الشيخ ابن عثيمين: "النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطاه نِحْلة وغلاماً ، وفي رواية حائطاً (بستاناً) ، ولعله أعطاه البستان والغلام من أجل أن يعمل في البستان ، فقالت أمه عمرة بنت رواحة ـ رضي الله عنها ـ وهي فقيهة: لا أرضى أن تُعطي ابني هذا دون إخوانه ، حتى تُشْهِدَ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فذهب إلى النبي يُشهدُه على ذلك ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ له: (ألك بنون سواه)؟ ، قال: نعم ، قال: أعطيتهم مثلَ ما أعطيت النعمان؟ ، قال: لا ، قال: رُد ـ يعني رد ما أعطيت ـ ، ثم قال: (أشهدْ على هذا غيري) ، وهذا تبرؤ منه وليس إباحة له على أن يُشْهِدَ على ذلك ، بل هو تبرؤ منه ، ولهذا قال: أشْهِد على هذا غيري ، فإني لا أشهد على جور. وقال ابن القيم في كتابه "تحفة المودود بأحكام المولود:" قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أشهد على هذا غيري) ، هذا أمر تهديدٍ لا إباحة ، فإن تلك العطية كانت جَوْراً بنص الحديث ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يأذنُ لأحد أن يشهد على صِحة الجَور ، ومن ذا الذي كان يشهد على تلك العطية ،

وقد أَبَىَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يشهد عليها ، وأخبر أنها لا تصلح ، وأنها جور ، وأنها خلاف العدل ، ومن العجيب أن يحمل قوله: (اعدلوا بين أولادكم) على غير الوجوب ، وهو أمر مطلق مكرر ثلاث مرات ، والعدل واجب في كل حال ، فلو كان الأمر به مطلقاً لوجب حمله على الوجوب ، فكيف وقد اقترن به عشرة أشياء تؤكد وجوبه ، فتأملها في ألفاظ القصة وقال ابن حجر في فتح الباري: "وفي الحديث أيضا الندب إلى التآلف بين الإخوة ، وترك ما يوقع بينهم الشحناء أو يورث العقوق للآباء. إن ظاهرة عدم العدل بين الأبناء من الظواهر الاجتماعية السيئة الموجودة في بعض الأسر ، فيعمد بعض الآباء أو الأمهات إلى تخصيص بعض أولادهم بهبات وأعطيات دون الآخرين ، وهذا عمل محرم إذا لم يكن له مُسَوغ شرعي ، كأن تقوم حاجة بأحد الأولاد لم تقم بالآخرين ـ كمرض أو دَيْن عليه لا يستطيع سداده ـ . وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في الانحرافات السلوكية والنفسية على الأبناء ، لأنها تولد الحسد والشحناء بينهم ، وتورث العقوق للآباء والأمهات ، ولذا حث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوالدين على العدل بين أبنائهم في الهدايا والعطايا ، والطعام والكلام ، والاستماع والاهتمام ، بل وفي المداعبات والقبلة ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ ، قال: (كان مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ، فجاء ابن له فقَبَّله وأجلسه على فخذه ، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه قال: فهلَّا عدلتَ بينهما). رواه البيهقي ، وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اعدلوا بين أولادكم في النِّحَل ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف). رواه الطبراني. انتهى. جاء في (الإسلام سؤال وجواب) سؤال وجوابه: السؤال: قام والدي بتقسيم كل ما يملك وهو المنزل الذي نشأنا فيه وتمليكه لثلاثة من أولاده دون الآخرين ، وأقصد أختين وأخ وأنا ، وإخواني بارك الله فيهم ولهم ميسورو الحال ، وأنا وأخي نعمل بالأجر خارج بلادنا ، وأخواتي متزوجات ، وعندما حصل التقسيم والتمليك كنا خارج البلاد ، وما زلنا لم نغضب والدينا ، والدليل أنهم يدعون لنا ويؤكدون عفوهم عنا. هل يجوز لوالدي منح ولد ، وحرمان الآخر في شيء كهذا؟ وبماذا تنصحنا أن نقول لوالدنا؟ لأننا سمعنا بأن هذا الفعل منافٍ للشريعة. الجواب: أولاً: الذي فعله والدك هو إعطاء لبعض أولاده دون الآخرين ، وليس قِسمة لأمواله بين ورثته في حياته ، لأنه لم يعط جميع الورثة ، وإنما خص بعض أولاده. وتخصيص بعض الأولاد بالعطية من غير سبب يُبيحُ ذلك حرام. وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الشهادة على مثل ذلك ، وسماه جَوراً ، وذلك فيما رواه البخاري (2586) ومسلم (1623) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا ، فَقَالَ: أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ؟ قَالَ لَا قَالَ: (فَارْجِعْهُ). ومعنى (نحلت ابني غلاماً) أي أعطيته غلاماً! ورواه البخاري (2587) عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ (يعني: أمه) لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ) قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. وفي رواية للبخاري أيضاً (2650): (لا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ). وفي رواية لمسلم (1623) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي ، فَقَالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: (فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي) ثُمَّ

قَالَ: (أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: (فَلا إِذاً)! ثانياً: على من وقع في هذا الجور أن يتوب إلى الله تعالى ، وأن يَرجع في عطيته تلك ، أو يعطي سائر أولاده مثله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فارجعه). قال ابن قدامة رحمه الله: "يجب على الإنسان التسوية بين أولاده في العطية ، إذا لم يختص أحدهم بمعنى يبيح التفضيل ، فإن خص بعضهم بعطيته أو فاضل بينهم فيها أثم ووجبت عليه التسوية بأحد أمرين ، إما رد ما فضل به البعض وإما إتمام نصيب الآخر. قال طاوس: لا يجوز ذلك ولا رغيف مُحترق. وبه قال ابن المبارك وروي معناه عن مجاهد وعروة. "انتهى من المُغني" وإذا رضي من مُنِعوا من العَطِية بذلك وطابت نفوسهم ، فلا حرج على الوالد في تخصيص بعض أولاده بها ، لأن الحق كان لإخوتهم وقد رضوا بإسقاطه ، مع أن الأفضل أنه لا يفعل ذلك حتى مع رضاهم. قال الشيخ ابن باز رحمه الله: يجب على الوالد العدل بين أولاده ذكورهم وإناثهم حسب الميراث ، ولا يجوز له أن يخص بعضهم بشيء دون البقية إلا برضى المحرومين إذا كانوا مرشدين ، ولم يكن رضاهم عن خوف من أبيهم ، بل عن نفس طيبة ليس في ذلك تهديد ولا خوف من الوالد ، وعدم التفضيل بينهم أحسن بكل حال ، وأطيب للقلوب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم). متفق على صحته "انتهى من فتاوى الشيخ ابن باز. ثالثاً: سبق في جواب السؤال رقم (36872) أنه لا حرج في تفضيل بعض الأولاد بالعطية إذا كان هناك سبب يقتضي ذلك كحاجته وفقره أو كونه طالب علم ونحو ذلك. فإن كان هناك سبب شرعي لتخصيص والدكم هؤلاء بالعطية فلا حرج عليه ، وإن لم يكن هناك سبب شرعي ولم ترضوا بذلك فالواجب عليه رد هذه العطية والعدل بينكم. رابعاً: وعليكم إذا لم ترضوا بذلك أن تناصحوا أباكم بلطف ولين وتبيّنوا له أن الواجب عليه العدل بينكم ، وقد تحتاجون إلى بيان ذلك له بالأدلة الشرعية. هـ. وجاء في (إسلام ويب) سؤال وجوابه: السؤال: لي إخوة موظفون وأخوات متزوجات وأنا أصغرهم وموظف احتجت إلى مبلغ من المال لشراء سيارة فأعطتني أمي مبلغ عشرين ألف ريال ولم تعط إخواني وأخواتي شيئاً فأردت أن أرجع المبلغ إليها بعد أن توفر عندي ولكنها رفضت وقالت بأنها سامحتني فهل عليها شيء؟ وماذا يجب عليّ. مع العلم أنه ليس لديها مال سوى أرض باعتها من ورثتها؟ الإجابــة: فلا يجوز للوالد ـ أبا أو أماً ـ أن يهب عطية لبعض أولاده دون بعض ، أو يفاضل بينهم في العطية فيعطي بعضهم أكثر من بعض لغير مسوغ ، وأما واجبك الآن فهو أن ترد المال الذي وهبته لك والدتك ، وتحاول إقناعها بقبوله ، وتبين لها أن العطية لبعض الأولاد دون بعض دون مسوغ لا تجوز ، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم ظلماً وجَوراً ، فإن وافقت فقد أحسنت ، وإن لم توافق فبرك بها وإحسانك إليها يقتضي أن تُقسم هذا المبلغ بينك وبين إخوانك بالسويَة ، إنْ لم تطِب أنفسهم بالتنازل لك عنه).هـ. جاء في (شبكة الألوكة) ما نصه بتصرف يسير: (قد يفضِّل بعضُ الآباء أبناءَ الزَّوجة الجديدة ، أو الابن الأجمل أو الأذكى أو الأغنى ، إلى غير ذلك من الأسباب التي ليس لها وزن ولا قيمة في ميزان الإسلام. وكل الأسباب الخُلقيَّة والخِلقية لا تعدُّ مبررات في نظَر الشرع ، وكم يكون الأبوان ظالمين حين يَنهجان مع الولد هذا النَّهج السيِّئ ، ويُعاملانه هذه المعاملة القاسية؟ ما ذنب الطفل إن ظهر إلى هذه الحياة وهو أنثى؟ وما جريرته إن كان دميم الوجه؟ وما جريرته إن لم يُخلق على ذكاء فارط؟ وما الذي جناه إن كان بطبعه كثيرَ الحركة والتنقل والمشاغبة؟ وما مسؤوليته إذا قُدِّر له أن يُصاب بعاهات جسدية ظاهرة؟ فإذا كان المربُّون حريصين على سَلامة أبنائهم من العُقد النَّفسية ، ومركبات الشعور بالنقص ، وآفات القلوب ؛ من حِقد وحسد وفساد

طويَّة ، فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمرَ الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: (اتَّقوا اللهَ واعْدِلوا بَيْن أولادكم). وأنْ يرضوا بما قسَمه الله لهم من البنين أو البنات ، وعليهم أن يَسعوا جهدهم في إشعار أولادهم جميعًا روح المحبَّة والأخوَّة والتسامح والمساواة ؛ حتى يَنعموا في ظلال العدل الشامل ، والنظرة الرحيمة ، والعطف الصادق ، والمعاملة العادلة. إنَّ الحَيف والظلم والمُحاباة لها آثار خطيرة ونتائج وخيمة في الدنيا قبل الآخرة ، فهو سبَب من أسباب العقوق ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لبشير بن سعد: (أيسرك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء؟) ، قال: بلى ، قال: (فلا إذًا). وجاء عند ابن حبان: (اعدِلوا بين أولادكم في النحل ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرِّ واللطف). فالعدل بين الأولاد من أعظم أسباب الإعانة على البرِّ ، وعلى النقيض من ذلك ؛ فالتفريق بين الأولاد من أعظم أسباب العقوق والهَجر والكراهية. فاحذر أيها الأب المبارك من التمييز بين أولادك والتفريق بينهم في أمور الحياة ، فهو سبَب للعقوق ، وعاملٌ مهم من عوامل الشعور بالنَّقص ، وكم هي المآسي والأحزان التي تعج بها بعض البيوت نتيجة للظلم والتمييز بين الأبناء. فلا تترك الشيطانَ يزرع حقولَ الحسد والبغض بين أولادك ؛ فإن: (إنَّ الشيطان قد أيس أن يَعبده المصلُّون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم). قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: يتعيَّن على الإنسان أن يَعدل بين أولاده ، وينبغي له إذا كان يحبُّ أحدهم أكثر من غيره أن يخفي ذلك ما أمكنه ، وأن لا يفضِّله بما يقتضيه الحب من إيثار بشيء من الأشياء ، فإنه أقرب إلى صلاح الأولاد وبرِّهم به واتفاقهم فيما بينهم ؛ ولهذا لما ظهر لإخوة يوسف من محبَّة يعقوب الشديدة ليوسف وعدَم صبره عنه وانشغاله به عنهم ، سعَوا في أمرٍ وَخيم ، وهو التفريق بينه وبين أبيه ، فقالوا: (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) ، وهذا صريحٌ جدًّا أن السبب الذي حملهم على ما فعلوا من التفريق بينه وبين أبيه هو تميزه بالمحبَّة. فبالعدل يَستقيم أمر الأسرة ، وتنشأ المحبة بين الجميع ، وتغرس الثقة بين أفراد الأسرة ، فلا مكان للأحقاد والبغضاء عندئذٍ. والمفاضلة بين الأبناء من أَعظم العوامل في انحراف الولد ، سواء كانت المفاضلة في العطاء ، أم في المعاملة ، أم في المحبة. وهذه الظاهرة لها أسوأ النَّتائج في انحرافات الولد السلوكيَّة والنفسية ؛ لأنها تولد الحسَد والكراهية ، وتسبِّب الخوف والحياء ، والانطواء والبكاء ، وتورث حبَّ الاعتداء ، والمشاجرة والعصيان ، وتؤدِّي إلى المخاوف الليلية ، والإصابات العصبية ، ومركبات الشعور بالنقص. وكم كان النَّبي صلى الله عليه وسلم حكيمًا حين أمر الآباءَ أن يتَّقوا الله ويعدلوا بين أولادهم. على كلٍّ من الأبوين أن يذكِّر الآخر إذا لم يعدل ، ويقِف الموقفَ الحازم حتى يتحقق العدل ؛ ومن ذلك المطالبة بردِّ الأمر إلى أهل العلم ، فهذه أمُّ النُّعمان بن بشير عمرة بنت رواحة رضي الله عنها لما أراد زوجها أن يتصدَّق على النعمان ببعض ماله قالت: "لا أَرْضى حتى تُشْهِدَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. ويكفيك أخي المسلم رادعًا لتَرك الظلم والحيف بين أولادك قولُ الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: (ما مِن عبدٍ استرعاه الله رعيَّةً فلم يحطها بنصيحةٍ ، إلَّا لم يجد رائحة الجنة).هـ. لقد تعمد الأبُ الظالمُ ضحية جهله أنْ يُعطي بعضَ أبنائه ويَحرم البعضَ الآخر ، فانقسموا فريقين كما أسلفنا في مُقدمتنا: فريق يدعو له بالرحمة لأنه اقتطع من جهنم وأعطى له ما لا يستحق ، وفريق يدعو عليه باللعنة والطرد من رحمة الله لأنه أهدر حقه وأعطاه لإخوته الآخرين! واليوم لا تزاوز ولا تلاقي بين الفريقين ، اللهم إلا في مناسبات الأعراس الجاهلية والمآتم الجاهلية!

وما ذاك إلا بسبب ظلم الأب! ونسأل: هل يمكن تصحيحُ المسار وإرجاعُ الحقوق لأصحابها؟ والجواب: يُمكن جداً! ولكن الإخوة الذين أعطاهم أبوهم حقوقَ إخوتهم لا تقوى في قلوبهم ولا إيمان يردعهم ، فهم يُلقون باللائمة على أبيهم! يا قوم أبوكم ظالم من الدرجة الأولى مع سبق الإصرار والترصد في فعله هذا! فهل تقبلون أن تكونون مثله في ظلمه؟ فقالوا: نعم نقبل! وإذن ففي القيامة تعود الحقوق عند الله المنتقم الجبار العزيز الغالب الملك العدل! وهذا هو العزاء!)

الظلـــمُ زادَك بـــين النـــاس تســـفيها ... وزادَ سُـــمعتك الرَّعنـــاءَ تشـــويها

وعِشـــت صَـــوتُك أعلـــى مِـــن أدِلتنـــا ... ومـــا أتيـــت لنـــا بمـــا يُضـــاهيها

والجاهـــلُ الـــدهرَ تُشـــجيه جَهالتُـــه ... وبعـــد حِـــين سَـــفيهُ العقـــل يُشـــجيها

كـــم اســـتميت علـــى النصـــوص فـــي صَـــلفٍ ... واحتلـــت تُتْحِفنـــا بمـــا يُســـاميها!

كـــم اتبعـــت سَـــبيلَ الهـــازلين ، فمـــا ... عَلـــوت شـــأناً بمـــا أحرزتَـــه فيهـــا!

وكـــم تأوَّلـــت أحكامـــاً تُرَدِّدُهـــا ... بـــلا اعتبـــار ولا فِقـــهٍ يُجَليهـــا!

وكـــم تصَـــدَّرْت فـــي المجـــالس احتقـــرتْ ... أهـــلَ الهـــوى والأذى البُلْـــهَ المَعاتيهـــا!

وكـــم سَـــخِرت مِـــن المَقاصـــد انتظمـــتْ ... ألبـــابَ قـــوم بهـــا كـــم انثنـــوا تِيهـــا!

وكـــم تنـــدَّرت تســـتهزي بمَـــن رَشَـــدوا ... وتســـتهينُ بهـــم سُـــخفاً وتســـفيها!

وكـــم تنمَّـــرت بالألغـــاز تُطلِقهـــا! ... ويـــحَ الحَماقـــاتِ قـــد بانـــت مَراميهـــا!

وكـــم طرحـــت نِكـــاتٍ فـــي مُنـــاظرةٍ! ... وحَبكـــة الهُـــزء تُخـــزي مَـــن يُزكِّيهـــا

حتـــى أتيـــت إلـــى تقســـيم مـــا ملكـــتْ ... يـــداك ، ذي قِسْـــمة تُخشـــى عَواديهـــا

أرضـــاً مَلكـــت ، وداراً كنـــت تســـكُنها ... ومـــا ســـألت عـــن الفتـــوى ومُفتيهـــا

أفتيـــت نفســـك بالجهالـــة اشـــتهرتْ ... وبعـــت نفســـك للشـــيطان شـــاريها!

ومـــا استشـــرت أولـــي الألبـــاب مَـــن عَلِمـــوا ... فقـــهَ الشـــريعة باديهـــا وخافيهـــا

ولا درســـت أمـــوراً أنـــت تجهلهـــا ... حتـــى تُحَصِّـــلَ تأصـــيلاً وتوجيهـــا

لكـــنْ تعمَّـــدت دَحـــضَ السُّـــنة انبلجَـــتْ ... تُنِيـــرُ دَربَ ســـليم القلـــب تاليهـــا

خصصـــت أبنـــاءَ أغنـــى منـــك يـــا لكَعـــاً ... والصـــحبُ كـــم نبَّهـــوا الـــدهقانَ تنبيهـــا

ومَـــن حَرمـــت ســـعيرُ الفقـــر يَحـــرقهم ... ونـــــارُ ظلمِـــك عَمَّـــتْهم غواشِـــيها

أعَشْـــتهم فـــي ســـراب التيـــه عـــن رَغـــم! ... أبـــئسْ بقـــوم إذا مـــا واجهـــوا التيهـــا!

قيـــلَ: اســـتفقْ مِـــن قتـــام الظلـــم إنَّ لـــهُ ... علـــى القلـــوب خيـــالاتٍ وتمويهـــا!

مـــاذا دهـــاك ألا استرشِـــدْ ، وكُـــن فطِنـــاً؟! ... إنـــا ننـــوِّهُ للتوضـــيح تنويهـــا

أقلـــعْ عـــن الجَـــور ، لا تطـــرُقْ مســـالكَه ... أدِّ الحقـــوقَ ، نجـــا عبـــدٌ يُوَفيهـــا

هـــذي الشـــريعة رب النـــاس أحكمَهـــا ... وفقـــه اللهُ فيهـــا الـــبعضَ تفقيهـــا

وفـــاز عبـــدٌ أطـــاعَ الشِّـــرعة اشـــتُرعتْ ... للخيـــر فـــي ذي الـــدنا وخـــابَ عاصـــيها!

يـــا عبـــدُ نفـــذ بـــلا رأي أوامرَهـــا ... طوعـــاً ، ولا تقتـــرفْ يومـــاً نواهيْهـــا

وأنـــت غلّبـــت مـــا أمْلتْـــه غاشـــية ... أعمَتْـــك ، حتـــى سَـــرتْ بلـــوى دَياجيهـــا!

زرعـــت حِقـــداً ، جنـــى الأبنـــاءُ مِحنتـــه ... وأنـــت وحـــدك راويهـــا وراعيهـــا

فبعضُـــهم ظلَمـــوا ، واســـتمرأوا ، وبَغـــوا ... والنـــارُ مَوعـــدُهم ، تعســـاً لصـــاليها

وبعضُـــهم ظلِمـــوا ، واللهُ ناصـــرُهم ... هـــذي المَظـــالمُ ربُّ النـــاس قاضـــيها!

مَـــن رامَ بِـــراً مِـــن الأبنـــاء مُنتظـــراً ... عليـــه بالعـــدل مِنهاجـــاً وتوجيهـــا

لا شـــيء كالعـــدل يُهديـــهِ رَعِيتـــه ... فالعـــدلُ بـــين جميـــع النـــاس يُعليهـــا

نِعـــمَ الرعيـــة عَـــدلُ الله يُورثَهـــا ... نصـــراً يُجَنبُهـــا سُـــوآى أعاديهـــا!

نِعـــمَ الرعيـــة راعَـــت حـــق مَـــن حضـــروا ... ونفـــذتْ شِـــرعة الـــرحمن تـــدريها!

ومـــا اســـتباحتْ حقـــوقَ الغيـــر عامـــدة ... بجهـــل أبٍّ عصـــى ، ورَامَ يُردِيهـــا

وراعـــتِ الحـــق أهلـــوهُ قـــد ارتحلـــوا ... فقدمتْـــه لهـــم تبكـــي مَآقيهـــا

يـــا رب بـــاركْ لمَـــن بـــالحق قـــد عملـــوا ... يـــا رب زِدْهـــم عـــن الحـــرام تنزيهـــا

وأرجـــع الحـــق ممـــن نِقمـــة ظلمـــوا ... وصَـــدَّروا الظلـــمَ للـــدنيا ومَـــن فيهـــا!

الخديعة الكبرى!

(أصعبُ شيءٍ على النفس أنْ تُخدعَ في زيدٍ أو عَمْر من الناس ، ممن كانت النفسُ تظنُ بهم خيراً ، وتُبيّت حُسنَ النية في التعامل معهم! ويكون الأمرُ أشدَ وأشقَ وأخزى عندما يحدثُ مع زوجةٍ ، أحبها زوجُها في الله تعالى ، وعلى هُدى منه ، وبينةٍ من دِينه سبحانه! وتبدأ هذه الخديعة الكبرى عندما تزوجَ زيدٌ من زبيدة ، على كتاب الله – سبحانه وتعالى - وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! وكان ذلك منه على رغبةٍ منه أضمرَها في نفسه إلى حين ، وتزامنتْ مع طلب أبيها ذات الطلب من زيد! فلقد كان زيدٌ يُدَرسها مع إخوتها وصويحباتها في دارها! ولم يشترط زيدٌ عليها كزوجة ، سوى الحجاب الشرعي ولزوم بيتها والاكتفاء بالعلم الشرعي (الكتاب والسنة واللغة العربية) بديلاً عن علم المدارس والجامعات! فأظهرتْ (زبيدة) القبولَ ظاهرياً لكل ما طلب (زيد)! وأراد الرجلُ استئجارَ بيتٍ في قريةٍ مجاورةٍ ويأتي فيه بما يستطيعه من جهاز البيت ، ولا يُلزم أهلها بمِلعقة شاي ، وذلك لسببين: الأول موافقة الشريعة ، والثاني علمه بحاله الذي لا يختلفُ كثيراً عن حال أهلها! فقال أهلها: ولكننا نريدُ إهداءَ ابنتنا صالوناً وستائرَ ومراتبَ وطاقماً صينياً (أطباق وصحون وفناجين) فهل عندك مانع؟! فقال زيدٌ لهم: لا مانع عندي إن كان على سبيل الهدية لا الإلزام! ونقفل هذه الصفحة (صفحة الاتفاق المبدئي) لنفتح صفحة العقد الشرعي! ففي مجلس العقد عليها جيءَ بما يُسمى بالمأذون الذي اشترط رؤيتها (رؤية العروس)! وكانت هذه أولى المفارقات العجيبة التي يواجهها زيد! ولأن زيداً كان قد درس فقه الزواج على الشريعة الإسلامية من ألفه ليائه ، وكذلك درس فقه الزواج على الشريعة الجاهلية في الشرق والغرب ، فلم يكن من السهل إقناعه بشيئ لا دليل عله ولا ثبوت له! فقال زيد للمأذون المماحك: يا هذا ما دليلك على ما تطلبه من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -؟ فقال الرجل: لا دليل عندي على ذلك! وإذا كنت تريد إكمال العقد بدون رؤية العروس ، فلتدفع (عشرة جنيهات) زيادة على ما اتفقنا عليه وهو (أربعون جنيهاً)! فوافق زيد ، وأعطاها للمأذون والناس ينظرون ويشهدون ، بأنه اشترى نظرته إليها بعشرة جنيهات! فقام أحد أخوالها من مكانه ، وهاج وماج ، وأرغى وأزبد ، كأنما لسعته حية من الحيايا الجبلية المؤذية ، أو عضته أفعى من الأفاعي السامة! وقال الخال الثائر: أجمل مِن مَن هذه العروس؟ لو طلب المأذون رؤية زوجتي ما امتنعت! فقال له العريس وقد غضب هو الآخر غضباً شديداً من هذا التصرف وتلك الكلمات والحماقات من الخال الجاهلي الديوث: وهل أنا جعلتُك وكيلاً لنكاحها ، فأنت ولي أمرها المتصرف الآمر الناهي؟ قال الخال: لا! فقال العريس: إذن اجلس مكانك وأد واجبك واشرب شايك وشرباتك ، واذهب إلى حال سبيلك ، ولا شأن لك بالعريس ولا العروس ولا العقد! فجلس غيرَ راض ولا مُقتنع! وعندما جاء أبوها بصينية الشربات للضيوف ، سأله الخال مستنكراً: هل يُرضِيك أن يقول زيدٌ لي كذا وكذا؟ فقال الرجل: لقد أصاب زيد! ولقد زوجت ثلاث بناتٍ على يد المأذون ذاته ، فليخبرْنا مَن رأى منهن؟! وهدأت الأمور ، وجاء المأذون بالمنديل ، فرفعه ورماه بعيداً ، وقال: بدعة هذا يا زيد ، أليس كذلك؟ فقال زيد: بلى! وبدأ المأذون يقول ترويسته بمقدمتها الشرعية ، إلى أن وصل قوله: (وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان) ، فاستوقفه زيد وقال: وعلى مذهب من تزوج أبو حنيفة النعمان يا هذا؟ فقال المأذون: على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! فقال زيد: وأنا أتزوج اليوم ، كما تزوج أبو حنيفة بالأمس ، على كتاب الله وسنة رسوله! لماذا نذكر هذه التفاصيل الشرعية؟ والجواب: لنثبت أن زيداً لم يكن يسمح بأي بدعة في مشوار زواجه من

(زبيدة) ابتداءً من الاتفاق المبدئي السابق ذكره ، ومروراً بالعقد الشرعي ومراسيم الزواج وبروتوكولاته ، وانتهاءً بمشوار الحياة الزوجية بعد ذلك! لا بد من هيمنة المنهج الرباني عل كل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياتنا! وجاء المأذون إلى (تسمية المهر) ، وسأل أبا العروس عن قيمة الصداق! فأجاب الرجل: نحن نزوّجُ ابنتنا لرجل معه القرآن ، وهذا يكفي! وزاد قوله: اكتب يا أستاذ (المسمى بيننا)! فقال العريس: سَمّ المهرَ يا عمي ، ولو كان قليلاً ، فهو رمز ، ولو خمسة جنيهات! فقال: لا. مكرراً ذات الكلمات! فقال العريس: ليس معي القرآنُ كله! معي نصف القرآن ، وأحتاج فيه إلى مراجعةٍ شديدةٍ ليُعاد استظهارُه من الذاكرة ، فهل توافق على هذا؟ فقال الرجل: أوافق! وهنا احتج بعض الضيوف ، فبين لهمُ العريس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – زوّج أحد أصحابه بما معه من القرآن ، وكان الذي مع ذلك الصحابي من القرآن المعوذاتُ الثلاثة! فلم نرتكبْ جُرماً ، اذهبوا واقرأوا السنة ، وتعلموا دينكم يا قوم! فقال العريس للمأذون: تمت تسمية المهر (نصف القرآن)! استمر في عقدك يا أستاذ! وتم العقد ، ولله الحمد ومنه التوفيق والسداد! واقترحَ الصهرُ أن يتم الزواج في بيته الواسع! فقال العريس: كلا ، لن يكون ذلك أبداً! فعاد فاقترح أن يَبني العريسُ بيتاً في أرضه! فأبى زيد ، وقال: كيف أبني في أرض لستُ أملكها؟ إنْ شئت بعتها لي ، وأدفعُ ثمنها على الأيام! فقال الصهر المُراوغ: هذه القطعة من الأرض هدية لابنتي! فقال زيد: إن كان الأمر كذلك نبني بيتاً صغيراً مؤلفاً من: (غرفتين وصالة ومطبخاً وحماماً)! وتورط العريس فيما يقارب الآلاف الثلاثة من الجنيهات ليُقيم بيتاً متواضعاً ، فاقترض من رفاقه وأحبابه ، وأكمل بما كان يملكه من المال! وتنكر له معظم من كان يعرف ، ولليوم ليس يعرف السبب! واكتفى قومٌ بالنصيحة عن العدول عن هذا الزواج ، وساقوا المُبررات والأسباب! ولكن لنفاذ مشيئة الله تم الأمر! وجاء يوم العرس المشؤوم! أقصد يوم البناء! وذهب زيدٌ إلى صُويحبات (زبيدة) وجيء بهن صائمات ، ومعهن دفوفهن لينشدن للعروس! بينما ذهب العريس للرجال في المسجد ، واتفق مع القائمين على الحفل الذي جمع بين عقيقةٍ وبناء ، أن يذهب إلى عروسه قبيل صلاة العشاء ليُصلى معها صلاة العشاء ، تيمُناً ببركة بداية مشوار الحياة الزوجية! فإذا به يجد عَنتاً من القائمين ، فذكّرهم بوعده ووعدهم! فلما لم يجد استجابة ، خرج ليُحقق مرادَه من صلاة العشاء في جماعة مع عروسه! وتبعه صديقٌ يحاولُ أثناءه عن قراره فلم يُفلح! والصهر العجيب بدلاً من أن يدين القائمين على الحفل ويُحقق مراد زوج ابنته ، جاملهم على حسابه وساعد الشيطان على أخيه العريس! ومضى العريس وحده إلى بيت العروس! وأسأل: فيم اجتماعكم يا قوم حول العريس والعروس في يوم عُرسهما؟ ما مشروعية ذلك في الإسلام أيها الجهلاء؟ إنها باختصار إدخالُ السرور والبهجة عليهما ، وإشهارُ الأمر ليعلم الناسُ جميعاً أن زيداً بن فلان تزوج من زبيدة بنت عِلان! وتم ذلك للزوجة ، لكن الزوج ابتُلي ابتلاءً شديداً بحِفنة من السفهاء المجادلين! والله لقد جاءه شيطانه على حد علمي ، وقال له: أعطهم جميعاً مقلباً لا ينسونه في حياتهم! ما المقلبُ يا إبليس؟ قال: خذ القطار ، واذهب إلى ديار شاطنةٍ لا يعلم بك أحد أين ذهبت! فقال العريس في نفسه: وما ذنبُ زبيدة التي أحببتها في الله ورسوله والإسلام؟! وذهب إلى دار العروس ، وما يكون له أن يقتحم على النساء مجلسهن بحجة أن يأخذ عروسه ، إنما نادى على العروس من بعد قائلاً يا أم عبد الرحمن يُكنيها ، قالت النسوة له: لا بد من تقبيل يد أمها! فقال العريس: لا أفعل ، وليس لي أمٌ في الأرض إلا التي حملتْ وولدتْ ورضعتْ ، وربتْ إنها فلانة بنت فلان ، وذكر اسم أمه وكانت حاضرة! وسأل أمه بينهن

إن كانت ترغب في أن يقبل يدها فأبت! وهذا والله موقف تتحدث عنه كتب الأدب والشعر ، موقف يثمن بالإبريز والعقيق! ولكن للأسف لم يثمن لا عند هذه العائلة ولا تلك! لماذا؟ والجواب: لأن قاسماً مشتركاً بين العائلتين هو التنكر المطلق لإيجابيات زيد! وأضاف الرجل لاسترضاء حماته فلقد كان يُحبها ويُقدرها ويَحترمها: أما حماتي فخالتي فقط ، وما ناديتُها بغير (خالة) في حياتي: سواء قبْل زواجي من ابنتها أم بعده! وإذا بالصهر قد جاء مع رفقة له بعد أن صلوا العشاء ، وبدا له أن يقهرَ العريس قهراً ثالثاً ، وذلك بوجوب تقبيل يده واسترضائه هو الآخر! فقال العريس: لا أفعل إن شاء الله! لقد قهرتُ الليلة أربع مرات: الأولى: عندما قال عم المولودة التي أقيمت عقيقتها ، والتحقنا بهم في المسجد ببنائنا: (إن زيداً يُقيم فرَحَه سفلقة)! عانياً بذلك أن زيداً يتطفل على عقيقة ابنت أخيه! وهي كلمة تعكر ماء المحيط! ووالله لم تكن عند زيدٍ أدنى رغبة في ذلك ، وإنما إلى جوار مجلس العروس يكون مجلس العريس ، كما جرت العادة! بشرط أن يكونا مجلسين منفصلين تماماً! والثانية: عندما خرجتُ وحيداً ولم يتبعني أحد إلا الشيطان ، قاطعاً المشوار الطويل من المسجد إلى بيت العروس! والثالثة: عندما قيل لي قبِّل يد أمك (حماتك)! وإنما هي خالة ، وإن كانت الشريعة تجعلها بمثابة الأم ، ولكن الأم تظل أماً والخالة تظل خالة! والرابعة: أن تطلبوا مني أن أقبل يد رجل قهرني قهراً وأسترضيه! بل أنا الذي ينبغي استرضائي يا قوم ، أفلا تزنون الأمور؟! أليس منكم رجلٌ رشيد؟! وأخذ زيدٌ بيد زبيدة ، وأدخلها الدار التي بناها ، وقد ملئتْ بالضيوف الذين كان ينبغي عليهم أن يكونوا في المسجد! وقضى زيدٌ مع عروسه ليلة من أشد الليالي في حياتهما ، تلك التي لم يكن من حسنةٍ أحلى ولا أجمل من صلاة العشاء في جماعة! وبدأت الأمور تتكشف ، وظهر الحق من أن الصهر يريدُها بجوار أمها لتخدم إخوتها! والدليل أنه وفي اليوم الرابع من الزواج دُعِيا (العريس وعروسه) إلى شرب الشاي في بيت أبيها! وهناك طلب أبوها منها أن تُعِد الشاي كالعادة! فاعترض العريس ، وقال: نحن ضيوفٌ ، ينبغي أن يأتي شاينا جاهزاً لا نعِده! فقال الصهر متعجباً: هل تعصي ابنتي أمري؟ فقال العريس: ليس ذلك! وإنما إنْ أردتَ منها طلباً فليمر بي ، فإن أذنتُ وإلا فلا! يا هذا طاعتي الآن واجبة ، وطاعتك انتقلت من واجبة لمَّا كانت في دارك ، إلى مستحبة لمَّا أصبحت في داري! نعم يمكن لها أن تعصيك إنْ أنت أمرتها ولا تأثم عند الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم -! فقال وقد وعى مراد العريس: إذنْ اطلب منها أن تعد لنا الشاي يا سي فلان ، قالها متهكماً كعادته! حيث إن ثلاثة أرباع حديثه مزيجٌ من السخرية والاستهزاء وتنقص الآخرين! فقال العريسُ لعروسه: لا تعدي الشاي! فقامت حماتُه – وكانت امرأة لمَّاحة حسَّاسة – وأعدت الشاي بنفسها! فاسترضاها العريس قائلاً لها وحدها على هامش اللقاء المُزري هذا: تعلمين يا خالتي محبتك واحترامك وقدرك عندي ، ولكنني أردتُ وضع حدٍ لهذا المحو لشخصيتي كزوج ، أردتُ التأصيل لمنهج تبدلتْ مساراته! وموقف آخر عندما طرق الصهر الباب في اليوم الخامس من الزواج بابنته ، وكان طرقاً غاية في الإزعاج والضجر! فما يكون لرجل لا يُحسن الكلام أن يُحسن طرقَ الأبواب! فجُل كلامه أشبه بالصخور والأحجار! فقال العريس: مَن بالباب؟! فذكر الرجل اسمه واسم أبيه! فقال العريس: (وإن قيلَ لكمُ ارجعوا) أكملْ يا هذا! فقال الصهر الجلف: (فارجعوا هو أزكى لكم)! وعاد ، ثم اشتكى العريس للناس بعد ذلك ، وراح الناس يلومونه ، فقاطعهم قائلاً: يا قوم ، لقد فعلتُ الذي لم يستطع أن يفعله حبرُ الأمة وترجمانها عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – عندما قال: ما من آيةٍ في كتاب الله إن كانت أمراً إلا ائتمرت بما أمرت ، أو كانت نهياً إلا انتهيت

عما نهت ، إلا آية! قيل: ما هي؟ قال: قول الله تعالى: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ، ما أتاني آتٍ وقلتُ له: (ارجعوا)! وجاء الصهرُ بعد شهور ليطلب إلى ابنته بأن تعد الطعام مع أمها لأنفار الأرض الذين يشبهون إلى حدٍ بعيدٍ (مقاطيع الحسين أو السيدة)! فقالت: اتفقتُ مع زوجي على أن أستشيره ، فأعطني الفرصة لأسأله! فوافقَ على مضض! لماذا؟ والجواب: لأنه لا يعترف بخصوصيات الآخرين! لا يريد بأن يُسَلم بأن لها زوجاً ينبغي عليها الائتمار بأمره والانتهاء بنهيه إلا في معصية الله (إنما الطاعة في المعروف)! ولست أدري لماذا لا يفهم هذا الأب الجاهل هذا الفهم؟ أليست هذه هي السنة؟! ولما جاء زوجها في المساء ، وطلبتْ إليه ذلك قال غاضباً: لا وربي! لا يكون له ذلك ، ولا تُبتذلُ امرأتي كما كانت من قبل! وعنده بنتان أخريان في نفس المكان ، فليذهب إليهما إن شاء! وبعد أسبوع الزواج قررَ العريس أن يأخذ عروسه في أول خروجةٍ لهما ، إلى دار أبيه لشرب الشاي فقط! ففوجيء بالصهر والحماة معاً يقولان له: لا! لن تذهب ابنتنا إلى دار أبيك! اذهبْ وحدك! فقال العريس: كنا ننوي شرب الشاي فقط ، والله لنبيتن هناك ، وليكن ما يكون! هل زواجي من ابنتكم يعني طلاق أهلي؟ ونفذ العريس ما يريد! وإذن فكانت كل الدلائل والإشارات تقول بأن هذا العريس سوف يُعطي كل ذي حق حقه بما استطاع ، وبما يغلب عليه الظن ، حسب الاجتهاد أنه يرضي الله سبحانه وتعالى! ومرت الأيام كالحقب مع قوم كلما واجهناهم بسُنة من سننه صلى الله عليه وسلم استهجنوها! وثافية الأثافي أن ملأ الصهر الأحمق الأخرق الدنيا بالإفك والبهتان من أنه زوّج فلاناً ومنّ عليه ، برغم أنه لم يتكلف له شيئاً يُذكر ، كما جرتِ العادة والعرفُ والتقليد والنظام الاجتماعي المتبع! فهل كان التماسُه زوجاً صالحاً لابنته مِنة عليه أو عليها؟! أم أنه واجب شرعي أمرتْ به الشريعة؟ وكان الزوج قد حمل على عاتقه كل ما يستطيعه وزيادة في هذا الزواج الذي لم يُرد به وجه الله تعالى إلا من طرفٍ واحدٍ هو الزوج المبتلى! هل نسي هذا الصهر المعتوه والنسيبُ الأبله أن (زوج ابنته) أخ له في الله والإسلام ، حرُم ماله وعرضه بنص الحديث: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)؟ ومادام لم يتكلف ولم يغرم ، فلماذا الكذب والمبالغة في البهتان والإسراف في الإفك؟ فيقال: ولماذا يتكلف؟ هل صار زوجُ ابنته بمثابة الابن؟ والجواب: لا يجب عليه ذلك ، بل يُستحب فإنه من فضائل الأعمال على أي حال! وإذن فلماذا الادّعاءُ الكاذبُ الأجوفُ من أنه زوّج فلاناً؟! إنه لا مِنة له مُطلقاً لا على زوج ابنته ولا على ابنته! إنه واجبٌ شرعيٌ تكليفيٌ محض! وقد عرض شعيب ابنته على موسى – صلى الله عليه وسلم - ، وعرض عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - ابنته حفصة على أبي بكر – رضي الله عنه - ثم على عثمان – رضي الله عنه - ، ثم تزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم -! وعرض سعيد بن المسيب ابنته على عبد الله بن أبي وداعة ، وزوجه إياها لما ماتت زوجته ، وأعطاه عشرين ألف دينار أو أربعين على رواية أخرى! فهل منّ ابن المسيب يوماً على ابن أبي وداعة البنت والمال؟! بالطبع لا! إن الذي يعطي لله ينتظر الأجر منه وحده ، لا من سواه! هل منّ شعيب على موسى عليه السلام يوماً؟! هل منّ ابن الخطاب – رضي الله عنه - على رسول الله صلى الله عليه وسلم تزويجه ابنته حفصة – رضي الله عنها – يوماً؟! والمثل المصري الجميل يقول: (اخطِب لابنتك ، ولا تخطِب لابنك!) ، ونحن نوافقه في نصفه الأول: (اخطب لابنتك) ، والمعنى: (انتق زوجاً صالحاً لابنتك)! وفي هذا الانتقاء بالطبع عرضُ البنت على الصالحين ، وهو باب من أبواب الفقه الإسلامي في القديم والحديث! (باب: عرض الرجل مَوليته على الصالحين)! وكان هذا دأب الصحابة والتابعين وتابعيهم ، يعرض الرجل ابنته أو

أخته أو أمه أو ابنت أخيه أو ابنة أخته على الصالحين! لقد شَهّر الصهر الكذاب المراوغ بزوج ابنته في كل مكان! وملأ كل ناس الدنيا ممن يعلم ، بما في الناس أسرته المغالطة التي لم يوجد فيها رجلٌ يقول له: الزم حدك ، وكُف عن المغالطة والبهتان والكذب! لقد نسي هذا الصهرُ المعتوهُ والنسيبُ الأبلهُ المغرضُ المغالط أن زوج ابنته أخوه في الإسلام قد حرم الله تعالى دمه فلا يُراق ، وماله فلا يؤخذ ، وعِرضه فلا ينتهك إلا بالحق! فأين الحق فيما فعل؟! وسوف نثبتُ أنه مارس اثنتين من المحذورات بموجب هذا الحديث مع زوج ابنته: (المال والعرض)! ناهيك عن النتائج الوخيمة التي أعقبت اعتقاد العائلة المنحطة الوضيعة ، من أن لأبيهم الفضل والمنة على زيدٍ (زوج ابنتهم)! حيث تبجحَ الواحد منهم غيرَ مَرة تستدعيه فيها دواعي الخلاف بين زيدٍ وزبيدةٍ للإصلاح بينهما ، فبدلاً من أن يُصلح يقول: (لقد تزوجها ببلاش ، لو كان دفع فيها فلو كان وقع على شيكٍ مؤجل الصداق ، لما أغضبها)! وقبل أن نتجاوز هذه النقطة المُغالطة ، نقول بأن العريس عندما قررَ السفرَ لبناء مستقبل أفضل ، جاءه الصهرُ المغالط يقول: نريد تأمين مستقبل ابنتنا ، حيث إن بنات الخارج حلوات ، ويمكن أن تتزوجَ على ابنتنا! فقال العريس: أولاً أنت سميت مهرها أمام الناس (نصف القرآن) ، فلا حق لك في هذا الكلام! وثانياً زواجي من غيرها بشروط الشريعة من العدل والقدرة مكفولٌ ومتوقعٌ ، فلقد أحل الله لي أن أجمع في عصمة ابنتكم الزوجة بثلاث زوجاتٍ أخريات! وهذا ليس تفكيري لا بالأمس ولا اليوم ولقد يكون غداً! وأنت يا صهري وكذلك أبي تزوج كل منكما اثنتين ، وكان له من كل زوجةٍ أولاد! فمازال الصهرُ بمغالطته وعجرفته وعنجهيته وجعظريته ، حتى أنزله زوجُ ابنته على مذهب مالك: (والمرأة يُدخل بها ولم يُسَم مهرُها فلها مهرُ المثل)! فوجدها الصهرُ الأفاك فرصة سانحة ، واحتج بمهر ابنة أخيه سلوى (12000 جنيه) ، فقال العريس: إن سلوى هذه التي استشهدت بها أتاني أبوها الذي هو عم زبيدة ، وطلب إلي أن أعدل عن زواجي من ابنتك لأتزوج من ابنته ، رغم أن البنتين كلٌ منهما ابنة عم الأخرى! والله إن زيداً ابتُلى بأب غريب الأطوار ، وأنساب أغرب منه أطواراً! وراحت زبيدة إلى أختٍ لها في الإسلام بناء عن طلب زوجها ، وسألتها عن مهرها فقالت: مهري (5000 جنيه)! فنزل الرجل على ما أتت به زبيدة من الخبر ، وكانت المسألة مسألة كيفٍ لا كم! على أنه لم يكن مبلغاً يسيراً في ذلك الزمان الذي يقارب قبل ثلاثة عقودٍ ونصف قبل اليوم! وايم الله لو جاءت زبيدة بعشرين ألف لما غيّر الرجل النسبة مطلقاً! وأصبح لهذه الزوجة مهران وصداقان: إسلامي (نصف القرآن) ، وجاهلي (5000 جنيه) كتب زيدٌ هذه الورقة مزايدة على السنة! ولكنه فقط أراد الخروج من الموقف ولو على حسابه في أن يكون غارماً لرفيقين وخال وزوجة قبل سفره! وعندما سافر الرجل ، وألحقها به في غربته ، واشترى لها ذهباً بقيمة (5125 جنيه) ، وأعطاه إياها في صورة مشغولاتٍ ذهبيةٍ ، وأعلمها أن صداقك الثاني وصلك ، ويلزمُك تقطيعُ الورقة المُحررة عند أبيك! فقالت: كل زوج يُهادي زوجته! فقال زوجها: ولكنني مَدين لك ، والدَين يا زوجتاه مُقدم على الهدية! وقام النسيب المُغرض وعائلته باستحلال بيت زيد ، ذلك البيت الذي لا يحل دخوله والاطلاع على خصوصياته إلا بإذن صاحبه! أصبح مستباحاً ، واستغلت العائلة عدمَ رضا أهل العريس عن هذه الزيجة ولا هذا النسب لابنهم! ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تحول البيت بيت الزوجية إلى حظيرة للدواجن ، ثم تم هدمه ليعود أرضاً زراعية ، رغم تبرئتها بالقانون بحكم محكمة ، دفع العريس رسوم القضية وأتعاب المحاماة! واعتادتِ زبيدة على تعظيم جانب أهلها وتحقير جانب أهل زوجها! وكأني بها تعتبر أهلها صحابة النبي محمد – صلى الله عليه

وسلم - ، وفي الوقت ذاته تعتبر أهل زوجها شياطين الجن! وتمت إهانة زوجها مرات ومرات ، وبُددتْ أمواله ، وانتُهكتْ حُرمة بيته ، على عينها! ولكن لأن الذين فعلوا ذلك كله من أهلها فلا حرج! واعتادت زبيدة أن تُمارس دورَ أهلها في التصرف في أموال الرجل العينية والنقدية بدون مراعاة المصلحة! إنما كانت تراعي الحق الشخصي فقط! وتضم أمواله إلى أموالها بغير الحق! وبعد أن بذل زيدٌ أضعافَ ما يستطيعه لخدمة عائلته وعائلة زبيدة الوضيعتين الظالمتين إذا بالكل يتخذون زيداً عدواً! لكن الطامة الكبرى أننا أمام شخصيتين الأولى (زيد) رجلٌ يزن الأمور بميزان الشريعة ، ومن هنا كانت التصرفات معتدلة لا يلحقها تناقض ولا مزايدة! وأما (زبيدة) فلا تفعل الشيء ذاته ، ومن هنا جاءت التناقضات والمغالطات والمزايدات! رغم ظلم أبيها وحرمانها وأختها الشقيقة وباقي إخوتها من الأب من إرثهم جميعاً في بيت المدينة ، وإنما خصّ به أولاداً دون أولاد! وتبجحت زبيدة وهي تصف أباها قائلة: (أقام أبي العدل بين أولاده ولذلك يحبونه جميعاً!) ووالله إنها لمقولة ظالمة ، لا يشهد لها الواقع بمثقال حبة خردل من الحق! والدليل أنه عندما سؤال من أغدق عليه الأب أنه أعدل العادلين! وعند سؤال من حرمهم من الأبناء أنه أظلم الظالمين! لقد أمرنا الله ببر الوالدين والإحسان إليهما ، لا بعبادتهما معه أو من دونه ، لأن هذا الأخير شركٌ بالله رب العالمين! وكان أبوها يقول عن نفسه يخادع نفسه ومن يسمع بالطبع: كلما ذكرتْ سيرة عمر بن الخطاب دمعتْ عيناي! ونرد عليه بقولنا: إن المطلوب أن تقيم العدل بين أبنائك وبناتك والناس من حولك فيما لك بإقامته قدرة ، لا أن تدمع عيناك وأنت ظالم تأكل الحقوق وتحرم أبناء لك وبنات من إرثهم! إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمرنا بقوله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ)! ولم يقل: (ابكوا عليها بالنواجذ)! كان ينبغي على زبيدة أن تشهد شهادة الحق على أهلها ، لا أن تتابعهم في ظلمهم وتجاوزهم واعتدائهم وإهدارهم حقوق زوجها المادية والمعنوية! وكان زيدٌ يُحسن الظن بها ، فإذا بها مع أهلها قلباً وقالباً للأسف الشديد! ولما أخذت زيداً الحمية ، وصرح لزبيدة بأنه لا يقبل هذه التجاوزات من أهلها ، وعلى رأسها (تبديد المال على يد أبيها وانتهاك حرمة البيت بما حوى من متاع وأثاث وكتب ومقتنيات وعدد ، وإهانة الرجل على يد أبيها وعلى أيدي إخوتها غير مرة بدون وجه حق ، واعتقاد كل كبير وصغير في عائلتها بأن زوجها لاجئ كان أبوها قد لمّه من الشوارع ، وأقام له شأن حياته ، مع أن الثابت عكس ذلك)! وهذه نقطة عجيبة في أبي زيد وصهره! كل منهما يتهمه بالفشل في تخطيط مستقبل أولاده! مع أن ذلك تم له على يدي كل منهما وعلى أيدي أبناء كل منهما! حيث ابتُلي كل منهما بكثرة الأبناء مع كفاف العيش لا نريد أن نقول مع الفقر لأنها كلمة تزعجهم! فلما سخر الله زيداً لهما وأقام الله تعالى على يديه شأن كل ابن من أبنائهما ، لم يشكروا نعمة الله عليهم في أن سخر لهم رجلاً نفعهما الله به! وجعلوا مقابل الإحسان الإساءة! الإساءة والتشهير والتعيير لمن؟ لرجل كان سبباً والله مباشراً في سعادتهما وسعادة أولادهما ، على حين كانوا وأولادهم سبباً مباشراً والله العظيم في شقائه! والله لقد ابتُلي زيدٌ بهذين الشيبتين: (الأب والصهر) الأول خذله وتركه لصهره ، والثاني وجدها فرصة فتشفى كيف شاء! ومن عقدٍ قرر زيدٌ طلاق زبيدةٍ والخلاص من هذا القهر والتعيير! والزواج من أخرى تكون على المنهج الرباني! ولئن كانت خبرته مع الناس يوم تزوج زبيدة قليلة ومُزجاة ، فلقد خبرَ الناسَ والنساءَ اليوم ، وهو اليوم أقدر على ألا يقع وقوعه الأول ، ويخيب خيبته الأولى تلك! فنصحه عقلاءُ الناس وحكماؤهم بأن يستعين بالله ولا يعجز ، وأن يعدل تماماً عن فكرة الطلاق ، وأن يعدل

تماماً عن فكرة الزواج الآن على الأقل! حتى أن أحد موجهي اللغة العربية قالها له بالرمز بعد أن سأله: كم لك منها من الولد؟ فقال زيدٌ: سبعة أولاد! فقال الموجه: (يا بني إذا استبعرتٍ امرأتك فاستنوق لها!) ، فراجع زيدٌ صديقه فقال مستدركاً على عبارته الأولى الرامزة: (يا بني لأجل عين (أبناؤك السبعة) تُكرَم ألف عين (زوجتك)! ، فقال زيد له: أظنك تُبالغ يا أستاذي ، فقاطع الموجه قائلاً: (يا بُني حياة مُهرجلة خيرٌ من طلاق وفشل ، ولا أزيد)! وبعدها حاول زيدٌ مجادلته بعد قوله (ولا أزيد) ، فقال الموجه مغلقاً الموقف التعليمي التربوي ، وقافلاً المشهد: (قضِيَ الأمر الذي فيه تستفيان)! والعجيب في أمر (زبيدة) الماكرة المخادعة أنها مارست خديعة كبرى مع زوجها (زيد) المسكين الطيب ، استمرت ثلاثة عقود! وفي كل مرة يصبر زيد نفسه بأن يصلح الله الأحوال! ولكن للأسف كانت الأحوال تزداد سوءًا! فهل كان طبعاً فيها غلب تطبعها يوم جاء يخطبها؟! الله أعلى وأعلم! ووصل بزبيدة الحد لأن تعاير زيداً بالأحوال المادية السيئة التي مَهدتْ لها بالاشتراك مع أهلها مستغلة ظروف الرجل وثقته الزائدة عن الحد فيها! وزادت حبات الطين بلة أنها عَيّرته بأمراضه التي صحبت شيبه! ويصدق فيها قول الشاعر:

فـــإن تســـألوني بالنســـاء ، فـــإنني بصـــيرٌ بـــأدواء النســـاء طبيـــبُ

إذا شـــاب رأسُ المـــرء أو قـــل مالـــه فلـــيس لـــه مـــن ودهـــن نصـــيب

يُـــردْن ثـــراء المـــال حيـــثُ علمْنـــهُ وشـــرخ الشـــباب عنـــدهن عجيـــب

لقد أهدرتْ ما لزوجها من بقايا تعبير واحترام! حيث أدركتْه شيبة ، ضعفتْ قواه وقل ماله! إلا من دار تحت الإنشاء بهزلها وغباء أبيها يأتيه منها إيجاراتٌ يتقوتُ منها وعياله! فأصبحت تخرج من البيت بلا استئذان! وتأذن في بيتها لمن تريد من أهلها ومن سواهم ، ولو كان زوجها لا يرغب في دخولهم بيته ، وراحت من جرأتها في الباطل تتصرفُ في المال وتُعطي الرجل مصروفه من ماله! وباتت تترهلُ في حجابها الذي لم يكن يُظهر منها سوى عينين ترى بهما الطريق إلى كشف الكفين ، والقدمين ، ومحاجر العينين ، والحاجبين ، ولبس العباءات المزركشة التي تستلفت نظر الرجال! الأمر الذي لم تكن عليه في سِنيها الأولى من الزواج ، فبعد أن كانت تُحسَب على المحجبات الحشيمات ، أصبحت تُحسب على المتبرجات المترهلات المتساهلات الخارجات على نصوص الكتاب والسنة في باب الحجاب والاحتشام! وانتهت تماماً من انتقاص الجاهلية وأهلها ، ورأت كل الناس خيراً وبركة! وامتد الأمر إلى كبريات مسائل الاعتقاد التي كانت في مستهل زواجها إذا بها اليوم تتنازل عنها ، فتشهد للطواغيت بالإسلام ، وتعذر المجاهرين بالمعاصي والمستحلين لها بالجهل ، مع قدرتهم على إزالة جهلهم! ولم تعد تدرك من شروط (لا إله إلا الله) شرطاً واحداً ، فضلاً عن أن تُدلل عليه من الكتاب والسنة! وراحت تتهمُ زوجها بالتشدد والتعصب! زوجها زيد الذي هو مثالٌ للوسطية بعينها ، أصبحت تراه متعصباً متشدداً! نسأل الله ألا يُزيغ قلوبنا عن الحق حتى نلقاه! وكان ينبغي عليها أن تدعو أهلاً بعيدين عن الكتاب والسنة إلى الحق والخير ، فإن استجابوا فهي منهم وهم منها ، وإن أعرضوا فلتفاصلهم على العقيدة والتوحيد! الأمر الذي كانت تصنعه من ثلاثة عقود! وإلا فهو الانتكاس في التصرف والسلوك والفهم والتصور! لقد أصبحتْ أذن شر لأهلها ، وكان ينبغي عليها أن تكون أذن خير لهم! صارت أذن شر لهم ، حيث يُمْلون عليها ما يرون من الخطط لإفساد حياتها التي بدأتْ على الكتاب والسنة! وحاول زيد إقناعها ، لكن الموج كان أكبر منه

وأعتى! وراحت – بعد أن زين لها سوء عملها فرأته حسناً – تسخر من زوجها وتستهزئ به في كل كبيرةٍ وصغيرة! وما لبثت كما قلنا من قبلُ أن غيّرتْ هوية البيت المسلم الذي كان يوماً على الكتاب والسنة ، بات اليوم تُذاع فيه المسلسلات الساقطة وغير الساقطة وتبث فيه الأفلام! وبعد أن لم يكن فيه التلفاز ثم جاءه التلفاز بثلاثين قناة لا تزيد ، أصبح في بيتها تلفازان ، وكل منهما مزود بألف قناة مما لذ وطاب من مواد السقوط والانحطاط والإباحية والجاهلية! مما دعا زيدٌ إلى أخذ موقفٍ في الله ، يُشهده سبحانه ويشهد ملائكته ، أنه لم يعد منها في شيء ، وأنها لم تعد منه في شيء ، حتى تنتهي عن كل هذه الممارسات الجاهلية جميعاً بدون استثناء! وراح زيدٌ يحذر أولاده منها مبيناً عيوب زيجته وزوجته معاً ، ويقول لهم: (أي أبنائي الأحبة ، لا يتزوجن أحدكم امرأة فيها هذه الصفات أو إحداها: 1 – أن يكون لها عليه غرماء ، لأن كل غريم سيكيد له ، ولن تسلم حياته من كيدهم! 2 – أن يوجد خلافٌ بين العائلتين عائلته وعائلتها ، فليدرسه إن كان معتبراً أو غير معتبر! ذلك أنه سوف يتفاقم على الأيام! 3 – أن تكون العروس وأهلها جاهليين لا يرفعون رؤوسهم بالالتزام الحقيقي بالقرآن والسنة! لأن علمها وعلمهم بالكتاب والسنة سينفعه في مشوار حياته ، حيث تكون هناك مرجعية للاتفاق والخلاف! 4 – أن يراها أهلها في نظرهم أفضل منه! ذلك أن هذه النظرة في التمييز تكبر على الأيام وتبيت معول هدم للحياة الزوجية!) والله إنني لأتعجب من أهل زيدٍ وأصهاره! أما الأهل فخذلانهم غير مُبرر بالمرة ، فلقد أعطاهمُ الرجلُ وأغدق عليهم بغير حساب! ولو كانوا ناصحين لأنفسهم ولابنهم ، لما خذلوه وأسلوه لأصهار يستنزفونه للحد الذي يتكفف فيه اللقمة بعد ثلاثين سفر غربةٍ ، وأين؟ في أغنى دولةٍ في العالم! كما أتعجب من أصهار زيدٍ الذين رشحوا ابنتهم عروساً له ، كما رشحوا زيداً عريساً لها! فلما نزل الرجل على ترشيحهم واختيارهم مثمناً إياه ، وحافظ عليها وعليهم وبذل الغالي والنفيس من أجل الجميع ، فإذا بهم بعد أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، يتنكرون لزيدٍ ويخفرون جواره ويُهدرون معروفه ويخذلونه خذلاناً لا مثيل له! والله إن دورهم ليُشبه دور الشيطان كما تصفه الآية: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين)! وكان على زبيدة أن تكتشف ذلك وحدها ، لأنه واضحٌ كل الوضوح ، ولا سبيل إلى إنكاره طرفة عين ولا أقل من ذلك! أما وقد استمرت في خديعتها الكبرى ، وظهرت حقيقتها بعد ثلاثة عقود ، فلتتحمل النتائج الوخيمة للعبها بالنار! وقد تجاوزتِ الخمسين ، فلا يليقُ بها إلا إكمالُ مسيرتها حتى تلقى الله سبحانه! والآن فلندع زيداً يحكي لنا خديعة زبيدة الكبرى في معلقةٍ طويلة من البحر الطويل على قافية السين! والله غالبٌ على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون)!)

ألا يـــا ديـــاجيري ، لقـــد طلعَـــتْ شمســـي وأوغـــلَ نـــورُ الشـــمس فـــي دُلجـــة الطـــنسِ!

ولمَّـــا أعُـــدْ أهفـــو لماضـــي سَـــذاجتي وهـــل عاقـــلٌ يهفـــو لداعيـــة البُـــؤس؟!

حَللـــتُ دِيـــارَ القـــوم ضـــيفاً وصـــاحباً ودَرّســـتُ أقوامـــاً ، ولمَّـــا يُفِـــدْ درســـي

وعلمـــتُ جُهـــالاً تأصَّـــلَ جهلهـــم كـــأن عقـــولَ القـــوم صِـــيغتْ مِـــن الجـــبس

وزللـــتُ ألغـــازاً علـــيهم تعسَّـــرَتْ وسَـــطرتُ توضـــيحَ المســـائل فـــي الطِـــرس

وكنـــتُ اصـــطفيتُ الشـــرحَ سَـــهلاً مُفصـــلاً وأسْـــدَيتُه همســـاً ، ولـــم أغْـــلِ مِـــن حِســـي

وكنـــتُ صـــديقَ الكـــل ، نفـــعٌ صَـــداقتي وكِلـــتُ لصـــحبي مـــا تطيـــبُ بـــه نفســـي

وناولـــتُ ترحيبـــي لكـــل مَـــن ادَّعـــى ودادي ، وإنْ عاينتُـــه أبغـــضَ الإنـــس

وأجهـــدتُ نفســـي كـــي أريـــحَ جُمـــوعَهم وجُسْـــتُ ديـــارَ القـــوم حتـــى اشـــتكى جَوســـي

وناصـــحتُ لـــم أبخـــلْ بنصـــح وَعيتُـــهُ بقـــول نـــدِيِّ الوَقـــع أحلـــى مِـــن الـــدِّبس

وجاهـــدتُ أهـــواءً مَريـــراً جهادُهـــا لأن قلـــوب الـــبعض عانـــتْ مـــن الـــرجس

ومَـــرَّتْ سِـــنيُّ العُمـــر تلهـــو بتائـــهٍ فأهدَتْـــه مِـــن زلاتهـــا مِحنـــة الـــتعس

ولمَّـــا عَـــدِمتُ الأهـــلَ أحيـــا بأنســـهم توَهمـــتُ أنْ ألقـــى لـــدى صُـــحبتي أنســـي

فخابـــتْ ظنـــوني ، وانتهـــى بـــي تـــوَهُمي إلـــى ضـــيعة التصـــميم والعـــزم والبـــأس

فـــألفيتُني خلـــفَ الســـراب مُحطمـــاً أعـــاني مِـــن التشـــريد والفقـــد والعَمـــس

فقـــررتُ أن أنـــأى لحِفـــظ عَقيـــدتي فـــإن مُصـــابَ الـــدين مِـــن أشـــرس الـــنكس!

ففاجـــأني بـــالعزف عـــن ذا كبيـــرُهم فقلـــتُ: يـــا عمِّـــي لقـــد شـــط بـــي يأســـي!

ألا إننـــي آثـــرتُ داراً بعيـــدة كمـــا خـــزرج تحيـــا القبيلـــة والأوس!

فـــدعني وشـــأني ، فـــالخطوبُ عســـيرة وقلبـــي يُقاســـي مِـــن مُداهمـــة الـــوَجس

أخـــافُ مـــن الإفشـــال يجتـــاحُ هِمتـــي ومـــا كنـــتُ ذا ســـيفٍ يُـــدافعُ أو تُـــرس

وأحيـــا غريبـــاً بـــين أهـــل تنكـــروا وأبٍّ وأم ، بـــل وإخـــوَتيَ الخمـــس

قلـــوْني جميعـــاً ، واســـتباحوا كرامتـــي ولمَّـــا أعُـــدْ مـــنهم ، ويَصـــدُقني حَدســـي

يَقينـــاً تباعـــدْنا ، وصِـــرتُ لـــديهمُ كفـــوراً كمـــا الكـــذاب والأســـود العنســـي

فقـــاطعني بـــالأمر كنـــتُ انتويتُـــه وكـــم يشـــتهي الإنســـانُ عـــن رغبـــة الـــنفس!

فقـــال: ابنتـــي أهـــديك يـــا خِـــل زوجـــة وقـــال: اســـتخرْ ، أرجـــي القـــرارَ مِـــن الـــرأس

فقلـــتُ: اصـــطبرْ ، وامـــنحْ صـــديقك فرصـــة فـــأمرٌ كهـــذا لا يكـــونُ بـــلا درس!

وعـــدتُ لنفســـي مَـــرة بعـــد مَـــرةٍ فقلـــتُ: لقـــد كـــان الـــذي قـــال فـــي الـــنفس!

وعُـــدتُ بـــذي الـــدعوى لبنـــتٍ وأمهـــا وقلـــتُ: أنـــا أنهـــي الـــذي قِيـــلَ بـــالأمس

إذا لـــم يكـــنْ أرجـــى قبـــول وراحـــةٍ فـــلا خيـــرَ فـــي أمْـــر يُنفـــذ بالـــدس

ألا صـــارحيني ، بـــل وكـــوني شُـــجاعة ألا إن صـــدقَ القـــول مِـــن أقـــوم الأس

فقالـــت: أريـــدُ الأمـــرَ ، هـــذي قنـــاعتي بصـــدع جَلِـــي الصـــوت لـــيس بـــالهمس!

فقلـــتُ: اذكـــري كـــل الشـــروط بـــلا حيـــا بكـــل وضـــوح ، لا أميـــلُ إلـــى اللـــبس

فســـاقت شـــروطاً مـــا أبيـــتُ أداءهـــا وتحقيقهـــا بالجُهـــد والبَـــذل والـــبَس

وأعلمتُهـــا شـــرطي بـــدون تحفـــظٍ فأبـــدتْ قبـــولاً مـــا احتـــوى غـــامضَ الحَـــيس

وتـــم زواجٌ تمقـــتُ الـــنفسُ ذِكـــره أقـــيمَ علـــى الشـــجوى ، وأفضـــى إلـــى الـــبَكس

وســـادتْ بـــلاءاتٌ طـــوتْني غمومُهـــا ولـــم تكـــن الرعنـــاءُ طيِّبـــة الغـــرس

قلتُـــي عَـــروسٌ غلبـــتْ طـــيشَ أهلهـــا وباعـــت ودادَ الـــزوج بـــالثمن الـــبخس

وأبـــدتْ مـــن العِنـــد المُوَشـــح بالغبـــا نصـــيباً يُصِـــيبُ القلـــبَ بـــالكرب والـــركس

ولـــم تســـتقمْ يومـــاً لتُـــدرك خيرَهـــا ودَكـــتْ عَمـــودَ البيـــت بـــالمَكر والـــدهس

وأفشـــتْ مـــن الأســـرار مـــا يُســـعِدُ العِـــدا إلـــى أن تســـاوى العـــيشُ فـــي البيـــت بـــالحبس

وآلمنـــي جـــداً تـــدخلُ قومهـــا وداري بهـــم أمســـتْ تُشَـــبَّهُ بـــالرَمس

خُـــدِعتُ وربـــي فـــي الحليلـــة مـــا ارتقـــتْ بـــدين نبـــي جـــاء للجـــن والإنـــس

تبيـــتُ وتُمســـي فـــي دُجـــى جاهليـــةٍ بـــألف قنـــاةٍ فـــي مضـــاربها تُمســـي

هُويـــة بيـــتٍ تلـــك بالكـــاد غيِّـــرَتْ! وإلـــفُ المعاصـــي كـــلَ منقبـــةٍ يُنســـي

ثلاثـــين عامـــاً مـــا تـــدَنتْ هُـــويتي وقـــد عِشـــتُ دهـــراً أسَّ بيضـــتِها أرســـي

وأمســـى حِجـــابُ الســـتِّ أخـــزى تبـــرُّج فهـــل تقتـــدي فـــي الســـتر بالرومـــان والفـــرس

فكفـــان مكشـــوفان عمـــداً لنـــاظر فهـــل أمَـــة ذي أصـــبحت مـــن بنـــي (عـــبس)؟!

وزادت علـــى الكفـــين رِجْلـــي أثيمـــةٍ وقـــد زينتـــا للأعـــين الجُـــردِ بـــالوَرس!

وبـــــات نقـــــاب الوجـــــه أعظـــــمَ فتنـــــةٍ كـــأني بهـــا (ليلـــى) تهـــادتْ لـــدي (قـــيس)!

وزِينَـــــتْ عبـــــاءاتٌ تُخاتِـــــلُ مَـــــن رأى وسِـــت الهـــوى والحُســـن تختـــالُ فـــي المَـــيس

وتخـــــرجُ مـــــن بيـــــتٍ بـــــلا إذن زوجهـــــا فهـــل عقلهـــا يـــا قومنـــا هـــيضَ بـــالهوس؟!

أم الجـــــن أعطاهـــــا مِـــــن المَـــــسِّ جُرعـــــة فباتـــــتْ تُقاســـــي شِـــــدة الصَّـــــرع والمَـــــس؟!

ألا إننـــــي فيهـــــا خـــــدِعتُ ، ولـــــم أكـــــنْ أبيِّـــــتُ سُـــــوءَ الظـــــن ، ذا لـــــيس مـــــن حَســـــي

خـــــدِعتُ بـــــأقوال تســـــامتْ حُروفهـــــا يُردِّدُهـــــا عبـــــدٌ بسَـــــهْوَكة القِـــــس!

وبالغـــتُ فـــي التجميـــل أرضِـــي بـــه العِـــدا وسَـــوَّيتُ بـــين الطهـــر فـــي الـــوزن والـــرِّجس

وأســـــرفتُ فـــــي الإطـــــراء ، لـــــم أكُ حـــــاذراً ومـــــا صَـــــحَّ ممـــــا قلـــــتُ جُـــــزءٌ مـــــن الســـــدس

وغالطـــــتُ إذ خِلـــــتُ الحُثالـــــة صَـــــفوة وهـــــل يُشـــــترَى أهـــــلُ النجابـــــة بـــــالفلس؟!

ويومـــــاً نُلاقـــــي فـــــي القيامـــــة ربنـــــا ويَقـــــتصّ ربـــــي مِـــــن دَهاقنـــــة الإنـــــس!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

دياجيري: ظلماتي. دلجة: ظلمة. الطنس: شدة الظلام. أهفو: أميل. سذاجتي: طيبتي الزائدة عن الحد. البؤس: شدة الحزن. زللتُ: سهلتُ. تعسرت: صارت صعبة. الطِرس: الصحيفة. اصطفيت: اخترت. حِسي: صوتي. حَسي: إحساسي. الجوس: التجوال. وعيته: عرفته. الدبس: عسل التمر. سني العمر: سنواته. زلاتها: هفواتها وسقطاتها. التعس: التعاسة. العمس: الاضطراب واختلاط الأمور. أنأى: أبتعد. النكس: هو الانتكاس. العزف: الانتهاء. شط: ازداد. الخطوب: المحن والشدائد. عسيرة: صعبة وعاتية. الوجس: الحذر والخوف والتوجس. تُرس: دِرع. حدسي: تخميني وظني. الكذاب: مسيلمة الكذاب. الأسود العنسي: مدعي النبوة الكفور. الدس: الإخفاء. الأس: الأساس. اللبس: الغموض. البس: شدة المجهود والعناء. الحيس: الارتباك عند اختلاط الأمور. تمقت: تكره بشدة. الشجوى: شدة الحزن. البكس: القهر. الرعناء: قليلة الحكمة والرشد. الثمن البخس: أي المزهود فيه. الركس: قلب الأمر أو الشيء رأساً على عقب. الدهس: هرس الشيء ليختلط بعضه ببعض. الرمس: القبر. الحليلة: الزوجة. ألف قناة: قنوات التلفاز. أرسي: أؤسس وأقيم. بني عبس: قبيلة في الجاهلية اعتادت الإماء فيها كغيرها من قبائل الجاهلية على كشف الوجوه والكفوف والأقدام! الأعين الجُرد: أي المجردة التي تبصر الأشياء بشدة! الورس: نبات شديد الحمرة للطلاء به. قيس وليلى: عشيق وعشيقته من بني عامر. الميس: التبختر والخيلاء. الهوس: الجنون. المس: مس الجن وصرعه. سهوكة: عامية دخيلة معناها التزلف الرخيص. القس: القسيس. يقتص: يعيد الحقوق من غاصبيها. دهاقنة: عتاة الظالمين.

الوريثُ الوحيد!

(إنه عندما يوجدُ في عائلةٍ ما يتيم ، فإنه يتعينُ على ذوي قرابته أن يُكْمِلوا مسيرة أبيه ، ولا ينبغي عليهم أن يُشعروه يوماً أنه في هذه الحياة وحده ، يتلظى بنيرانها ويواجهُ بلاءاتِها! أما أن يكونَ اليتيمُ نهباً للسِّباع والضواري من بني البشر ، فهذا لا يُقِرهُ عَقلٌ ولا شَرع! ويتيمُ قصيدتنا أو (الوريث الوحيد) هو يتيمٌ لأب مُوفق صالح ، كان قد توفاه الله تعالى وابنه الوحيد في شهره الخامس! ومن رحمة الله تعالى به وبأمه أن ترك عائلهما لهما إرثاً عظيماً يكفيهما ويفيض عن حاجتهما! وهو عبارة عن مجموعةٍ من شركات منتجات الألبان المَحلية والعالمية! ولأنه كان رجلاً طيباً محسناً ، لم يكن يبخلُ على أبيه وأمه وأخيه الوحيد وأخته الوحيدة! بل أغدقَ عليهم بالخيرات ، الأمرُ الذي جعل أمواله تتكاثرُ تكاثرَ الدود كما يقولون! وبعد أن اكتملتْ مراسيمُ الغسل والتكفين والصلاة والدفن والعزاء! وبعد فترة الإحداد بشهر ، جاء أخوه الوحيد ، ذلك العم العجيب إلى بيت أخيه ، وقال لزوجة أخيه: يا بنت الحلال ، لن تستطيعي إدارة شركات أخي وحدك ، وسوف أقومُ بهذا نيابة عنك! فوافقتْ وعملتْ له توكيلاً عاماً ليُباشِر عمله في الشركات ، بناءً عن طلبه! وبيتتِ المرأةُ حُسنَ النية ، فلم تُخوِّن هذا الرجل ، وتوسمتْ فيه خيراً في أن يرد جميلَ أخيه عليه وعلى عائلته! فواعدَها وأعطاها عهدَ الله وميثاقه أن يكون وفياً ، وأن يُطلعها على مُجريات الأمور أولاً بأول! ولكن للأسف ، لم ينفذ مما قال شيئاً ، بل استغلَ التوكيلَ العام وباعَ الشركات ، وسافرَ بأسرته إلى أمريكا ليَسلم من المُقاضاة العقيمة ، فهو غير مدان بالقانون ، وإن كان مُداناً بالشرع المطهر! فلقد كانت كل إجراءاته صحيحة قانوناً وإنْ لم تصح شرعاً! سافر خارج الدولة ، تاركاً زوجة أخيه وابنها اليتيم يأكلان من نوال المحسنين الذين أحسنَ إليهم زوجها في حياته ، وأغناهمُ الله تعالى على يديه! (إن ربي لطيفٌ لما يشاء)! وأما المهاجر السارق المحتال المجرم الأثيم ، فنمَّى أمواله في أمريكا ، وأصبح يمتلك مئات الملايين من الدولارات! وانقطعتِ الأخبارُ عقدين من الزمان ، لدرجة أن المرأة وابنها اعتقدا أنه قد مات! وبعد عقدٍ من السنوات ، عاد السارقُ واشترى عمارة وفيلا وأسس مجموعة شركات ، واشترى سيارة فارهة للغاية ، ولم يفكرْ حتى في مجرد السؤال عن زوجة أخيه وابنها! ولما علمتِ المرأة برجوعه ، أخذت وفداً من أهلها وأهله في محاولةٍ يائسةٍ منها لإرجاع الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها! ولكن العم وبعد إعطاء عشرات المواعيد ، أعرض ونأى بجانبه ، ولم يعترف لها ولا لابنها بمِفحص قطاة! فعادتْ تجُر أذيال الخيبة واليأس إلا من أمل كبير في الله تعالى الحكم العدل! وقبل مغادرة المجلس وأمام الرجال طلبتْ منهم أن يُنصتوا كما طلبتْ منه أن ينصتْ لها! ولمَّا أنصت الجميعُ قالت له بكل يقين وهدوءٍ وثقةٍ كبيرةٍ في الله تعالى: اعلم أنني لمَّا أعطيتك التوكيل بحُسن نية كنتُ قبلها قد استخرتُ الله تعالى ، وأمضيتُ قراري بتحرير التوكيل بعد دراسةٍ واستخارةٍ ، ولمَّا لم تصُن الأمانة وفعلت ما فعلت ، وأتينا نعطيك الفرصة لإرجاع الحق الذي لم تعترف به قائلاً: القانون لا يحمي المغفلين ، فإنني أتوجه إلى الله تعالى بأن يكون بيني وبينك ، وأن يكون لي ولابني اليتيم عليك! وقولك: (القانون لا يحمي المغفلين) يقابله عندي بيقين: (أن الله لا يصلح عمل المفسدين)! ولا أزيد ، وطلبتْ من إخوتها وأعمامها وأخوالها إنهاء المجلس ، لأنه لا جدوى من المناقشات والمجادلات! وأردفتْ قائلة: حسبي الله تعالى ونعم الوكيل ، فوضتُ أمري وأمر ولدي إلى الله رب العالمين! وبعد سنة بتمامها ، وعلى طريق صحراوي مُعَبَّد تصطدمُ سيارة العم السارق بشاحنة ، وكان حادثاً فظيعاً مُريعاً أسفرَ عن وفاته ووفاة أفراد أسرته جميعاً بدون

استثناء في مكان الحادث! وكان الوريث الشرعي الوحيد هو اليتيم الذي لم يتجاوز الاثني عشر عاماً ، يوم عاد له المالُ المنمَّى أضعافاً مضاعفة! ويبوءُ العم بالإثم في قبره وآخرته! فسبحان مَن إذا أملى لظالم لم يُفلتْه! فتخيلتُ هذا اليتيم يَصفُ لنا قِصته ، ويَحكيها من يوم مات أبوه الطيب الصالح الموفق ، إلى يوم مات عمُّه الطمَّاعُ الجَشِع ، في قالب مأساوي مُضحكٍ مُبكي!)

ويـــحَ العُمومـــة لمَّـــا تُـــوفِ بالعهـــدِ ... وأخلفـتْ مـا انتـوتْ مِـن صـادق الوعـدِ

هـــي التـــي اقترحـــتْ ، والأم قـــد قبلـــتْ ... وباركـــتْ مـــا ارتـــآه العَـــمُّ مِـــن قصـــد

أعطتْـــــه بارقـــــة الأمـــــان تســـــبقها ... قناعـــــة أنْ يعـــــودَ الأمـــــرُ بالفيـــــد

وأمَّلـــتْ خيرَهـــا يـــأتي علـــى عَجَـــل ... ولـــم تُـــدَوِّنْ علـــى الأوراق مِـــن قيـــد

وشـــجَّعتْه علـــى اســـتثمار مـــا ورثـــتْ ... ولـــم تُعلـــقْ علـــى نـــصٍّ ولا بَنْـــد

وناولتْـــــهُ مِـــــن التطمـــــين حِصَّـــــته ... لأنـــــه جـــــادَ بالأيمـــــان والعهـــــد

وقاسَـــــمَ الأم أن الخيـــــرَ موعـــــدُها ... إنْ طـــابَ زرعٌ ســـيؤتي طيِّـــبَ الحَصـــد

فـــدونتْ إســـمَها فـــي الطِـــرس راضـــية ... ولـــم تُخـــوِّنْ ، عســـى الـــرحمنُ أن يهـــدي

ووَقعـــــتْ دون تأجيـــــل وَكالتهـــــا ... واســـتقبلَ العـــمُّ جَـــذلاً عاجـــلَ الـــرَّد

وقـــام عمـــي بمـــا يَخـــزى الجبـــينُ لـــه ... بـــرغم مـــا كـــان يُبديـــهِ مِـــن الزهـــد

بـــاعَ المَـــواردَ أغنتْنـــا مَكاســـبُها ... عـــن جُـــود (عَمْـــر) مِـــن الآنـــام ، أو (زيـــد)

فلـــم تعُـــدْ شـــركاتٌ نســـتعينُ بهـــا! ... كانـــت لأمـــي ولـــي مِـــن أنفـــع الرِّفـــد

غـــدَرت يـــا عـــمُّ ، والأعـــدا بنـــا شـــمتوا ... فمـــا مُبـــرِّرُ مـــا أتيـــت مِـــن كيـــد؟!

أمـــا حبـــاك أبـــي الأمـــوالَ وافـــرة ... جَلـــتْ عـــن الحَصـــر يـــا عَمَّـــاهُ والعَـــد؟!

ألـــم يَخصَّـــك بالعطـــاء أنـــت بـــه ... فـــي ذِروة العِـــز والتمكـــين والسَّـــعد؟!

ألـــم يُـــؤازرْك بـــالخيور مـــا صَـــرَفتْ ... عينـــاك عـــن نهمـــة الأطمـــاع والجَحـــد؟!

أنـــا اليتـــيمُ ، وهـــذا المـــالُ مـــالُ أبـــي ... وقبـــلَ فقـــدِ أبـــي ذاقَ الـــردى جـــدي

لا عَـــمَّ يُرجـــعُ مـــا اســـتحللت دون حيـــا ... بـــدافع الـــبُغض والشـــحناء والحِقـــد

ثـــم اغتربـــت عـــن الـــديار مُغتصـــباً ... أمـــوالَ أم وطفـــل كـــان فـــي المهـــد

وبـــــارك الله أمـــــوالاً ظفـــــرت بهـــــا ... عقـــداً ، ولمَّـــا تـــزرْ أهليـــك فـــي البُلـــد

ونحـــــن عِشـــــنا علـــــى نـــــوال كوكبـــــة ... مِـــــن الأماجـــد ، رامُـــوا جَنـــة الخُلـــد

مـــا ألجأونـــا بمـــا جـــادوا إلـــى أحـــدٍ ... والجُـــودُ أذهـــبَ ذِكـــرَ النهـــب والفقـــد

وأنـــــت ترتـــــعُ فـــــي أموالنـــــا غـــــرداً ... واهـــــاً لعـــــم علـــــى إهلاكنـــــا غِـــــرد!

وعُـــــدت تملـــــك آلافـــــاً مُؤلفـــــة ... وجئـــتُ أطلـــبُ حقـــي ، قلـــت: مـــا عنـــدي!

هيـــا اثبتـــوا حقكـــم ، حتـــى أعيـــدَ لكـــم ... أوراقكـــم أيـــن أتلوهـــا فأســـتهدي؟!

فقلـــتُ: يـــا عمَّنـــا ، دنيـــاك فانيـــة ... فامْهـــدْ لنفســـك خَـــفْ مِـــن ظلمـــة اللحـــد!

مـــا زادَ خـــذهُ ، وأرجـــعْ مـــا ســـرقت لنـــا ... حتـــى تعـــودَ لنـــا وشـــائجُ الـــود!

فقلـــت: لـــيس لكـــم فـــي ذِمتـــي ذهـــبٌ ... كـــلا ، ولا وَرِقٌ ، والـــزورُ لـــن يُجـــدي!

فعُـــدتُ يَصـــحبُني يـــأسٌ بُلِيـــتُ بـــه ... إذ مـــا لطغيـــان هـــذا العَـــمِّ مِـــن حَـــد!

وفيـــك فوضـــت رب النـــاس منتظـــراً ... عدالـــة الخـــالق المُهـــيمن المُبـــدي

ومـــا غفلـــتُ عـــن الـــدعاء أرســـلهُ ... والكـــف مُـــدتْ إلـــى رب الســـما الفـــرد!

وكنـــتُ واللهِ يـــا عمـــي علـــى ثِقـــةٍ ... مِـــن نصـــر رب يُعيـــدُ الحـــق للعبـــد!

فجاءنـــا نبـــأ أصـــمى مســـامعَنا ... مِـــن أن عمِّـــي قضـــى فـــي حـــادثٍ مُـــردي

وأســـرة العـــم يـــا للهـــول قـــد هلكـــتْ! ... وبـــت وحـــدي وريثـــاً لـــيس مِـــن نِـــد!

وعـــاد مـــالي ، وربُّ النـــاس ضـــاعفهُ ... وللمُهـــيمِن كـــلُّ الشـــكر والحمـــد

وبُـــدِّلَ الحـــالُ مِـــن ضِـــيق إلـــى فـــرَج ... والعـــيشُ كـــالبحر بـــين الجَـــزر والمَـــد!

نحن جاهزون للطلاق!

(عندما تستقوي زوجة ساذجة حَمقاءُ - بأهلها السفهاء - على زوجها ، فإنها وأولادها وحدهم يدفعون الثمن غالياً! ذلك أن زوجها يُمكنه بكل سُهولةٍ ويُسر أن يتزوجَ غيرها ، ويبدأ حياة جديدة ، ويُذيقها ويلاتِ الانقسام غير المبرر! ومناسبة هذه القصيدة أنَّ صِهراً أجرمَ في حق ابنته وزوجها ، وأحدثَ إجرامُه في حقهما طواماً ومشكلاتٍ! وعندما أرادَ زوجُ ابنته الإبقاءَ عليه صِهراً فقط بلا معاملاتٍ ، هاجَ وماجَ ، وأرغى وأزبد ، وقال قولته الملعونة: (نحن جاهزون للطلاق ، فهل أنت جاهز؟!) والله لقد كان صِهراً عجيباً ونسيباً غريباً ، ظل يُخطط مع ابنته للحيلولة دون عِزة زوجها وغِناه! وجعلاه بعد ثلاثة عقودٍ في الغربة في أغنى دولةٍ في العالم مَعوذاً يتكففُ اللقمة وينتظرُ نوالَ المحسنين! وساعدَهما على ذلك خُذلان أهل ذلك الزوج! فكانت الكرة في ملعب النسيب المَعتوه والصهر الأبله عقدين من الزمان ، يلعبُ بزوج ابنته كيف شاء ، ويتصرفُ في أمواله كما يشاء ، ويُشوِّه سُمعته ، وينالُ من عِرضه كيف شاء! ولما عاد الرجل من سفره وسأل عن ممتلكاته وممتلكات زوجته ، وسأله لماذا لا يُمنح الحرية المطلقة في إدارة المال وتولي زمام أسرته ككل زوج في الدنيا مسلماً أم كافراً؟! فأتى الرد يحمله الوسطاءُ الأمناءُ الصادقون: (هذا صايع ضايع في بلاد الغربة ، وهذه أموال ابنتي وعقاراتها ، ولا شيء له ، وزادَ حباتِ الطين بلة بقوله عن زوج ابنته: فلانٌ هذا بكابورت ، أي بالوعة أنا أدخلت ابنتي فلانة فيها وأنا الذي سأخرجها منها!) فلما استوثق الزوج من المصادر وقاسم أهلها بالله ، واستيقن أن الصهر المراوغ المغادع المتفحش الكاذب كان يخدعه بالله تعالى طِيلة هذه السنين ، قررَ أن يُطلق ابنته ، مادامت تباركُ صَنيعه المغالط الظالم! ولم يكن قرارُه عن هوى! لأنه لما رجع إليها ، وجدها تُقِر أفعال أبيها وكلماته القذرة الفجة التي تنم عن خلقه الذميم ، وتقول: (كل ما يقوله بابا صحيح وأنا معه!) فأدرك الرجل أنه أصبح ألعوبة في أيدي زوجته وأبيها وأهلها ، وأصبح أشبه ما يكون بالكُرة بين مضربين ، بل مجموعة مضارب! وأسرعت وتيرة الأحداث ، فلم تكن فرصة للتفكير المتروي العاقل الرزين! فواجه الزوج صهره وعلى قارعة الطريق وأمام ثنتين من بُنياته: (اسمع يا هذا ، لقد قررتُ أن أعيش من اليوم رجلاً ولو وراء القضبان ، ولا أعيش خروفاً أسيرُ خلفكما ، كما اعتدت على مدي عشرين سنة!) وبدلاً من أن يُراجع النسيب نفسه ، ويدرك أخطاءه وتجاوزاته ، راح يزيد حبات الطين بلة بقوله: (نحن جاهزون للطلاق ، فهل أنت جاهز له؟!) ويا لها من مفاجأةٍ أوسخ من الوسخ ، وأقذر من القذر ، وأسود من السواد! صِهرٌ ضَيَّعَ أسرة بأكملها بما فيها ابنته ، ولا يزال يزعمُ لنفسه أنه على حق ، فأخذتُ نصفَ عبارته العفنة ، لتكون عنواناً لهذه القصيدة ، لأعيد بذلك الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها في عالم كثر فيه اللغظ وطمَّت المغالطة ، وما ذلك كله إلا من باب الرخصة التي أعطانا الله إياها: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلِم)! وعاد الزوجُ إلى رُشده ، بعد أن نصحه الواعون بأن الضحية يا فلان هم أبناؤك السبعة! أنت ستتزوج ، وهي ستتزوج! فمن سيضيعُ وتُربيه الشوارعُ والملاجئ؟ ليس إلا أبناؤك! فهل أنت سطحيٌ وأنانيُ إلى هذا الحد؟! فاختار الرجلُ الإبقاءَ على زوجيةٍ مُهترئةٍ من أجل الأولاد!)

يـــا مُجْهِضـــاً أمســـي ويـــومي والغـــدِ قلبـــي أفـــاقَ مِـــن الخِـــداع الألكـــدِ

مازلـــت تلعـــبُ بـــي ، وتختـــرعُ الفِـــرى عنـــي ، وتفتعـــلُ الشـــجارَ ، وتعتـــدي

وأردتهـــا حربـــاً ضروســـاً تجتنـــي ... بسُـــعارها آمـــالَ قلـــبٍ مُكْمَـــد

وبـــذلت جُهـــدَك كـــي ترانـــي مُعـــدِماً ... مُتســـولاً أحيـــا علـــى مَـــدِّ اليـــد

واحتلـــت فـــي حَبْـــكِ الزيـــوف تســـوقها ... ليكـــون عَيشـــي كالخِضَـــم المُزبـــد

بَـــدَّدت مـــالي عامـــداً متعمـــداً ... أبـــئسْ بغـــدرة عامـــدٍ متعمـــد!

مازلـــت تكـــذبُ لـــم تـــردَّك شَـــيبة ... شَـــأنَ العُتـــاة المُفتـــرين العُنّـــد

فطلبـــتُ منـــك علـــى المَـــلا حُرِّيتـــي ... والنـــاسُ قـــد فهمـــوا مُنـــايَ ومَقصـــدي

قـــــررتُ إنهـــــائي لأي تعامُـــــل ... مـــع هـــازل مُـــتفحِّش مُتمـــرِّد!

أودتْ بنـــــا كَبَواتُـــــه وسُـــــقوطه ... واقتادنـــا نحـــو الهـــلاك المُرصِـــد

دَعنـــي أرتـــبُ كيـــف تحيـــا أســـرتي ... دَعنـــي بمـــا أبقيتـــه أبنـــي غـــدي!

وكفـــاك تبديـــداً ، وأبـــق علاقـــة ... دَمَّرتهـــا بغبائـــك المتبلـــد!

لمّـــا نكـــنْ أيتـــامَ ترعـــى شـــأنهم ... أو أعبُـــداً قهـــروا بـــأمر الســـيد!

لمّـــا نكـــنْ أســـرى لـــديك تســـومُهم ... سُـــوءَ العـــذاب ، وإنْ تُراجَـــعْ تُرعِـــد!

وطفقـــتَ تُوسِـــعنا بهُزئـــك ســـاخراً ... وتُـــذيقنا تكشـــيرة المُتوعِّـــد

عبثـــاً تُفكـــرُ أنْ نعـــودَ لِمَـــا مضـــى ... مُنِيَـــتْ وَشِـــيجتُنا بســـهم مُقصِـــد!

وفـــرْ مَلامَـــك والمُؤاخـــذة التـــي ... لـــنْ تُلـــبسَ الـــدَّيجورَ وَمضـــة فرقـــد

أطفـــيءْ أذى التـــوبيخ ، فـــات أوانُـــه ... كـــم زادَنـــا التـــوبيخُ خفقـــة أكبُـــد!

أتقـــولُ: بيَّـــتُم طلاقـــاً مُزمَعـــاً ... فـــي عِيشـــةٍ أمســـتْ كـــوادٍ أجـــرد؟!

أدليـــت فـــي التخبيـــب دلـــوَ مُسَـــعِّر ... للحـــرب تقـــذفُ بـــاللظى المُتوقـــد!

وحملـــت ســـيفاً لـــيس يَحملـــه العِـــدا ... وأنـــا أواجـــهُ لـــيس شـــيءٌ فـــي يـــدي

واللهُ خـــوَّلني لســـاناً مُفصِـــحاً ... أفـــري بمـــا يُلقِيـــهِ سَـــورة ألـــود

وجهـــرتُ أنْ أحيـــا بـــلا تبعيـــةٍ ... تُمْلـــى علـــيَّ مِـــن الأثـــيم المُعتـــدي

حتـــى وإنْ أودِعـــتُ سِـــجناً ضـــيِّقاً ... ألقـــى بـــه ذلـــي وأنـــة مُجهـــد

قضـــــبانه يومـــــاً ســـــتُروي قِصـــــتي ... عبـــرَ الـــبلاء المُكفهـــر الســـرمدي

حَمَّلتنـــــي مـــــا لا يُطِيـــــقُ ، وزِدْتنـــــي ... همَّـــاً علـــى هـــمٍّ ، فطـــالَ توَجُّـــدي

وقتلـــت سُـــمعة مَـــن أعـــزك فـــي الـــورى ... والقتـــلُ أهـــونُ مِـــن زوال السُـــوْدَد

أخطـــأتُ يومـــاً إذ تخِـــذتُك صـــاحباً ... والقلـــبُ قلبـــي طيـــبٌ غـــضٌ نَـــدِي

أنـــت الـــذي أبـــدَيت لـــي طبْـــعَ الوفـــا ... وتعصُّـــباً فـــذاً لسُـــنة (أحمـــد)!

وســـحَرتني بلطيـــف قولِـــك مُظهِـــراً ... حبـــي وهِمـــة ناصـــر ومُؤيِّـــد!

فخُـــدِعتُ فيـــكَ خديعـــة شَـــقِيتْ بهـــا ... نفســـي ، فلامتْنـــي ، فقلـــتُ لهـــا: رِدي!

هـــذا جزائـــي أنْ تُناصِـــبَني العَـــدا ... وتـــروحَ فـــي كيـــدٍ ، وطـــوراً تغتـــدي!

فوَّضـــتُ أمـــري فيـــك للمَـــولى الـــذي ... يـــأوي إلـــى لقيـــاه كـــل مُوحِّـــد

وهنـــاك يرجـــعُ كـــل حـــق خِلتـــه ... لا لـــن يعـــودَ لبـــائس مُترصـــد

بينـــي وبينـــك يـــا مُغـــالط مَوعِـــدٌ ... ســـيعودُ كـــل الحـــق فـــي ذا المَوعـــد

شـــوقي إلـــى حقـــي يُـــداعِبُ مُهجتـــي ... ويَســـوقني للحـــق شـــوقُ العُـــوَّد

أغلقـــتُ فـــي الـــدنيا ســـجلَ عِتابنـــا ... ليكـــون فـــي الأخـــرى أمـــام الشَّـــهد

يـــا رب أنصِـــفني ، وثبّـــتْ حُجَّتـــي ... لأبيـــت خيـــرَ مُوفـــق ومُسَـــدَّد

لمَّـــا طغـــى غيـــري ، وبـــالغ فـــي الأذى ... فـــوراً لجـــأتُ إليـــك ، لـــم أتـــردد

العـــدلُ أنـــت ، وهـــل كعـــدل مَليكِنـــا؟! ... فأعِـــدْ حقـــوقَ المُحســـن المُتعبِّـــد!

الله الله في شعر أبيكم!

(عندما يبلغ الشاعرُ من الكِبَر عِتِياً ، وينظرُ حوله فيجد عشيرته لا دين ينتظمُ حياتهم ، ولا أخلاقَ حميدة تربطهم ، بل يجدُ خُذلاناً وحِقداً وجَاهلية ، وإذا بالأصدقاء والأنساب والأصهار لا يختلفون كثيراً عن الأهل والعشيرة ، فإنه ينظرُ إلى شِعره نظرة المُوَدِّع للحياة! ويَستخلفُ عليه اللهَ رب العالمين من قبلُ ومن بعد ، ثم يوصي أولادَه بأن يهتموا بأشعاره نشراً وقراءة ودراسة وعملاً بما احتوتْه من الحق ، واجتناباً لما حوتْه من الباطل! فراح هذا الشاعر يُوصي أولاده ، عندما أحسَّ بقرب موته وقد بلغ الستين! وموتُه يعني أنه سوف يُودِّع الحياة الدنيا بأفراحها وأتراحها ، بأصدقائه فيها وأعدائه! فاشترى الشاعرُ كفنه ، وكتب وصيته ، وكان من بين سطورها وصيته أولاده بالاهتمام بشعره ، وأعلمهم بأن إكرام شعره من إكرامه ، وبر شعره من بره! وبيَّن لهم أنّ دَوره كان تأليف هذا الشعر وتحقيقه وتدقيقه وتنقيحه والدفع به إلى أهل الخبرة والنقد والتأليف ليضعوا بصماتِهم وتصحيحاتِهم عليه! ثم بيّن لأبنائه أنه قام بكتابة شعره بنفسه ، كما قام بصفه وإخراجه ونشره في دواوين وقصائد ومجموعات وعبر مواقع التواصل وعبر الإنترنت بمواقعه المختلفة! وتم له كل ذلك بتوفيق الله تعالى! وقام الشاعر بالشروع في كتابة قصيدة عنوانها: (اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم!) ، ثم تطورَ الأمرُ ، وارتأى أن يكون له ديوانٌ شعريٌ بأكمله يحملُ العنوانَ ذاته ، وتكون هذه القصيدة وريقة في شجرة هذا الديوان الباسقة! سائلاً الله العلي القدير أن يُتم عليه نعمته ويُكملَ هذا الديوان قبل أن يلقاه! وقال لأبنائه: أيها الأبناءُ اقرأوا هذا الشعرَ وادرسُوه وعلموه أبناءكم وزوجاتكم وأحفادكم ، وانشروه قدرَ المُستطاع ، واعملوا بكل حق حواه ، وانتهوا عن كل نهيٍّ نهى عنه بالدليل! واجتنبوا الباطل الذي احتواه! ولا تُزخرفوا به بيوتكم ، فما كتبتُه من أجل الزخرفة! وإن كان أبوكم قد عانى التهميش في حياته من القاصي والداني ، فلا ينبغي عليكم أبداً أن تُهمشوه بعد مماته! ألا إن هذا من العقوق! وأبناء الشاعر تزيد عليهم تبعة نشر شِعر أبيهم والاهتمام به!)

الحمـــــدُ لله تمجيـــــداً وتنزيهـــــا ... بمـــا اســـتحقَ مـــن العِبـــاد تأليهـــا

حَمـــداً يُناســـبُ أســـماءً لـــه حَسُـــنتْ ... مُستصـــحِباً بركـــاتٍ لســـتُ أحْصِـــيها

إنـــي لأحمَـــدُه ، وأســـتعينُ بـــه ... يَزيـــدُ نفســـي سُـــمُواً حَمـــدُ مُحييهـــا

واللهَ ربـــيَ أســـتهديهِ مُعتمـــداً ... عليـــه فـــي هـــذه الـــدنيا ومَـــن فيهـــا

أســـتغفرُ اللهَ مِـــن ذنبـــي ومعصـــيتي ... ومِـــن مَســـاوئ أعمـــال أعانيهـــا

وكـــم أعـــوذ بـــه مِـــن الشـــرور أتـــتْ ... نفـــسٌ لجـــوجٌ أعـــاقتْني بلاويهـــا!

مَـــن يَهـــدِه اللهُ طابـــتْ نفسُـــه ، وزكَـــتْ ... ومَـــن يُضِـــلَّ فمَـــنْ سِـــواه يَهـــديها

وأصـــدقُ القـــول مـــا الـــرحمنُ قائلـــه ... مُنشِـــي البريـــة ، مُنجيهـــا وهاديهـــا

وخيـــرُ هَـــدْي هُـــدَى (المُختـــار) أســـوتنا ... دعـــا البريـــة للـــرحمن باريهـــا

وكـــــل مُحدثـــــةٍ فبدعـــــة مُقِتـــــتْ ... وخـــــابَ عَبـــــدٌ بـــــدنيانا يُزكيهـــــا

وكـــــل بدعـــــةٍ المخلـــــوقُ أوجـــــدَها ... ضـــــلالة خبثـــــتْ ، وخـــــابَ مُمليهـــــا

وفـــــي الجحـــــيم ضـــــلالاتٌ يُرَوِّجُهـــــا ... خلـــقٌ غـــدَوا بـــالهوى بُلهـــاً مَعاتيهـــا

وبعـــــدُ أبنـــــائيَ الأحبـــــابَ أنصـــــحُكم ... إنَّ النصـــــيحة تُعلـــــي مَـــــن يُواليهـــــا

فلتعبـــــدوا اللهَ رَبـــــاً لا شـــــريك لـــــه ... مَـــــن يعبـــــدِ اللهَ حقـــــاً ينثنـــــي تِيهـــــا

وأخلِصـــــوا الـــــدينَ للمَـــــولى تطيـــــبُ لكـــــم ... مَعِيشـــــة عَظمـــــتْ جـــــداً دَواهيهـــــا

وتـــــابعوا (المصـــــطفى) فـــــي سُـــــنةٍ شـــــرُفتْ ... وعظمـــــوا نصَّـــــها حُبـــــاً وتنزيهـــــا

وراقِبـــــوا الله فـــــي شِـــــعري وفـــــي أدبـــــي ... قصـــــائدي بـــــدمي كـــــم عشـــــتُ أرويهـــــا

بـــــذلتُ فيهـــــا جهـــــوداً لا حُـــــدودَ لهـــــا ... وجَنـــــدَ الله مَـــــن بـــــالخير يُطريهـــــا

نقحتُهـــــا دُون تقصـــــير ، وعِشـــــتُ لهـــــا ... ومـــــا أردتُ بهـــــا دنيـــــا أجاريهـــــا

وكنـــــتُ حققـــــتُ فحواهـــــا وزبـــــدتها ... ومـــــا اكتفيـــــتُ بمـــــدح ســـــاقَ تاليهـــــا

وكنـــــتُ دَققـــــتُ مـــــا ســـــجَّلتُ مِـــــن صُـــــور ... لأن بعـــــديَ أجيـــــالاً ســـــترويها

ولـــــم أدَشِّـــــنْ لكـــــي أنـــــالَ مِـــــن عَـــــرض ... ومـــــا سَـــــلكتُ بأشـــــعاري مَســـــاويها

ولـــــم أجامـــــلْ بمـــــا قصَّـــــدْتُه أحـــــداً ... ولـــــم أنـــــوِّهْ إلـــــى التلميـــــع تنويهـــــا

ولـــــم أغـــــازلْ بـــــه فـــــي الـــــدرب ســـــاقطة ... ومـــــا اســـــتعرتُ لهـــــا وصـــــفاً يُحَليهـــــا

ولـــــم أشَـــــبِّبْ بـــــه يومـــــاً بغانيـــــةٍ ... أغـــــوي الأنـــــام بهـــــا عمـــــداً ، وأغويهـــــا

ولـــــم أوَصِّـــــفْ بـــــه القـــــدُودَ مائســـــة ... حتـــــى أزخرفهـــــا لـــــدَى مُحِبيهـــــا

ولـــــم أطوِّعْـــــه للطغيـــــان مُبتغيـــــاً ... منـــــه العطايـــــا ، ألا تعســـــاً لمُعطيهـــــا

ولـــــم أسَـــــخره للغنـــــاء مُشـــــتهياً ... ببذلـــــه شُـــــهرة تســـــمو بهاويهـــــا

ولـــــم أرَوِّجْ بـــــه ابتـــــداعَ مُبتـــــدِع ... واهـــــاً لبدعتـــــه ، وخـــــابَ داعيهـــــا

شِـــــعري أردتُ بـــــه رضـــــوانَ خالقنـــــا ... مرضـــــاة رب الـــــورى تُعطـــــى لباغيهـــــا

وَصِـــــيتي أكرمـــــوا أشـــــعارَ والـــــدِكم ... لا تُهملوهـــــا إذا ضـــــنتْ بَواكيهـــــا

مـــا كـــان أكرمَهـــا إذ كنـــتُ حارسَـــها ... وعشـــتُ بـــالرُّوح والـــدِّماء أفـــديها

فـــوق الرفـــوفِ كمثـــل الشـــمس مُشـــرقة ... وفـــي المَواقـــع تـــدعو مَـــن يُسَـــليها

وإذ رحلـــتُ فقـــد غِيضَـــتْ بشاشـــتُها ... لأنهـــا عـــدِمتْ شَـــهماً يُعَزيهـــا

تبيـــتُ مَكســـورة الجَنـــاح مُوجَعـــة ... فلـــيس مِـــن مُحســـن عَـــفٍ يُقوِّيهـــا

فلتقرؤهـــا علـــى الأحفـــاد فـــي شَـــغفٍ ... كـــي لا نـــرى المَـــوت بالإهمـــال يَطويهـــا

تفقـــدوها فقـــد ترجـــو مَعـــونتكم ... علـــى تعقـــب أســـقام تُقاســـيها

أوصـــيكمُ الخيـــرَ بالـــديوان أجمَعِـــه ... فيـــه القصـــائدُ مـــا جَفـــتْ مآقيهـــا

تنعـــى الـــذي صـــاغها فـــي أربعـــين مضـــتْ ... مِـــن عُمْـــر فـــذٍ ، وبالـــذكرى يُكافيهـــا

أمانـــة هـــذه الأشـــعارُ أتركُهـــا ... فلـــيس منـــي الـــذي يومـــاً يُجافيهـــا

عشـــرون أجزاؤهـــا مـــن بعـــد تســـعتها ... وزدتُ ترجمـــة فيهـــا حَواشـــيها

حتـــى أخلـــدَ ذكـــرى لا ســـبيل إلـــى ... نســـيان صـــاحبها الشـــادي بماضـــيها

أبنـــائيَ الشـــمَّ أعطـــوني مَـــواثقكم ... أنْ تـــذكروني بأشـــعاري ومـــا فيهـــا

وتطلبـــون مِـــن الـــرحمن رحمتـــه ... لراحـــل ذِكـــرُه حَكَـــتْ قوافيهـــا

سأعَلمها وأربِّيها!

(إنها لإحدى الكُبَر أن يَفترضَ عَريسٌ في عَروسه ما ليس فيها ، اعتماداً على أوهام خادعةٍ وآمال كاذبةٍ وأمان جوفاءَ وافتراضاتٍ لا تُمتُّ للواقع بصِلة! وذلك بقوله عنها: فيها خيرٌ كبير ، وعندها استعدادٌ أمثل! والأصلُ أنها إنْ لم تكنْ ذات دين وخُلق فلا يَقربْها ولا يُفكرْ في الزواج منها! ولا يَحلمْ كثيراً ولا يُوهِمْ نفسَه طويلاً! إنه والحال هكذا ليُجرمُ في حق نفسه وأولاده كل من يتزوجُ امرأة ليست ذات دين وخلق وأدب رفيع! ذلك أنها نبتتْ في بيتٍ جاهلي وإن ادَّعى الإسلامَ والسنة ، فلم تترب على العقيدة والتوحيد ، ولم تستق شريعتها وشعائرَها حية من الكتاب والسنة! وتبدأ الجريمة النكراءُ من يوم أن قال قيس الهوى (العريس) عن ليلى الغرام (العروس) فلانة بنت فلان بأن فيها خيراً كثيراً ، وبأن عندها استعداداً لتقبل أوامر الشريعة وفرائضها بدون جدال ولا نكوص ولا عدول ولا مجافاة! إن الآية واضحة النص والشرط والدلالة: (ولأمَة مؤمنة خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم) ، والحديث كذلك واضح النص والشرط والدلالة: (فاظفرْ بذات الدين تربتْ يداك!) وإذن فالآية لم تقل: (ولأمة فيها خيرٌ وعندها استعدادٌ خيرٌ من مشركة) ، وكذلك الحديث لم يقل: (فاظفرْ بمن فيها خيرٌ وعندها استعداد تربت يداك!) ولا يمكنُ افتراضُ شيءٍ مُفتقدٍ بأنه موجود! وأخطرُ منه قولُ أحدهم: سأعلمها وأربيها وأعجنها بيدي وأصنعها على عيني! تُعلّم مَن يا واهم؟! وتُربي مَن يا مَخدوع؟! وتصنعُ مَن يا جاهل؟! وتعجنُ مَن يا فرَّان؟! ويتم الزواج المزعوم ، فبدلاً من أن يُعلمها الإسلام ويُربيها على الأخلاق ويَعجنها بيده ويَصنعها على عينه كما توهم ، ذلك الواهم المخدوع الجاهل السفيه ، تُعلمه هي الجاهلية والسقوط! يا قوم ، ذاتُ الدين وصاحبة الإيمان وربَّة الخلق في ديار قومها كانت هكذا ، وقبل الاقتران بها هي كذلك! وإلا تكنْ كذلك فلا يتزوج منها صاحبُ خلق ودين! فإنها لن تعدِمَ جاهلياً مثلها! لا تعشْ يا عبد الله على الوهم الخادع!)

يُـــودِي افتـــراضُ الـــوَهم بالإنســـانِ ... ويُحِيلـــه مِـــن دَائـــن لِمُـــدانَ

وتهُـــدُّ عَزمَتـــه الظنـــونُ ، فـــلا يَعِـــي ... مِـــن أمـــره مـــا يرتقـــي بالشـــان

ويَصـــده التخييـــلُ عـــن دَركِ العُـــلا ... فيعـــيشُ بـــين النـــاس كالســـكران

ويَظـــل مَرهونـــاً بمـــا نســـجتْ لـــه ... أيـــدي الحـــوادث دونمـــا اطمئنـــان

أرأيـــت ظـــالمَ نفســـه مُتبلغـــاً ... أوجَ الفخـــار بنصـــره المُـــزدان؟!

كَـــذبَ الكُذيبـــة ، ثـــم صَـــدَّقَ مـــا حَـــوتْ ... مِـــن كـــاذب الأقـــوال والبُهتـــان

خـــدَعَ الجميـــعَ ، وقبْـــلُ خـــادعَ نفسَـــه ... وأتـــى الـــذي مـــا كـــان فـــي الحُســـبان

هـــو قـــدَّرَ الأشـــياءَ دُون تبصُّـــر ... مُستســـلماً لوســـاوس الشـــيطان

فكـــم اســـتكان لِمَـــا يُواجـــهُ مِـــن هَـــوىً! ... وحبـــاهُ الاستســـلامُ كـــلَّ هـــوان

هـــو قـــد رأى (لـــيلاه) أعقـــلَ غـــادةٍ ... عَنـــتْ لـــه فـــي عـــالم النســـوان

فيهـــا خُيُـــورٌ لـــيس يُحصـــى عَـــدُّها ... وجمالهـــا لمَّـــا تحُـــزه غـــواني

ويقـــول: الاســـتعدادُ أعظـــمُ طبعِهـــا ... وعلـــى الكـــلام أمـــارة البرهـــان

ويقـــول: تبكـــي إنْ صـــدعتُ بآيـــةٍ ... مِـــن حُبهـــا لـــتلاوة القـــرآن!

ويقـــول: تُشـــجيها الأحاديـــثُ التـــي ... قـــد دُونـــتْ فـــي سُـــنة (العـــدنان)!

ويقـــول: تُـــدمِعُها المَغـــازي سَـــردُها ... والـــدمعُ قـــد جـــادتْ بـــه العينـــان

ويقـــول: آمرُهـــا فتُبـــدي طاعـــة ... لـــم تُبْـــدِ لـــي شـــيئاً مـــن العِصـــيان

ويقـــول: أنصَـــحُها ، فتُنصِـــتُ للـــذي ... أزجيـــه مِـــن نُصـــح بكـــل تفـــان

ويقـــول: تأسِـــرُها المَـــواعظ نصـــها ... يـــدعو الـــورى للعلـــم والإيمـــان

ويقـــول: تســـلبُها التـــراجُمُ عقلهـــا ... أوَتَـــذهبُ الأخبـــارُ بالأذهـــان؟

وتزوجَـــتْ (ليلـــى) ، وبـــانَ عَوارُهـــا ... أوَلـــم تكـــنْ مِـــن عـــالم الإنســـان؟!

غـــدرتْ بقـــيس دون حـــق ، واعتـــدتْ ... وتمرغـــتْ فـــي المكـــر والخُـــذلان!

والجاهليـــــة ناولتْهـــــا حِصـــــة ... تُـــزري بكـــل عفيفـــة وحَصـــان!

كـــذبٌ ، وغِـــشٌ ، وامتهـــانُ كرامـــةٍ ... والكيـــدُ فـــي سِـــر وفـــي إعـــلان

والمكـــرُ بـــالزوج المَهـــيض جناحُـــه ... حتـــى يَبيـــت مُشـــتت الوجـــدان

وتـــآمرٌ يزكـــو ، وآخـــرُ يَجتنـــي ... صـــفوَ الحيـــاة وخفقـــة التحنـــان

وخديعـــة رحلـــتْ ، وأخـــرى أقبلـــتْ ... حتـــى تُـــؤجِّجَ جَـــذوة العُـــدوان

ومقالـــبٌ تلـــو المقالـــبَ تبتلـــي ... عبـــداً طوتْـــهُ لـــواعجُ الخســـران

ودَغـــاولٌ أضـــحى يُكابـــدُ نارَهـــا ... حتـــى اصـــطلى المظلـــومُ بـــالنيران

وتلـــذذتْ (ليلـــى) بحَـــرق حَليلهـــا ... بتطـــاول أفضـــى إلـــى الهجـــران

وإشـــاعة الفوضـــى بـــدون مُبـــرِّر ... أوَلـــيس مِـــن رُشْـــدٍ ولا رُجْحـــان؟!

مـــاذا دهـــاكِ لتفضـــحي مَســـتورَه؟ ... واليـــومَ أنـــتِ وذا الفتـــى خَصـــمان

مـــــاذا جنـــــى لينـــــال منـــــكِ مســـــاءة ... أمســـــتْ جـــــزاءَ الفضـــــل والإحســـــان؟

أوَلـــــم يُعِـــــزكِ يـــــا عـــــدوة نفســـــها ... فهـــــل العَـــــداءُ مُقابـــــلُ الشـــــكران؟!

والعيـــــبُ فـــــي (قـــــيس) وفـــــي تقـــــديره ... لمَّـــــا يَضَـــــعْ (لـــــيلاه) فـــــي الميـــــزان!

كـــــي يَســـــتبينَ لجاهـــــل مـــــا وزنُهـــــا؟ ... والـــــوزنُ لا يَخفـــــى علـــــى الـــــوزان

ألفـــــاكِ جاهلـــــة ، فأحسَـــــنَ ظنـــــه ... إذ لـــــم تكـــــوني فـــــي النســـــا بـــــرَزان!

وهـــــذى: علـــــيَّ إذا انتـــــوتْ تعليمُهـــــا ... عهـــــداً أرَبِّيهـــــا بـــــدون تـــــوان

لتكـــــونَ نبراســـــاً يُضـــــيءُ حَنادســـــاً ... وأعيـــــذها بالواحـــــد الـــــديان

فـــــإذا بهـــــا مِجهالـــــة لا ترعـــــوي ... للحـــــق رغـــــمَ حَداثـــــة الأســـــنان

تهـــــوى التبـــــرُّجَ مـــــن صَـــــميم فؤادهـــــا ... ويَسُـــــر مُهجتهـــــا ســـــماعُ أغـــــاني

هـــــل ذاتُ ديـــــن تســـــتطيلُ علـــــى الهُـــــدى ... وتُقابِـــــلُ التشـــــريعَ بـــــالنكران؟!

يـــــا قـــــيسُ بُـــــؤت بخيبـــــةٍ وندامـــــةٍ ... ومـــــن الحليلـــــة بُـــــؤت باســـــتهجان

ووجـــــدت نفسَـــــك فـــــي الحَضـــــيض مُجنـــــدلاً ... والـــــدمعُ قاســـــى شـــــدة الهميـــــان

لا الـــــدمعُ يُرجـــــعُ مـــــا خسِـــــرت مِـــــن المُنـــــى ... كـــــلا ، ولـــــن تحيـــــا بعـــــذب أمـــــاني

مـــــا دمـــــت تأمـــــلُ أن تُعَلّـــــمَ مَـــــن أبَـــــتْ ... أو أن تُربـــــي رَبَّـــــة الألحـــــان

ضِـــــدان مـــــا اجتمعـــــا: هَـــــوىً وهدايـــــة ... شـــــتان بـــــين الرُّشْـــــد والهـــــذيان!

وعســـــاك لقنـــــك التهـــــورُ درسَـــــه ... حتـــــى تُحَكِّـــــمَ شِـــــرعة الـــــرحمن

وعســـــاك تُبْـــــت مِـــــن الصَّـــــبابة ســـــيفها ... أردى بضـــــربته فتـــــى الفتيـــــان!

أخبره أني أخته!

(عسيرٌ على النفس أن تُعاني وتستعين بالآخرين في تزليل صعوباتها وحل مشكلاتها! ولكن ما باليد حيلة! وهذه امرأة ضاقت بها السبل ، فعمدتْ إلى رجل يملك قلباً رحيماً! وكان عند ظنها ، ونفعها الله به ، فأكرمها وأجزل لها العطاء! نعم امرأة مسكينة ضاقت أحوال زوجها وضوعفتْ أسقامه ، فذهبتْ إلى بيت رجل ميسور الحال مرتين في الغدوة وفي الصباح في يومين متتاليين ، في المرة الأولى كان الرجل الميسور هذا في رحلة صيدٍ في البرية ، وفي المرة الثانية طرقتِ الباب ، فخرج أحد الخدم ، وقال لها: ماذا تريدين؟ فقالت: أريد أن أقابل سيدك! فقال: من أنتِ؟ قالت: أخبره أنني أخته...والخادم يعلم أن سيده ليس عنده أخت. فدخل ، وقال لسيده: امرأة على الباب تدَّعي أنها أختك. فقال: ما وصفها؟ قال امرأة حشيمة عليها أوشحة ، وصوتها أسيفها لا نكاد نفهم منه شيئاً! فقال: أدخلها! فدخلت فقابلها بوجهٍ هاش باش ، وسألها قائلاً: من أي إخوتي يرحمك الله؟ فقالت: أختك من آدم. فقال الرجل الميسور في نفسه امرأة مقطوعة ، واللهِ سأكون أول من يصلها. فقالت: يا أخي ربما يخفى على مثلك أن الفقر مُرُّ المذاق ، ومن أجله وقفتُ مع زوجي على باب الطلاق! فهل عندكم شيئٌ ليوم التلاق ، فما عندكم ينفد ، وما عند الله باق! قال: أعيدي. فقالت: يا أخي ربما يخفى على مثلك أن الفقر مرُّ المذاق ، ومن أجله وقفت مع زوجي على باب الطلاق ، فهل عندكم شيئٌ ليوم التلاق؟ فما عندكم ينفذ ، وما عند الله باق. قال: اعيدي ، فأعادتِ الثالثة. ثم قال في الرابعة: أعيدي! فقالت: لا أظنك قد فهمتني ، وإن الإعادة مذلة لي ، وما اعتدت أن أذل نفسي لغير الله. فقال: والله ما أعجبني إلا حُسنُ حديثك ، ولو أعدتِ ألف مرة ، لأعطيتك عن كل مرةٍ ألف درهم! ثم قال لخدمه: أعطوها من الجمال عشرة ، ومن النوق عشرة ، ومن الغنم ما تشاء ومن الأموال فوق ما تشاء ، لنعمل شيئاً ليوم التلاق ، فما عندنا نحن البشر ينفد ، وما عند الله سبحانه باق!)

خَبَـــرْتُ بـــأمْرك يـــا مُصْـــلِحَة ... وأعجبنـــي القـــولُ ، مـــا أملحَـــهْ!

وأرهفـــتُ سَـــمْعي لمَنطوقـــه ... فكـــان الجـــديرَ بـــأن أمدحَـــه

فقلـــتُ: ألا كَـــرِّري نصَّـــهُ ... وقلبـــي تعَشَّـــمَ أنْ أشـــرحه

لعلـــي أفكِّـــرُ فيمـــا حـــوى ... مِـــن الفِكَـــر الفـــذة المُفصِـــحة

عليـــكِ مِـــن الثـــوب مَســـتورُه ... ومـــا كنـــتِ بالسَّـــلفع المُســـفحة!

وكـــم مِـــن وشـــاح طغـــى سِـــترُه! ... فبُوركـــتِ يـــا رَبَّـــة الأوشـــحة!

وقـــالوا: أتيـــتِ الغـــداة ضُـــحىً! ... فشـــرَّفتِ غاديـــة مُصْـــبحة

وقلـــتِ: وقولـــك مُســـتغلقٌ ... علـــيهم ، فمـــا فيـــه مِـــن صَحصـــحة!

لحُرَّاسِـــيَ المجـــدُ إذ جئـــتِهم ... فـــواللهِ ذي جيئـــة مُفرحـــة

وقولـــكِ يَهـــزمُ جـــيشَ العِـــدا ... ويُـــودِي كلامُـــكِ بالمَســـلحة

ولـــــــو أن جُنـــــــدِي دَرَوا شـــــــأنه ... لكـــــان أشـــــدَّ مِـــــن المَذبحـــــة

حَنانيـــــكِ هـــــذا الكـــــلامُ سَـــــبا ... جِنـــاني ، فـــرَدَّدتُ: مـــا أوضـــحه!

جميـــلُ العبـــارة ، عـــذبُ الشـــذى ... تأمَّلـــتُ فيـــه لأســـتروحه

يُـــذكِّرُنا بالمـــآل الـــذي ... حَقيـــقٌ علـــى الـــنفس أنْ تُصـــلحه

وإلا فعُقبـــى التـــرَدِّي (لظـــى) ... بحـــال مِـــن الـــذل مُســـتقبحة!

وأغـــلالُ تُـــورثُ نفســـي الأذى ... وتجعلهـــا – فـــي الـــبلا - مُقمَحـــة

معانيـــكِ تأسِـــرُ مَـــن ذاقهـــا ... وأمـــا المُـــرادُ فمـــا أفصـــحه!

وَعَيـــتُ مُـــرادكِ أختَ الهُـــدى ... وأدركْـــتُ مـــا فيـــه مِـــن مَصـــلحة

فـــأختي لآدمَ ، أســـدِي لهـــا ... عطـــاءً ، تِجارتُـــه مُربحـــة

سأســـعِدُ قلبَـــكِ يـــا أختنـــا ... بجُـــودٍ تُســـرِّين أنْ أمنحـــه

لأنـــكِ جئـــتِ بقـــول ســـما ... وكـــان أشـــدَّ مِـــن الأســـلحة

تربَّـــعَ فـــي القلـــب مَضـــمونُهُ ... ودُراتُـــه تُشـــبهُ المِســـبحة

أمـــرتُ بأجمـــالَ فـــي نوقِهـــا ... وبعـــضِ الغنيمـــات يـــا مُصـــلحة!

وقلـــتُ: مِـــن المـــال أعطـــوا لهـــا ... كمـــا تشـــتهي الفـــذة الدَّردَحـــة!

ليـــوم التلاقـــي أزيـــدُ العطـــا ... فمـــا أجمـــلَ الجُـــودَ بالبَحبحـــة!

ســـينفدُ - والله - مـــا عنـــدنا ... لمـــاذا التنـــاوُشُ والدَّردَحـــة؟!

وللشَّـــحِّ قـــومٌ تـــرَدَّوا بـــه! ... فهيهـــات للأجـــر أن يربحـــه

ســـوى مَـــن يجُـــودُ علـــى ســـائل ... ليُـــدركَ مِـــن جُـــوده مَطمحَـــه!

ويبقـــى الـــذي عنـــد رب الـــورى ... لتحظـــى بـــه الأنفـــسُ المُفلحـــة!

الأخت الكُبرى الضحية!

(كأنها ضريبة ذل فرضَتْ وكُتِبتْ على الأخ الأكبر والأخت الكبرى في هذا الزمان العجيب! يُضحِّيان لدرجةٍ لا حدودَ لها ، ثم يكون جزاءُ إحسانهما الإساءة الفجة لدرجة كذلك لا حدود لها! وضحية قصيدتنا أختٌ كبرى مخلصة ضحتْ بنفسها وأخرتْ زواجَها إلى سن الثلاثين ، بينما أخواتها النذلات لم يَردُّوا لها إحسانها بغير الإساءة! ولكن الله تعالى عوضها تعويضاً لا حدود لوصفه! فكيف بدأت قصتها ، وكيف انتهت؟! بدأت بأب ماتت زوجته ، ولديه (5) بنات ، تقدم لخطبتهن (4) رجال! فأراد الأب أن يزوِّج الكبيرة ثم التي تليها ثم التي تليها ثم التي تليها ، ولكن البنت الكبيرة رفضت الزواج لأنها أرادت أن تهتم بوالدها وتخدمه ، فزوَّج الأب أخواتها الأربع ، وجلست البنت الكبرى تهتم بوالدها وتعتني به حتى مات! وبعد وفاة الأب فتحوا وصيته ، فوجدوه قد كتبَ فيها: (لا تُقسموا البيت حتى تتزوج أختكم الكبيرة التي ضحَّت بسعادتها من أجل سعادتكم). ولكن الأخوات الأربع رفضن الوصية ، وأردن أن يبعن البيت لتأخذ كل واحدةٍ منهن نصيبها من الميراث ، دون مراعاة أين ستذهب أختهن الكبيرة التي ليس لها مأوى. ولما أحست الأخت الكبيرة أنه لا مفر من تقسيم البيت ، اتصلت بمن اشترى البيت ، وقصتْ عليه قصة وصيّة والدها ، وبأنها ليس لها إلا هذا البيت يأويها ، وعليه أن يصبر عليها بضعة أشهر ، لأنها أرادت أن تمكث في بيت أبيها حتى تجد لها مكاناً مناسباً تعيش فيه ، فوافق ذلك الرجل وقال: حسناً ، لا عليك. فتمّ بيع البيت ، وتم تقسيم ثمنه البيت على البنات الخمس ، وكل واحدةٍ ذهبت إلى بيت زوجها وهي في غاية السعادة ولم تفكر إحداهن في مصير أختهن الكبيرة ، ولكن الأخت الكبيرة كانت مؤمنة بأن الله لن يُضَيّعها لأنها لزمت مصاحبة والدها وعاشت في خدمته. مضت الشهور وتلقت الأخت الكبيرة اتصالاً من الرجل الذي اشترى البيت ، فخافت وظنت أنه سيطردها من البيت ، ولما أتاها قالت له: اعذرني أنا لم أجد مكاناً بعد. فقال لها: لا عليك أنا لم أحضر من أجل ذلك ، ولكني أتيت لأُسلِّمكِ ورقة من المحكمة ، لقد وهبتُ هذا البيت لك مهرًا ، إن شئتِ قبلت أن أكون لك زوجًا ، وإن شئتِ رجعت من حيث أتيت وفي كلتا الحالتين البيت لك. فبكت الأخت الكبيرة وعلمت أن الله لا يضيع عمل المحسنين ، فوافقت على الزواج من ذلك التاجر الثري ، وعاشت معه في سعادة تامة. زوج كريم ، وبيت أبيها! وقد قسم ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين) الإيثار وجعله على ثلاث درجات الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك دينًا ، ولا يقطع عليك طريقًا ، ولا يفسد عليك وقتًا. يعني أن تقدّمهم على نفسك في مصالحهم ، مثل أن تُطعمهم وتجوع ، وتكسوهم وتعرى ، الثّانية: إيثار رضا .وتسقيهم وتظمأ ، بحيث لا يؤدّي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدّين اللّه على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطّول والبدن وإيثار رضا اللّه عزّ وجلّ على غيره: هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلق وهي أن تنسب إيثارك إلى اللّه دون نفسك ، وأنّه هو الّذي تفرّد بالإيثار لا أنت الثّالثة: درجة الأنبياء فكأنّك سلّمت الإيثار إليه ، فإذا آثرت غيرك بشيء ؛ فإنّ الّذي آثره هو الحقّ لا أنت فهو المؤثر على الحقيقة ، إذ هو المعطي حقيقة).هـ. ويقول الدكتور مصطفى محمود: (الرحمة أعمق من الحب وأصفى وأطهر ، فيها الحب ، وفيها التضحية ، وفيها إنكار الذات ، وفيها التسامح ، وفيها العطف ، وفيها العفو ، وفيها الكرم ، وكلنا قادرون على الحب بحكم الجبلة البشرية ، وقليل منا هم القادرون على الرحمة). ويقول سعود السنعوسي: (التضحية الحقيقية هي أن نتخلى عن الأشياء التي لها قيمة لدينا لصالح الآخر ، أشياء لا تعوض). ويقول عبد الكريم بكار: (بشئ

من التضحية وشئ من التخلي عن حظوظ النفس يمكن للمرء أن يكون سنداً لشخص واحدٍ على الأقل). ويقول هاني السليمان: (التضحية هي جوهرة المروءة وهي التي تصنع السعادة بين البشر). وتقول وفاء شهاب الدين: (ليس من المهم أن تخبر من تحب أنك تضحي من أجله إنما المهم هو شعورك بأنه يستحق التضحية). وقال الأستاذ عارف الدوسري ما نصه : (قانون التضحية قانون جميل جدا قليلون الذين يعرفونه وأقل منهم الذين يطبقونه في حياتهم. كثير من الناس يضحون ويضحون كثيرا لكن تضحيتهم تذهب هباءً منثوراً. هم لا يعرفون معنى التضحية لأنهم يضحون بأنفسهم وبمستقبلهم وبكل الأشياء الجميلة في حياتهم لينتفع بها أشخاص آخرين. وإذا أردت أن تضحي ، فضحي من أجل نفسك لا من أجل الآخرين وبهذه الطريقة تصبح أقوى وأقدر على دعم ومساندة من كنت ستضحي بنفسك من أجلهم. وقانون التضحية هو التضحية بشيء منخفض القيمة للحصول على شيء ذا قيمة أعلى هذا هو كل شيء).هـ.

أهـــــديكِ خيـــــرَ تحيـــــةٍ وســـــلامِ ... يـــــا رَبَّـــــة الإحســـــان والإكـــــرامِ

وأعَطـــــرُ الترحيـــــبَ فـــــوَّاحَ الشـــــذى ... وأســـــوقُ للعصـــــماء عَـــــذبَ كلامـــــي!

وأزخـــــرفُ التفعيـــــلَ رَنـــــانَ الصـــــدى ... مُتبختِـــــراً فـــــي حُلـــــة الأنغـــــام

وأتـــــوِّجُ الســـــمحاءَ تـــــاجَ شَـــــرافةٍ ... مـــــن بعـــــد رَسْـــــم الفـــــصِّ بالمِرســـــام

وأخـــــصُّ بالشـــــعر الأصـــــيل أخيَّـــــة ... بلغـــــتْ ببـــــذل العُـــــرف خيـــــرَ مَقـــــام

وتفـــــرَّدَتْ فـــــي كـــــل جُـــــودٍ حِســـــبة ... للخـــــــالق المُتكبـــــــر العـــــــلام

وتجَـــــرَّدتْ مِـــــن حـــــظ نفـــــس تبتغـــــي ... عيشـــــاً ترفـــــعَ عـــــن دُجـــــى الآلام

وتجمَّلـــــتْ بالبـــــذل ينفـــــعُ غيرَهـــــا ... كـــــي ينعمـــــوا فـــــي غِبطـــــةٍ ووئـــــام

وتحمَّلـــــتْ أعتـــــى المواقـــــف ترتجـــــي ... للأهـــــل عيشـــــاً فـــــي بهـــــي ســـــلام

كـــــم كابـــــدتْ فـــــي العـــــيش دون شِـــــكايةٍ ... مِـــــن عجْـــــز قـــــدرتها مَـــــدى الأيـــــام!

كـــــم قـــــدَّمتْ مـــــن تضـــــحياتٍ جَمَّـــــة ... تُفضـــــي إلـــــى الأهـــــداف والآضـــــام!

كـــــم رتبـــــتْ أعتـــــى الأمـــــور بحِكمـــــةٍ ... بنتـــــائج فـــــي منتهـــــى الإحكـــــام!

كـــــم خططـــــتْ خططـــــاً لتُكْمـــــل دَورَهـــــا ... لـــــم تلـــــق مُـــــرَّ العـــــيش باستســـــلام!

كـــــم ناولـــــتْ نصـــــحاً بـــــدون تـــــرَدُّدٍ ... حتـــــى يكـــــون بـــــه بلـــــوغ مُـــــرام!

والأم ماتـــــت فـــــي ربيـــــع شـــــبابها! ... والكـــــل يُســـــقى مِـــــن كـــــؤوس حِمـــــام!

مَـــــن ذا ســـــيُكْمِل دَورَ أم قـــــد ثـــــوتْ؟! ... ســـــتقومُ ذي بالـــــدور خيـــــرَ قِيـــــام!

ســـــتُعوِّضُ الأخـــــواتِ عـــــن أم قضـــــتْ ... ليَعِشْـــــن فـــــي بُحبوحـــــة الإنعـــــام

ســـــيَجدْن أنســـــامَ الأمومـــــة غضـــــة ... أكـــــرمْ بمـــــا تُســـــديه مـــــن أنســـــام!

ولســـــوف ترعـــــى والـــــداً فـــــي شـــــيبه ... وتُحيطـــــــه بحنانهـــــا كغـــــلام!

والأبُّ قـــــال: تزوَّجـــــي ، واســـــتمتعي ... بـــــالعيش وفـــــق شـــــريعة الإســـــلام!

فالبَـــــدءُ بـــــالكبرى طريقـــــة قومنـــــا ... والعُـــــرفُ مُعتبَـــــرٌ لـــــدى الأقـــــوام

قالـــــت لـــــه: كـــــلا لأجلـــــك يـــــا أبـــــي ... ولســـــوف أحجـــــمُ غايـــــة الإحجـــــام

ستضـــــيعُ إنْ زوَّجتنـــــي يـــــا والـــــدي ... وأنـــــا سأشـــــربُ كُـــــدرة الإيـــــلام!

أنـــــا فـــــي جـــــوارك بَـــــرَّة وســـــعيدة ... أحنـــــو علـــــى الأهلـــــين والأرحـــــام

زوِّجْ أخيَّـــــاتي ، فهـــــذي رغبتـــــي ... ولســـــوف تســـــلمُ مـــــن شـــــديد مـــــلام

والأبُّ نفـــــذ مـــــا ارتأتْـــــه بُنيَّـــــة ... فتحـــــتْ عليـــــه بوعيهـــــا المتنـــــامي

ورحلـــــن عـــــن دار ســـــعِدْن بأنسِـــــها ... وتـــــركْن فيهـــــا قســـــوة اســـــتذمام

لـــــم يكتـــــرثن بوالـــــدٍ أمراضُـــــه ... كثـــــرتْ ، ولا يُشـــــفى مـــــن الأســـــقام

ثـــــم انقضـــــتْ أيامُـــــه ، وأتـــــى الـــــردى ... والمـــــوتُ مكتـــــوبٌ علـــــى الآنـــــام!

وأتـــــين فـــــي ثـــــوب الحِـــــداد قوانتـــــاً ... وعوابـــــداً فـــــي منســـــك الإحـــــرام

وزواهـــــداً فـــــي طِلبـــــة الإرث الـــــذي ... تـــــرك الفقيـــــدُ ، ودونمـــــا اســـــترحام!

وأردن بيـــــعَ البيـــــت رغـــــم وصـــــية ... بأخيـــــةٍ بَـــــذلتْ بـــــلا إرغـــــام

قلـــــن: الوصـــــية لـــــن ننفـــــذ نصـــــها ... حتـــــى ولـــــو قـــــد كـــــان حَـــــدُّ حُســـــام!

وأتـــــى إلـــــيهم مشـــــتر متعجِّـــــلٌ ... يبغـــــي الشـــــراءَ بدقـــــةٍ ونِظـــــام

فحكـــــتْ أخيَّـــــتُهم حكايتهـــــا التـــــي ... تُـــــدمي فـــــؤادَ المُخبـــــت الفهـــــام

والمشـــــتري لســـــجالهن فمـــــا ارعـــــوى ... والبيـــــعُ تـــــم بـــــدون أي سَـــــوام

ورجَتـــــه كُبـــــراهن إمهـــــالاً إلـــــى ... حَـــــل يُزيـــــلُ مـــــرارة الآلام

قالـــت: ســـأبحثُ عـــن بُيـــتٍ ، فـــانتظرْ ... واشـــــملْ بُكـــــائي والرجـــــا بلِثـــــام

قـــــالَ: اسْـــــتلمتُن النقـــــودَ ، فـــــوقعي! ... أنـــا عنـــكِ بعـــد اليـــوم لســـتُ أحـــامي

قالـــت: أوقـــعُ ، ثـــم أمـــنَحُ فرصـــة ... مـــن بعـــدها لـــن تلـــق أي مَـــلام

والعقـــدُ فـــي يُمنـــاك ، فـــأمَنْ جـــانبي ... تعســـــاً لقِرطـــــاس وللأقـــــلام

ومضـــى ، وأغلـــق مشـــهداً دمِعـــتْ لـــه ... عينـــانِ: كـــلٌّ سُـــربلتْ بقتـــام

وبقيـــتُ رهـــنَ هـــواجس ووســـاوس ... والجســـمُ فـــوق جَنـــادل ورُكـــام

يـــومٌ يمـــر ، وآخـــرٌ يـــأتي ، ولـــي ... فـــي ليـــل كـــلِّ أعجـــبُ الأحـــلام!

والمُهلـــة ارتحلـــتْ ، وجـــاء المشـــتري ... يبغـــي الوفـــاءَ بســـابق الإلـــزام

فبـــذلتُ فـــي اللقيـــا احتمـــالاً لاعجـــاً ... وصَـــمَتُّ صـــمت الـــوُثن والأصـــنام

وطفِقـــتُ أبحـــثُ عـــن كـــلام لائـــق ... لكـــنْ فمـــي لـــم يلـــق أي كـــلام

قـــال: الســـلامُ علـــى زعيمـــة قومهـــا ... لكـــنْ لســـاني عـــافَ كـــل كـــلام

فـــذكرتُ ربـــي ، وادَّكَـــرْتُ هُنيهـــة ... وأجبتُـــــه ، وبـــــدأتُ باســـــتعلام

إنْ كنـــت جئـــت تُريـــدُ بيتـــك ، فاصـــطبرْ ... لـــم ألـــق سُـــكنى ماجـــدين كِـــرام

والشـــــهمُ قـــــاطعني ، وأردفَ قـــــائلاً ... البيـــــت مُلكـــــك دونمـــــا اســـــتحكام

مَلّكْتُـــكِ البيـــت المَشَـــرَّفَ حِســـبة ... لا تســـــألي! أبـــــئسْ بالاســـــتفهام!

وإذا أردتِ زواجَنـــــا ، فاستبشـــــري ... أوليـــكِ حُبـــي – صَـــدِّقي - وغرامـــي

وإذا أردتِ البيـــــت دون زواجنـــــا ... فالعقـــدُ بـــين يـــديكِ فيـــه كلامـــي

فقـــرأتُ نـــص العقـــد ، والـــنفسُ احتفـــتْ ... والعـــينُ قـــد نظـــرتْ ســـنا الأختـــام

وقبلتُـــــه زوجـــــاً لتُشـــــرق عِيشـــــتي ... واللهُ عوضـــــني بـــــذا المقـــــدام

والمهـــرُ كـــان البيـــت ، يـــا لســـعادتي ... حمـــداً لـــرب النـــاس ذي الإكـــرام!

مـــا كـــان بـــي مـــن نعمـــةٍ أدركتُهـــا ... فمـــن الإلـــه الأكـــرم العـــلام!

الأعمى البصير!

(عسيرٌ على النفس جداً أن تعترفَ بعجزها وتقصيرها فيما لا تستطيعُه! وهذا العبقري فاجأ الأساتذة والجمهورَ باعتذاره عن كونه كفيفاً ، لا يستطيعُ أن يُصافحَ الأساتذة والحضورَ ويُرحبَ بهم! فأبكى بكلماته الجميع! وأنا لم أحضر ، ولكنني بكيتُ! وحولتُ بكائي شعراً بعنوان: (الأعمى البصر) ، لأنه بصيرٌ بالقرآن! وموضوع رسالته للماجستير: (قواعد التفسير عند القنوجي في كتابه فتح البيان في مقاصد القرآن من فاتحة الكتاب إلى التوبة) ، يا أستاذنا صدق ربك إذ قال: (فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)! وحصل الباحث الدكتور عبد الغني عوض ناجي ، على درجة الماجستير بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف من جامعة (تعز) في اليمن الشقيق! ويعتبر أول كفيف يحصل على الماجستير في الجامعة ، ويحفظ القرآن بالقراءات العشر! إن الإعاقة لا توقفُ المجتهد في طلب العلم!)

أنـــــت البصـــــيرُ بســـــاحة العُميـــــانِ ... لمَّـــــا انفـــــردت بصُـــــحبة القـــــرآنِ

أبكيـــــت بالكلمـــــاتِ مَـــــن سَـــــمِعوا لهـــــا ... أبقيـــــت دَمعـــــاً دُونمـــــا هَمَيـــــان

زفراتُـــــك الـــــدمِعاتُ لاعِجـــــة الجَـــــوى ... وتُثِيـــــرُ فينـــــا ســـــاكنَ الأحـــــزان

طرقـــــتْ مَســـــامِعَنا فبـــــثْن بَواكِيـــــاً ... ودُمـــــوعُهن بمـــــا صـــــدحت حَـــــواني

أتقـــــولُ أعمـــــى ، والبصـــــيرة أرسَـــــلتْ ... أنظارَهـــــا فـــــي البحـــــث فـــــي الفرقـــــان؟

تُـــــدلي بـــــدلو ، والـــــدِّلاءُ كثيـــــرة ... حتـــــى تصِـــــيدَ فرائـــــدَ العِقيـــــان

تـــــأتي بـــــدُرٍّ مـــــا اهتـــــدى لمكانـــــه ... عبـــــدٌ ، ومـــــا بَصُـــــرَتْ بـــــه عَينـــــان!

فعجائـــــبُ القـــــرآن ليســـــتْ تنقضـــــي ... هيهـــــات يُـــــدركُها بنـــــي الإنســـــان

وغرائـــــبُ القـــــرآن ليســـــتْ تنتهـــــي ... فلكـــــل لفـــــظٍ نضـــــرة ومعـــــاني

هـــو قـــد حـــوى نبـــأ الألـــى سَـــبقوا ، فلـــم ... يَـــذكُرْ لنـــا خبـــراً بـــلا تِبيـــان

هـــو قـــد حـــوى أخبـــارَ مَـــن لحِقـــوا بهـــم ... بفصـــيح ألفـــاظٍ وحُســـن بيـــان

هـــو قـــد حـــوى حُكْـــمَ الـــذي بـــين الـــورى ... بـــالقول فصـــلاً زِيـــنَ بالبُرهـــان

هـــو لـــيس هـــزلاً تُـــزدَرَى أقوالـــه ... ونصوصُـــه جَلـــتْ عـــن البُهتـــان

ومَـــن ابتغـــى فـــي غيـــره أنْ يهتـــدي ... رُزِقَ الضـــلالَ ورِبقـــة العِصـــيان

هـــو حَبْـــلُ ربـــي مَـــن بـــه اعتصـــموا نجَـــوا ... مِـــن سَـــيِّئ التضـــليل والخســـران

هــو للــورى الــذكْرُ الحكــيمُ لمَــن رجــا ... شــرفَ الــدنا ودخــولَ خيــر جنــان

وهــو الصــراط المســتقيمُ لســالكٍ ... ينجــو بــه مِــن ســاعر النيــران

هــو لا تزيــغ بهديــه أهواؤنــا ... بــل تهتــدي للخيــر والرُّجحــان

هــو لــيس مُلتبســاً علــى تــال لــه ... كــلا ، ولــم يَعضُــلْ بــأي لســان

وأولــو البصــائر والنهــى لــم يشــبعوا ... مــن آيــه أبــداً مــدى الأزمــان

هــو لــيس يَخْلَــقُ قــط مِــن تَــرداده ... فيــردِّدُ التــالون كــل أوان

يهــدي إلــى الرُّشْــدِ الأنــامَ إذا اهتــدوا ... بهُــداه عــن علــم وعــن إيمــان

مَــن قــال بالآيــات منــه فصــادقٌ ... صــدقاً لــه بُحبوحــة اســتيقان

والعــاملون بــه الفــلاحُ مصــيرُهم ... وبــرغم أنــف الكيــد والطغيــان

والحــاكمون بــه العدالــة نهجُهــم ... والحُكــمُ مُفتقــرٌ إلــى الميــزان

حتــى أتــى (عبــدُ الغنِــيِّ) مُفســراً ... لقواعــد التفســير دون تــواني

فتشــرفتْ بقدومــه (تعِــزٌ) ، وفــي ... ترحيبهــا شــيئٌ مــن الســلوان

"تعِــزٌ" غــداً تفنــى ، ويــذهبُ أهلهــا ... والبحــثُ فــي التفســير لــيس بفــان

فــي خيــر جامعــةٍ تبُــثُ علومَهــا ... مطبوعــة فــي صــفحة الــديوان

والضــيفُ جــاء لــه مقاصــدُ جمَّــة ... منهــا التمــاسُ نجاحِــه بأمــان

مــا قصَّــرَ الأقــوامُ فــي اســتقباله ... بــل بــالغوا فــي الجُــود والإحســان

هــم ثمَّنــوا مَجهــودَه وعطــاءَه ... ولــدى الأماجــد قِيمــة الأثمــان

هــم أكرمــوه ، وضــاعَفوا تكــريمهم ... فــي الســر قــد بــذلوه والإعــلان

منحــوه أســمى (الامتيــاز) تفضــلاً ... فتحققــتْ للفــذ عــذبُ أمــاني

يــا رب بــاركْهم ، وبــارِكْ سَــعيَهم ... وأظِلهــم بــالخير والرضــوان

واقبــلْ مِــن (الأعمــى البصــير) رســالة ... مُعتــزة الموضــوع والعنــوان

ذهب النشوز بالحب!

(الحب يُعمِي ويُصِم كما يقولون! وهذا الزوجُ العاشقُ كان قد غرقَ في الحب والعِشق والهُيام! الأمرُ الذي أعماه عن عُيوب عَشيقته! ثم أتمَّ الله تعالى عليه النعمة فتزوجَها! ولم يكن المسكينُ يعرفُ عن رعونتها ونشوزها وسوء خلقها لا الشيء الكثير ولا القليل! وصبرَ وصابرَ على عيشته معها رجاء أن يُصلحا الله ، وحاولَ الإصلاح! ولكن في نهاية المطاف ، ذهب النشوز المُزمِنُ بالحُب! وإن بقيت العيشة شكلاً لا حقيقة! فأنشدتُ حِكاية عنه هذه القصيدة!)

الحُـــب يُخفـــي كـــل عَيـــب يُـــزدَرَى ... ويُزيـــغ عينـــاً تشـــتهي أنْ تنظـــرا!

ويُصِـــم أذْنـــاً عـــن ســـماع مَعايـــب ... فتـــرى ســـماعَ العيـــب شـــيئاً مُنكـــرا

ويَصُـــدُّ عقـــلاً عـــن تفهـــم بـــاطلاً ... حتـــى يـــرى فهـــمَ الأمـــور مِـــن المِـــرا

ويَسُـــد أنفـــاً كـــي يُعطـــلَ شـــمَّها ... نتنـــاً كريهـــاً فـــي زواياهـــا سَـــرى

ويُسَـــكِّرُ الفـــمَ عـــن حـــديثٍ مُفصِـــح ... سَـــرَدَ الحقـــائقَ ، لـــم تُخالطهـــا الفِـــرى

الحُـــب يُـــزري بالمُحِـــب وعزمـــه ... ويعـــودُ بالبطـــل الهُمـــام القهقـــرى

ويُذِلـــه بـــين الخلائـــق عامـــداً ... ويَـــؤز جـــوهرَه ، وبعـــدُ المَظهـــرا

ويَقـــضُّ مَضـــجعَه ، ويُـــذهِبُ نومَـــه ... كـــي لا يـــذوقَ الغمـــضَ يومـــاً والكَـــرى

وينـــالُ منـــه كرامَـــة وشَـــرافة ... ونجابـــة بـــالأمس كانـــت فـــي الـــذرى

ويُحِيلـــه عبـــداً تعشَّـــقَ مـــا اشـــتهى ... وأطـــاعَ نفســـاً لا تُحِـــسُّ ولا تـــرى

الحُـــب يجعلـــه بليلـــى مُعجبـــاً! ... ويَبيـــتُ إعجـــابُ العشـــيق مُؤشـــرا

(ليلـــى) هـــي الـــدنيا وجنـــة عـــدْنِها ... وهـــي المـــدائنُ والحواضـــرُ والقـــرى

(ليلـــى) هـــي الـــوطنُ المُفضـــلُ والحِمـــى ... وهـــي الوشـــائجُ والعواصـــمُ والعُـــرى

(ليلـــى) هـــي الأنثـــى الوحيـــدة فـــي الـــدنا ... وكأنمـــا المـــولى ســـواها مـــا بـــرا

(ليلـــى) هـــي الحُـــبُّ المُضـــمَّخ بـــالهوى ... وفؤادُهـــا بالحُـــب أصـــبحَ خيِّـــرا

(ليلـــى) إذا ابتســـمتْ تبختـــرَ قيسُـــها ... صَـــلَفاً ، ووصَّـــفَ الابتســـامَ ، وثرثـــرا

(ليلـــى) لهـــا أســـمى المكانـــة عنـــده ... والقـــدْرُ مُـــذ يفعَـــتْ ، وشـــبَّتْ مُعصِـــرا!

(ليلـــى) إذا قالـــت ، فقـــولٌ صـــادقٌ ... فلســـانُها مـــا قـــال إفكـــاً مُفتـــرى!

(ليلـــى) إذا صـــمتتْ ، فـــذاك لحكمـــةٍ ... وصِـــماتُها يُغريـــه أن يستبشـــرا

(ليلـــى) إذا التاعـــتْ تـــألمَ واشـــتكى ... وتســـيلُ أدمعُـــه الســـخينة أنهُـــرا

(ليلـــى) إذا مرضـــتْ دهـــاهُ سِـــقامُها ... وشـــكا لعُـــوادٍ أتـــوْهُ ، وبَـــرَّرا!

(ليلـــى) إذا حزنـــتْ سَـــقتْه حُزونـــه ... كأســـاً مِـــن الشـــجوى أمَـــرَّ وأكـــدرا

(ليلـــى) إذا فرحَـــتْ لداعبَـــهُ الهنـــا ... وتـــراهُ أبـــدى ســـعدَهُ ، وتنـــدَّرا

(ليلـــى) إذا رَحلـــتْ يُتـــابعُ خطوَهـــا ... ولـــئنْ تعفـــرَ وجـــهُ مـــاش فـــي الثـــرى

(ليلـــى) هـــي الأهلـــون والصـــحبُ الألـــى ... قـــيسٌ يَحِـــقُّ لـــه بهـــم أن يَفخـــرا

فـــي حُبهـــا الولهـــانُ أدلـــى دَلـــوَه ... وببحرهـــا المســـكينُ غـــاصَ وأبحـــرا!

وغـــدا أســـيراً فـــي الغـــرام ، ولـــم يَـــزلْ ... والحُـــب جَرَّعَـــهُ العـــذابَ مُقنطـــرا

وطغـــتْ عليـــه ، وعنفتْـــه بحُســـنها ... عبـــداً لهـــا أمســـى ، وباتـــتْ قيصـــرا!

وتزوجَـــتْ ، فـــإذا النشـــوز طبيعـــة ... وجبلـــة تُـــردِي كآســـاد الشـــرى

وغـــدتْ بهـــا أحـــوالُ (قـــيس) صَـــعبة ... والحُـــب عـــن أنيـــاب كيـــدٍ كَشـــرا

ظهـــراً علـــى عقـــب بَـــدَتْ أحوالـــه ... والعِشـــقُ والأمـــلُ الكئيـــبُ تبعثـــرا

وتعثـــرتْ قـــدماه لمَّـــا تثبُتـــا ... مـــا ظـــن فـــي قدميـــه أنْ تتعثـــرا!

وتمَـــرَّدَتْ (ليلـــى) ، وناولـــتِ الأذى ... وعلـــى يـــديها ذاقَ مـــا قـــد قـــدِّرا

هـــمٌ وغـــمٌ واخـــتلالُ مَعيشـــة ... وكأنـــه مَكـــرٌ بليـــل دُبـــرا

ومكائـــدٌ تهُـــدِي اضـــطرابَ مشـــاعر ... والـــزوجُ بـــالترويض لا لـــن يشـــعرا!

وإذا الرعونـــة تجتنـــي أرجَ الهنـــا ... قسْـــراً ، ويُمســـى الكيـــدُ ســـيفاً مُشْـــهَرا

واسْتأســـدتْ (ليلـــى) ، وعافـــتْ (قيسَـــها) ... وعلـــى الأذى لـــم يســـتطع أن يصـــبرا

فرمـــى بموعظـــةٍ ، وأظهـــرَ حِرصَـــه ... فلعـــل حِرصـــاً أن يُعيـــدَ الجـــوهرا

واحتـــالَ فـــي طـــرح النصـــوص تكلفـــاً ... فلعـــل نصـــحاً أن يُفيـــدَ ويُثمـــرا

يـــا ليـــلَ أيـــن الحـــبُ يُـــدركُ حالنـــا ... ويُقِـــــيمُ وُداً بالرعونـــــة دُمِّـــــرا؟!

يـــا ليـــلَ أيـــن مـــودة ذهبـــتْ سُـــدىً؟! ... تعســـاً لمَـــن هـــذي المكائـــدَ فجَّـــرا!

الحُـــــبُّ ولـــــى ، وانقضَـــــتْ أيامُـــــه ... وأتـــى الـــذي كـــم عِشـــتُ منـــه مُحـــذرا!

أشـــمتِّ فـــيَّ مَـــن اســـتهانَ بحُبنـــا ... وتـــرين لـــي ولـــكِ الســـفيهُ تنكـــرا

يـــا ليـــلَ عُـــودي ، واســـتقيمي حِســـبة ... إن النشـــــوز بـــــلا دَواع يُـــــزدرى!

إنـــي أعيـــذكِ بالمليـــكِ ، فأســـجحي! ... وكفـــى الـــذي جَرَّعتِنيـــهِ ومـــا جـــرى!

كانـــت أمـــامي الغِيـــدُ ، فـــاخترتُ التـــي ... كانـــت أبـــرَّ مِـــن الجميـــع وأخيَـــرا

مـــا بالهـــا اليـــوم اســـتكانتْ للشـــقا ... وفؤادُهـــــا بالشـــــائعات تـــــأثرا

يـــا ليـــلَ دَمـــدمتِ الخطـــوبُ ، وزمجـــرتْ ... والقهـــرُ وَيـــحَ القهـــر ، هـــاجَ وزمجـــرا

والبيـــتُ أضـــحى كالســـفينة أبحـــرتْ ... لكـــنْ تُواجـــهُ ريـــحَ كيـــدٍ صَرصـــرا

فتحمَّلـــي مُـــؤنَ المعيشـــة ، واعتلـــي ... فـــرسَ الجـــلاد مجاهـــداً ومُظفـــرا

لـــكِ قـــد بـــذلتُ الخيـــرَ رغـــمَ خَصاصـــةٍ ... وبـــكِ ارتقبْـــتُ الفجـــر بَـــدراً نيِّـــرا

فجعلـــــتِ آمـــــالي لنيـــــل ســـــعادةٍ ... حُلمـــــاً تـــــأبَّى لحظـــــة أنْ يَخطـــــرا!

وهـــــذى نشـــــوزُك مُعلنـــــاً إفلاسَـــــنا ... والعـــيشُ مِـــن هـــذا النشـــوز تضَـــرَّرا

ذهـــــبَ النشـــــوز بحُبنـــــا وحياتنـــــا ... والعِشـــقُ لـــم يـــألُ الحبيبـــة مُنـــذِرا

لكنهـــــا لـــــم تنتبـــــهْ لوَعيـــــده ... وعليـــهِ دَمعـــي فـــي الـــبلاد تحـــدَّرا

للهُـــــم أبـــــدِلني بـــــزوج بَـــــرَّةٍ ... قلبـــي إليـــكَ بمـــا يُعـــاني أعـــذرا

فارحمْـــه مِـــن (ليلـــى) وقســـوة قلبهـــا ... وأنِلـــهُ مِـــن تقـــواكَ يـــا ربَّ الـــورى!

زوج رومانسي!

(لا يخلو بيتٌ من المشاكل والقلاقل! كما لا تخلو حياة زوجية من الخلافات والمعضلات! وتكون الحكمة في حلها لا في الهروب منها ولا في تعقيدها! وزوجُ قصيدتنا الرومانسي اخترعَ حلاً جذرياً موحداً لجميع المشكلات الزوجية ، ألا وهو أن يطلب من زوجته أن تلبس عباءتها وتأخذ سترها الكامل ، ويذهب بها إلى شاطئ البحر في مكان خلوي بعيداً عن العَجماوات الآدمية المُنفلتة من عِقال القيم وإسار الأخلاق ورباط المبادئ! ويأتي بعشاء فاخر تشتهيه ، ويقضيان ما شاء الله تعالى لهما من الوقت ، ثم يعود بها إلى البيت لتستأنف الحياة من جديد! وكأن شيئاً لم يكن! ويكون العهد والوعد بأن تكون هذه المشكلة الأخيرة بينهما! وهذا الزوج الرومانسي كان صادقاً مع نفسه ، ويعرف كيف يُقيِّم ويقوِّم نفسه جيداً ، ويدرك أنه حاد الطبع وعصبي المزاج ، وفي أغلب خلافاتهما لا تكون الزوجة سبباً مباشراً ، بل منه وفيه العيب والسبب! ومن هنا كانت الفسحة البحرية تعبيراً صادقاً عن اعتذاره عن سوء خلقه ، وفي الوقت نفسه هي مكافأة لها على صبرها واحتسابها! واستمر الأمر على ذلك سنوات! إلى أن سألتْه أخته عن سر هذا التصرف العجيب فأجابها بقوله: إن زوجتي يتيمة ، وليس لها أحد غيري كما تعلمين ، فإذا غضبتْ من سوء أخلاقي فإلى من تلجأ؟ وعند من تمكث؟ وإلى من تحكي مأساتها؟! ومن هنا اخترعتُ لها هذا العلاجَ النافعَ الناجع! والحمد لله تأتي النتائجُ مُبهرة! حيث تستقيمُ الحياة ، إلى أن تأتي مشكلة أخرى أو موقفٌ آخرُ فنعيدُ الكَرَّة! وأضاف الزوج الرومانسي المسلم لأخته توضيحه قائلاً: يا أختاه لم يرض الله تعالى الحزن للنساء! فقال في محكم كتابه عن أم موسى: (كي تقر عينها ولا تحزن) ، وقال عنها أيضاً: (ولا تخافي ولا تحزني) ، وقال عن زوجات نبيه: (أن تقر أعينهن ولا يحزن) ، وقال عن مريم البتول: (فناداها من تحتها ألا تحزني)! فحاولتُ في هذه القصيدة البسيطة المتواضعة أن أصف اعتذار هذا الزوج الرومانسي الحسَّاس ، بعيداً عن البحر ونسيمه وأمواجه وشاطئه ووجبته والعصير ، وذلك على البحر المجتث وقافية الدال!)

أراكِ فرحـــــــــــي وسَـــــــــعدي ... وسَـــــاعِدي فـــــي التحَـــــدِّي

وأنـــــتِ - فـــــي الضـــــيق - يُســـــري ... وأنـــــتِ - فـــــي الطـــــيش - رُشـــــدي

وأنـــــتِ - فـــــي الجـــــدِّ - عَـــــوني ... وأنـــــتِ - فـــــي الحـــــرب - جُنـــــدي

إمـــــــا غضـــــــبتُ اعـــــــذريني ... فأنـــــــــتِ أدرى بقصـــــــــدي

تمَكَّـــــــنَ الغـــــــيظ منـــــــي ... فكظمُـــــــه لـــــــيس عِنـــــــدي

وهَـــــــدَّني ضِـــــــيقُ نفســـــــي ... واللـــــــومُ مـــــــا عـــــــاد يُجـــــــدي

وبـــــــتُّ جَمـــــــرَة نـــــــار ... بُلِيـــــــتُ منهـــــــا بوَقـــــــد

فصِـــــــرتُ أظلِـــــــمُ غيـــــــري ... والظلـــــــمُ صِـــــــنوُ التعـــــــدِّي

ولـــــــم أراجـــــــعْ ضـــــــمِيراً ... ولـــــــم أقـــــــفْ عنـــــــد حَـــــــدي

ولـــــــم يَلمْنـــــــي فـــــــؤادي ... لومـــــــاً إلـــــــى الخيـــــــر يَهـــــــدي

وأنـــــــتِ عاينـــــــتِ حـــــــالي ضِـــــــداً يُـــــــؤدي لضـــــــد

ضـــــــحِيتي أنـــــــتِ دومـــــــاً وأنـــــــتِ مِـــــــن أهـــــــل وُدِّي

والعـــــــيشُ كـــــــالبحر صِـــــــدقاً مـــــــا بـــــــين جَـــــــزر ومَـــــــد

لا حـــــــالَ يبقـــــــى طـــــــويلاً حُـــــــزنٌ يَقـــــــودُ لســـــــعد

إمـــــــا اســـــــتبدَتْ رزايـــــــا دَعـــــــي حِمـــــــى المُســـــــتبد!

هيـــــــا إلـــــــى البحـــــــر هيـــــــا نحظـــــــى بأكـــــــل مُعَـــــــد!

ننـــــــأى عَـــــــن الضـــــــنكِ حتـــــــى نـــــــراه أفضـــــــى لهَـــــــود

عنـــــــكِ اطرحـــــــي كـــــــل ضِـــــــيق قاومتُـــــــه كـــــــل جُهـــــــدي

نســـــــتودِعُ البحـــــــرَ سِـــــــراً لا ننتـــــــوي أيَّ عَـــــــود

بـــــــل نســـــــتقيمُ احتســـــــاباً وذاك أبلـــــــغ رَد!

ولا نُمكِّـــــــنُ طيشـــــــاً فـــــــالطيشُ أشـــــــرسُ قيـــــــد

أعطيـــــــكِ عهـــــــداً أكيـــــــداً إنْ كـــــــان يُرضـــــــيكِ عهـــــــدي

وبعـــــــدَ عهـــــــدي ســـــــأعطي وعـــــــداً ، فأضـــــــغي لوَعـــــــدي!

ألا أذيقـــــــكِ عِنـــــــداً وأنـــــــتِ تـــــــدرين عِنـــــــدي

فخلـــــــي عنـــــــكِ انتقـــــــادي وســـــــوف أحـــــــبسُ نقـــــــدي

بـــــــئسَ التعـــــــايشُ يُقضـــــــى مـــــــا بـــــــين بَـــــــرق ورَعـــــــد

يتيمتـــــــي لا تُبـــــــالي أنـــــــا الأقـــــــاربُ وحـــــــدي

حَليلـــــــكِ الفـــــــذ شَـــــــهمٌ يـــــــأوي لجنـــــــة خُلـــــــد

يَهـــــــوَى جـــــــوارَكِ ، لكـــــــنْ بـــــــدون إيقـــــــادِ حَـــــــرد

أدامَ ربـــــــي علينـــــــا عِـــــــزاً وبُلغـــــــة مَجـــــــد

عليـــــــكِ ذِكـــــــرُ إلهـــــــي مـــــــا بـــــــين شُـــــــكر وحَمـــــــد!

أربعة قروش كل يوم!

(خرج أحد الملوك يتنزه ، فرأى فلاحاً يَحرثُ الأرض وهو مسرورٌ يُغني في نشاطٍ وابتهاج: فسأله الملك وقال له: أيها الرجل أراك مسروراً بعملك في هذه الأرض ، فهل هي أرضك؟ فقال الفلاح: لا يا سيدي ، إنني أعمل فيها بالأجرة اليومية. قال الملك: وكم تأخذ من الأجر على هذا التعب في اليوم الواحد؟ قال الفلاح: أربعة قروش كل يوم. قال الملك: وهل تكفيك؟ قال الفلاح: نعم تكفيني ، وتزيد ، قرشٌ أصرفه على عيشي ، وقرشٌ أسدِّدُ به ديني ، وقرشٌ أسلفه لغيري ، وقرشٌ أنفقه في سبيل الله. قال الملك: هذا لغزٌ لا أفهمه! قال الفلاح: أنا أشرحُ لك يا سيدي: أما القرش الذي أصرفه على عيشي ، فهو قرشٌ أعيشُ منه أنا وزوجتي؟ وأما القرشُ الذي أسدد به ديني ، فهو قرشٌ أنفقه على أبي وأمي ، فقد ربياني صغيراً ، وأنفقا علي وأنا محتاج ، وهما الآن كبيران لا يقدران على العمل والكسب! وأما القرش الذي أسلفه لغيري ، فهو قرشٌ أنفقه على أولادي ، أربيهم وأطعمهم وأكسوهم حتى إذا كبروا ، فهم يردون إلي السلف حين أكبر! أما القرش الذي أنفقه في سبيل الله ، فهو قرشٌ أنفقه على أختين مريضتين مسكينتين محتاجتين! فقال الملك: أحسنت يا رجل ، وترك له مبلغاً من المال ، وتركه وهو متعجب من حكمته! وهذا هو الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ في ذكرياته ، يورد قصتين في التمهيد لها فأما القصة الأولى: (لقد كان شيخ أبي الشيخ سليم المسوتي ـ رحمه الله ـ على فقره لا يرد سائلاً قط ، ولطالما لبس الجبة أو الفروة فلقي برادنًا يرتجف فنزعها فدفعها إليه وعاد إلى البيت بالإزار ، وطالما أخذ السفرة من أمام عياله فأعطاها السائل ، وكان يومًا في رمضان ، وقد وضعت المائدة انتظارًا للمدفع ، فجاء سائل يقسم أنه وعياله بلا طعام ، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته وفتح له وأعطاه الطعام كله؟ فلما رأت ذلك امرأته ، ولولت عليه وصاحت وأقسمت أنها لا تقعد عنده ، وهو ساكت ، فلم تمر نصف ساعة حتى قُرع الباب ، وجاء من يحمل أطباقًا فيها ألوانًا من الطعام والحلوى والفاكهة ، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا الخبر أن [الأمير] كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا فغضب وحلف ألا يأكل من الطعام ، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ سليم المسوتي رحمه الله تعالى! وأما القصة الثانية: فهي قصة المرأة التي سافر ولدها ، وكانت قد قعدت يومًا تأكل وليس أمامها إلا لقمة إدام وقطعة خبز ، فجاء سائل فمنعت عن فمها اللقمة وأعطته إياها ، وباتت جائعة ، فلما جاء الولد من سفره جعل يحدثها بما رأى في سفره ، قال: ومن أعجب ما مرَّ بي: أنه لحقني أسد في الطريق ، وكنت وحدي فهربت منه ، فوثب علي وما شعرت إلا وقد صرت في فمه ، وإذا برجل عليه ثياب بيض يظهر أمامي فيخلصني منه ، ويقول: لقمة بلقمة ، ولم أفهم مراده. فسألتُه أمه عن وقت هذا الحادث وإذا هو في اليوم الذي تصدقت فيه على الفقير ، نزعت اللقمة من فمها لتنفقها في سبيل الله ، فنُزِع ولدُها من فم الأسد). انتهى كلامه رحمه الله تعالى! وعود إلى فلاح قصيدتنا صاحب الأربعة قروش! أعجبني جداً جواب الفلاح البسيط ورد الملك. وحوَّلتُ إعجابي قصيدة على قافية القاف ومُخَلع البسيط!)

فـــــــي رَدِّهِ مُخْلِـــــــصٌ صَـــــــدوقُ ... والقـــــــولُ مُســـــــتعذبٌ رَقيـــــــقُ

لـــــم يَشْـــــكُ حـــــالاً عليـــــه ضـــــاقتْ ... شـــــكواه ليســـــت بـــــه تلِيـــــق

بـــــل واجـــــهَ الصـــــعابَ بالتحَـــــدِّي ... يَقـــــودُه عزمُـــــه الوثيـــــق

فـــــي جـــــدِّه زايـــــلَ التـــــدني ... فالوصـــــفُ بالـــــدَّون لا يليـــــق

ويلفِـــــظ الـــــدربَ مَـــــن تـــــدَنى ... فالـــــدَّربُ بـــــالهزل كـــــم يَضـــــيق!

ويُســـــألُ الفـــــذ عـــــن مَعـــــاش ... وعـــــن مَعيشـــــةٍ ، فهـــــل يُطِيـــــق؟!

فقـــــال: عيشـــــي يَتِيـــــه فخـــــراً ... ولا يُـــــرى فـــــي المَعـــــاش ضِـــــيق

ومالـــــكٌ فيـــــه قـــــوت يـــــومي ... حُـــــرٌ أنـــــا - فـــــي الـــــدنا - طليـــــق

وتكتفـــــي زوجتـــــي بقـــــرش ... وطعمتـــــي التمـــــرُ والسَّـــــوِيق

كـــــذلك الوالـــــدان قـــــرشٌ ... مِـــــن دَيـــــن الاثنـــــين لا مُـــــروق

وللعِيـــــال اقتطعـــــتُ قِرشـــــاً ... قـــــرضٌ لهـــــم دَفعُـــــه وَثيـــــق

وفـــــي ســـــبيل الإلـــــه قِـــــرشٌ ... وهكـــــذا تُبـــــذلُ الحقـــــوق

مِـــــن أجـــــل أختَـــــيَّ كـــــم أعـــــاني! ... وإننـــــي - بالعطـــــا - خليـــــق!

يـــــا مالـــــك الـــــدار ذاك شـــــأني ... وفـــــي الـــــذي قلتُـــــه صـــــدوق

ولـــــم أزخـــــرفْ حُـــــروفَ قـــــولي ... ويَشـــــهدُ الزفيـــــرُ والشـــــهيق!

فسُـــــرَّ مِـــــن صِـــــدقه مَليـــــكٌ ... فـــــؤادُه طيِّـــــبٌ شـــــفيق

وأجـــــزلَ الجُـــــودَ ، لـــــم يُسَـــــوِّفْ ... فـــــالجُودُ تجـــــري بـــــه العُـــــروق

وللعطـــــاء الجميـــــل أهـــــلٌ ... ومَجـــــدُهم - فـــــي الـــــورى - عريـــــق

واللهُ يَجـــــزي علـــــى العطايـــــا ... حتـــــى يَـــــرى العبـــــدُ مـــــا يَشُـــــوق

ضحايا الروتين اليومي!

(لهزال الصلة بين بعض أشباه الرجال وبين زوجاتهم ، ولضعف الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، ولطغيان حُب التربُّح من المال الحرام ، يَعمَد هذا البعضُ من أشباه الرجال هؤلاء إلى سلوكياتٍ مُزرية وتصرفاتٍ مُخزية ، تحت مُسميات شتى منها إخراج حلقات خاصة بالطبيخ والغسيل والتنظيف والابتكار في التدبير المنزلي ، ويُعطونها اسم: (الروتين اليومي) تلك التسمية الملعونة الفجَّة القذرة التي أخذوها عمداً عن غير المسلمين في وسائل تواصلهم الاجتماعي: (Daily Routine) ، والغربيات – وفقاً لتقاليدهن وعقائدهن – لا يُبالين بلباس ولا بهيئةٍ ولا بتبرج مَشبوه ، ولا بسفور مَعتوه ، ولا بأسلوب كلام مَكروه ، ولا بحركات قوام مَشدوه! فإذا بنا نجد بعض المتمسلمات أو المسلمات المخالفات عن هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – يفعلن نفس المخالفات الدنيئة والممارسات القذرة التي لا يألفها ولا يُقرها الطبعُ القويم ، ولا الذوق المستقيم ، ولا العقل السليم ، فضلاً عن الشرع المطهر الحكيم! ودليلنا على تدينهن في الظاهر – ولو صورياً بالإسلام – طلبُهن المُلِح المتكرر بين الفينة والفينة من المشاهدين والمشاهدات – ذكرَ الله تعالى ودعاءَه وتسبيحَه والصلاة على نبيه – صلى الله عليه وسلم -! وللأسف الشديد أن أحدهم يقوم بتصوير زوجته بملابس نومها مثلاً ، وهي تُرتب سريرها ، أو وهي تكنس غرفتها وتنظفها ، أو وهي تغسل أو تنظف ، بحُجة إفادة النساء الأخريات ، هذا في ظاهر الأمر ، بينما الحقيقة هي نشرُ الفاحشة في المجتمعات ، بداعي الحصول على المشاهدات وكسب المال الحرام! ونحن نسأل: ما علاقة الطبيخ والتنظيف والتغسيل والتصنيع والابتكار بالعُري البهيمي الفاضح؟! وعلى هذا يكون الضحايا ثلاثة فرقاء: المصورون الديوثون على أعراضهم ، والزوجات الساقطات المنحلات ، والجماهير المراهقة التي تتعبدُ شهواتها ونزواتها من دون الله تعالى! وذات يوم اختلفتْ إحداهن مع زوجها ، فقالت له مبكتة موبخة: لا تنس أن المال الذي ربحته كنتُ أنا سبباً مباشراً فيه ، ولولاي ما كانت عندك هذه الأموال ولا تلك الأبهة! وكذلك قال الزوج الديوث لزوجته ، وزاد بأنه لولا تصويرُه الاحترافي البارع – على حد قوله - ما آل إليها ذلك المال! وكانت مناظرة مُزرية مُخزية تُصيبُ سامعَها بالخِزي والعار والشنار! الأمر الذي دعاني إلى تصوير هذه المناظرة شعراً ، لا لنتلذذ بالخِزي والعار أو نشمت في أصحابه ، وإنما لنعتبر ونتعظ ، ونشكر الله تعالى ونحمده ، أن طهرنا وطهر أعراضنا ونساءنا وبناتنا من هذا التردي والسفول والانحطاط والسقوط! وأوجِّه نصيحة لهؤلاء الحمقى والمغفلين من الفرقاء الثلاثة ، وأدعوهم إلى التوبة إلى الله تعالى! أما الأخوات المؤمنات الحشيمات الوضيئات المتوضئات الطاهرات اللائي أعددن فيديوهات محترمة عن تدبير شؤون المنزل من طبيخ وتنظيف وتغسيل وتصنيع وابتكار بشروط شرعنا الكريم ، فلا سُفور فيها ولا أصوات ماجنة مائعة ، وإنما هي في غالبها صامتة وتأتي المقادير والإرشادات مكتوبة على الشاشة ، فهؤلاء لا يدخلن من قريب ولا من بعيدٍ في قصيدتي ، بالعكس فإنني كتبتُ فيهن قصيدة أطريهن ، وأبارك مساعيهن الحميدة ، والقصيدة عنوانها: (زوجاتٌ مبتكرات) لمن أرادها ، فليلتمسْها في الويب ، فهي مُتاحة كسائر أشعاري مَجانية!)

كـــم يَعصِـــفُ (الـــرُّوتينُ) بالنســـوانِ ... ويُحِـــيلهن حَبائـــلَ الشـــيطانِ!

ويُكَشِّـــفُ العَـــوراتِ دون مُبَـــرِّر ... وهنـــاك فـــي (بُوســـتاتِهم) بُرهـــاني

جَنـــــدَلتُ منشـــــوراتِهم بيَراعتـــــي ولـــو اســـتطعتُ وَجَأتُهـــا بسِـــناني

هــل هانــتِ الحُرُمــاتُ يــا سَــفَلَ الــورى! وغـــدَتْ تُبـــاعُ اليـــومَ بالمَجَّـــان؟!

أيـــن الكرامـــة إذ غـــدَتْ أعراضُـــكم فـــي الســوق أرخــصَ مِــن عصــا الكُهَّــان؟

أيـــن الشـــرافة يـــا غثـــاءَ دِيارنـــا يـــا رِمَّـــة الأصـــقاع والأوطـــان؟!

والعِـــز أيـــن؟ وأيـــن وَلـــى سُـــؤدَدٌ فـــي زحمـــة التغريـــب والعِصـــيان؟!

مـــا قِيمـــة الإنســـان إنْ فقـــد الحيـــا وحيـــا يُرَقـــعُ عِيشَـــه بهـــوان؟!

مـــاذا يُفِيـــدُ المـــالُ إنْ ذهـــبَ الهُـــدى وتمَكَّـــنَ التضـــليلُ كـــل أوان؟!

أوَلـــيس مِـــن عقـــل يُغلّـــبُ رُشْـــدَه؟! لا خيـــرَ فـــي عبـــدٍ بـــدون جنـــان!

يـــا قـــوم أيـــن الرشـــدُ فـــي (رُوتينـــكم) لتـــرى العيـــونُ مَفـــاتنَ النســـوان؟!

والـــزوجُ مَـــن هـــو للحليلـــة حـــارسٌ راع ومســـؤولٌ ، فبـــات الجـــاني!

هـــو مَـــن يُصـــوِّرُ زوجـــة لـــم تحتـــرمْ شـــرعاً ، لـــذا ظهـــرتْ بـــدون صِـــيان

هـــو مَـــن أجـــازَ لهـــا التكَشُّـــفَ بـــالهوى تعســـاً لـــديوثٍ وزيـــر غـــواني!

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ مـــا يُعَـــرِّي راضـــياً مِـــن فـــاحش (المكيـــاج) والفســـتان!

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ عابثـــاً حركاتِهـــا حتـــى تُـــوَجِّجَ شـــهوة الهَيْمـــان

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ هـــازلاً ألفاظهـــا حتـــى تـــوَزَ مســـامعَ الصُّـــمَّان

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ عامـــداً نظراتِهـــا حتـــى تُثِيـــرَ غريـــزة الشـــهوان

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ واعيـــاً خطراتِهـــا كـــي تَســـتفزَ بصـــائرَ العُميـــان

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ مـــا تُـــرَدِّدُ مِـــن دُعـــا حتـــى تُغطـــيَ دُعرَهـــا بتفـــاني

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ أغنيـــاتِ لقائِهـــا حتـــى تُزخـــرفَ عُهرَهـــا بأغـــاني

هـــو مَـــن تخيَّـــرَ للـــورى (رُوتينهـــا) حتـــى يُمَـــرِّرَ فِســـقها بأمـــان!

هـــو مَـــن تخيِّـــرَ قانعـــاً قصَّـــاتِها حتـــى تُبـــدِّدَ غفـــوة الســـكران

هـــو أمســـك (الكـــاميرا) تُتـــابعُ هزلهـــا كـــي تَـــذهَبَ اللقطـــاتُ بالشـــرهان

تخِـــذا الطبـــيخَ لِمَـــا أرادا سُـــلماً! وتحققـــتْ – للمجـــرمَيْن - أمـــاني

تخِـــذا مـــن التغســـيل بابـــاً للخنـــا والأمـــرُ مَكشـــوفٌ لـــذي عِرفـــان

حتـــى إذا افتُضِـــحا ، وكـــان تراشـــقٌ بـــذخائر اللعنـــات والعـــدوان

ظهـــرتْ فضـــائحُ يَســـتحي مِـــن ذِكرهـــا جهـــراً علـــى التحقيـــق بعـــضُ زوانـــي

فتقـــولُ ســـاقطة: نحلتُـــك نِعمتـــي مـــاذا تُفيـــدك لهجـــة النكـــران؟!

وارجـــعْ إلـــى (البوســـتات) تُـــدركْ مِنتـــي إمـــا رجعـــت ، أقِـــرَّ بالإذعـــان

ضَـــحَّيتُ بالغـــالي النفـــيس تَحـــايُلاً وأراك تُنكِـــرُ جهـــرةً إحســـاني

واليـــوم أدركـــت الغنـــى بتفضـــلي مـــن بعـــد فقـــر كـــان فـــي الحُســـبان

والنـــاسُ قالوهـــا بـــدون تحفـــظٍ هـــذا عطـــاءُ (فلانـــةٍ) لفـــلان!

لـــولايَ أســـلمَك احتياجُـــك للـــردى يـــا صـــاح زايـــلْ لوثـــة الكُفـــران!

والـــزوجُ قاطعَهـــا ، وعَقـــبَ قـــائلاً: خـــلِّ التزيُّـــدَ ، لســـتُ بـــالخمران!

حتـــى أصَـــدِّقَ طائعـــاً كذابـــة أقوالهـــا لـــونٌ مِـــن الـــبُطلان

أو أنْ أصـــدِّق عـــاقلاً (فشَّـــارة) ألفاظهـــا ضَـــربٌ مِـــن البُهتـــان

خـــلِّ البطـــولات الكـــواذبَ ، وارعـــوي لحقـــائق يُـــدْلِي بهـــن لســـاني

أنـــا مَـــن صَـــنعتُ المجـــدَ غضـــاً يانعـــاً لحليلتـــي ، وصِـــناعتي عنـــواني

صَـــوَّرْتُ ، واختـــرْتُ المشـــاهدَ واللغـــا حتـــى يَـــرَوْكِ جميلـــة ، وكفـــاني

واختـــرتُ (مِكيـــاجي) وأزيـــائي التـــي أخـــذتْ بألبـــابٍ ، وبالأعيـــان

واختـــرتُ أدعيـــة لتُخفـــي قبحنـــا عـــن كـــل مُفتقـــد النهـــى وَلهـــان

واختـــرتُ (ســـيناريو) يُـــرَوِّجُ زورَنـــا وضـــلالنا ، أوحـــاهُ لـــي شـــيطاني!

فـــي كـــل (رُوتـــين) تبَـــدَّتْ بَصـــمَتي وأنـــا الـــذي جهـــزتُ كـــل مكـــان

حركاتُـــه ، ســـكناتُه ، رَتبتُهـــا كرصـــين حَبـــاتٍ بِعِقـــدِ جُمـــان

قصَّـــاتُ شَـــعرك كنـــتُ مَـــن أفتـــى بهـــا ... وصَـــبغتُ شَـــعرَكِ بالخِضـــاب القـــاني

لتـــراكِ مُغريـــة عُيـــونُ مَـــن اشـــتهى ... نظـــراً لمَـــن حـــازتْ حَـــلا النســـوان!

حتـــى تُسِـــيلَ لعـــابَ كـــل مُفـــتَّن ... ليُصـــابَ منـــكِ بلـــذة الهَيَجـــان

وكـــذا يُصـــابَ أولـــو النهـــى فـــي مَقتـــل ... وكـــأنهم خلِقـــوا بـــلا أذهـــان

وغـــدوتِ بـــي فنانـــة مَرغوبـــة ... تُغـــري بسِـــحر جمالهـــا الفتـــان

وإلـــى هنـــا الهيجـــاءُ خـــفَّ أوارهـــا ... وخبـــا الشِّـــجارُ ، وأطـــرَقَ الخصـــمان

وضـــعتْ حروبُهمـــا ضُـــحىً أوزارَهـــا ... وبـــدمع كـــلٍّ أغـــرقَ الوجهـــان

مِـــن بعـــد مَســـخرةٍ وأحقـــر فِتنـــةٍ ... شـــبتْ تُحَـــرِّقُ مثلمـــا النيـــران

قلـــتُ: اهـــدآ ، وتســـمَّعا لمقـــالتي ... فعســـى أوَضِّـــحُ للغفـــاة بيـــاني

فلأنتمـــا ومَـــن اقتـــدى بكمـــا غثـــا ... كغثـــاء سَـــيل فـــاضَ كالطوفـــان

أنـــتم ضـــحايا هـــزلكم وسُـــعاركم ... وبكـــم يَشِـــيعُ الـــدَّعرُ فـــي البلـــدان

والـــزوجُ أسُّ بـــلاء زوجتـــه التـــي ... نشـــرَتْ فســـاداً كـــالحميم الآنـــي

(روتينُهـــا) اليـــومي أغـــوى أهلـــه ... وأصـــابَهم بـــالهزل والهـــذيان

توبـــوا إلـــى الله الغفـــور ، وأحسِـــنوا ... ليُقابـــلَ الإحســـانَ بالإحســـان

وتعلمـــوا الإســـلامَ ، والتزمـــوا بـــه ... وتجَمَّلـــوا بالشـــرع والإيمـــان

فـــانون أنـــتم ، والفلـــوسُ ودُورُكـــم ... والخيـــرُ – وفـــقَ الـــدين – لـــيس بفـــان!

الجهل سلاح المرتزقة!

(بعد أن أدى إمامٌ ما صلاة العشاء في مسجدٍ ما ، فوجيء ببعض المصلين يُلقون في حِجره بأوراق نقديةٍ مختلفةِ القيمة ، وكان الرجل حديث عهد بمسجدهم والصلاة بهم ، وكان لا يزال في محرابه يختمُ صلاته! فسأل: ما المناسبة؟ فقالوا: غداً الجمعة أول أيام عيد الفطر ، وأعلِنَ ذلك رسمياً! فقال: وهذه الدنانيرُ عِيدية إذن! فقالوا: لا ، بل هي زكاة أموالنا! فصاح الرجل فيهم: لستُ من أهل الصدقات! أنا أغنى من بعضكم. خذوا دنانيركم ، أو تُفوضونني في توصيلها لمستحقيها! قالوا: لا ، إنما هي كلها لك ، إن لنا أربعين سنة على هذا المنوال! فردَّها الرجل إليهم تعففاً ، وقرر أن تكون خطبة جمعته في اليوم التالي (الجمعة) بعنوان: (لمن تجب الزكاة؟) وأعدها إعداداً دقيقاً ، واستظهر نصها وحواشيها وإحالاتها وحواشيها وشواهدها! وبين للناس في خطبته أن أئمة المساجد والخطباء والوعاظ لهم رواتبهم وعلاواتهم وترقياتهم وبدلاتهم ولا يدفعون إيجاراً لبيوتهم ، ولا يدفعون رسوم الكهرباء والماء. فهم بذلك من الأغنياء الذين لا تُعطى لهم الزكاة تحت مسمى الفقراء والمساكين! فهؤلاء ليسوا بفقراء ولا مساكين! وكان عليهم أن يَستعففوا عن أوساخ الناس! وبعد صلاة الجمعة الموعودة قامت الدنيا ولم تقعد ، وتم التحقيقُ مع الرجل ، وكأنه ارتكب حراماً عندهم من الله تعالى فيه برهان! وأحضِرَ المرتزقة ليناظروا الخطيب البريء. ولله الحمد كانت خطبته مسجَّلة! فأخذوا يتندرون عليه ويستهزئون به ويسخرون منه ، والرجل صابرٌ ثابتٌ صامتٌ كالجبل الأشم! وبدأتِ المناظرة بالنيل منه ، فلم يُبال. إنما سألهم سؤالاً واحداً هو:- تحت أي بند تُجيزون للأئمة والخطباء والوعاظ أن يأخذوا من مال الزكاة؟ فقالوا: تحت بند الفقراء والمساكين. فقال: وهل مَن راتبه كذا من الدنانير (وذكر رقماً يكاد يُقارب راتب المهندس ويكاد يُضاهي راتب الطبيب والمحاسب) وبيته مجاناً وكهرباؤه وماؤه كذلك مجاناً! بل وأغلب طعامه من نوال المحسنين مجاناً! وله رصيدٌ بالآلاف المؤلفة في البنك ، وفي يدي زوجته الأساور الذهبية ، وفي جيدها العقود الماسية ، وفي دياره الدور والعقارات والبنايات والأطيان والمزارع ، هل مثل هذا يُعد فقيراً أو مسكيناً؟! فقالوا: اغرب عن وجوهنا أيها الحاقد الحاسد الراصد. فقال لهم: أريد منكم تعريفاً لغوياً ولآخر شرعياً للفقير والمسكين ، ويكون ذلك التعريف مُسنداً بإحالاتٍ وأرقام صفحاتٍ من كتب أهل العلم! وهنا افتضحَ أمرُهم أنهم حفنة من المرتزقة المأجورين! حيث لا يفقهون شيئاً عن اللغة ولا عن الكتاب والا السنة! ثم طلبوا الستماع إلى خطبته فأبى وقال: هؤلاء قوم جهلاء معرضون! وطلب الرجل من المشرف على المناظرة أن يستمع إلى خطبته بعض طلبة العلم ، وحدَّد أسماءهم ، فاستُجيب له ، واستمعت اللجنة التي عينها لخطبته ، وأعطتْ تقريراً أن نسبة الحق فيها تصل إلى تسعة وتسعين في المائة! الأمر الذي أحرق أكباد المرتزقة وأشعل النار في قلوبهم! فكادوا له وحالوا بينه وبين مسجده ، واستعدوا عليه من أنهى عقده انتقاماً منه والعياذ بالله! فكتبتُ هذه القصيدة الانتصارية حكاية على لسانه في حق هؤلاء المرتزقة! والمسألة احتاجت لبعض الجرأة في الحق والشجاعة في المواجهة! يصف أستاذنا محمد إقبال النائطي الندوي الشجاعة بقوله: (ألا إن الشجاعة خُلُق كريم ووصْف نبيل ، يَحمل النفس على التحلِّي بالفضائل ، ويَحرسها من الاتِّصاف بالرذائل ، وهي ينبوع الأخلاق الكريمة والخِصال الحميدة ، وهي من أعزِّ أخلاق الإسلام ، وأَفخر أخلاق العرب ، وهي الإقدام على المكاره ، وثَبات الجأش على المخاوف ، والاستهانة بالموت ، إنَّها سرُّ بقاء البشر واستمرار الحياة السليمة والعيشة الرضية على الأرض ، لأنَّها تَجعل الإنسان يُدافِع عن حياته ،

فالشجاعة غريزة يَضعها الله فيمَن شاء من عباده ؛ يقول عمر بن الخطاب: "إنَّ الشجاعة والجُبن غرائزٌ في الرجال" ؛ سنن الدار قطني، رقم (3807). والعرب يقولون: "إن الشجاعة وقاية ، والجُبن مَقتلةٌ" ، قال أحد الحكماء: "اعلَم أن كل كريهة تُرفَع أو مَكْرُمة تُكتَسب ، لا تتحقَّق إلا بالشجاعة ، ورؤوس الأخلاق الحسنة ، أوَّلها الصبر ؛ فإنَّه يَحمِل على الاحتمال وكظْم الغيظ وكفِّ الأذى ، ثم العِفَّة ، وهي تَجنُّب الرذائل والقبائح ، ثم الشجاعة ، وهي صفةٌ تَحمِل على عزَّة النفس وإيثار معالي الأخلاق ، ثم العدل ، فإنَّه يَحمِل على الاعتدال والتوسُّط ، وقال بعضهم: "الشجاعة صبر ساعة" ، وقال المناوي في "التوقيف على مهمات التعاريف": "الشجاعة: الإقدام الاختياري على مخاوف نافعة في غير مُبالاة" ، وقال غيره: "الشجاعة هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافعة تحصيلاً ، وعلى الأمور السيئة دفْعًا ، وقيل: هي جُرأة القلب وقوَّة النفس عند مواجهة الأمور الصعبة ، وقال أرسطو: "الشجاعة أُوْلى سماتِ البشر ، فهي التي تَجعلُ بقيَّة السمات مُمكنة". والحقيقة أن الشجاعة هي القائدة إلى الأمام ، والمُوبَوِّءة منصبَ الهمام ، والقاضية على الذلِّ والهوان ، وهي سرُّ بقاء البشر واستمرار الحياة وعمران الأرض ، وهي من صفات الكمال والجمال ، وبها اتَّصف الأنبياء والمرسلون ، وامتاز بها سيِّدهم وإمامهم محمد ـ صلى الله عليه وسلّم ـ يقول أنس ـ رضي الله عنه ـ: "كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجعَ الناس قال: "وقد فزِع أهل المدينة ليلة سَمِعوا صوتًا ، قال: فتلقَّاهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فرسٍ لأبي طلحة عُرْي ، وهو متقلِّد سيفَه ، فقال: (لَمْ تُراعُوا ، لَم تُراعوا) ، ثمَّ قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم-: (وجدتُه بحرًا) ؛ يعني: الفرس ؛ البخاري ومسلم).هـ. وهذا النص!)

كُفُـــوا عـــن الإفـــكِ والبُهتـــان تغريـــرا! لا يَقبـــلُ العقـــلُ ممـــا قِيـــلَ تبريـــرا!

مَلأتُـــمُ الكـــونَ تحريفـــاً تضِـــيقُ بـــه ذرعـــاً نفـــوسُ الألـــى ذمُّـــوا الأســـاطيرا

تُبَـــدِّلون كـــلامَ الله صُـــبحَ مَســـا لكـــي تُضِـــلوا بـــذا الصُّـــنع الجمـــاهيرا

وتهرفـــون بمـــا لا تعرفـــون ضُـــحَىً وكـــم نُعَيَّـــرُ بالجُهـــال تعييـــرا!

فكـــم ضَـــللتُم ســـبيلَ الحـــق عـــن رغـــب وطِبْـــتُمُ بالـــذي جئـــتُم أســـاريرا!

وكـــم لـــويتُم نصـــوصَ الشـــرع فـــي صَـــلفٍ حتـــى غـــدَوتُم بـــذا جُنـــداً تيـــاهيرا!

وكـــم أطعـــتُم دَهاقينـــا لترتزقـــوا وخـــاب سَـــعيٌ غـــدا للظلـــم مـــأجورا!

وكـــم سَـــلكتُم دُروبَ الغـــي يســـبقكم هتافـــة نفخـــوا فيهـــا المزاميـــرا!

وكـــم بكـــم وُئـــدتْ أفكـــارُ مَـــن رَشَـــدوا مَـــن بصَّـــروا النـــاسَ بالإســـلام تبصـــيرا!

وكـــم حَملـــتُم ســـيوفَ الغـــدر تشـــفية ثـــم اتخـــذتُم لِمَـــا يـــأتي التـــدابيرا!

وكـــم رَميـــتُم بطـــيش العقـــل مَـــن بَصُـــروا بـــالحق حتـــى غـــدا التســـفيهُ مَشـــهورا!

مـــاذا تقولـــون يـــوم البعـــث يـــا هَمَجـــاً؟! هـــل تجهـــرون بضِـــيق العـــيش تبريـــرا؟

يومـــاً تقولـــون: كنـــا طـــوعَ ســـادتنا مـــا ذنـــبُ عبـــدٍ غـــدا للظلـــم مـــأمورا؟!

أتقتـــدون بمـــن فـــي غـــيِّهم سَـــدَروا؟! وفـــي الفســـاد اقتـــديتُم بـــ (ـــابن بـــاعورا)

اليـــوم جيـــئ بكـــم تُنـــاظِرون فتـــىً مـــا جـــاء مَنقصـــة ، ولا افتـــرى زورا!

بـــالحق جـــاهرَ ، لـــم يَعبـــأ بعاقِبـــةٍ ولـــم يَخـــفْ فـــي الـــذي قـــال المحـــاذيرا!

وقـــال: لا تُمـــنحُ الزكـــاة مُرتزقـــاً وســـاقَ للـــنص توضِـــيحاً وتفســـيرا

مـــادام ذا راتـــب يكفـــي معيشـــته ووُفـــرتْ عنـــده الحاجـــاتُ تـــوفيرا

والـــدارُ قـــد مُنِحَـــتْ ، والكهربـــاءُ بهـــا بـــدون دَفـــع ، فليســـتْ تلـــك تـــأجيرا

ولـــيس ذا ولـــدٍ عَـــزتْ مَـــؤونتُهم ومـــا اســـتطاع لهـــم فـــي العـــيش تـــدبيرا

وعنـــده حُرمـــة زادتْ جواهرُهـــا علـــى النصـــاب بهـــا تُشـــجي القـــواريرا

وبـــالبلاد عِقـــاراتٌ وأبنيـــة والمـــالُ مُـــدَّخرٌ فـــي البنـــك تـــوفيرا

والآن يَنتظـــرُ الزكـــاة يُرزقهـــا حتـــى يُـــوَقر مَـــن يُعطيـــه تـــوقيرا

مـــا اســـتعففَ النـــذلُ عـــن أمـــوال مَـــن جهلـــوا إذِ ارتآهـــا عطـــاءً بـــات مَقـــرورا

ممـــا حـــدا بالخطيـــب الشـــهم همتُـــه أبـــتْ عليـــه سُـــكوتاً لـــيس مشـــكورا

فصـــاغ خُطبتـــه عـــن حالـــةٍ طـــرأتْ وحَبَّـــرَ الـــنص فـــي القِرطـــاس تحبيـــرا

وحقـــقَ الخطبـــة العصـــماءَ ، زبـــدتُها ســـتجعلُ الخصـــمَ فـــي التنظيـــر مـــدحورا

ووقـــرَ النـــاسَ مَـــن غـــذى مســـامعَهم والكـــل حيـــاً نزيهـــاً بـــات مـــأجورا

لكـــنَّ شِـــرذمة زاغـــت بصـــيرتُها فشـــهَّرَتْ بالخطيـــب العَـــفِّ تشـــهيرا

وناولتْـــه مِـــن التحقيـــر حِصَّـــتها بـــل حقـــرَتْ قولـــه المَـــوزونَ تحقيـــرا!

واســـتعذَتِ العِليـــة التـــي لهـــا اســـتمعتْ وســـطرتْ كيـــدَها فـــي الفـــاكس تســـطيرا

وبعـــد حـــين لـــه حِيكـــتْ منـــاظرة حتـــى يُنـــاظرَ أهـــلَ الســـوء تنظيـــرا

فـــأقبلوا ، وعلـــى الوجـــوه عنبســـة وأوقـــدوا فـــي لقـــاء الفـــذ تنـــورا

تســـابقوا فـــي الهجـــاء المُـــر تصـــدية ... فأصـــبح الرجـــلُ المِغـــوارُ مَحصـــورا

والسُّـــخرياتُ لهـــا الأصـــداءُ صـــارفة ... عـــن الحقـــائق مَـــن أراد تنـــويرا

كأنمـــا اتفقـــوا علـــى مُـــؤامرةٍ ... كـــي يُربكـــوا مُشـــرفاً أراد تفكيـــرا

فقائـــلٌ: أنـــت مِجهـــالٌ تُضَـــللنا ... وصِـــرت بالخطبـــة الرعنـــاء مَغـــرورا

وقائـــلٌ: فـــالتمسْ يـــا صـــاح مدرســـة ... وصَـــبِّر الـــنفسَ إنْ دَرَّسْـــت تصـــبيرا

وقائـــلٌ: كيـــف تُفتِـــي يـــا أســـيرَ هـــوىً ... تحتـــاجُ فتـــواك ترتيبـــاً وتقـــديرا

وقائـــلٌ: هـــل تعَـــضُّ اليـــدَّ قـــد بَســـطتْ ... لـــك العطـــاءَ بـــلا رأي ولا شُـــورى

وقائـــلٌ: خطبـــة بالعيـــد مـــا اقترنـــتْ ... وإنْ تكـــنْ وَجـــدتْ غوغـــا وجُمهـــورا

وقائـــلٌ: فـــاعزلوا مُرَوِّجـــاً فِتنـــاً ... قـــد خلفـــتْ فـــي ضـــواحينا أعاصـــيرا

وقِيـــلَ: فلنســـتمِعْ لـــنص خطبتـــه ... هـــيَ الظـــلامُ بـــدا ، ومـــا احتـــوتْ نـــورا

فقـــال: كـــلا ، وصـــوتُ الـــرفض منحســـمٌ ... ولـــم يُمـــرِّرْ مُـــرادَ القـــوم تمريـــرا

وزادَ: للعلـــم أقـــوامٌ بـــه عُرفـــوا ... فأحضِـــروهم ، ولـــيس الأمـــرُ تخييـــرا

فشُـــكلتْ لجنـــة مِـــن ســـادةٍ عُظمـــا ... بهـــم تعطـــرَتِ الأجـــواءُ تعطيـــرا

جـــاؤوا ثلاثـــتُهم فـــي هيبـــةٍ عُلمـــتْ ... ومـــا اشـــتكى المجلـــسُ الجـــريحُ تـــأخيرا

وقـــرَّرُوا صـــحة النصـــوص أجمعِهـــا ... وبشَّـــروا ذلـــك الخطيـــبَ تبشـــيرا

وكـــل مُرتـــزق بـــدَتْ سَـــريرتُه ... بخُطبـــةٍ كَشَّـــفتْ لنـــا الأســـاريرا

وأخمِـــدتْ نـــارَ قـــوم بالهُـــدى ارتزقـــوا ... دهـــراً ، وزادَهُـــمُ التطويـــعُ تخســـيرا

واللهِ أركسَـــهم قطعـــاً بمـــا اجترحـــوا ... لمَّـــا أرادوا لنـــور الحـــق تغييـــرا

واجتثـــتِ الخطبـــة الزهـــراءُ بـــاطلهم ... وعكَّـــرتْ صـــفوَهم فـــي التـــو تعكيـــرا

وأوهـــنَ اللهِ كيـــداً يَجهـــرون بـــه ... وإفكُهـــم بـــات فـــي التنظيـــر مهجـــورا

شكرٌ أتى متأخراً!

(إحدى ربَّات الفضل والجود والعطاء ، كانت قد نفع الله بها أحد الشعراء منفعة لا تصفها كلمات ، ولا توَصِّفها تعبيرات. فنقله الله تعالى بها من ضِيق إلى سَعة ، ومن ذل إلى كرامة ، ومن امتهان إلى عِزة ، ومن عُسر إلى يُسر ، ومن هامش الحياة والأحياء إلى قلب الحياة والأحياء. وامتد نفعها – بفضل الله تعالى – إلى أسرته ، فمكَّن الله لأفرادها ، وعاشوا كذلك أعزة مُكَرَّمين مُعَزَّزين ، واستمر الحال هكذا عقداً من السنين من 2009م حتى 2021م! وكانت أعذب سنين له في غربته! وكانت لعطاءاتها قيمتُها ، لأن الرجل كان قد خذله القاصي والداني ممن يعرف وممن لا يعرف! ووشى به عند الظالمين من لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ممن هم من أبناء جلدته ويتكلمون بلسانه ، وعاونهم على وشايتهم وكذبهم وافترائهم شقيقان من أشقائه ، كان قد أتى بهما في غربته وفي بيته ، ليكونا مسمارين دقهما في نعش استقراره في الغربة! وبعد أن تم التشويش على الرجل ، وإنهاء عقد عمله ، تخلى عنه الأقارب والأشقاء والأصدقاء والرفقاء! وأصبح الرجل في الشارع بأسرته في غربةٍ لا ترحم! وأخذ الأصدقاء والأشقاء منه موقفاً! وكأنه بينهم وباءٌ ينبغي عليهمُ اجتنابُه إيثاراً للسلامة والأمن! وصبر الرجل على الخذلان والتهميش ما شاء الله له أن يصبر! وصُبتْ عليه محنٌ وإحن وعذابات وأتراح لا يعلم إلا الله مداها! حتى منَّ الله تعالى عليه بهذه المُوَفقة الفاضلة المُتفضلة التي أنالتْه بوَجاهتها ومكانتها ما جعله رأساً في قومه ، ورفعتْ عن كاهله نفقاتٍ لا طاقة له بها! وحاول المغرضون والحاقدون من سفلة الناس وأوباشهم وأراذلهم تكرار السيناريو الأول ألا وهو سيناريو الوشاية ، فلم يجدوا سبيلاً إلى إقناع هذه الحكيمة الأديبة الأريبة! بل قلبتْ لهم ظهرَ المجن ، وقلبتْ عليهم سِحرَهم عندما قالتْها صريحة: (الله الله في أبي فلان ، فلقد عانى من الظلم الكثير)! حيث إن هذا الشاعر كان قد أهداها أول ديوانين له! فقرأتْهما ، فوقفتْ على الكثير من أبعاد مِحنته ومَأساته في الغربة! وذات يوم ، وبينما هو يستعرضُ قصائد ديوانه على كثرتها الكاثرة ، لم يجد لها قصيدة ولا مقطوعة تذكُرها بأي جميل ، فقررَ أن يَشكرها شعراً ، كما اعتاد أن يشكرها نثراً في مواقفَ كثيرة! فكانت هذه القصيدة ترجمة لهذا الشعور!)

شَـــغلتْنِي الظـــروفُ يـــا عبقريـــة ... دون قصـــدٍ عـــن رَدِّ أســـمى تحيـــة

كُنـــتِ رِدْئـــي فـــي غربـــةٍ سَـــربلتْني ... واحترَقـــتُ بالصـــحبة العُنصـــرية

غـــدَرَ الصـــحبُ الظـــالمون انتقامـــاً ... واســـتثاروا حَميـــة الجاهليـــة

وانطلقـــتُ فـــي التيـــه وحـــدي شـــريداً ... وإذا بالخـــذلان يَغشـــى البقيـــة

واغترابـــي عاينـــتُ فيـــه بَـــلاءً ... نـــالَ مِـــن تصـــميمي وروحـــي الأبيـــة

وابتُلِيـــتُ بالخـــذل مِـــن كـــل صِـــنفٍ ... إذ عَـــدِمتُ فـــي صُـــحبتي الأريحيـــة

غلبـــوا أهـــواءً تـــروحُ وتغـــدو ... واســـتجابوا للطـــيش والعَنجهيـــة

لـــم أصَـــدِّقْ لغـــوَ الوشـــاة علـــيهم ... قلـــتُ: صـــحبي ذوي نفـــوس وفيـــة

واســـــتبنتُ الأقـــوالَ عَمَّـــتْ وطمَّـــتْ ... فاســـــتبانتْ مَشـــاهدُ المَســـــرحية

وتلاقـــى الكيـــدان: كيـــدُ النـــدامى ... بانتقـــام الشـــقيق ، كنـــتُ الضـــحية

أيـــن يـــا أصـــحابي الـــدروسُ تولـــتْ ... والقِـــراءاتُ بعـــد كـــل عَشِـــية؟!

أيـــن ولـــتْ مَـــواعِظ وفتـــاوى ... والنقاشـــاتُ حـــول كـــل قضِـــية؟!

أيـــن (فـــتحُ المجيـــد) يَهـــدي قلوبـــاً ... للتســـامي عـــن الـــدروب الغويـــة؟!

أيـــن آيٌ تُتْلـــى لتُخـــرجَ قومـــاً ... مِـــن ضَـــلال لهَـــدْي رب البريـــة؟!

والتواصِـــي بـــالحق أيـــن تـــولى؟! ... أمْ دعـــاوى بَكْريَّـــة تغلِبيـــة؟!

والتواصِـــي بالصـــبر أيـــن تـــولى؟! ... أمْ وصـــايا شَـــكلية مَظهريـــة؟!

وسِـــنيُّ الـــبلاء طالـــتْ علينـــا ... والشِّـــمَاتُ أغـــرَى فِئامـــاً شـــقية

يَشـــهدُ المـــولى بالإهانـــات تتـــرى ... فـــي دِيـــار تـــأوي إلـــى العُنصُـــرية

واحتســـينا كـــأسَ المَذلـــة جَبـــراً ... وسِـــوانا كانـــت لـــه الأولويـــة

بعـــد أن هُنـــا ، واحتوتْنـــا المآســـي ... وافتقـــدْنا تكريمَنـــا والهويـــة

وامتُهنـــا فـــي كـــل صُـــقع ووَادٍ ... وقلتْنـــا بـــين الـــورى الأكثريـــة

واصـــطبرنا عقـــدَين فـــي شـــر حـــال ... فـــي ظـــروفٍ ســـادت بهـــا الفوضـــوية

ثـــم لاحـــتْ لنـــا سَـــلِيلة عِـــز ... بنـــتُ مجـــدٍ لهـــا العطـــاءُ سَـــجية

أكرمتْنـــا بـــين الأنـــام احتســـاباً ... وببـــذل الخيـــرات كانـــت حَريـــة

ســـاقها ربُّ النـــاس غوثـــاً مُغِيثـــاً ... ثـــم كانـــت فـــي بـــذلها عبقريـــة

ولـــديها دَسَّ الـــدهاقينُ زيفـــاً ... يُفسِـــدون بـــالزور أنقـــى طويـــة!

فـــانبرتْ للأوغـــاد تُبطِـــلُ سِـــحراً ... ثـــم خلـــف الســـتار وَصَّـــتْ وَصِـــية

قالـــتِ: اصـــبرْ صـــبراً جمـــيلاً ، وأحســـنْ ... ثـــم أخلِـــصْ جهـــداً وسَـــعياً ونِيـــة

لـــنْ تُمَـــسَّ يومـــاً بـــأي اعتـــداءٍ ... لكـــن احـــذرْ بطـــشَ الأيـــادي الخفِيـــة

أنـــت مَحشـــومٌ لـــيس يرميـــك رام ... مَـــن رَمـــاك يُرمـــى بـــذات الرَّمِيـــة

وانتصـــرتُ عقـــداً علـــى كـــل قهـــر ... والجميـــعُ قـــالوا: لـــيَ الأفضـــلية

وانطلقـــتُ دَهـــراً أطـــوِّرُ نفســـي ... كـــي أراهـــا فـــي شُـــغلها ألمعيـــة

وارتـــآني الجميـــعُ بَـــدراً منيـــراً ... ذا إبـــاءٍ وهمـــةٍ عنتريـــة

مـــا ارتضـــيتُ دَنِيـــة فـــي اعتقـــادي ... والـــذليلُ فـــي الـــدِّين يَرضـــى الدَّنيـــة

عِشـــتُ حُـــراً فـــي جـــاه ربـــي عزيـــزاً ... ثـــم أســـتقوي بعـــده بأخيـــة!

لـــم تُهِنِّـــي ، ومـــا ارتضـــتْ لـــي هوانـــاً ... تلـــك كانـــت فيهـــا – وربـــي – مَزيـــة!

والتحايـــا منهـــا أتتْنـــي مِـــراراً ... صـــانَ ربـــي أخلاقهـــا اليَعرُبيـــة

والهـــدايا جـــاءتْ تُؤلـــفُ قلبـــاً ... وتُسَـــلي نفســـاً طوتْهـــا الرَّزيـــة

ولهـــا أهـــديتُ القصـــائدَ نشـــوى ... إذ لهـــا نفـــسٌ فـــذة شـــاعرية

مـــا ضَـــننتُ بالشـــعر أهديـــه رَداً ... لجميـــل أراهُ أحلـــى عَطِيـــة

ثـــم خِلـــتُ الـــديوانَ يَحكـــي صَـــداها ... أو يَـــردُّ علـــى الحَصـــان التحيـــة

أو يَشـــيدُ بالمجـــد أهدَتْـــه طوعـــاً ... أو يُنـــاغي المُجـــامَلاتِ النديـــة

أو بشـــيئ مِـــن الأهـــازيج يُطـــري ... ذات فضـــل تُطِـــلُّ مِـــن مَشـــربية

ليـــت شِـــعري! الـــديوانُ أغضـــى حَيـــاءً ... إذ خـــلا مِـــن أمـــداح تلـــك الحَييـــة

ثـــم جـــاءتْ هـــذي القصـــيدةُ دَينـــاً ... واجبـــاً قطعيـــاً قبيـــلَ المنيـــة

ربِّ أصـــلحْ شـــأنَ التـــي أكرمتْنـــي! ... ربِّ واجعلهـــا عَفـــة وتقِيـــة

ربِّ واغفـــرْ ذنوبَهـــا ، وارض عنهـــا ... لا تُمِتْهـــا إلا بحـــال رضـــية

أنـــتَ أدرى بمـــا أقالتْـــه عنـــي ... مِـــن بَـــلاءاتٍ فـــي اغترابـــي عَتِيـــة

ربِّ واقبـــلْ شِـــعري الـــذي صُـــغتُ عنهـــا ... مُســـتعيناً بـــالله رَبِّ البَريـــة!

صلاة التراويح الظافرية!

(أهنيء كل مسلم شهدَ صلاة التراويح خلف القارئ المُجوِّد المُرتل شيخنا الشيخ ظافر التائب! إنها صلاة تراويح من عالم آخر غير الذي نعيش! فقرآنها بفضل الله على شيخنا كسلاسل التبر والعقيق والزبرجد ، وأحكامُ تجويدها وتحبيرُها بالمليمتر ، وميزان الماء ، والميزان الزنبركي ، كما يقولون بعامية صعيد أهل مصر! وتُختمُ هذه الصلاة الطيبة المباركة بدرس علم مَحبوكٍ مَسبوك مُحَضر مُجهز مُعَتق مُرَتب سلفاً ، فليس ارتجالياً كدروس خطباء الفتنة المرتزقة ، الذين يُلقون دروسهم بلا إعدادٍ ولا تحضير ولا تخريج بالمرة ، وإنما يعتمدون على مجموعة أخبار عامة وقصص سردية لا تُضيفُ إلى سامعها جديداً! ويُجيب الشيخ ظافر على أسئلة من يسألون أو يستدركون في ثنايا درسه ، رابطاً ما يقول بالواقع المعاش والأحداث الجارية التي تمر بها الأمة! مما يميز الدرس ويجعله ماتعاً مفيداً مجدياً! وأحياناً يُنيبُ الشيخ شيخاً آخرَ لصلاتي الشفع والوتر ، وكنتُ قد لاحظتُ أن هذا الشيخ لا يقل كثيراً عن الشيخ ظافر ، فله ذات جمال الأداء وذات الروح والحمية والغيرة على الإسلام والمسلمين ومقدساتهم! مما لا يجعل السامع يشعر بكبير فجوةٍ بين الأداءين! وكنتُ قد تابعتُ بعض هذه الصلوات بتلاواتها ودروسها وأدعيتها عبر الفيس بك واليوتيوب من خلال بث الشيخ المباشر! فأدركتُ قيمتها وجمالها وعذوبتها ، وكأني بالشيخ ظافر قد تعلم على يد واحدٍ من أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عن صحابته! وأكاد أقطع أن الشيخ أوتيَ - في تحبيره وترتيله وتجويده - مزماراً من مزامير آل داوود – عليه صلوات الله وتسليماته -! فالشيخ يعطي كل حرف حقه ومستحقه من ناحية المخارج والقواعد والأنغام والأنسام ، فلله دَرُّك يا شيخنا! إن تراويح الشيخ ظافر لتختلف الشيء الكثير عن غيرها ، وتختلف في رمضاننا هذا عن رمضان المنصرم ، فهي أكثر روحانية وجمالاً وبَهاءً ومُتعة! وفي كلٍّ خير! حتى ليُمكنُ تسميتُها بالتراويح الظافرية المتميزة في كل شيء! وإنني إذ أتابعُها في الفيس بك واليوتيوب من خلال قناة الشيخ ظافر ، فإنني أتعزى بها عن القراءات النشاذ والحناجر المأجورة الصدئة التي ابتُليتُ بها! وأغبط أهل ليبيا ممن يصلون في مسجد الشيخ ظافر! وأجعل هذه القصيدة رد تحيتي للشيخ ظافر! حيث اعتبرتُ تراويحه لنا هدية وتحية ، فكان لزاماً علي أن أرد التحية بأحسن منها! ولكن هل هناك أحسن وأحلى وأجمل من القرآن؟ بالطبع لا! وإذن فهو الاختيار الثاني وجوباً! (أو ردوها)! وعنونتُ لها بـ: (صلاة التراويح الظافرية) ، وذلك لتميزها وتفردها بالوصف الذي ذكرتُ! ولسنا نزكّي على الله ربنا أحداً من خلقه! فتقبلها يا شيخنا بقبول حسن! وتقبلَ الله منك صلاتك ودروسك ودعاءك ، وتقبلَ الله قصيدتي ، وجعلها ربي خالصة لوجهه الكريم ، بعيداً عن الرياء والسمعة والشهرة! إنه ولي ذلك والقادرُ عليه!)

اشـــــهدْ تـــــراوِحَ (ظـــــافر) ، وكفاكـــــا ... أنْ يســــــتثيرَ بَهاؤهـــــا تقواكـــــا

انهـــــضْ ، ولا تـــــكُ غافيـــــاً مُتكاســـــلاً ... مـــــا لـــــي أراك لهـــــا تعُـــــدُّ خطاكـــــا!

أســـبغ وضـــوءَك يـــا مُوفـــقُ ، وابتشـــرْ ... بـــــالأجر يُكتـــــبُ مُـــــذ بَـــــدا مَمشـــــاكا

وادعُ الرفـــــاقَ لخيـــــر ســـــعي مُوقنـــــاً ... أن الخيـــــورَ تجـــــيءُ مِـــــن مَســـــعاكا

واصـــحَبْ سِـــواكَك ، إنـــه يُرضـــي الـــذي ... خلـــق الأنـــامَ ، وسَـــيَّرَ الأفلاكـــا

وكـــذاك مَطهـــرة لفـــمٍّ ، فامتثِـــلْ ... وإذا عجَـــزت فإســـحِلاً وأراكـــا

واشـــهدْ عِشـــاءَك ، لا تمَـــلَّ أداءَهـــا ... فأداؤُهـــا يُـــدنيك مِـــن مَولاكـــا!

تـــابعْ إمامَـــك ، وانتبـــه لـــتلاوةٍ ... إمـــا انتبهـــت بكـــتْ لهـــا عيناكـــا

حتـــى وإنْ فاتتْـــك ، فاســـتمتعْ بهـــا ... فيمـــا حوتْـــه قناتُـــه ، وكفاكـــا

قـــبَسٌ علـــى (اليوتيـــوبَ) تنشُـــرُ نـــورَه! ... هـــذي القنـــاة كمُنـــذر ناداكـــا

فأجبْـــه طوعـــاً ، واتبِـــعْ قرآنـــه ... إنْ كنـــت تنشُـــدُ ـ فـــي الحيـــاة ـ هُـــداكا

وتأمَّـــل الآيـــاتِ كيـــف صـــنيعُها ... بالقلـــب إذ تستشـــرفُ النسَّـــاكا

أنصِـــتْ لتُهـــديَك القـــراءة عِطرَهـــا ... وبُعيـــدَها يَجـــدُ الأنـــامُ شـــذاكا

وتـــدبَّرِ الـــنصَّ الكـــريمَ بحِكمـــةٍ ... واعـــرضْ عليـــهِ مـــا جنتْـــه يـــداكا

إمـــا أطعـــت ، فكـــنْ لربـــك شـــاكراً ... والشـــكرُ إنْ فكـــرت مِـــن عُقباكـــا

ولـــئن عصَـــيت ، فتُـــبْ لربـــك نادمـــاً ... إن المعاصـــيَ شُـــؤمُها أشـــقاكا

واشـــكرْ لشـــيخِك سَـــعيَه وجُهـــودَه ... وقـــراءةً تحبيرُهـــا أشـــجاكا

يـــا (ظـــافرَ) الخيـــر اســـتمَعتُ ، فطـــابَ لـــي ... أرَجٌ أتـــاني مِـــن جميـــل صَـــداكا

حمـــلَ الأثيـــرُ إلـــيَّ أطهـــرَ بَثـــهِ ... فهتِفـــتُ رُوحـــي يـــا أثيـــرُ فِـــداكا!

يـــا ليـــت مســـجدَكم دَنـــا مـــن دارنـــا ... ليُعيـــدَ لـــي مـــا شـــط مِـــن ذِكراكـــا

نعـــمَ الـــتلاوة لـــم تَشُـــبْها غلطـــة! ... ســـبحانَ مَـــن إتقانهـــا أهـــداكا!

وكـــذاك فليـــرحمْ مُعلمَـــك الـــذي ... لـــدقائق الأحكـــام كـــان هـــداكا

هـــذي الـــتلاوة جُـــود مَـــولاك الـــذي ... ممـــا يُشَـــوِّهُ حُســـنَها عافاكـــا

فقواعـــدُ التجويـــد أنـــت خبرتهـــا ... وأجَـــدتها ، حتـــى يَصِـــحَّ عطاكـــا

لا لحـــنَ فيهـــا يَســـتخفُّ بحَبْكهـــا ... فـــاللحنُ يَنصِـــبُ للجمـــال شِـــباكا

فالمَـــدُّ مَـــدٌّ حُـــدِّدَتْ حَركاتُـــه ... وبـــه تُـــداعِبُ يـــا مُجَـــوِّدُ فاكـــا

تُعطيـــــه حقـــــاً فصَّـــــلتْه قواعـــــدٌ ... وأراك تلتـــــزمُ الأصـــــولَ ، أراكـــــا

وتُتـــــوِّجُ الإدغـــــامَ تـــــاجَ سِـــــباكة ... تســـــبي الســـــماعَ وتأسِـــــرُ الإدراكـــــا

فبغنـــــةٍ يُشْـــــجي الـــــورى ، وبـــــدونها! ... بتكلـــــفٍ لا يَصـــــطفيهِ سِـــــواكا!

وتُحَبِّـــــرُ الإقـــــلابَ يَســـــتلِبُ النهـــــى ... بالســـــامعين حَبيبنـــــا رُحماكـــــا!

بطريقـــــةٍ لـــــم يأتِهـــــا إلا الألـــــى ... سَـــــبقوا ، وأنـــــت لِمَـــــا لـــــديهم حـــــاكى

وتُشَـــــنفُ الأســـــماعَ للإخفـــــاء ، لـــــم ... تهضِـــــمْه حقـــــاً واجبـــــاً ، حاشـــــاكا!

وتُجَمِّـــــلُ الإظهـــــارَ يُمْتِـــــعُ مُنصـــــتاً ... وكأنمـــــا (المَنشـــــيُّ) كـــــان حباكـــــا!

شـــــفويَّهُ أتقنـــــت ، أو حَلقيَّـــــهُ ... بطريقـــــةٍ مـــــا جاءهـــــا إلاكـــــا!

والهمـــــسُ مـــــا فاتتْـــــك دِقـــــة جَرْسِـــــه ... وسِـــــواك همســـــاً – فـــــي القـــــراءة – لاكـــــا!

وعُرفـــــت بـــــالغَنِّ المُطـــــرِّب شَـــــدوُه ... هـــــل يـــــا تُـــــرى (الجَـــــزريُّ) قـــــد أملاكـــــا؟!

ناهيـــــك عـــــن وقـــــفٍ أجـــــدت وبـــــدأةٍ ... لمَّـــــا يكُـــــنْ – والله – وفـــــق هواكـــــا

ومَخـــــارجٌ للحـــــرف لـــــم تعبَـــــثْ بهـــــا ... مِثـــــلَ الألـــــى عبثـــــوا هنـــــا وهناكـــــا!

مـــــا كـــــان ترقيقـــــاً فقـــــد رَققتـــــهُ ... بوداعـــــةٍ حفلـــــتْ بـــــبعض صـــــفاكا

أو كـــــان تفخيمـــــاً فقـــــد فخمتـــــهُ ... بفخامـــــةٍ خُصَّـــــتْ بـــــبعض نَـــــداكا

وعَلِمـــــت ألقـــــابَ الحـــــروف ووصـــــفَها ... وتُجيـــــبُ أســـــئلة الـــــذي اســـــتفتاكا

وســـــبرت أســـــبابَ النـــــزول وسِـــــفرَها ... مـــــازال رَهـــــنَ القـــــبض فـــــي يُمناكـــــا

وقطعـــــت فـــــي التفســـــير أعظـــــم حِصـــــةٍ ... حتـــــى تُبَصِّـــــرَ جـــــاهلاً يَلقاكـــــا

وأتـــــاك مِـــــن شـــــرق الـــــبلاد وغربهـــــا ... وشـــــمالها وجنوبهـــــا لتراكـــــا

هـــــذي الجمـــــوعُ يقودُهـــــا إيمانُهـــــا ... كـــــلٌّ أتـــــى مُســـــتلهماً نُعماكـــــا

مـــــا بـــــين طفـــــل فـــــي حداثـــــة سِـــــنه ... حضـــــرَ الصـــــلاة يريـــــدُ دَركَ مَـــــداكا

أو شـــــيخِ عِلـــــم ســـــربلتْه كُهولـــــة ... قـــــد جـــــاء يَطمـــــعُ فـــــي لذيـــــذ قِراكـــــا

والله وفقهـــــم ، وبـــــارك ســـــعيهم ... لمَّـــا أتـــوا يتنســـمون ضِـــياكا

وأقـــول: محظوظـــون بالشـــيخ الـــذي ... صـــحبَ الكتـــاب ، وأحضـــر المِحراكـــا!

أشـــجى وأمتـــعَ مَـــن أتـــى بقـــراءةٍ ... حاكـــتْ – إذا قـــرأ القـــرآنَ - مَلاكـــا!

لمّـــا تُقلِـــدْ غـــابراً أو حاضـــراً! ... تقليـــدُ غيـــرك إذ علمـــت قلاكـــا

جَنبـــت مَـــن ســـمعوك مـــا بُوْنـــا بـــه ... مِـــن قـــارئين ، تنـــدَّروا بعُلاكـــا

واســـأل عـــن الأخطـــاء تـــؤذي مَســـمعاً! ... فاغتـــاظ مـــنهم ســـامعٌ وتشـــاكى!

ودروسُـــــهم ألغازهـــــا مَكشـــــوفة ... لمَـــن اتقـــى ، هـــي تُشـــبهُ الأشـــواكا!

والشـــيخُ (ظـــافرُ) دَرسُـــه بُشـــرى هُـــدَىً! ... يـــا كـــلَّ مُســـتمع لـــه بُشـــراكا!

عِلـــمٌ رَصـــينٌ يشـــتهي متعلمـــاً ... يـــا قاصـــداً للعلـــم مـــا أبهاكـــا!

بوركـــت يـــا شـــيخي الجليـــلَ ، ودُمـــت فـــي ... (ليبيـــا) الفخـــار ، وحِفـــظِ مِـــن سَـــوَّاكا

وقصـــيدتي أرجـــو بهـــا وجـــهَ الـــذي ... وهـــبَ الخُيـــورَ ، ومَلّـــكَ الأملاكـــا

أنـــا مـــا أردتُ بـــأي حـــرفٍ صُـــغتُه ... واللهِ - يـــا رب الـــورى - إلاكـــا

فاجعلـــه يـــا ربَّ الســـما لـــك خالصـــاً ... أرجـــو بـــه التوفيـــقَ يـــومَ لقاكـــا!

لماذا خذلتني يا أبتاه؟!

(ككل شاب في الدنيا ، اختار عروسَه وشريكة حياته ذلك الشاب المسكين ، على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! وكان ضحية طلب أبيها منه الزواجَ من ابنته! ووافق ذلك رغبة كانت عنده ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يجهر بها لقصور ذات اليد! وكانت لأبيه رؤية صحيحة ودقيقة في هذه الزيجة وتلك الزوجة وذلك النسب! ولكن لقصور عقله وضيق أفقه وجهله المطبق وغشمه المحدق ، لم يستطع الأب توصيلَ فكرته ورأيه لولده ، رغم أن ابنه شخصية شورية عقلانية تزنُ الأمور وتستمع للآراء! واستمر الابنُ لا يرى بالكتاب والسنة والعلم النظري المجرد ، ما ارتآه أبوه بالحياة والخبرة والتعايش! وكانت خِبرته في الحياة ومعرفة الناس قليلة! واعتبرَها الابنُ بقصور فهمه جهاداً في سبيل الله تعالى! وحضر والده مجلس عقد الزواج بجسمه ، لا بعقله ولا بعاطفته ولا بإحساسه! ووقع على العقد بأنامله ، لا برضاه ولا باقتناعه! وأدرك الصهر المراوغ المخادع عدم التوافق والانسجام بين زوج ابنته وأبيه! فاستغل ذلك النسيبُ المُغرضُ الجبانُ هذا الاختلاف في وجهتي النظر - والذي نتج عنه العنادَ ، في أن يَستأثرَ بالعريس الضحية الساذج المخدوع! وكان العريس المسكين يقتل نفسه بسكين باردةٍ وهو لا يشعر! واستمر الأب على موقفه في العناد والتأبي! ولم تكن بادرة واحدة من الأب الجاهل الغاشم في مراجعة حساباته ومعرفة السبيل إلى عقل وقلب ولده ، كما لم تكن بادرة من الصهر الغبي المَعتوه في أن يُصلح بين عريس ابنته وأبيه! ودفع ابنُ الأول وابنة الثاني ثمن هذا الخذلان والإغراض! وخذل الوالد ولده ، وأسلمه عامداً متعمداً مع سبق الإصرار والترصد ، لذلك الصهر المُغرض ليصنع به ما يشاء! وبعد زواجهما ، دخل الابن بعروسة بوتقة صراع مرير بين العائلتين ، يزيد على الصراع الذي كان بين داحس والغبراء ، وبين البكريين والتغلبيين في حرب البسوس! ودفع الابن البائسُ الثمنَ غالياً ، دفعه من دمه وأعصابه ، ومن سُمعته وعِرضه ، ومن ماله وحياته! فكتب رسالة عتاب لأبيه يسأله قائلاً: لمَ خذلتني يا أبتاه؟! ولم بعتني بلا ثمن ، لهذا الصهر الغشيم الجاهل المُغرض؟ أما كان ينبغي أن تنصح لولدك وتُبين له ، وتكشف المستور من الغوامض والأسرار بصدق؟! أما كان عليك أن تُعدد المحاولات في أن تُقرب ولدك إليك كي لا يكون ضحية لغدر وغشم ومكر صهر ، لم يدخل العدل ولا الشفقة ولا الرحمة قلبه يوماً؟! ولمَّا أن وجدت ولدك يُصرُّ على ركوب رأسه واتباع هواه ، أما كان الأولى أن تُنقذه بالنصائح المتوالية ، وأن تستفتح عليه بالشورى ، وأن تُنمي له أمواله ، وتبني له داره ، ولا تسمح أبداً لأحدٍ كائناً من كان أن يستولي على بيتٍ بناه ولدك ، ولا أثاثٍ اشتراه بماله ، فضلاً عن هدم البيت من أساسه وتحويله بعد إهماله إلى عشة دجاج ، تمهيداً لهدمه؟! إنك لمَّا خذلت ولدك وسلمته لنسيب مخادع مراوغ مغرض ، كنت قد أعطيت ذلك النسيب الفرصة السانحة لأن يُدمر ولدك وأحفادك! وقد كان ولدك قد واجه من البلاء والأذى ما الله به عليم! أيها الأب الخذول أما علمت أن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله بنص حديث النبي – صلى الله عليه وسلم -؟! والابن لفرط أدبه لم يرد إساءتك وتطاولك وتشويهك واعتداءك على حقوقه بالمثل! بل ظل يَبَرُّك ويُحسن إليك ويُقِيلُ عثراتك ، وأخذ على عاتقه كسر فقرك وفقر أبنائك وبناتك ، حِسبة لله تعالى! فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟! وإنني لأتعجب من أب يعيش مع ابنه ستة وعشرين عاماً ، ولم يستطع أن يعرف مفتاح شخصيته وكيفية التعامل معه! تلك والله إحدى الكُبَر وثافية الأثافي وقاصمة الظهر ، أننا نجد أباً رغم تفتح ابنه وعقلانيته والتزامه الصارم بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم هو لا يدرك كيف

يقنع ولده بأمر ما فيه سلامته وعافيته! أراد ولدك (زبيدة) زوجة ، وأردت أنت (رفيدة) ، هل عدم انصياعه للزواج بمن اخترت أنت يجعلك تُسَلمه لعدوك وعدوه؟ أم تدعه يتزوج بمن يريد ، وتظل تنصح وتوَعِّي وتُحذر وتأخذ وتُعطي وتُقنع وتُبين؟! لقد قتلت ولدك بخذلانك فسامحك الله – تعالى -! ومن هنا صُغتُ توبيخ الابن لأبيه ، قصيدة على قافية الراء الساكنة وبحر الرمل!)

يـــا أبـــي ، الخُـــذلانُ أودَى بـــالظفرْ ... عِبـــرة صَـــيَّرتني بـــين البشـــرْ

خِـــرت لـــي ، واختـــرتُ أخـــرى زوجـــة ... وفـــقَ تشـــريع المليـــك المقتـــدر

لـــم تكـــنْ لـــي خِبـــرة أحيـــا بهـــا ... كـــي تُنِيـــرَ الـــدربَ لـــي بـــين البشـــر

غرَّنـــي فيهـــا التـــزامٌ ظـــاهرٌ ... واحتشـــامٌ واحتـــرامٌ مُـــدَّخر

وأبوهـــا غرَّنـــي تفكيـــرُه ... ومِـــن الســـحر كـــلامٌ وفِكَـــر

يَنْثـــرُ الآيـــات دُراً خالصـــاً ... والأحاديـــثَ بهـــا شـــتى العِبـــر

كـــم ســـبا عقلـــي بأمثـــال زكَـــتْ ... وبمـــأثور علـــى الخيـــر اقتصـــر!

كـــم تـــلا مـــن قصـــةٍ وَعظيـــةٍ ... تركَـــتْ فـــي الـــنفس مِعطـــارَ الأثـــر!

كـــم حَبـــا نصـــحاً لـــه تـــأثيرُه ... فـــي فـــؤادٍ بالوصـــايا ينزجـــر!

كـــم بكـــى الإســـلامَ غابـــتْ شمسُـــه ... وقـــلا الأصـــقاعَ مِـــن خـــالي العُصُـــر!

كـــم لـــدى أشـــياخ علـــم قـــد ســـعى ... بـــاذلاً مـــالاً وجُهـــداً فـــي الســـفر!

كـــم مِـــن الأســـفار ذاكرنـــا معـــاً ... وقطفنـــا مِـــن مَغانيهـــا الزهَـــر!

كـــم فتـــاوى أشـــرَقتْ فـــي دربنـــا ... والبشـــاراتُ بهـــا خلـــفَ النـــذر!

ولـــه استســـلمتُ مُنقـــاداً إلـــى ... مـــا ارتـــآه ، لـــم أعِـــدْ فيـــه النظـــر

ظـــلَّ مَخبـــوءًا يُواريـــه الصَّـــدَى! ... والصـــدى أعمـــى فـــؤادي ، واســـتتر

قـــال لـــيْ الأصـــحابُ: حـــاذرْ مَكـــرَهُ ... لاعـــبٌ هـــذا ببـــيض والحجـــر!

حاجـــبٌ يَســـطو ، وعـــينٌ تجتنـــي! ... فاصـــطحبْ إنْ تلقـــه كـــلَّ الحـــذر!

وادرس التـــاريخ تعـــرفْ سِـــرَّه ... كـــم حـــوى تاريخـــه أخـــزى الســـيَر!

غيـــرُ خـــافٍ عنـــك ماضـــيه الـــذي ... نفّـــرَ الأفـــرادَ منـــه ، والزمَـــر!

وأنـــا غلّبـــتُ رأيِّـــي والهـــوى ... وظنـــونـي أسْـــلمتْني للخطـــر!

وابنـــة الـــدهقان هـــذا مَثلـــتْ ... دَورَ (ليلـــى) فـــي هواهـــا المُســـتعر!

وارتضـــتْ شـــرطي ، وأبْـــدَتْ حُبهـــا ... وفـــؤادي بالتباشـــير انبهـــر

قبلـــتْ بالســـتر ثوبـــاً ســـابغاً ... واســـتجابتْ لوَصـــاياىَ الغـــرر

لـــم تُجـــادلْ فـــي الـــذي أمليتُـــه ... مـــن أمـــور مُلزمـــاً أن تـــأتمر!

واختبـــرتُ فـــي التلاقـــي عزمَهـــا ... واختبـــاري صِـــيغ فـــي بعـــض الصـــور

وارتضـــاني الكـــل خِـــلاً وافيـــاً ... صُـــحبة مُثلـــى ، ووُدٌ مُبتشـــر

والـــزواجُ الشـــؤمُ راجَـــتْ سُـــوقه ... وقضـــاءُ الله وافـــى ، والقـــدر!

والـــبلاءاتُ ابتـــدا مِشـــوارُها ... وإذا العُـــرسُ مَشُـــوباً بالضـــجر

يَشـــهدُ المـــولى دَهتْنـــي كُربـــة ... واعتـــرى نفســـي مِـــزاجٌ مُعتكـــر!

غلّـــبَ الصِّـــهرُ الهـــوى مســـتكبراً ... هـــل علـــيَّ اســـتكثرَ البـــاغي السَّـــمَر؟!

فتنـــة شَـــبَّتْ ، وزكـــى وقـــدَها ... مُعْقِبـــاً فـــي القلـــب أوشـــاظ الســـعُر!

واشـــتهى إذلالَ حُـــرٍّ مـــا اعتـــدى ... وإلـــى قعـــر النكايـــات انحـــدر

وانبـــرى فـــي النـــاس يُخفِـــي كيـــدَه ... قـــائلاً: زوجُ ابنتـــي فليعتـــذر!

قلـــتُ: كـــلا ، يـــا عنيـــداً ، والـــذي ... خلـــق الـــدنيا ، وبـــالتقوى أمـــر

ثـــم ســـافرتُ ، فكانـــت فرصـــتي ... ولـــدى الأعـــراب قـــد طـــال الســـفر

والنســـيبُ احتـــلَّ بيتـــي عامـــداً ... فـــي يـــدٍ لـــؤمٌ ، وفـــي الأخـــرى دَبَـــر!

وتخلـــى والـــدي عـــن عِشـــرتي ... لـــم يكُـــنْ لـــي مـــن لظـــى الخـــذل مَفـــر!

هـــل رأيـــتُم والـــداً يُـــردِي ابنـــه ... بصـــنيع بعـــده ولـــى الظفـــر؟!

لـــم أقصِّـــر لحظـــة فـــي حقـــه ... بـــل بـــذلتُ الخيـــرَ ، واستقصُـــوا الخبـــر!

هـــل ودادٌ بنقـــودٍ يُشـــترى؟! ... هـــل بمـــال أي كَسْـــر يَنجبـــر؟!

صِـــرتُ نهبـــاً للضـــواري غِيلـــة ... وحقـــوقي أهـــدِرتْ بـــين الأســـر

يـــــا أبـــــي أســـــلمْتني مســـــتغنياً ... فســـــقاني الكيـــــدَ كـــــذابٌ أشِـــــر

بـــــــدَّدَ الأمـــــــوالَ إذ أرســـــــلتُها ... عَلـــــه يُزجـــــي الجميـــــلَ المعتبـــــر!

عَلـــــه يُهـــــدي لبنـــــتٍ رَدَّ مـــــا ... قـــــدَّمتْ ترجـــــو مِـــــن الله الأجُـــــر!

وأنـــــا راجعـــــتُ صِـــــهراً مُغرضـــــاً ... عَلـــــه يَخـــــزى ، ويَـــــدري مـــــا بـــــدر!

لكـــــنِ الصِّـــــهرُ تمـــــادى فـــــي الجفـــــا ... بائعـــــاً وُدِّي ، وغـــــالى ، واحتقـــــر

قيـــــلَ لـــــي: راجـــــعْ أبـــــاً مُســـــتهتراً ... مَلّـــــكَ الأرضَ لمـــــن فيهـــــا اتجـــــر!

قلـــــتُ: أعطـــــاكم حســـــاماً قاصـــــلاً ... كـــــي تنـــــالوا مـــــن بـــــريءٍ مُصـــــطبر!

كنـــــتُ أحـــــرى أن يُـــــواليْني أبـــــي ... بجـــــدال مُثمـــــر يَقضـــــي الـــــوَطر!

يَبـــــذلُ النصـــــحَ ، ويُبـــــدِي رأيَـــــه ... قـــــائلاً: فكِّـــــرْ ، وراجـــــعْ ، واســـــتخِر!

مُبـــــدياً وَعيـــــاً وحِرصـــــاً حانيـــــاً ... كـــــي يُعيـــــدَ العقـــــلُ فـــــي الـــــرأي النظـــــر

ذاكـــــراً فيمـــــا يـــــرى تعليلـــــه ... عنـــــدما التغريـــــرُ قـــــد أعمـــــى البصـــــر!

رغـــــم خـــــذل هـــــدَّني بـــــين الـــــورى ... أنـــــت فـــــي حِـــــل وأمـــــي ، فابتشـــــر!

لكـــــنِ الصـــــهرُ لـــــه يـــــومُ الجـــــزا! ... بيننـــــا فيـــــهِ سيَقضـــــي المُقتـــــدر!

لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!

(تزوج رجلٌ ثريٌ جداً ، بفتاةٍ فقيرةٍ وجميلة! وبعد مرور عام من زواجهما حملت الزوجة ، وكان الزوج في قمة السعادة ، وكان يحلم بطفل لكي يحمل اسمه ، ويمسك الشركات والأموال في المستقبل! وهذا هو هدف الزوج في مخيلته ، ولكن حين أنجبت الزوجة ، وكان المولود فتاة ، هنا انزعج الزوج ولم يتقبل الأمر ، وصارت الأوضاع سيئة على الزوجة! ومرت الأيام ، فحملت مرة ثانية ، وبدأ الزوج يرتب أحلامه من جديد. وعندما وضعت كانت فتاة اخرى ، فغضب الزوج من جديد وأصبح الأمر يسوء أكثر من السابق ، وبعد أيام قليلةٍ قرر أن يتزوج مرة أخرى! وبعد مدةٍ حملت الثانية وأنجبت ولداً! وهنا فرح الزوج ، وطار من الفرحة ، وأصبح كل الحب والاهتمام للثانية وابنها؟ ثم حملت مرة أخرى بعد ذلك أنجبت طفلاً آخر ، صار الزوج لا يطيق زوجته الأولى ولا بناتها ، فقرر أن يُخرجهم من البيت! وقد كان ، فتركهم في بيتٍ صغير مهجور في منطقةٍ بعيدةٍ عن المدينة ، ومرت الأيام ، ودارت الحياة ، وكبر الأطفال! وأصبح الأولاد يدرسون في الجامعات ، وأما الفتيات فيعملن مع أمهن في بيع الحطب في القرية ، بعد أن تركتْ أمهن الخدمة في بيوت الناس! وكان الأب يحب الأولاد كثيراً ، ويعطيهم كل الراحة والرفاهية والدلال! وفي أحد الأيام تعرض الأب لحادث سير وهو راجع من الشركة ، وتم نقله إلى المستشفى ، وتم إجراء عملية له ، ثم خرج الطبيب من غرفة العمليات ، وأخبرهم أن والدهم تعرض لكسور في الحوض ، وأصبح مُعاقاً لا يمكنه أن يتحرك ولا يمشي مجدداً. وبعد أيام نقلوه الى البيت ، ثم خصصوا له ممرضة خاصة تقوم برعايته ، وتقوم بإطعامه. ومضت الأيام وهو وحيد لا يأتي إليه أحد من أولاده لزيارته ، وهو معهم في نفس البيت ، حيث يقضي الأولاد وقتهم في التنزه واللعب وصرف الأموال ، ودارت رحى الحياة ، ثم بدأت الأموال تنقص والشركات تفلس والممرضة قدمت استقالتها لعدم صرف مرتباتها منذ شهور ، ثم قرر الأولاد وضع أبيهم في (دار الخير) أو دار العجزة! فتم نقله بالفعل هناك وهو يبكي وعيناه تقطر دماً بدل الدموع! فلما علمت الزوجة الأولى ما حصل لزوجها وأنه تم نقله الى دار العجزة ، ذهبت مع بناتها وأخرجوه ونقلوه إلى بيتهم الصغير ، وبدأ الكل بالاهتمام به! وكانت الزوجه مع بناتها تعمل وتجمع المال من أجل علاج زوجها ، وبدأ الأب يتحسن ويقف على قدميه من جديد ، وبعد عام شفي الزوج تماماً وأصبح قادراً على الحركة! وهنا تذكر الزوج كل ماحصل له من أولاده وأمهم وبدأ يتأسف من زوجته ومن بناته ، وهو يبكي لِما فعله معهم ، وذهب بعد ذلك لأحد أصدقائه واقترض منه المال وأرجع شركاته لسالف عهدها واستعاد كل ما ضيَّعه أولاده ، وأخذ زوجته وبناته وعاد بهم إلى الفيلا ، وبعث بزوجته وأولادها إلى ذاك المكان الصغير ، وقال لهم: هذا هو مكانكم الصحيح! أنتم عار علينا! لقد تركتموني في أول سقوطٍ لي أيها الأوغاد ، رغم كل الذي فعلته لكم! لقد ظلمت زوجتي وبناتي من أجل راحتكم ، وفي المقابل أين وضعتموني؟ في (دار الخير) ، دار العجزة ، رغم ما فعلته بهن ، وحرمتُهن من حنان الأب وحرمتهن من العلم والراحة ، ولقد تركتهن وحدهن للعذاب والشقاء ، ورغم كل هذا أخرجنني من دار المسنين وقمن برعايتي ، حتى صرت أقف على قدمي. لقد كنت مخطئاً حين فضلتكم عن البنات ، ولكن عرفت نعمتهن وفضلهن في أمس حاجتي لهن. وأصبحت الأم تعيش مع بناتها في نعيم والدهم! وصدق الله: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)! والعِبرة من هذه القصة: أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون! من تظنه سيرفعك ، هو من يسقطك ، ومن تظنه سيسقطك هو من يرفعك في النهاية! ولله في خلقه شؤون! ولعل هذه القصيدة يكون لها نفس الخيط

الشعوري الذي كتبتُ به قصيدة: (رضيعة الحاوية) منذ عشرين سنة! يا ناس ، الآباء والأبناء لا يعلم النافع منهم إلا الله رب العالمين! فلماذا إذن مَوجة التفضيل والإيثار الفجة المكشوفة؟!)

راجـــعْ ضـــميرَك ، سُـــوءُ الظـــنِّ مَـــذمومُ ... ولا تقـــــلْ أبـــــداً: إنـــــي لمظلـــــومُ!

مازلـــت تضـــربُ فـــي تِيـــهِ الهـــوى زمنـــاً ... حتـــى انحرفـــت ، ومـــا أفـــادَ تقـــويم

أرادَ ربُّـــــك بالبنـــــات مَرحمـــــة ... وأنـــت مِـــن خِلفـــة البنـــات مكظـــوم

وظـــلَّ وجهُـــك مُسْـــوَداً صـــباحَ مســـا ... وقلـــت: إنـــي بهـــذا الحـــظ مَـــذموم

وغالـــكَ الـــوهمُ ، لـــم تبـــرَحْ هواجسَـــهُ ... وجُـــرحُ قلبـــك – بـــالتغرير - مَكلـــوم

وعِشْـــت تســـألُ مَـــن دَنَـــوْا ومَـــن بَعِـــدوا ... أنـــا لمـــاذا – مـــن الأولاد – محـــروم؟!

فقـــال قـــومٌ: عطـــاءُ الله مَكْرُمـــة ... والبنـــتُ سِـــترٌ مـــدى الأيـــام مَحشـــوم

واصـــبرْ لعلـــك تُعطـــى بعـــدهن فتـــىً ... يكـــون رِدْءاً ، وهـــذا الوَهـــبُ مَقســـوم

وقـــال قـــومٌ: تـــزوَّجْ بعـــدُ ثانيـــة ... ولا يَصَـــدَّك نحـــسُ الحـــظِ ، والشـــوم

ولـــيس عَيبـــاً ، ولا الـــرحمنُ حَرَّمـــهُ ... والعُـــربُ تفعلـــه ، والفـــرسُ ، والـــروم

والعُمْـــرُ يَجـــري ولا تـــدري المصـــيرَ غـــداً ... والغيـــبُ - عنـــد مليـــك النـــاس - مَعلـــوم

وشـــجَّعوك علـــى الـــزواج يَســـبقهم ... عـــزمٌ - بـــأهواءَ فـــي الأذهـــان - مَحكـــوم

حتـــى تزوجـــت مِـــن أخـــرى لتُرضِـــيَهم ... وأنـــت فـــي خِلفـــة الأولاد مَنهـــوم!

حتـــى إذا وَلـــدتْ سِـــتَّ النســـا ولـــداً ... عَـــلاك فـــرحٌ وتطريـــبٌ وتـــرنيم!

وبعـــد عـــام أتـــى مِـــن بعـــده ولـــدٌ! ... طفـــلٌ رضـــيعٌ ، وطفـــلٌ قبـــلُ مفطـــوم

فلـــم تُطِـــقْ زوجَـــك الأولـــى تكـــون إلـــى ... جـــوار ضُـــرَّتها ، والـــزوجُ مَخـــدوم!

حتـــى البُنيـــاتُ لـــم يَلقـــين عطـــفَ أب ... طـــرَدتهن ، ودمـــعُ العـــين مَســـجوم!

والأم قـــد طـــردَتْ بـــلا مُراجعـــةٍ ... وقلبُهـــا مِـــن صَـــنيع البعـــل مَهمـــوم

أســـكنتهن بـــدار مـــا أقمـــت بهـــا ... ولـــم يكُـــنْ لشـــقوق الســـقف تـــرميم

ولـــم تكـــنْ نفقـــاتٌ منـــك تبـــذلها ... علـــى البُنيَّـــات ، فـــالإذلالُ مَفهـــوم!

والأمُّ خادمـــة فـــي الـــدَّور قـــد عملـــتْ ... فكـــم يُكَلفهـــا عَـــيشٌ وتعلـــيم!

وأنـــت عـــنهن لـــم تســـألْ ككـــل أب ... فحُـــبُّهن بقلـــب الأبِّ مَعـــدوم

أغنتْـــك زوجُـــك والأولادُ مُـــذ يفعـــوا ... عـــن البُنيَّـــات ، فالوصـــالُ مَزعـــوم

صـــاروا رجـــالاً لهـــم فـــي العـــيش مَـــنطقهم ... وعـــن مَســـاوئهم كـــم كـــان تعتـــيم!

وأنـــت ســـلمتهم بـــالطوع أرصـــدة ... رغـــم اســـتهانتهم ، فخـــابَ تســـليم!

حتـــى أصِـــبت ، فمـــا التـــاعوا ولا انتحبـــوا ... بـــل قسَّـــموا مـــالهم ، وســـاءَ تقســـيم!

فأفلســـتْ شـــركاتٌ كنـــت قائـــدَها ... إذ لـــم يكُـــنْ لكتـــاب الله تحكـــيم

فمـــا أحَلـــوا الـــذي الـــديانُ أحللـــه ... ولـــم يكـــنْ للحـــرام المَحـــض تحـــريم

فـــأودعوك بـــ (ـــدار الخيـــر) ، مـــا احتملـــوا ... رَدَّ الجميـــل ، لكـــي يكـــون تجميـــل

فجـــاءت الأســـرة الأولـــى مُضَـــجِّية ... وكـــان منهـــا لـــراع زلَّ تكـــريم

تحَمَّلـــتْ نفقـــاتٍ لا حُـــدود لهـــا ... وفـــي القـــراطيس أعـــدادٌ وتـــرقيم

حتـــى أفقـــت مِـــن السِّـــقام مُبتشـــراً ... وكـــان منـــك لِمَـــا بـــدأت تتمـــيم!

والأصـــدقاءُ لهـــم فـــي العـــون حِصَّـــتُهم ... وعـــونُهم زانـــه شُـــكرٌ وتعظـــيم

وللبُنيـــــات دَورٌ لا أوَصِّـــــفهُ ... فـــي كـــل وادٍ لـــه ذِكـــرٌ وتعمـــيم

لـــذاك أمَّمْـــت أملاكـــاً وأبنيـــة ... كانـــت مُضـــيَّعة ، فطـــابَ تـــأميم!

وفـــاضَ مـــالٌ وأربـــاحٌ وتكرمـــة ... وزالَ صِـــيتٌ فظيـــعُ الزيـــف مســـموم

وزال حـــالٌ وأوضـــاعٌ يضـــيقُ بهـــا ... صـــدرُ الحلـــيم ، وبُـــؤسُ الحـــال مشـــؤوم

بنـــاتُ (زيـــدٍ) وأبنـــاءٌ لـــه نُجُـــبٌ ... مَجهـــولٌ النفـــعُ ، والعطـــاءُ مَعلـــوم!

ولـــيس يـــدري الـــذي يُحزيـــه مَنفعـــة ... ومَـــن إذا مـــات قـــال: الأبُّ مرحـــوم!

النفـــعُ يعلمُـــه ربٌ يُـــزِينُ بـــه ... قلبـــاً نـــأى عنـــه بـــين النـــاس تـــأثيم!

حياتُهم ثمنُ حقهم!

(إن هناك صراعاً بين الحق والباطل ، بين الهُدى والضلال ، بين الرشاد والغي ، بين الخير والشر! فمن الذي يدفع فاتورة هذا الصراع؟! إنهم أهل الحق سواء كانوا أنبياء أو رسلاً أرسلهم الله تعالى ، أم كانوا مصلحين ، أو مفكرين أو علماء! وفي النهاية تكون نصرة الحق والخير والهدى والرشاد! ويندحر الباطل! ولكن بعد أن يكون الحق والخير قد دفعا ثمناً باهظاً وتكاليف عظيمة في سبيل ذلك! مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم مسموماً ، وتعددت محاولات اغتياله وقتله! كما تعددتْ محاولات قتل إخوانه الأنبياء والمرسلين من قبل! مات عمر بن الخطاب (رضي الله عنه وأرضاه) مقتولاً! ومات عثمان بن عفان (رضي الله عنه وأرضاه) مقتولاً. مات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه وأرضاه) مقتولاً ، مات في السجن! الإمام الأعظم أبو حنيفة مات بعد الضرب الشديد في محبسه. مات سعيد بن جبير مقطوع الرأس. مات محمد بن نوح مسجوناً. ومات سفيان الثوري فاراً مطارداً. ومات الطبري مُحاصراً. ومات البخاري مهجوراً شريداً. ومات النسائي مقتولاً. القاضي عياض مقتولاً. ومات ابن حزم مطارداً. ومات شيخ الإسلام ابن تيمية مسجوناً. ومات نعيم بن حماد في السجن بسبب فتنة خلق القرآن ، وكان مقيداً فأوصى أن يدفن بقيوده ، وقال: إني مخاصم. ومات الإمام البويطي مقيداً في الحديد ، في القرن الثالث الهجري في الامتحان بفتنة خلق القرآن! ومات صاحب المعالم والظلال الوارفة مشنوقاً! هذا هو حال العلماء. وأمثالهم كثر رحمهم الله تعالى ، وأسكنهم فردوسه الأعلى. يدفعون أعمارهم من أجل إيصال كلمة الحق ورسالات الله. إن الموت في سبيل الحق ، لهو عين البقاء.. فماذا قدمت أنت في هذا الطريق؟ قال الله تعالى: (الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)! وللأسف امتدت هذه العدوى لتشمل العلماء الذين ينشرون العلم ، ولو كانوا من غير قومنا وعلى غير ديننا! فكم سمعنا في الشرق الملحد والغرب الصليبي عن قتل علماء فيزياء وذرة وفلك وطب وجيولوجيا وفضاء! وإذن فعداوة العلماء والمصلحين جديدة قديمة ، ولا وطن لها أبداً ، ولا قوم ، ولا زمان! كتبتُ على قافية الراء ومنهوك الرجز هذا النص الرثائي!)

حقيقـــــــــــة لا تَســـــــــــتتِرْ ... بنصِّـــــــــها جـــــــاءَ الأثـــــــرْ

إن الصـــــــــــراعَ مُضـــــــــــرمٌ ... مـــــا بـــــين خيـــــر – إي – وشـــــر!

كـــــم سَـــــطرَ التـــــاريخ فـــــي ... أســـــــفاره أســـــــمى العِبَـــــر!

والبـــــــــاحثون سَـــــــــجَّلوا ... جرائمـــــــــاً لا تُغتفـــــــــر

يَنـــــــدى الجبـــــــينُ آســـــــفاً ... ممـــــا أتـــــى أعتـــــى البشـــــر

كـــــــم أنبيـــــــاءَ قتّلـــــــوا ... يـــــا للفجـــــور المُســـــتعر!

كـــــــم مرســـــــلين عُـــــــذبوا ... والـــــنص عـــــنهم مُســـــتطر!

كـــــــم مُصْـــــــلِحين جُنـــــــدِلوا ... والنيـــــــلُ مـــــــنهم مشـــــــتهر!

كـــــــم عـــــــالِمين حُرِّقـــــــوا ... والســـــــفرُ أرداه الشـــــــرر!

لا يَقبـــــــلُ الجهـــــــلُ الهُـــــــدى ... والعلـــــــمُ يَقلـــــــوه الغجـــــــر!

فـــــــالمجرمون زُمـــــــرة ... للعِلـــــــم ليســـــــتْ تنتصـــــــر

بهـــــــم يَســـــــودُ باطِـــــــلٌ ... ويَنتشـــــــي ، ويَزدهـــــــر!

وكـــــــم تـــــــرُوجُ سُـــــــوقه ... فـــــي النـــــاس فـــــي سَـــــهل وبَـــــر!

لكنـــــــــــه مُؤقـــــــــــتٌ! ... هيهـــــــات يومـــــــاً يســـــــتمر!

لـــــــه انتفـــــــاشٌ فـــــــي الـــــــدنا ... يـــــــأوي إليـــــــه كـــــــل غِـــــــر

وانظـــــــرْ إلـــــــى أهـــــــل التقـــــــى ... يُقوِّمـــــــون مـــــــا انكســـــــر

ويُصْـــــــــــلِحون واقعـــــــــــاً ... إلـــــــى الهدايـــــــة افتقـــــــر

ويَرفعـــــــــون شـــــــــأنه ... مهمـــــــا تمَكّـــــــنَ التتـــــــر

لا يَـــــــأبهون بـــــــالأذى ... لا ينظـــــــرون للضـــــــرر

أرواحُهـــــــم رَخيصـــــــة ... هانـــــت علـــــيهم فـــــي الغِيَـــــر

إذ قـــــــدَّمُوها حِســـــــبة ... عنـــــد المُليـــــك المُقتـــــدر!

أخلاقك شخصيتك!

(إن موقف هِنري فورد مع الشخصين اللذين أراد تعيين أحدهما مديراً مسؤولاً في شركته ، يدل على فطنة الرجل وذكائه في معرفة أخلاق الرجال! إنه الملياردير المعروف هنري فورد مؤسس شركة فورد لصناعة السيارات ، والذي كان ينوي تعيين شخص في منصب ما في إدارة شركته ، فاختار اثنين من نفس الجامعة ونفس التخصص ، ودعاهم لتناول العشاء معه في أحد المطاعم. وبعد العشاء بينما خرجَ الجميعُ من المطعمِ! قال فورد لأحدهما: لقد تمَّ تعيينك في المنصب! وقال للآخر: أعتذرُ منكَ ، لن تكون ضمن فريقنا. استجمعَ الشَّابُّ المرفوضُ شجاعته ، وقال له: سيد فورد ، هل لي أن أسألكَ سؤالاً؟ فقال له: تفضل. قال نحن لم نتحدثْ عن الهندسة ، ولا السيارات ، ولا الجامعة ، تحدَّثنا في الأمورِ العامةِ فقط ، فلِمَ تمَّ توظيف صديقي ورفضي أنا؟ فقال له: لسببين اثنين:- الأول: صديقك تذوَّقَ شريحةَ اللحمِ ثم أضافَ إليها ملحاً ، وأنتَ أضفتَ الملحَ قبل أن تتذوقها ، يعجبني الأشخاص الذين يُجرِّبُونَ الأشياءَ قبل محاولة تغييرها. الثاني: كان صديقك مؤدباً مع النادلين يقول: شكراً ، وآسف! أما بالنسبةِ لكَ فكانوا غير مرئيين تماماً ، كنتَ مؤدباً معي فقط! القائدُ الرائعُ الذي يريدُ أن يتركَ أثراً في عمله عليه أن يتعاملَ مع الجميعِ على أنهم بشر. إنها تصرفاتٌ صغيرةٌ تُنبئُ بالكثير! وتحت عنوان: (الشخصية المتوازنة تتحلى بالصبر) يقول الأستاذ عبد العزيز الخضراء ، ما نصه: (الشخصية المتوازنة هي الشخصية الملتزمة بموقف الاعتدال شعورياً ونفسياً وفكرياً وسلوكياً بعيداً عن الغلو في أي من الطرفين ، فصاحبها سعيدٌ في حياته من غير شك لأن الشخصية المتوازنة أبعد من غيرها عن الاستغراق في المشاكل المستعصية ، وصاحبها لا يفقد أعصابه عند الخطوب ولا تهيج عواطفه هيجاناً طاغياً يذهب بالبصيرة ، وإنما يُحسن معالجة المشكلات ، ويتجمل بالصبر الإيجابي ، فيتحمل الآلام ، ويعمل على تجاوز المحن بعقلانيةٍ ورويةٍ وأدب مع الجميع ، ويُقدِّر الأمور حق قدرها ، فلا يُهوِّل ولا يُهوِّن ولا ينسج مع نفسه أوهاماً ، فنفسه مطمئنة لا تعصف بهدوئها الانتقادات والعداوات ، لأنها تردها إلى سوء الفهم أو الحسد أو حظوظ النفس فلا تُعيرها من الاهتمام أكثر مما تستحق ، فتحافظ بذلك على توازنها ولا تقع ضحية لردود الأفعال المتشنجة التي تزيد الخلافات حِدة بدلاً من حلها ، بل وأكثر من ذلك فإنها تستفيد من النقد ، فلعله يبصرها بعيوب غفلتْ عنها ، أما العداوات فتتيح لها التمرس على التعامل مع الأمزجة المتخلفة والصبر على المخالفة ، وصاحب النفس المتوازنة مطمئن داخلياً! فهو يبني علاقاته الاجتماعية على الألفة والتوافق ، داخل الأسرة ، وفي مكان العمل ، وعلى صعيد النشاط التجاري والسياسي والدعوي. فلا يسرف في الحب أو البغض ، ولا يؤسس أحكامه على سوء الظن ، ولا هو بالمغفل ، يغضب إذا استغضب ، ولا يجاوز حدود الأدب ، ويسترضى فيرضى ، ويحتسب أمره عند الله ، هو دائمُ البشر باسم الثغر يألف ويؤلف ، يتعامل بالكلام الطيب ويؤثر حب الخير للناس! وهناك مفسدات للشخصية المتوازنة:- لعل أخطرها الحساسية المفرطة ، وهو حالة من يفكر في نفسه فقط فلا يقبل كلمة فيها أدنى مخالفة أو تجريح. لأنها تجعله يغلي داخلياً ويضطرب ويثور ، ولو كان يخفي ذلك بغطاء ظاهري من الرزانة ، فقد يكون لطيفاً في تعامله مع الناس ، لكنه مجرد الأدب السطحي الذي سرعان ما ينهار بناؤه أثناء النقاش أو التعاملات المختلفة ، وهذه الحساسية المفرطة تؤدي حتماً إلى العزلة أو الصدام وهذا عين الخروج عن التوازن. إن توازن الشخصية يُكسبها قوة أدبية وثقة بالنفس على التعاطي السليم الواعي مع الأحداث ووقائع الأشخاص ، وهو وإن كان للفطرة فيه نصيب ، إلا

أنه يمكن اكتسابه وبناؤه وتجويد أدائه).هـ. ولما أعجبني مقياس هنري فورد في قياسه للشخصية وطريقته العجيبة الغريبة في ذلك ، كما أذهلتني سرعة بديهته ، بقطع النظر عن معتقده الفاسد المزري ، فكتبتُ في هذا الموقف ، على قافية الميم المرفوعة ، والبحر المديد:)

كـــــم بـــــأخلاق سَـــــما مســـــتقيمُ ... واســـــتمى بالمَكْرُمـــــات كـــــريمُ!

كـــــم ســـــبَتْ أخـــــلاقُ فـــــذٍ قلوبـــــاً ... والســـــجايا كـــــم سَـــــباها حكـــــيم!

كـــــم بإحســـــان تســـــامتْ نفـــــوسٌ ... وببـــــذل العُـــــرف تُجلـــــى الغمـــــوم!

صـــــاح فاســـــلكْ - فـــــي الحيـــــاة - التحـــــدي ... وابتهـــــاجُ العـــــيش دَربٌ قـــــويم

ســـــوف يبقـــــى الخيـــــرُ فـــــي النـــــاس دومـــــاً ... صـــــاح هـــــل شـــــرٌ بـــــأرض يَـــــدوم؟!

إن قومـــــــاً عـــــــاملوك برفـــــــق ... لا كقـــــوم هـــــم – وربـــــي - خُصـــــوم

ذات يـــــوم يُصـــــبحُ المـــــرءُ ذِكـــــرى ... هـــــل تســـــاوى الخِـــــبُّ والمســـــتقيم؟!

واختيـــــارُ الـــــرأس صـــــعبٌ عســـــيرٌ ... حـــــارَ - فـــــي هـــــذا الســـــجال - العلـــــيم

وشـــــؤون الشـــــغل تحتـــــاجُ فـــــذاً ... لا يكـــــونُ - فـــــي جَمعـــــه - مظلـــــوم

يَرتضـــــي العـــــدلَ ســـــبيلاً لعـــــيش ... لا يُحِـــــبُ العـــــدلَ إلا العظـــــيم

لـــــيس يَرضـــــى بالدنيـــــة نهجـــــاً ... لـــــيس يَرضـــــى الـــــدونَ إلا الـــــذميم

يَســـــتمِدَّ مـــــن تســـــاميه دربـــــاً ... فـــــي مَـــــداه للجميـــــع النعـــــيم

لـــــيس قـــــط يَســـــتفز البرايـــــا ... بـــــل يُصـــــافي مُـــــدركاً مـــــا يَـــــروم

مُخلِـــــصٌ فيمـــــا يُـــــؤدي احتســـــاباً ... وبإرجـــــاع الحقـــــوق زعـــــيم

لا يُقِـــــرُّ الظلـــــمَ سَـــــمتاً وهَـــــدياً ... عَيشُـــــنا بـــــالظلم عـــــيشٌ عقِـــــيم

إنمـــــا بالعـــــدل تحيـــــا فِئـــــامٌ ... شَـــــأنُهم بالعـــــدل صِـــــدقاً يقـــــوم

واحتـــــرامُ النـــــاس طبـــــعُ (النشـــــامى) ... لا يُهـــــينُ النـــــاسَ إلا اللئـــــيم

إنمـــــا بـــــالخُلْق تســـــمو شُـــــعوبٌ ... وبـــــدون الخُلْـــــق لا تســـــتقِيم!

عُقبى حُب الظهور!

(اعتاد ذلك الأشيبُ على حُب الظهور بين الناس! وهو مرضٌ نفسيٌ يجعلُ صاحبَه يحب التميز والظهور على أكتاف الآخرين! كما يجعله يتصدرُ المجالس بحق أو بباطل! ولأن أشيب قصيدتنا لم يأخذ قسطاً من العِلم لا في المدارس والمعاهد والجامعات ، ولا على أيدي العلماء وطلبة العلم ، ولا من الكتب قراءة وبحثاً ودراسة على نسق التعليم الذاتي! فساعده جهله على حب الظهور! فكان يتصيد من كلام من يجالس من العلماء وطلبة العلم أية نادرةٍ في الحديث أو التفسير أو اللغة أو الإعراب ، ليقوم بامتحان من يجالس ، بهدف أن يُثبت للمحاور دونيته في العلم ، وأنه أعلم منه! ولما علم الناسُ عنه ذلك كانوا ثلاثة فرقاء: فريق يأخذه بظاهر أمره ، وفريق يصدقه بظاهر الكلام ، وفريق يتساهل ويسكت احتراماً للسن والعلم معاً ، وفريق يجادل ولكنه ينهزم في النهاية لغلبة الطيش والنزق والجهل! إلى أن أتى اليوم الذي لم يتوقعه الأشيب. ولم أتوقعه أنا كصاحب له! فكنتُ معه عند صديق هو إمام وخطيب تخرج في جامعة الأزهر ، وطبيعي أن يكون على درجة من العلم الشرعي بحكم التخصص على الأقل! ولكن هذا الصديق امتاز عن غيره من أصدقائي بالجُرأة في الحق! وبينما جلسنا ثلاثتنا نشرب الشاي في بيته ، فطرح الأشيب المريض بالعُجب وحُب الظهور سؤالاً على صديقي متحدياً إياه قائلاً: عندي سؤال أتحداك إن عرفت جوابه! فقال صديقي: ولماذا التحدي ، اسأل سؤالك فإن عرفت أجبتك ، وإن لم أعرف أجبته وعلمتني ، وكفى الله المؤمنين القتال! فقال الأشيب: (ما نوع اللام في قوله تعالى: (فالتقطه آلُ فرعون ليكون لهم عَدُواً وحزناً)؟! فقال صديقي بلا روية: (لام التعليل)! فقال الأشيب المتعالم: كيف تكون لام التعليل يا جاهل؟ هل يلتقط آل فرعون موسى من البحر لتكون العلة أن يكون عدوهم؟ ألا تفهم؟ ألا تتبصر؟ هنا شعر صديقي بالإهانة والتعيير والتحقير والتشفي من ذلك الجاهل الأحمق! فنظر إليَّ عاتباً ، فتغاضيتُ عن نظرته ، وتركتُه للأشيب قائلاً: سؤالٌ وجوابٌ بين اثنين ، ما علاقتي بهما؟ فقال صديقي للأشيب: منكم نتعلم يا سيدي ، قالها بعد أن كظم غيظه! فقال الأشيب: لام العاقبة! ماذا تعلمت في جامعة الأزهر طيلة هذه السنين؟ أأدركت الآن أنك جاهل لا تفقه التفسير ولا الإعراب؟! فنظر إليَّ صديقي وقال: لقد أهانني الأشيب وهو صاحبك فماذا تنتظر؟ فقلت له: أنت رجل ، وهو رجل ، انتصر لنفسك منه! وأخرجاني من هذا السجال بينكما رَجاءً! فقال الصديق: أإذا انتصرتُ لنفسي لا يكون في نفسك شيءٌ مني؟! فقلتُ: لا وربي! فقال صديقي للأشيب: لي عندك جواب ولك عندي تعقيب على الجواب؟ فقال الأشيب: علمت الجواب ، فما التعقيب؟! فقال صديقي: شكراً على المعلومة! وتعقيبي سؤال لك! أما أنا فإمامٌ وخطيبٌ تخرج في جامعة الأزهر ويحمل شهادة جامعية في قسم التفسير والعقيدة ، فمن أنت؟ فقال الأشيب: رجلٌ مسلم! فقال صديقي: أنا أحسب على علماء المسلمين ، وأنت تُحسب على عوامهم ، فتعلم أدب التعامل مع العلماء ومجادلتهم ثم اختبرهم! وعندما وجدت النفوس قد أسفرتْ عما بداخلها من شر ، طرحتُ سؤالاً للاثنين قائلاً: اللام في اللغة العربية لها خمسة وعشرون استخداماً ، من منكما يذكرها؟ ولستُ أتحدى ، ولكن أفيد وأستفيد! فقال صديقي: فليجب الأشيب أبو العريف قاضي القضاة وعالم العلماء! وهنا أدرك أبو الشياب أن بينه وبين العلم أمداً بعيداً! فقلت: هذه الأنواع هي: (لام التعليل – لام القسم – لام التوكيد بنوعيها – لا الأمر – لام الناهية – لام النافية – اللام المزحلقة – لام الملك – لام الاختصاص – لام شبه الملك – لام التبيين – لام التقوية – لام انتهاء الغاية – لام الاستغاثة – لام التعجب – لام الصيرورة – لام الاستعلاء – لام الوقت – لام معنى مع – لام

معنى في – لام الجر – لام الجحود – لام البعد – لام جواب لو ولولا). وتحت عنوان: (حب الظهور والاستعراض). تقول الدكتورة عائشة عبد العزيز الشيخ ما نصه بتصرف: (يعتقد البعض أن حب الظهور والاستعراض من السمات العادية التي يصطنعها الأفراد دون وجود لجذور حقيقية تربطها بشخصياتهم. في حين أنها تصنف ضمن العقد النفسية والسلوكية الاجتماعية ، وهي ظاهرة تتأصل جذورها في التكوين الفردي للشخص وبالتربية والمحيط الاجتماعي. فالحياة اليومية مليئة بالكثير من الأشخاص المتعطشين للفت الانتباه وبعقدة حب الظهور ، سواء من خلال شكلهم الخارجي كلبسهم ما هو مميز أو الغريب ، أو تعمدهم الظهور بقصات شعر غير مألوفة ، أو باختيارهم لبعض الألوان الصارخة أو اقتنائهم لكماليات باهظة الثمن رغم تواضع جيوبهم. وقد تبرز عقدة حب الظهور واضحة في الطريقة التي يتحدثون أو يفكرون بها ، كالتحدث بطريقة مختلفة عن الآخرين أو برفع الصوت عند التحدث لجذب الانتباه مع مراقبة ردود فعل الناس المحيطة بهم للتأكد من انجذابهم بالفعل. كأن يتحدث هذا الشخص مع مرافقه في مكان عام وبصوت مرتفع جداً ليسمع الآخرين عن صفقاته التجارية الناجحة أو عن ما يملك من مزايا أو عن البلدان التي زارها أو عن الممتلكات التي باعها أو عن غير عادي أو مهمة (VIP) الاجتماعات التي حضرها حتى يعرف المحيطين به أنه شخص جداً. فيما قد يختار هذا الشخص المصاب بداء حب الظهور ، التحدث بأسلوب مليء بالترفع والتميع بالنسبة للنساء والتعالي في الكلام مع التركيز على سرد المواقف الشخصية الذاتية على سبيل الفخر والخيلاء مع تضخم واضح وكبير في الأنا كسيادة الثلاثي القاتل «أنا» ، «لي» ، «عندي». ويؤكد علم النفس أن سمة حب الظهور ولفت النظر هي حاجة نفسية غريزية لا تختلف كثيراً عن غيرها من الحاجات البيولوجية الجسدية كالحاجة للطعام والهواء والشراب والحاجات العاطفية والاجتماعية الأخرى كالحب والعطف وكسب الاحترام. فالرضيع يبكي لكي يلفت انتباه أمه والمحيطين به ، وقد يكسر الطفل الصغير حاجيات المنزل بهدف لفت انتباه أهله إليه. وبنفس الطريقة قد يكتسب الإنسان في حياته المبكرة الكثير من السلوكيات الجيد منها والسيئ لتحقيق نفس الغرض وهو حب الظهور والتميز ولفت الانتباه. فقد يتعلم طفل ما الاجتهاد أو الترتيب ليكسب اهتمام ذويه وقد يتعلم العكس عندما لا يثاب على السلوكيات الجيدة ، في حين يحصل على الاهتمام عند تكسيره للأشياء أو عند إتلافها مما يحقق لديه الحاجة للفت النظر وتحقق له السلوكيات الخاطئة الإثابة المرجوة. عندها فقط يتعلم الطفل السلوك المزعج لكسب الانتباه. وقد تتميز مرحلة عمرية ما بسلوكياتٍ معينةٍ تندرج ضمن سمة حب الظهور والاستعراض كمرحلة المراهقة والشباب مثلاً والتي يعتمد أفرادها السلوكيات المتهورة كاستعراض القوة والشجاعة بالتشخيط والتخميس من قبل الفتيان ، وكاستعراض مفاتن الجسد والجمال بالمكياج الصارخ والتعري السافر لدى شريحة الفتيات ، فيما قد تتراجع ثورة لفت الانتباه والظهورية تدريجياً لدى تلك الفئة الشابة بتقدم العمر ، وبمجرد أن يستقر نظام القيم الاجتماعية لديها بعد أن تجد عوامل استقرارها في دروب الحياة. ولكن ما يميز بعض الشخصيات المريضة بحب الظهور هو استمرار تلك الرغبة الجامحة في لفت انتباه الغير لدرجة يصاب صاحبها بحالة من الهوس بإظهار الكبر والاستعلاء وحب التسلط والإعجاب بالنفس والافتخار بها وحب الجاه والشهرة وحب المدح والرياء. ويذهب هذا الفرد المريض لأبعد من ذلك بحيث يتعمد إلى تتبع وتصيد السقطات والزلات لغيره من المنافسين أو الآخرين بهدف التقليل من شأنهم كما يشعر بالغيرة الشديدة والتضايق عند ذكر منجزاتهم

وإبداعاتهم. فلا يرضى هذا الشخص الأناني لغيره بالبروز والتميز حتى لا يخفت بريقه ويأفل نجمة وتتلاشى نظرات المعجبين من حوله. ما يميز هذه الشخصية المصابة بداء حب الاستعراض هو عدم صبر صاحبها على الاستماع لمقترحات الآخرين وعدم تقديره لما يطرحونه من حلول مع رفض واضح ودائم للثناء على الآراء الجديدة والمبدعة حتى لو كانت تلك الآراء سديدة ومفيدة له ولعمله. يتميز هذا المتملق أيضاً بعدم التراجع عن الخطأ وعدم الاعتراف به. كما يتوق دائماً لتسلق أكتاف الآخرين واستقلال منجزاتهم ولا يتوانى في نسبها إليه. يتميز هذا الشخص أيضا باللسان اللاذع وانتقاد المجتهدين دون حرج من كشف حسده لما وصلوا إليه. تحقق عزيزي القارئ ان كنت من الذين يتميزون بمعظم تلك السمات سالفة الذكر واحمد الله أن لم تكن كذلك. أما عن كيفية التخلص من هذه السمة المذمومة فتؤكد الدارسات العلمية أن صاحبها بحاجةٍ لإعادة تأهيل نفسي وسلوكي وروحي ، حيث يحتاج هذا المنحوس للتدرب على استراتيجية السلوك المضاد ، بمعنى أن يدرب الشخص نفسه على سياسة ضبط النفس ولها أسلوب نفسي معين لا يسعنا المجال لمناقشته بحيث يدرب المريض نفسه على قمع رغبته في إلحاق الأذى النفسي بالآخرين ليكسب ودهم بدل حقدهم. وأن يدرب نفسه أيضاً على تقبل الرأي الاخر وعلى حسن الاستماع وعلى محاولة إعادة بناء الذات وتهذيبها ومقاومة جموحها. ولا ننسى هنا دور وأهمية العبادات الروحية والعودة إلى القيم الدينية والاجتماعية حيث تمثل تلك القيم المخرج الأكيد لمثل تلك السمات المزعجة للآخرين فالعودة إلى الله ومحاولة تهذيب النفس بالعبادة والدعاء والصبر حتى بالنسبة للأشخاص الأسوياء تعتبر من العوامل الوقائية التي تحول دون وقوع الإنسان فريسة الأمراض النفسية والسلوكية ، فالصلاة والدعاء هما من الوسائل التي تبعث الأمل في النفس المريضة وتوفر دعماً معنوياً).هـ. والأمر عند أشيب قصيدتنا كان واحداً من الأنواع التي ذكرت – بارك الله فيها -! أحس الأشيب أن من حوله من الأساتذة والدكاترة الذين هم في مثل سنه أو في مثل سن أبنائه كانوا قد سبقوه بمراحل ، فارتأى أن يتنقصهم بطريقةٍ مستفزة ، ألا وهي سؤالهم أسئلة منتقاة كان قد استمع إليها من أساتذة آخرين ، وراح يطرحها عليهم لا من باب الإضافة إلى علمهم ، ولكن من باب أن يقنع نفسه أنه أستاذ مثلهم أو دكتور مثلهم! ذلك أن شعوره بالنقص كان قد دفعه إلى الوصول على أكتاف الآخرين من حوله! وختمتُ الموقف بين صديقي والأشيب قائلاً: يا أيها الأشيب ، يا أيها الصديق: (وفوق كل ذي علم عليم) وكانت هذه القصيدة في علاج مرضي: حب الظهور والعُجْب بالنفس! فكتبتُ في هذا على قافية الراء المفتوحة والبحر السريع أقول:)

مـــــا رَدَّ شـــــيبٌ مُغرضـــــاً أشِـــــرا ... بالســـــوء فـــــي أقوالـــــه جَهـــــرا

حُـــــبُّ الظهـــــور الـــــدَّهرَ قاتلـــــهُ ... يَختـــــالُ زهـــــواً مُعجَبـــــاً بطِـــــرا

لـــم يَـــدر حجـــمَ الـــنفس عـــن كَثـــبٍ ... للشـــــر عمـــــداً نفسَـــــه نـــــذرا

والجهـــــلُ نصـــــبَ العـــــين منتصـــــبٌ ... والحقـــــدُ فـــــي ألفاظـــــه اســـــتعرا

والطـــــيشُ يُهـــــدي قلبَـــــه نزقـــــاً ... والغِـــــلُّ يُزجـــــي اللـــــؤمَ والـــــدبَرا

فـــــي العِلـــــم لاحـــــظ ، ولا نظـــــرٌ ... بـــــل خـــــبط عَشـــــواءٍ وكَيـــــلُ هُـــــرا

يَصـــطادُ مِـــن طـــرح الألـــى اجتهـــدوا ... لكـــنْ بجهـــل يُشـــبهُ الغجـــرا

إحساسُـــــه بـــــالنقص يقتلـــــه ... حتـــى يُـــرَى للـــنفس مُنتصـــرا

يَلقـــى ذوي الإرشـــاد مُحتقِنـــاً ... والقلـــبُ ممـــا عـــاينَ انفطـــرا

تســـفيهُ مـــن يلقـــاهُ مَطمحُـــه ... حتـــى إذا مـــا سُـــفهَ ابتشـــرا

واعتـــادَ أن يَطغـــى بغِلظتـــه ... مستســـخِراً يَســـتغفلُ البشـــرا

والنـــاسُ - فـــي هـــذا الســـجال - غـــدَوا ... ممـــا يُـــداجي - فـــي المِـــرا - زمَـــرا

فـــالبعضُ يَســـتحْيِي فيأسِـــرُه ... شـــيبٌ غـــزا لـــم يَتـــركِ العُشُـــرا

والـــبعضُ يُرضـــيه تفضـــله ... بالشـــيء مـــا - فـــي بالـــه - خطـــرا

والـــبعضُ عـــن جهـــل يُشَـــجِّعه ... فـــاغترَّ بالتشـــجيع ، وافتخـــرا

والـــبعضُ يُبـــدِيها مُجاملـــه ... تســـبي النهـــى والســـمعَ والبصـــرا

حتـــى أتـــتْ مِـــن رَبِّـــه عِظـــة ... تنســـيقها يَســـتلفتُ النظـــرا

والسُّـــوْلُ عـــن لام لعاقبـــةٍ ... منهـــا المـــزاجُ الهـــادئُ اعتكـــرا

إذ بـــاءَ باســـتفزازه أشِـــرٌ ... والشـــيخ لمَّـــا يُمهـــل الأشِـــرا

إذ عـــاب مُســـتلاً مُهنـــدَهُ ... أعطـــاه دَرســـاً بالغـــاً نضِـــرا

إذ قـــال: هـــل غِـــرٌ يُعَلمنـــي؟! ... والغِـــرُّ – فـــي إفلاســـه - انصـــهرا

شـــيخٌ أنـــا ، فـــي العِلـــم جُبـــتُ مَـــدىً ... والعـــزمُ – فـــي التحصـــيل – مـــا قصـــرا

فـــي (الأزهـــر) الوضـــاء خنـــدمتي ... فيـــه اســـتقيتُ العِلـــمَ والـــدُّررا

مَـــن أنـــت يـــا مُتعالمـــاً جهـــلاً ... فـــي غيِّـــهِ مُســـتطرداً سَـــدَرا

كفكِـــفْ غـــروراً لســـت تُحســـنُه ... واصـــمُتْ ، وأقصـــرْ قـــد كفـــاك مِـــرا

اذكُرْ دراجَتك وقفاصَتها!

(صديقان كانا من وسطٍ واحدٍ ، فلم يكن يتميز أحدهما عن الآخر بغنىً ولا بجاهٍ ولا بمال ولا بحسب ولا بنسب! اللهم إن تفوق وامتاز أحدهما عن الآخر بكثير في العلم الشرعي واللغات الثلاث: العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها ، والإنجليزية ، والفرنسية! بينما تفوق الأول في الفارق العمري بينهما ، حيث كان الأول في مقام أبي الثاني! ولكن هذا التفوق والشهادة الجامعية لم تُغيِّر قلبَه تُجاه صديقه! ذلك أن علاقتهما قامت يوم قامت في الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والإسلام! هذا فيما يبدو للناس من ظاهر أمرهما! وشاء الله تعالى أن يُغنيهما معاً من فضله العظيم! وإن كان أحدهما صاحب العلم سبباً مباشراً في غنى صديقه وانتشاله من وهدة الفقر والعوز والحاجة ، إلى الغنى الذي جعله يتمرد على صديقه وينسى الصداقة ويعير صديقه بالفقر الذي كان عليه بالأمس القريب! ذلك الصاحب الغريب والصديق العجيب الذي انقلبَ بعد الغنى إلى عدو حقودٍ شامت خذول! والذي بلغ من وقاحته ورذالته ووبشنته أن يقول لصديقه: (اذكرْ دراجتك وقفاصتها!) وطبعاً حولنا مَقولته الشنيعة إلى لغةٍ عربية ، حتى لا نلوث مقدمة قصيدتنا بعاميته الدارجة الركيكة الغثة! مُعَرِّضاً بهذه الكلمة بدراجة الثاني ، والتي كان قد وضع على حاملها الخلفي قفاصة من جريد النخل ، ليضع عليها البضاعة التي اجتلبها من السوق! ولما أغناه الله تعالى من فضله اشترى سيارة مرسيدس بديلة عنها! فأسفَ الصديقُ المطعون من صديقه الأشيب الذي لم يحترم شيبه ولم يزجره جميلُ صديقه عليه ، ولم يُحرجه أنه كان سبباً مباشراً في تبديد الكثير من مال صديقه البائس ، بدلاً من تنميته واستثماره! غير أن الجدير بالذكر أنه استجمع قواه وقال له بكل صرامة وصراحة: (دراجتي ما نسيتها ، بالعكس ذكرتُها في قصائدي ومذكراتي وتركتها عندك أمانة لم تصنها ، وأنت نسيت الحمار الذي يَجُر العربة!) فاعتبرَها البادي بالظلم إهانة ومُعايَرة! فماذا نسمي قولك: (اذكر دراجتك وقفاصتها)؟ هل نسميه مجاملة رقيقة؟! إن العوام يقولونها صريحة: (من كان بيته من زجاج ، فلا يرمي الناس بالحجارة!) وكذلك قولهم: (لا تعايرني ولا أعايرك ، نحن في الهم سواء!) فكانت هذه القصيدة العتابية تلخيص ما دار بينهما في ذلك السجال السيء المسيئ! والبادي أظلم ولا يؤاخذ المرء على انتصاره لنفسه إن أهين!)

عَيَّرْتنـــــي بـــــالفقر ، قلـــــتُ: كَفاكـــــا ... قلبـــــي قـــــلا المُتزيِّـــــدَ الأفاكـــــا!

وأنـــــا تحمَّلـــــتُ الكثيـــــرَ تكلفـــــاً ... وأنـــــا ـ مِـــــن التعييـــــر ـ لا أتشـــــاكى

لكـــــنْ غِنـــــاك أنـــــا الفقيـــــرُ وراءهُ ... سَـــــببٌ إلـــــيكم ســـــاقه مَولاكـــــا

صَـــــدَّقتني ، كـــــذبتني ، سِـــــيان يـــــا ... لُكَعـــــاً تمَلـــــقَ ، ثـــــم عِرضـــــيَ لاكـــــا

لـــــم أنـــــسَ يـــــا مُتخرصـــــاً (دَراجتـــــي) ... فيهـــــا نظِمـــــتُ الشـــــعرَ يُخـــــرسُ فاكـــــا

والـــــنصُّ فـــــي القِرطـــــاس يَغمـــــرُ مُهجتـــــي ... طربـــــاً ويُطـــــري الطِـــــرسَ والمِحراكـــــا

(دراجتـــــي) تركـــــتْ لـــــديك أمانـــــة ... هـــــل صُـــــنتها مُســـــتعففاً؟! حاشـــــاكا!

كانـــــت مُعَـــــززة لـــــديك مُصـــــانة ... ولـــــديك أدمـــــت بأسَـــــها قـــــدماكا

مـــا كنـــتُ أعـــرفُ عنـــك مـــا مارســـته ... مِـــن خِسَّـــةٍ ، يـــا جَعظـــريُّ كفاكـــا!

وظننـــــتُ بالنصَّـــــاب ظنـــــاً خيِّـــــراً ... وزعمـــــتُ أنْ أرتـــــاح حـــــين أراكـــــا!

وأنـــا ردَدْتُ علـــى الصـــحاب طعـــونَهم ... وكـــأن عينـــي مـــا رأتْ إلاكـــا!

كـــم حـــذروني منـــك يـــا مُتطـــاولاً! ... وأنـــا أجَلـــي السُّـــوءَ عـــن ذِكراكـــا

كـــم فصَّـــلوا عنـــك الحقـــائقَ مُـــرَّة ... تُنبـــي وتُخبـــرُ عـــن شـــديد جَفاكـــا!

كـــم بيَّنـــوا أعتـــى المَواقِـــف ذِكرُهـــا ... يُـــزري ، ولـــيس يُشَـــرِّفُ النســـاكا!

أنـــا مـــا نســـيتُ الفقـــرَ يَـــدفعُ عَزمتـــي ... وببحـــره كـــم ذا طرحـــتُ شِـــباكا!

أصـــطادُ مـــن مَرجانـــه ولآلئـــاً ... وتركـــتُ غيـــري يَحصُـــدُ الأســـماكا!

أنـــا مـــا نســـيتُ الفقـــرَ يَصـــقلُ همتـــي ... لأعـــيش بـــين العـــالمين مَلاكـــا!

ورثيـــتُ أيـــام الخصاصـــة أشـــرقتْ ... شمســـاً تُـــداعبُ ـ فـــي الســـما ـ الأفلاكـــا

أنـــت الـــذي أنسِـــيت ماضـــيَك الـــذي ... كـــم كنـــت مِـــن أحوالـــه تتبـــاكى!

وغفلـــت عـــن أشـــقى الحـــوادث جَنـــدلتْ ... رَهطـــاً تعُـــولُ ، وســـببتْ بُؤســـاكا

وطمســـت إملاقـــاً شـــربتَ كؤوسَـــه ... حتـــى اشـــتكيتَ إلـــى الـــورى شـــجواكا

ومـــن الـــذي يُصـــغِي لشـــكوى شـــامتٍ؟ ... وظللـــت وحـــدك باكيـــاً تتشـــاكى!

اذكُـــرْ صـــديقاً كـــان يَقسِـــمُ رَاتِبـــاً ... ليُقِيـــلَ عنـــك بمـــا يجُـــودُ ضَـــناكا

ليُغِيـــثَ أســـرة عائـــل عـــانى الأذى ... ويقـــول: مـــالي يـــا صـــديقُ فِـــداكا!

واذكُـــرَ صَـــديقاً كـــان يُعطـــي درســـه ... متطوعـــاً ، وقـــد اكتفـــى بـــدُعاكا

واليـــوم تجْهـــرُ بالمُعـــايرة ، احتـــرمْ ... نفســـاً يُجنـــدِلها حقيـــرُ هواكـــا

أنســـيت برذونـــاً لـــه (عَربانـــة) ... خشـــبية ، بهمـــا تجُـــوبُ قراكـــا؟!

أنســـيت زرعَ الأرز حولـــك يانعـــاً ... والـــزرعَ زرعَـــك مُجهـــداً ناداكـــا؟!

يشـــكو (الدِّنِيبـــة) خلفتْـــه مُفرَّغـــاً ... يرنـــو إليـــك ، فهـــل غفـــتْ عيناكـــا؟!

يَحتـــــاجُ للتغليـــــت حتـــــى ينتشـــــي ... ويكـــــونَ إنتـــــاجٌ يَحـــــوزُ رضـــــاكا!

لكـــــنْ ، وأنـــــى تســـــتجيبُ لِمَـــــا دَهـــــى ... زرعـــــاً ، ورَبِّـــــي بالغبـــــاء دهاكـــــا؟!

أنســـــيت ماشـــــية شـــــرقت برَعيهـــــا؟ ... لـــــو خيِّـــــرتْ لـــــرأتْ بـــــأن ترعاكـــــا!

فـــــار الحليـــــبُ ، ولـــــم تُحَصِّـــــلْ حالبـــــاً ... فعـــــلا الثغـــــاءُ تلوكُـــــهُ أذناكـــــا!

وضُـــــروعُها يبسَـــــتْ ، فهـــــل أنقـــــذتها ... لتحـــــوز مِـــــن إنقاذهـــــا نُعماكـــــا؟!

أنســـــيت دارَك والشـــــروخُ تؤزهـــــا ... وتقـــــول: بـــــي – يـــــا غـــــافلاً – رُحماكـــــا؟!

وعجـــزت عـــن ترميمهـــا حتـــى اشـــتكتْ ... وقـــــلا الجـــــدارُ الســـــاقط الشـــــبَّاكا

والسُّـــــلمُ المســـــكينُ هـــــدَّدَه الفنـــــا ... ولفقـــــر جيبـــــك مـــــا اســـــتطعت حِراكـــــا

والســـــقفُ أزتْـــــه الشـــــقوقُ فصُـــــدَّعَتْ ... عِمدانُـــــه ، ونعَـــــتْ إليـــــك هلاكـــــا!

أنـــــا لا أعـــــايرُ ، إنمـــــا التـــــاريخ فـــــي ... ســـــرد الحقـــــائق بالســـــياط علاكـــــا!

ارجـــعْ إلـــى التـــاريخ ، وافـــتحْ سِـــفرَه ... تلقـــــاه مُرتصـــــداً يقـــــودُ خطاكـــــا!

أم كنـــــت وحـــــدك لا تُعـــــاينُ مـــــا نـــــرى ... وتقـــــولُ لـــــم تنصِـــــتْ لغيـــــر صَـــــداكا؟!

أم عِشـــــت فـــــي دنيـــــا جهلنـــــا شـــــأنها؟! ... فـــــأبنْ لنـــــا يـــــا مُفتـــــر دُنياكـــــا!

مـــــادام بيتُـــــك مـــــن زجـــــاج ، فامتثـــــلْ ... أدبَ الحِـــــوار ، وخَـــــلِّ عنـــــك حَصـــــاكا

فالنـــــاسُ عنـــــدهمُ الحَصـــــى مُتكدســـــاً ... والبـــــدءُ منـــــك بمـــــا جنتْـــــه يـــــداكا

يرمُـــــون بيتـــــك بالحجـــــارة جَهـــــرة ... ويُحطمـــــون بمـــــا افتريـــــت حِماكـــــا

أنـــــت الـــــذي أدليـــــت دَلـــــوَك ســـــاخراً ... منـــــي ، ونِلـــــت كرامتـــــي بعصـــــاكا

ولقاؤنـــــا عنـــــد المهـــــيمن ، فـــــانتظِرْ ... لتنـــــالَ فـــــي يـــــوم القضـــــاء جَزاكـــــا

يَقـــــتصُّ ربـــــي منـــــك كـــــل مَظـــــالمي ... وهنـــــاك تلقـــــى عنـــــده عُقباكـــــا

جمع بينهما القرآن!

(ما أجمل أن يجمع القرآن بين قلبين! تقول إحدى الموفقات الحافظات للقرآن: (كان شيخي ، وحفظتْ معه ربع القرآن ، وفجأة قال بأنه اعتزل حلقات تحفيظ القرآن للنساء ، وتم نقلنا أنا وكل زميلاتي لمعلمة ، وكانت هذه المعلمة والدته ، بينما هو ترك المقرأة كلها ، وانقطعت أخبار شيخنا نهائياً حتى نسيناه كلنا! وبعد سنتين ختمت أنا وزميلاتي ، وأعِد لنا حفل ختم كبير جداً! وفي يوم الحفل أخذتني معلمتي بعيداً عن زميلاتي ، وقالت لي: هناك شابٌ يريد خطبتك ، وسردت لي كل مواصفاته ، فأعطيتُها هاتف أبي ، للتواصل معه! وبعد يومين ننتظره برفقة أهله! فإذا بها معلمتي ذاتها ومعها زوجها وابنها الذي كان شيخنا من سنتين ، وحفظنا معه ربع القرآن! وأنا صدقاً من أثر المفاجأة لم أتمالك أعصابي لليوم! ولما حان وقت الرؤية الشرعية ، قال لي: أنا لما أحسست أني فتنت بك من بين رفيقاتك ، علمت أن باباً من أبواب الشيطان سيفتح علي ، فبإعانة الله تعالى وتوفيقه قررت أن اعتزل تحفيظ النساء جميعهن ، حتى لا أترك للشيطان ولو مدخلاً بسيطاً ، وتركت كل شئ يقربنى إليك ، لأنني أعلم أنني غير جاهز الآن للارتباط بك أو لسواك ، لذلك بعدت حتى لا أفسد قلبي ودينى وأفسدك معي ، ولكن لما تركتك ، تركتك مع أأمن مخلوق بالنسبة لي على الأرض! تركتك لأمي وأوصيتُها عليك بحجة أنك طالبة متميزة وتريدين الاهتمام والرعاية ، لكي يخرج منك معلمة متقنة! وكنت أتابع مسيرة حفظك أولاً بأول ، وفي الوقت ذاته كنت أتضرع لله ليخرجك من قلبي ، أو يُقرِّبك لي حلالاً! ومع مرور الوقت كنتُ أريد نسيانك ، ولكن ازددت تعلقاً بك! ومن هنا قررت أن أتقدم للزواج منك ، وأنا في طريقي لأن أفاتح أهلي ، وكانت أمي تدعوني لحضور حفل ختامك ، وقالت لي أنه بعد أسبوع! فقررتُ تأجيل موضوع الخِطبة لحين تمام يوم مولدك الحقيقي الذي هو يوم استظهارك وحفظك لكتاب الله تعالى ، وكنت أتمنى يومها الاشتراك في تتويجك بنفسي ، ولكن خشيت أن يفتضح أمري ، وأفسد عليك قلبك ، وألا ييسر الزواج بذنب كهذا! وبعدها فاتحت أبي وأمي ، وكانت أمي مُرحِّبة جداً جداً ، لأنها تعرفك حق المعرفة ، وفرحت فرحاً شديداً لما علمت أنك العروس التي اخترتُها ، وزاد قائلا: تعرفين يا (إيمان) أنني من فرحتي بكيت! رغم أن كل الكلام بحقه وحقيقته كان أمام أبيه وأمه وإخوته وأهله! ولكنه كان يتكلم بكل قوةٍ وجرأة! وتمت الموافقة عليه بفضل الله تعالى! وخلال أسبوع تم العقد وليست خطبة فقط كما جرت العادة! وبدأنا زواجنا في شهر شعبان! وفي شهر رمضان وفي كل يوم من أيامه المباركة كان يأخذني لأصلي خلفة صلاتي العشاء والتراويح! ولا أعرف كيف أصف لكم فرحة قلبي طول الصلاة وفرحتي وأنا اسمع النساء يثنين عليه وعلى تلاوته وخشوعة فى الصلاة ، ولا أعرف كيف أصف لكم كم مقدار المحبة التي وضعها الله في قلبي له ، ولكنني أعلم علم اليقين أن هذه المحبة جزاءه ، لأنه اتقى الله فيَّ وفي قلبي ، فاللهم بارك فيه واحفظه بحفظك! عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله ، وحتى أن يُقذَف في النار أحبُّ إليه مِن أن يَرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما» ، وأشيرُ هنا إشارة إلى أنَّ العلماء ذكروا أنه يَدخل في صفة أن يَكره الإنسان أن يعود إلى الكفر كما يَكره أن يُقذَف في النار: أن يَكره الإنسانُ أن يعود إلى المعصيةِ بعد أن أنقذه الله منها كما يَكره أن يُقذَف في النار. بعض المسلمين قد يكون على معصية قد يُبتلى بمعصيةٍ ، ثم يكرمه الله فينقذه مِن هذه المعصية فيتوب عليه ، فإذا أصبح يكره أن يعود إلى هذه المعصية بعد أن أنقذه الله منها كما يَكره أن يُقذَف في النار: يجد حلاوةً في قلبه ، هي مِن ألذِّ ما يَجده الإنسانُ في الدنيا. وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يَجد عبدٌ حلاوة الإيمان حتى يَعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه ، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه» ، فالعبد الذي يبلغ به الحال أن يَعلم علم اليقين علمًا مستقرًّا يَعقِد عليه قلبه أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فلا يقول: لو أن كذا لكان كذا ؛ يجد حلاوةً عظيمة في قلبه. وقد وَصَفَ الشيخ صدِّيق حَسن خان القرآنَ وصفًا بليغًا فقال - رحمه الله -: "الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى

ودِين الحقّ ، وبيَّن له مِن معالِم العِلم وشعائر الشرائعِ ومشاعِر المِلَلِ كلَّ ما جَلَّ ودَقّ ، ونزَّل عليه كتابًا معجِزًا أفحم مصاقع الخطباء مِن العرب العُرباء ، وخطابًا مُفحِمًا أعجَز بواقِع البُلغاء مِن عصابة الأُدباء بأَظهَر بيِّنات وأبهر حجج ، قرآننا عربيًّا غير ذي عوج ، أَمَرَ فيه وزَجَر ، وبشَّر وأنذر ، وذَكَر المواعظ ليُتذكَّر ، وقَصَّ عن أيام الأمم الخالية ليُعتبَر ، وضرب فيه ليُتدبَّر ، ودلَّ على آيات التوحيد ليُتفكَّر ، أنزله بحسب المصالح والحِكَم مُنجَّمًا ، وجعله بالتحميد مفتتحًا ، وبالاستعاذة مختتَمًا ، وأوحاه متشابهًا ومُحْكمًا ، مزاياه ظاهرةٌ باهرةٌ في كلّ وجهٍ وكلّ زمان ، دائرةٌ مِن بين سائر الكتب على كلّ لسان في كلّ مكان ، كادتِ الرواسي لهَيبتِه تَمور ، ويَذوبُ مِن خَشيته الحديد ، ويَميع منه صمُّ الصخور ، فمَن تمسك بعروته الوثقى وحبله المتين وسلك جادته الواضحة وصراطه المبين ؛ فقد فاز بمناه ، ومَن نَبَذَه وراء ظهره وعصاه واتخذ إلهه هواه ؛ فقد هوى في تُخوم الشقاء وتَردَّى في مَهاوي الرَّدى والاشتباه." القرآن كلام ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ له حلاوة وعليه طلاوة ، ولذلك جاء عند الحاكم بإسناد اختلف فيه أهل العلم لكنّ الشيخ ناصر الألباني صحَّحه في صحيح السيرة ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له ، فبَلغ ذلك أبا جهل فأته فقال: يا عم! إنّ قومك يرَون أن يَجمعوا لك مالًا ، قال: لِمَ؟ قال: ليُعطوكَه فإنك أتيتَ محمدًا لتُعرِض عما قِبَلَه" يعني لمّا سمِعوا أنه رقّ لسماع القرآن أرادوا أن يُغروه بالمال حتى يُعرِض عما جاء به محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فماذا قال؟ قال: قد عَلِمتْ قريشٌ أني مِن أكثرها مالًا ، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكِر له أو أنك كارِه له ، قال فماذا أقول؟ فو الله! ما فيكم رجلٌ أَعلَم بالأشعار مني ، ولا أَعلَم برَجَزٍ ولا بقصيدةٍ مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يُشبِه الذي يقوله شيئًا مِن هذا ، والله! إنّ لقوله الذي يقولُ حلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمِر أعلاه ، مُغدِقٌ أسفلُه ، وإنه لَيعلو وما يُعلى ، وإنه لَيحطِم ما تحته! ونعود لقارئنا ، وزوجته (إيمان)!)

لا يَجمعُ الأرواحَ كالقرآنِ ... جَمعاً يُؤلفها على الإيمانِ

فتعيشُ وادعةً تُسَلي أهلها ... بجميل ما ظفِرتْ من الرضوان

تخِذتْ كتابَ الله منهجَ عَيشها ... أنعِمْ بها ، نالتْ رضا الرحمن!

هذا الكتابُ سما بها بين الورى ... فبه تكونُ شرافة الإنسان

وبه تكونُ كرامة وحضارة ... وبه تكونُ نصاعة الفرقان

وبه يكونُ تمايزٌ وتقدُّمٌ ... وبه تُحَققُ طيباتُ أماني

وبه يكونُ النصرُ والحُسنى معاً ... وبه تكونُ هزيمة العدوان

وبه تكونُ هداية قدسية ... فنصوصُه حَوَتِ الهُدى الرباني

وبه يُنالُ العِز والتقوى معاً ... ويبوءُ ذنبُ المرء بالغفران

ومَن اهتدى بهُداه أفلحَ واستمى ... ونأى عن التضليل والعِصيان

ولقد غبطتُ اثنين مِن قرائه ... قد شُرِّفا بتلاوة القرآن

فمعلـــــمٌ يتلـــــو ، ويُـــــتقِنُ درسَـــــه ... لا خيـــــرَ فـــــي درس بـــــلا إتقـــــان

وبناتُـــــه حاكينـــــه فيمـــــا تـــــلا ... وبـــــدون تزويـــــدٍ ولا نقصـــــان

وعـــــن التعفـــــفِ والتحجـــــب لا تســـــل ... لـــــم تـــــأتِ إحـــــداهن دون صِـــــيان

فـــــي حلقـــــة القـــــرآن جـــــئنَ قوانتـــــاً ... مُتعـــــوذاتٍ مِـــــن أذى الشـــــيطان

وحجـــــابُ كـــــلٍّ ســـــابغٌ يُخفِـــــي الحَـــــلا ... ومِـــــن الحجـــــاب بَـــــدَتْ فقـــــط عينـــــان!

ودهـــــى المعلـــــمَ طيـــــفُ فضـــــلى ، فاشـــــتكى ... قلبـــــاً تقلـــــبَ فـــــي هـــــوى (إيمـــــان)!

شـــــدَّتْه نبـــــرةُ صـــــوتِها وحجابهـــــا ... جـــــذباه نحـــــو غرامهـــــا الاثنـــــان!

واحتـــــارَ كيـــــف عـــــلاجُ قلـــــبٍ مُولـــــع ... بمحبـــــةٍ جـــــاءت بـــــلا حُســـــبان

حُـــــبٌّ تملـــــك لا ســـــبيل لدفعـــــه ... وغـــــزا المشـــــاعرَ دونمـــــا اســـــتئذان

أيُـــــراودُ البنـــــت الحَصـــــانَ بـــــلا حيـــــا ... ليبـــــوءَ بعـــــد الهـــــزل بالخســـــران؟!

أيُصـــــارحُ البنـــــت البَتـــــولَ بحُبـــــهِ ... ويُزخـــــرفُ الكلمـــــاتِ كالفنـــــان؟!

هـــــل يأخـــــذ الميعـــــادَ وفـــــق مُرادهـــــا ... وهنـــــاك خلـــــفَ الســـــور يلتقيـــــان؟!

هـــــل يَســـــتبيحُ لقاءَهـــــا وكلامَهـــــا ... إمـــــا إذا خليـــــا معـــــاً بمكـــــان؟!

هـــــل يَســـــتطِيبُ إذا حَكَـــــتْ نبراتِهـــــا ... تســـــبي الفـــــؤادَ بأعـــــذب الألحـــــان؟!

أيليـــــقُ هـــــذا بالشـــــريعة مَـــــذهباً؟ ... أيليـــــقُ ذاك بصـــــاحب القـــــرآن؟!

حاشـــــاهُ أن يَنصـــــاعَ مُختـــــاراً إلـــــى ... حِيَـــــل بـــــه تُفضـــــي إلـــــى النيـــــران!

حاشـــــاهُ يخطـــــو خطـــــوة نحـــــو الـــــردى ... ويبيـــــتُ يَضـــــربُ فـــــي عَمـــــىً وهَـــــوان!

بـــــل قـــــال: أتـــــركُ للنســـــا تدريسَـــــها! ... خيـــــرُ الحُلـــــول لعاشـــــق وَلهـــــان!

واختـــــارَ للتـــــدريس هـــــذا أمَّـــــه ... خيـــــر العقائـــــل زينـــــة النســـــوان

ولأمِّـــــه أدلـــــى بتوصـــــيةٍ دَعـــــتْ ... للخيـــــر والمعـــــروف والإحســـــان!

يـــــا أمُّ هـــــذي أصـــــلحي مِـــــن شـــــأنها ... وتحمَّلـــــي تقويمَهـــــا بتفـــــاني

لتكـــــون فـــــي القـــــرآن أمهـــــرَ غـــــادةٍ ... أكـــــرمْ بهـــــا مـــــن عَفـــــةٍ ورزان!

قالـــت: وصـــية مـــن أحـــب أوامـــرٌ ... ســـتكون نصـــبَ العـــين كـــل أوان

ونـــأى عـــن التحفـــيظ فـــي حِلَـــق النســـا ... ليُجنـــب القلـــبَ الســـقوط الآنـــي

حتـــى أتمَّـــتْ حِفظهـــا وخِتامَهـــا ... سُـــرَّ الحبيـــبُ ، وذاعَ فصـــلَ بيـــان

متحـــــدثاً للأهـــــل دون تحَـــــرُّج ... رُوحـــي يُـــداعبُها هـــوى (إيمـــان)!

إن تخطِبوهـــا لـــي شـــكرتُ جَمـــيلكم ... ولكـــم أقِـــرُّ بـــوافر العِرفـــان

أمـــاه هيـــا رتبـــي لـــكِ موعـــداً ... مـــع أمهـــا بالوقـــت والعنـــوان

ونســـيرُ عائلـــة لأدرك مطمحـــي ... مـــا لابـــنكم فـــي حـــب تلـــك يـــدان!

أخشـــى غريمـــاً يَغتـــدي لـــيَ ســـابقاً ... فتصـــيرُ زوجتـــه ، فـــذاك طِعـــاني!

والأســـرة اتصـــلتْ ، وحـــان المُلتقـــى ... فـــي مَحفـــل مُتواضـــع مُـــزدان

وقبولـــه زوجـــاً ، فبـــات مُعلقـــاً ... حتـــى يَبـــينَ الوجـــهُ والكفـــان

فلربمـــا بعـــضُ الملامـــح بُـــدِّلتْ ... فيكـــونُ رفـــضٌ طيـــبُ الإيقـــان!

فـــإذا بهـــا (إيمـــانُ) ، ســـبحان الـــذي ... ســـوَّى ، مليـــكُ النـــاس ذو الســـبحان!

وخطيبُهـــا إذ عَـــف أهـــداها لـــه ... إذ خافـــه فـــي الســـر والإعـــلان

وتزوجـــا ، فـــالله أكرمهـــا بـــه ... وبدايـــة التعـــريس فـــي (شـــعبان)!

وأتاهمـــا (رمضـــانُ) يَختصـــرُ المـــدى ... والـــذكريات رطيبـــة وحـــواني

والبُشـــرياتُ الآن حـــانَ قِطافهـــا ... وثمارُهـــا للمُشـــتهين دوانـــي

صـــلى التـــرواحَ العـــريسُ مُـــرَتلاً ... آيَ الكتـــاب بدمعـــه الهتـــان

وعروسُـــه وســـط النســـاء فخـــورة ... بثنـــائهن علـــى الأداء الحـــاني

قالـــت لهـــن: إمـــامُكن فســـيدي! ... وبكـــتْ بكـــاء الحمـــد والشـــكران

يـــا رب بـــاركْ فيـــه ، واقبـــلْ ســـعيَه ... واجعلـــه زوجـــي فـــي علـــيِّ جنـــان!

شتان بين اللجنتين!

(حِرتُ في أمر لجنتين من لجان اختبار أئمة وأساتذة القرآن والعلوم الشرعية! فلجنة متفهمة عالمة واعية ناصحة أمينة ، ولجنة متنطعة جاهلة غاشمة! وأبدأ باللجنة الجاهلة الظالمة ، والتي قالت للممتحن المجيد المحترم: (لقد نجحت في العلوم وسقطت في (القلة)!). لقد كان هذا الممتحن أو المتسابق يحلم دائماً بمستقبل باهر مشرق يجمع فيه بين المال والجاه والسلطة وقد وجد الطريق إليهم جميعاً في العلم. فأقبل عليه بنهم ، حتى وصل قمة الهرم العلمى بحصوله على الإجازة العالمية (الدكتوراه) في العلوم الشرعية ، وتخصص في فرع دقيق منها وهو الفقه المقارن. لكن شيئاً من آماله لم يتحقق بعد ؛ وذات يوم أحس أن حلمه قد بزع فجره ، وأوشك أن يتحقق شيءُ منه ، بعدما قرأ إعلاناً فى إحدى الصحف المحلية أن إحدى الدول الغنية تطلب أساتذة فى الفقه المقارن تنطبق شروطها عليه تماماً وكأنها تعنيه هو؟ لبس الأستاذ أبهى حلة لدية وانطلق مسرعاً إلى السفارة متفائلاً ومبتهجاً باقترابه من تحقيق حلمه. وفى السفارة أدخلوه على اللجنة العلمية التي شكلتها الجامعة من أكبر علمائها لاختيار اللائقين من المتقدمين للوظائف المطلوبة الذين استقبلوه بحفاوة شديدة و رحبوا به أبلغ ترحيب. قدم لهم أوراق ترشحه وسيرته الذاتية والعلمية التى انبهروا بها وجعلتهم يعظمون من شأنه. وبدأوا معه الأسئلة الشفهية والمناقشات العلمية وكانت إجاباته دقيقة بليغة وردوده موفقة بارعة زادتهم إنبهاراً بعلمه وفقهه وإعجاباً بذكائه وفطنته. وقد حصل على الدرجة النهائية فى جميع الفروع. القرآن والحديث والفقه بإجماع اللجنة العلمية. وبدأ في تلقى التهنئة بالنجاح والقبول من أعضاء اللجنة والحاضرين معه ، غير أن الأستاذ أحس بالعطش الشديد بعد هذه المناقشات الحامية ، فطلب ماء فأشار له أحد أعضاء اللجنة إلى قلة ماء! والقلة إناء مصنوع من الفخار يحفظ به الماء للشرب ، وكانت القلة موضوعة على الشباك. فانطلق نحوها فشرب منها ، ثم عاد إلى رئيس اللجنة يسأله متى سيكون السفر إن شاء الله؟ فأجابه الشيخ: لا سفر إن شاء الله! اندهش الأستاذ قائلاً: وكيف ذلك؟ ألم تخبرني منذ قليل أنني نجحت وقبلت؟! قال: بلى ، لقد نجحت فى الاختبار النظري الشفهي لكنك رسبت فى الامتحان العملي. فتعجب الأستاذ وزادت دهشته وقال: لكنى لم أمتحن عملياً! فأجابه الشيخ: بل امتحنت عملياً ورسبت! قال الأستاذ: متى؟! وكيف؟ قال الشيخ: عندما تقدمت لتشرب الماء تناولت (القلة) بشمالك ، ولم تسم الله ولم تجلس لتشرب كما تأمرنا السنة ، ولم تشرب ثلاثاً ، ولم تحمد الله بعدها ، فعلمتُ يقيناً أنك لا تعمل بعلمك؟ وأنك من الذين يقولون ما لا يفعلون ، فلا حاجة لنا بك ، إننا نريد لأبنائنا قدوة يقتدون به في عمله ، قبل أن يأخذوا عنه علمه. فكان الأستاذ من أثر الصدمة يقول متهكماً على طريقتهم إذا سئل عن نتيجة المقابلة تلك: نجحت فى جميع العلوم الشرعية وسقطت في (القلة)؟! وليست هذه القصة عظيمة ، فلقد بُنيتْ على تبييت سُوء النية والقصد! كيف؟ لم يكن فيها أبداً إحسان الظن بالمسلم! فلربما أخذ العطش مَأخذه من الرجل المسافر ، فكانت نهمة الشرب أقوى من تذكر بعض ما ينبغي من السنن ، ولا أقول الكل! أما شربه واقفاً ، فقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً فكانت سُنة! وأما البسملة قبلاً والحمدلة بعداً ، فلعله قالهما في سره بدءًا وانتهاءً! وأما تناول القلة بالشمال ، فقلنا ربما كان ظفره بالماء صارفاً له عن بعض السنن! وهذا وارد ، كظفر الأعرابي بناقته وقد فقدها في الصحراء وعليها طعامه وشرابه ، فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك)! أخطأ من شدة الفرح! والله العزيز لو أدركت هذه اللجنة الجاهلة الظالمة المتنطعة ذلك الأعرابي ، لأخرجتْه من المِلة

بظاهر قوله! قياساً على منهجها الفاسد في استبعاد الأستاذ المتفوق! لقد نجح هذا الدكتور ، ورسبت اللجنة بجهلها وتعنتها وغشمها المطبق وعدم تقديرها! ثم كيف نقطع بأن الرجل لا يعمل بعلمه بهذه السهولة ، ونبني تقريراً كهذا على شربة ماء في موقفٍ عصيب كهذا؟ وكيف نطلق الاتهام جزافاً ، ونسوق الكلام على عواهنه ، فنعطي للرجل حكم المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون؟! وهذه اللجنة الجاهلة الغاشمة تشبه أحد علمائهم الذي لا يختلف عن علمائها ، في موقف كان فيه مع بعض طلابه ، وانقلبتْ بهم سيارتهم في الطريق! وسلِموا جميعاً بفضل الله ورحمته ، والشاهدُ من القصة أن الطلاب أخذوا يُرددون يا ستار يا ستار ، يناجون بها ربهم تبارك وتعالى! فزجرهم الشيخ العالم قائلاً: لا تقولوا: يا ستار ، وإنما قولوا: يا سِتير! فقالوا: لماذا يا شيخنا؟ فقال: لأن (الستار) ليس اسماً من أسماء الله تعالى ، بينما الستير اسمٌ من أسمائه! وغفل الشيخ العالم المتنطع أن الله تعالى كما يُدعَى ويُمجَّد ويُعظم ويُبتهل إليه بأسمائه الحسنى ، فكذلك يُدعى ويُمجد ويُعظم ويُبتهل إليه بصفاته العلى! الستار ليس اسماً من أسماء الله تعالى ، ولكنه صفة من صفاته ، أنه سبحانه كثير الستر على عباده! ولكن ماذا نقول للتنطع؟! ولم يناقشه أحد من طلابه ، كأنما يقول الحق المؤيد من السماء! فكان الموقف بأكمله جهلاً في جهل ، وتنطعاً في تنطع من العالم وطلابه! ومنذ سنين كتبتُ قصيدة عن لجنة على عكس هذه اللجنة تماماً! وعنوان قصيدتي: (وهي تجري بهم)! وهو عنوان ربما لا يرمز إلى اللجنة من قريب ولا من بعيد! فلنطالع مقدمة القصيدة لندرك الفرق المبين بين اللجنتين! يرى الشيخ ابن عثيمين – رحمة الله تعالى - أن هناك صفات ينبغي أن تكون متوفرة في الشخصية القرآنية وهي التي تحفظ القرآن!: (* الشخصية القرآنية جادة: ليس معناها العابسة القاطبة الحاجبين ، بل ذات هدف تعرف للوقت قيمته هدفت حياتها أن تعيش للقرآن ، فلا مجال للأعمال التي ليست بذات أهمية. * الشخصية القرآنية صاحبة رسالة يملأ قلبها الأمر العظيم....رسالة الإسلام ، ولا تلتفت للصغائر. * لا بد للشخصية القرآنية أن تعتز بالقرآن وتغتني به: فهي واللهِ أغنى ممن يسمى (الملياردير). بالقرآن الذي تحمل ، فيجب أن تحسّ بالغنى ، وإن أحستْ بالفقر تكون قد أهانت القرآن. بل لتفخر بالقرآن وتستعلي به وتعتز به ، يقول عبد الله بن مسعود: (الإسراء والكهف ومريم وطه إنها من العتاق الأُول ، وإنها من تلادي) أي أول ما نزل في قلبه وأول ما حفظ. ومعنى عتاق: جمع عتيقة أي شيء نفيس وغالي. ومعنى تلادي: أي الميراث أي كنزي ورأس مالي. * لا بد للشخصية القرآنية أن تعيش بالأمل وتقرن الأمل بالعمل! لأن أهل القرآن عندهم الوقود والتموين والذخيرة والغذاء والعدة والعتاد ، فالأمل لهذه الأمة بهم ، والمستقبل لهذا الدين بسواعدهم. * الشخصية القرآنية لا تعرف معنى للكآبة والأمراض النفسية ، ولا تحمل عُقداً ولا خوفاً. لأن القرآن ملأ قلبها رضىً وأمناً ، وملأ عليها حياتها ووقتها فأنى لهذه الأمراض أن تدخل روحها وفي صدرها كلام الله. * رحابة الصدر وقوة الاحتمال ، بأن تكون ذات أفق واسع ، لأن التغاضي من أخلاق الأكابر والعظماء والنبلاء. * حُسن المنطق وروعة البيان من مظاهر المروءة ومن أعظم الأسباب الداعية لقبول الحق. ولهذا قيل: (كلما كان اللسان أبين كان أحمد)! ومدح الله عز وجل القرآن الكريم بالبيان والإفصاح ، وسماه قرآناً وسماه فرقاناً).هـ. وإنه ينبغي لمن يمتحن المتسابقين من حفظة القرآن الكريم في زماننا ، أن يكون صاحب طرفة مباحة ودعابة بريئة. وذلك لكيلا يجمع على المتسابق رهبة الامتحان وصعوبة استظهار القرآن في هذا الزمان في كفة ، وقدرته على التركيز في الأسئلة الفنية في كفةٍ أخرى. إن هذا المتسابق عانى الكثير من الصوارف التي

سخرتها الجاهلية لصرف الناس عن القرآن. وليست الصعوبة التي أعني في القرآن ذاته ، كلا. وكيف والله عز وجل يقول في كتابه مُقسماً: (ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟) ولكن مقاومة الصوارف والجواذب عن هذاالكتاب. وتبدأ هذه القصة عندما كان أحدأصفيائي من أهل القرآن يُمتحن فى الملحقية الثقافية السعودية بالقاهرة ، وكان امتحان الرجل في القرآن الكريم (حفظاً وتجويداً وتفسيراً وأحكاماً). والرجل قد سلِم له أصل التوحيد والعقيدة. ولكنه قد تورّط في تدخين السجائر. ولأنه حسن النية إلى حد كبير للغاية ، والدليل أنه كان قد أخذ علبة سجائره في جيب قميصه الذي شفّ عنها. ورأت اللجنة علبة السجائر. وكان السؤال الأول من رئيس اللجنة من سورة البقرة. وتلاه آخر من المائدة ، وثالث من التوبة. ورابع من يونس ، وسؤال خامس من آل عمران: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء" وذلك في دقةٍ تامة. ومعلوم ما في هذا المقطع من الآيات من المد اللازم المتعدد ، الأمر الذي أجهد ذلك الممتحن المدخن ، فقال رئيس اللجنة له مشفقاً عليه انقطاع نفسه في منتصف تلاوته: ما لك يا أستاذ؟ لماذا لا تستطيع إكمال الآيات؟ فقال صاحبي: إنه بسبب المد الواجب المتصل كما تعلمون ، فما أكاد أخرج من مد واجب متصل ، حتى أدخل في سواه وبنفس المقدار ، الأمر الذي قطع نفسي! فقال له أحدهم مستنكراً في تهكم وسخرية: أفهم من كلامك أن قراءة القرآن تقطع النفس أم ماذا؟ فقال: معاذ الله أن يقطع القرآن الأنفاس ، ولكن...وأراد صاحبي التبرير ، فقاطعه أحدهم قائلاً: باختصار يا أستاذ أخبرنا عن الشيء الذي قطع نفسك إن لم يكن هو القرآن. وأجاب أحد أعضاء اللجنة ضاحكاً: يا أستاذ ، إن نفسك مقطوع من (الكيلوباترة) ، وهذا اسم سجائر مصرية معروفة! فلم يجد صاحبي بُداً من الاعتراف للجنة المُمتحِنة. وصرح لهم قائلاً: علمتُ الآن لماذا كنتم تضحكون عند دخولي قاعة الامتحان لأول وهلة. ونجح الأستاذ في الأسئلة السابقة جميعاً حفظاً وترتيلاً وتجويداً وإعراباً وتفسيراً وقراءاتٍ ونحو ذلك. وراح يورد بناء عن طلب اللجنة الروايات مُسندة ومُحققة ، كأنما يقرأها من كتاب ، واللجنة معجبة رئيساً وأعضاء بهذا المتسابق العجيب. وتمتعت اللجنة في أسئلتها الصعبة الوعرة على حد وصف صاحبي بالمرونة والتساهل والنكتة والدعابة في غير ما إسفافٍ أو سفول وحاشاها والله الحمد. إلى أن جاء الدور الأخيرأو بالأحرى السؤال الأخير من سورة هود. فقال رئيس اللجنة يُخاطبُ صاحبي: اقرأ يا أخي من أول قوله تعالى: "وهي تجري بهم" – سورة هود ، وذلك حتى نختم المسابقة ونمنحك الدرجة. فبدأ صاحبي بقول الله: "وقال اركبوا فيها" ، وذلك لأنه أول الربع أو هو أول انتصاف الحزب (23) من القرآن ، وذلك على حد قوله حتى لا يختلط عليه حفظه ، وذلك لأنه حفظ القرآن تحزيباً أي حزباً بعد حزب. ولم يبدأ بما طلب رئيس اللجنة (وهي تجري بهم) والذي هو الآية الثانية. فقال رئيس اللجنة مازحاً: أنا قلتُ لك اجر أم اركبْ؟ فقال: رأيت الركوب أفضل ، لأن نفسي مقطوع من الكيلوباترة ، كما قالت اللجنة الموقرة! عندئذ ضحك الحاضرون ، وقرر رئيس اللجنة قبوله ومنحه أعلى الدرجات ولكن بشرط أن يعاهد الله أمام اللجنة أن تكون آخر سيجارة دخنها هي السابقة. فوافق ولقدر من الله لم يسافر ، إذ جاءته سَفرة أخرى إلى الإمارات بدلاً من السعودية. المهم بقي ذلك الموقف منه ذكرى تعكس ما تمتع به أعضاء اللجنة من مرونة ودعابة وأخلاقيات.....وعندما حكي الأستاذ إسماعيل علي سليم لي هذه القصة التي حدثت له شخصياً ، وإذن فسندها متصل ، والعهدة عليه فيها ، تولد مطلع القصيدة ، وطفقتُ أنشد من شعري أقول في مطلع هذه القصيدة:

كـــم كـــيّسٍ بالبِشْـــر غيّـــر منكـــرا واصـــطادَ - بالتيســـيير - ألبـــابَ الـــورى!

وألان - للنـــــاس - العســـــيرَ تقربـــــاً لله يرجـــــو الأجـــــر جمّـــــاً أوفـــــرا

وختمتُ قصيدتي بوصية اللجنة:-

قـــالوا: الســـجائر أنهكتـــك ، فخلهـــا وهـــيَ الحـــرام ، وحَـــدّها أن تهجـــرا

فلتُشـــــهدِ الـــــرحمنَ أنـــــك مُقلـــــعٌ عنهـــا بتاتـــاً ، ثـــم خـــاب مَـــن افتـــرى

فأجـــابهم صـــدقاً بكـــل عزيمـــةٍ ورعـــى المَقالـــة والعُهـــودَ ، ونضـــرا

لقد كان لصديقي هذا من قوة الشخصية ما تحدث عنه الأستاذ عبد العزيز الخضراء تحت عنوان: (الشخصية المتوازنة تتحلى بالصبر) يقول ، ما نصه: (هناك أسئلة عدة يجب أن يطرحها كل شخص على ذاته ألا وهي:- هل تريد أن ينظر لك الكل نظرة تقدير واحترام؟ هل تريد أن تكون نجماً في المجامع والمجالس؟ هل تريد أن تكون محبوباً ومقرباً من الكل؟ هل تريد أن يسأل عنك الكل إذا غِبت ، ويسرون إذا حضرت؟ هل تريد أن يتعلق بك الكبير والصغير على حد سواء؟ هل تريد أن تكون آراؤك مقبولة ، وكلامك مسموعاً ، وأوامرك مستجابة؟ كل الأسئلة التي تحوم حول تقدير الذات وبناء الشخصية في المجتمع. أجزم أن هذه أحلام أكثر الناس العقلاء ، بأن يكونوا بهذه الصورة المحترمة وهذا الوهج العالي ، لكن السؤال الأهم ، كيف الوصول إلى هذه المنزلة الرفيعة؟ هل هناك كتاب أو مقال يمكننا إذا قرأناه وعملنا بمضمونه أن يتحقق لنا هذا الحلم ، أو هل هناك وسيلة إذا عملنا بها نلنا هذه الأمنية في ظرف أيام؟ الجواب:- وباختصار ، لا يوجد حلاً ولا كتاباً ولا أي وسيلة لبلوغ المُنى والأحلام إلا بناء الشخصية وتأسيسها عن طريق الذات نفسها ، فبناء الذات والعناية بها هو السبيل الوحيد لبلوغ الأمل ، قد يبلغ الإنسان مكانة ما ، بالواسطة والحظ والصدفة ، لكن صدقوني إذا لم تكن الذات مؤهلة لهذا المكان فستخسره عند أول منعطف. وإن لم تسقط وتضيع في الواقع فستسقط من عيون الآخرين ويصبح وجود الشخص كعدمه! فإذا أردت النجاح والتفوق والسيادة ، فاعلم أنها زرع ذاتك وإحساسك وشعورك ورضاك عن نفسك الذي تنقله للآخرين ويُحسون به! فأنت حينما تشعر بأنك إنسان قادر ومحترم وواثق من نفسك ستجد أن الآخرين ينظرون لك النظرة نفسها ، وحينما تنظر لنفسك نظرة الدون والضعف والفشل سينظر إليك الآخرون بهذا المنظار نفسه. فإحساسك بنفسك يستقبله منك الآخرون ويعكسونه عليك! قال أحد الحكماء لا يكون الكذاب شجاعاً! لأن الكذب يخلق الريبة والهلع والخوف ، وتوجس الكذاب من عدم قبول كلامه عند الآخرين يكسبه الجبن والقلق. وإن كنت تريد شخصية قوية ، محترمة ، فاعلم أن مفتاحها بيدك أنت وحدك ، وسأختصر الموضوع ببعض النقاط لبناء الشخصية حتى لا يحصل اضطراب في الشخصية ألقِ في ذهنك أسئلة وسجلها ، وابحث عن إجاباتها. وابتعد عن التوتر والأماكن والأشخاص غير المريحين لك! وارسم أهدافك العامة وأمنياتك في الحياة ولا تنس أن تكون بحدود الممكن والمعقول ، واجتهد في الخلاص من العيوب. واكتب خطوات تعملها في حالة ظرف ما غير متوقع. ومثال لذلك: إذا كنت في مجلس عام وكبير ، وفوجئت ببعض الحاضرين يوجه إليك سؤالاً أو كلاماً أمام الجميع قد يريد رأيك في حدث عارض أو حاصل لهذا لابد من التحضير والتهيؤ والهدوء بعيدا عن المغالاة أو الادعاء بل التحدث في حدود فهمك وثقافتك عن الموضوع أو الاعتذار بشكل لبق).هومن هنا رحتُ أعقد مقارنة بين اللجنتين: اللجنة الراعنة المُتعنتة الجاهلة ضيقة الأفق ، وبين اللجنة الواعية الزكية العبقرية واسعة الأفق! فإذا

بالفرق بينهما يكاد يكون كالفرق بين السماء والأرض ، فشتان بين الظل والحَرور ، وبين النور والضلال. ومن هنا عقدتُ هذه المقارنة الشعرية الفذة الدقيقة ، بين اللجنتين: الجاهلة ، والعالمة!)

لـــــيس بالجهـــــل يَســـــتمِي العُلمـــــاءُ ... إنمـــــا العِلـــــمُ سُـــــلّمٌ وارتقـــــاءُ

والتقـــــى يـــــأتي بـــــالعلوم تِباعـــــاً! ... إنمـــــا التقـــــوى الخيـــــرُ والنعمـــــاء

كـــــم بأهـــــل العِلـــــم استضـــــاءتْ عُقـــــولٌ ... أبعـــــدَتْها – عـــــن رُشـــــدِها – الظلمـــــاء!

كـــــم ألانـــــوا صَـــــلبَ المســـــائل طوعـــــاً ... فاســـــتفادَ مِـــــن فسْـــــرها العقـــــلاء!

كـــــم أزاحـــــوا الألغـــــازَ عـــــن نـــــصِّ حُكـــــم ... بعـــــــد أن دارتْ حولـــــــــه الآراء!

كـــــم تَصَـــــدَّوا للترَّهـــــات احتســـــاباً! ... مـــــا لهـــــم - فـــــي استبســـــالهم - نُظـــــراء

كـــــم بتوفيـــــق الله جـــــادوا بنصـــــح ... وبهـــــم مولانـــــا هـــــدى مَـــــن يَشـــــاء!

كـــــم تحَـــــدَّوا أهـــــلَ الضـــــلال ، ودَكّـــــوا ... مـــــا ابتنـــــاه – فـــــي الســـــاحة – الأدعيـــــاء!

مـــــا اســـــتكانوا لمَـــــن يُلاحـــــي هُـــــداهم ... لـــــم يُخِفهـــــم مِـــــن رَدِّهُ الابـــــتلاء

مـــــا اســـــتبدَّوا بـــــالرأي يُـــــزري بغِـــــر! ... آفـــــة الاســـــتبدادُ والأهـــــواء!

لجنتـــــان التِقاهمـــــا مســـــتحيلٌ ... رَغـــــم أن كـــــلاً لـــــه عُلمـــــاء!

حيَّرتْنـــــي أولاهمـــــا مُـــــذ تبـــــارتْ ... بـــــالتجني ، مـــــا رَدَّهـــــا اســـــتحياء

جاءهـــــا الأســـــتاذ المُبجَّـــــلُ قـــــدراً ... آمـــــلاً نُجْحـــــاً يحتويـــــهِ اصـــــطفاء!

داعيـــــاً ربـــــاً لا يُخيِّـــــبُ سَـــــعياً! ... لـــــم يَخِـــــبْ يومـــــاً فـــــي المليـــــك الرجـــــاء!

مُحـــــرزاً نصـــــراً فـــــي امتحانـــــاً مَريـــــر ... بَـــــدؤهُ صَـــــعبُ الوَقـــــع والإنتهـــــاء

مُحســـــناً فـــــي كـــــل الإجابـــــات ، يرجـــــو ... كـــــل فـــــوز ، والســـــائلون أســـــاؤوا

بـــــاذلاً جهـــــداً فـــــاقَ كَـــــمَّ الأمـــــاني ... حـــــارَ فـــــي تقـــــدير الجَـــــزا الحُكمـــــاء

لـــــم يُفـــــوِّتْ إجابـــــة ذات شـــــأن ... لـــــم يَفتْـــــهُ الترميـــــز والإيمـــــاء

لـــــم يُقـــــرِّرْ حُكمـــــاً بـــــدون دليـــــل ... ذاكـــــراً قاموســـــاً لـــــه الالتجـــــاء

لـــــم يُغلّـــــبْ هـــــواه طرفـــــة عـــــين ... مثلمـــــا يَهـــــذي – بـــــالهوى - الســـــفهاء

فأنـــــالوه الفـــــوزَ يُســـــعِدُ قلبـــــاً! والبشـــــاراتُ ســـــاقهن الصـــــفاء

شـــــاكرين إخلاصـــــه والتفـــــاني! بعضُـــــهم قـــــال: مـــــا لـــــه نُظـــــراء

ثـــم قـــال المســـكينُ: هـــل بعـــضُ مـــاءٍ حيـــث بـــي يـــا أهـــلَ الســـجايا ظِمـــاء

مَـــن ســـقى ظمآنـــاً يُحَصِّـــلُ أجـــراً خيـــرُ جُـــودٍ نُجـــزى عليـــه المـــاء

قِيـــلَ عنـــد الشـــباك (قلـــة) مـــاءٍ فالتمسْـــها يـــأتي لـــك الإرواء

كانـــت الســـقيا مِحنـــة واختبـــاراً هـــل بظـــن يُســـتجلبُ الإهتـــداء

ثـــم عـــاد مُستفسِـــراً عـــن قـــرار بعـــد نُجْـــح دَفـــتْ لـــه الأصـــداء

يـــا صـــديقي جَنـــى عليـــك التجنـــي ســـاقه قـــومٌ بالتعنـــت بـــاؤوا

حَكّمـــوا فيـــك الظـــن ، والظـــن إثـــمٌ! ويحهـــم إذ ممـــا صـــنعت اســـتاؤوا

بالنفـــاق كـــانوا رَمَـــوك افتئاتـــاً وافتـــراءً ، كـــأنهم أعـــداء!

تعـــسَ الطـــيشُ ، كـــم يُضِـــلُّ البرايـــا! إذ يُجـــافي بعـــضَ العقـــول الـــذكاء!

لكـــن الأخـــرى لجنـــة ذاتُ شـــأن لـــم يَشُـــبْها سُـــخفٌ ولا بغضـــاء

جُـــلُّ مَـــن فيهـــا بـــالعلوم اســـتعزوا إنَّ بـــالعِلم يَهتـــدي الأســـوياء!

غلّبـــوا حُسْـــنَ الظـــن فـــي النـــاس حتـــى قـــال قـــومٌ: قـــد أفلـــحَ الأوليـــاء!

جـــاءهم ذو التـــدخين دون احتـــراز لـــم يكـــنْ تمويـــهٌ ولا إخفـــاء!

شـــارطوه ، والشـــرط لاقـــى قبـــولاً كـــل شـــرطٍ يَفـــي بـــه الأوفيـــاء!

صـــاح أقلِـــعْ حتـــى تبيـــت معـــافىً! تُـــبْ لـــئلا تجتثـــك الضـــراء!

قـــال: أقلعـــتُ ، فاشـــهدوا باقتنـــاعي قيـــلَ: أبشـــرْ ، ســـعى إليـــك الهنـــاء!

قـــد قبلنـــاك اليـــومَ أســـتاذ جيـــل! بالمتـــاب فلتنجَـــل الأرزاء

لجنتـــان عـــن سَـــمت كـــلِّ تســـاءلْ: هـــل تســـاوَى الإصـــباحُ والإمســـاء؟!

هـــل ظـــلامُ الـــدنيا كنـــور غزاهـــا؟! والـــدياجي يُفنـــي دُجاهـــا الضـــياء؟!

فاعفوا واصفحوا!

(لا ينبغي على الأجيال الناشئة البريئة أن تسيرَ على خطى الأجيال الراحلة إلا في الخير والمعروف! ولتحرصْ هذه الأجيالُ على الود والحب والتواصل والعفو والصفح والعطاء! ولتتنازل عن الحقوق الشخصية دائماً من أجل الحقوق العامة! ولتدرك ما للآخرين من الحقوق! ولتُنزل الناسَ منازلهم ، ولتفتحَ صفحة جديدة من التعامل النزيه المخلص! ولتترك للأجيال الراحلة دربَها وأسلوبيتها! إن شريعتنا الغراء قد عظمت شأن العفو والتسامح بين المسلمين جداً! قال – تعالى -: (وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). وقال – تعالى -: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). وقال – تعالى -: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ). وقال – تعالى - : (إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا). وقال – تعالى -: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). وقال – تعالى -: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). وقال – تعالى -: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ). وقال – تعالى -: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). وقال – تعالى -: (وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). قال – تعالى -: (فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا). وقال – تعالى -: (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). وقال – تعالى -: (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ). وقال – تعالى -: (وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ). وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: (ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِن مالٍ ، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا ، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ). رواه مسلم ، في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، الصفحة أو الرقم:2588 ، صحيح. وجاء رجلٌ إلى النبيِّ - صلّى الله عليه وسلّم - ، فقال: (يا رسولَ اللهِ ، كم نعفو عن الخادمِ؟ فصمَتَ ، ثم أعادَ عليه الكلامَ ، فصَمَتَ ، فلما كان في الثالثةِ قال: اعفُوا عنه في كل يومٍ سبعين مرةً). رواه أبو داوود ، والحديث صحيح! وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: (ثلاثٌ والذي نفسي بيدِه إنْ كُنتُ لحالفًا عليهنَّ: لا ينقصُ مالٌ من صدقةٍ فتصدقوا ولا يعفو عبدٌ عن مظلمةٍ إلا زاده اللهُ بها عزًّا يومَ القيامةِ ولا يفتحُ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتح اللهُ عليه بابَ فقرٍ).[رواه الإمام أحمد ، والحديث صحيح لغيره]. وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: (اللهمَّ إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرةِ اللهمَّ إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في دِيني ودنياي وأهلي ومالي اللهمَّ استُرْ عوراتي وآمِنْ روعاتي).[رواه ابن ماجه ، والحديث صحيح]. وعن عائشة أم المؤمنين - رضيَ الله عنها - أنّ النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - قال لها قولي: (اللَّهمَّ إنَّكَ

عفــوٌّ تحــبُّ العفــوَ فــاعفُ عنِّــي). رواه الترمــذي بإســناد صــحيح. وإذن فللعفــو والصــفح مكانتهمــا العظيمــة فــي الإســلام! وتــأتي هــذه القصــيدة توصــية لمــن أحــب بــأن يــدركوا مــا للصــفح والعفــو مــن قيمــة ، فليعيشــوا بــالعفو والصــفح!)

دَعُــوا الخِــلافَ ، وخلــوا الهجــرَ والكَــدَرا ... إن الخلافــاتِ دَومــاً تُعقِــبُ الضــررا

واســتبعِدوا اللــومَ والتــوبيخَ صُــبحَ مَســا ... كــم يُــوغِرُ اللــومُ صَــدراً كــان مُبتشِــرا

واســتهجِنوا فِتنــاً تُــودِي بقــوَّتكم ... وأرجِعــوا فــي الــذي أتيــتُمُ البَصــرا

وأرجِعــوا مــرة أخــرى ليُخبــرَكم ... بأنــه آســفاً قــد عــادَ مُنحســرا!

ذَروا القطيعــة ، إن الوصــلَ هازمُهــا ... كــم يَجلــبُ الوصــلُ صَــفوَ العــيش والسمرا!

خلــوا التشــاحُنَ ، كــم شــحناءَ ضــاقَ بهــا ... قلــبٌ إلــى مَحوهــا كُليــاً افتقــرا

وزايلــوا الخَــذلَ ، نــارُ الخــذل حاميــة! ... وكــم فــؤادٍ بهــا مخــذولاً اســتعرا!

ولا تسِــيروا علــى دروب مَــن رحلــوا ... كــي تُــدركوا العِــز والتمكــينَ والظفــرا

خلائــقٌ طويَــتْ بــالموت صــفحتُهم ... ومِــن مصــائرهم لــن يُــدركوا وَزرا

واستمسِــكوا بخِــلال الخيــر ، إنَّ لكــم ... عنــد المليــك بهــا الأثمــانَ والأجُــرا

وأكثِــروا الصــفحَ تشــتاقُ الحيــاة لــه ... شــوقَ المحبــين إمــا شــوقهم ظهــرا

إن التغافــل عــن أخطــاء رفقــتكم ... يُطهِّــرُ الحُــبَّ ، عَــز الحُــبُّ إن طهُــرا!

تغــافلوا تمْلكــوا القلــوبَ قانعــة ... بــالود يُــذهِبُ ســوءَ العــيش والكــدرا

وإنْ بــدتْ شُــبهة فاحــت شــناعتُها ... فناقشــوا نصَّــها ، واستأصــلوا الشــررا

ولــيس يكفــي اعتــذارٌ فــي منــاظرةٍ ... ومَــن سَــفيهٌ لجَــدوى الشــبهة انتظــرا؟!

بــل أخرجــوا كــل مــا فــي الصــدر مِــن شُــبَهٍ ... بهــا يَصــيرُ صــفاءُ العــيش مُعتكــرا

وصــارحوا بعضــكم أصــفى مُصــارحةٍ ... كــي تنفضــوا بــاطلاً مُستبشــعاً أشِــرا

وفنــدوا الشــائعاتِ الزيــفُ يَــدمَغها ... ولفظهــا بالضــلال الواضــح ائتــزرا

لا صِــدقَ يُســعفها حتــى تَطِيــبَ لكــم ... هــي افتــراءٌ بــدا فــي ظِلــه انحصــرا

وواجهـــوا أهلهـــا بـــلا مُواربـــةٍ ... وألقِمـــوا مَـــن بَغـــى ترويجَهـــا الحجـــرا

كـــم أحـــدثتْ شـــائعاتُ البُلـــهِ جـــرحَ أذىً! ... والقلـــبُ مِـــن هولهـــا دَمـــاً قـــد اعتصـــرا!

لا تَضْـــمِدُوا الجُـــرحَ ، والصـــديدُ يَغمـــرُهُ ... بـــل أخرجـــوا مـــا بـــه قـــد غـــاب واســـتترا

فلـــيس تُشـــفى جـــراحٌ ضُـــمِّدتْ خطـــأ ... ولا تقولـــوا: قضـــاءٌ أصـــبحتْ قـــدرا

بعـــضُ الجـــراح إذا مـــا خمِّشـــتْ لفِظـــتْ ... مـــا تحتويـــه إلـــى أن فـــاح وانتشـــرا

ألا انبشـــوها إلـــى أن تســـتحيلَ دَمـــاً ... فـــلا نـــرى لصـــديدٍ خلفـــه أثـــرا

أمـــا إذا ضُـــمِّدتْ بـــلا مُعالجـــةٍ ... مَـــن قـــال: تبـــرأ كـــان القـــولُ مَحـــضَ هُـــرا

تُـــودي بمـــن جُرحـــوا بـــدون مَرحمـــةٍ! ... وهـــل ســـيُبرئُها طِـــبٌ إذا اعتـــذرا؟!

وأنزلـــوا النـــاسَ يـــا قـــومي منـــازلهم ... وانـــأوا بأنفســـكم ، لا تُصـــبحوا غجـــراً

فللكبيـــر بـــلا مَـــنٍّ مكانتُـــه ... وللصـــغير حـــدودٌ حَـــدُّها سُـــطِرا

مَـــن فـــارقَ الـــدارَ فلـــتُحفظ كرامتُـــه ... لا تُســـتباحُ ، وإلا لســـتُمُ بَشَـــرا!

كـــذا حقـــوقُ غريـــب الـــدار قـــد حُفِظـــتْ ... ولـــيس يَقضِـــي بهـــا مُســـتهترٌ وَطـــرا

ولتشـــكروا لأولـــي الأفضـــال مـــا بـــذلوا ... مِـــن الجميـــل ، يَزيـــدُ الله مَـــن شَـــكَرا

لا خيـــرَ فـــيمن جميـــلَ النـــاس أنكـــره ... ويَشـــكرُ اللهُ مَـــن جمـــيلهم ذكَـــرا

حتـــى متـــى تُهـــدِرون الحـــقَّ بيـــنكُمُ؟! ... وكيـــف يُفلـــحُ مَـــن للحـــق قـــد هَـــدرا؟!

كـــاد التمـــزقُ يُضـــنِيكم ويُضـــعِفكم ... ومـــا أخـــذتُم لِمَـــا يُـــردِيكمُ الحـــذرا

كـــاد التفـــرقُ أنْ يُـــزيحَ هيبـــتَكم ... فلتطرحـــوا ضـــعفكم واللـــؤمَ والـــدَّبَرا

أمـــا اعتبـــرتُم بمـــوت الفجـــأة ، انتبهـــوا ... (زيـــدٌ) قضـــى ليلـــه ، لـــم يُـــدركِ الســـحرا!

يا(زيـــدُ) قـــم لصـــلاة الفجـــر ، إن لهـــا ... عنـــد المهـــيمن حُســـناها لمَـــن حَضـــرا

لكـــنَّ (زيـــداً) أبـــى أن يَســـتجيبَ لمـــن ... أتـــى يُـــذكِّرُه ، وبالنـــدا جهـــرا

المـــوتُ يـــأتي الـــورى بغيـــر موعـــدةٍ ... فلنســـتعدَّ لـــه ، ولنُعمِـــل الفِكَـــرا

ولـــيس يســـتأذنُ الإنســـانَ إنْ قضِـــيَتْ ... أيـــامُ رحلتـــه ، بـــل يَحصُـــدُ العُمُـــرا

الـــــروحُ قـــــد صـــــعِدتْ لله خالقِهـــــا ... والجســـمُ مِـــن بعـــدها فـــي تُربـــةٍ قبِـــرا

لا يَـــــذكُرُ المـــــوتَ إلا عاقـــــلٌ فطِـــــنٌ ... يبكـــــي إذا ذكَـــــرَ الرحيـــــلَ والحُفَـــــرا

يُصِـــــيبُه الوَجـــــدُ إنْ صـــــلى جنازتـــــه ... وعـــــاد منهـــــا كســـــيرَ القلـــــب مُعتبِـــــرا

فلتبـــــدأوا صـــــفحَكم والعفـــــوَ عـــــن رغـــــبٍ ... وغلّبُـــــوا فـــــي الحيـــــاة المَنطـــــقَ النضِـــــرا

هـــــذا القصـــــيدُ لكـــــم عِيديـــــة حَفلـــــتْ ... بخيـــــر نصـــــح يَفـــــوقُ المـــــالَ والـــــدُّرَرا

ولســـــتُ أدري لعلـــــي بعـــــدُ مرتحـــــلٌ ... فقـــــد بَـــــذلتُ وصـــــايا فـــــذة غـــــرَرا

فـــــإن رحلـــــتُ فأوصِـــــيكم وأنصـــــحُكم ... وفـــــاز عبـــــدٌ بـــــأمر الخـــــالق ائتمـــــرا!

تمتعـــــــوا بحيـــــــاةٍ لا تُخالطهـــــــا ... بَغضـــــاءُ تجعلكـــــم فـــــي ذي الـــــدنا عِبَـــــرا

لا تقطعـــــوا هـــــذه الأرحـــــامَ مـــــا طلعـــــتْ ... شـــــمسٌ ، ومـــــا أبصـــــرتْ عيـــــونكم قمـــــرا

إن المهـــــيمن يـــــومَ البعـــــث ســـــائلكم ... عمـــــا نهـــــى عنـــــهُ يـــــا أحبـــــابُ ، أو أمـــــرا

هـــــذا ابـــــنُ عمِّـــــك لا تقطـــــعْ عَلاقتـــــه ... عاملـــــه بـــــالرفق ، لا تُكثـــــرْ لديـــــه مِـــــرا

وأختُـــــه منـــــك ، فالأنســـــابُ تجمعُكـــــم ... يـــــا صـــــاح راجـــــعْ ضـــــميرَك أمعِـــــن النظـــــرا

بلغـــــتُكم ، والقصـــــيدُ العـــــذبُ يَشـــــهدُ لـــــي ... وأصـــــدقُ الشـــــعر مـــــا بجُرحنـــــا شـــــعرا

بَرئـــــتُ مِـــــن قـــــاطعي الأرحـــــام أجمعِهـــــم ... علـــــى البـــــراءة قـــــد أشـــــهدتُ مقتـــــدرا

يـــــا رب فاشـــــهدْ بـــــأني لـــــن أســـــامحَهم ... إمـــــا حييـــــتُ ، وإنْ أمســـــيتُ محتضـــــرا

إلا إذا ذكـــــــروا مُبـــــــرراً وَجِهـــــــاً ... مُفنـــــداً بصـــــريح القـــــول مُعتبَـــــرا

ووفـــــق الله مَـــــن أصـــــغى لمَـــــوعظتي ... وأدَّبَ الـــــنفسَ بالطاعـــــات ، وازدَجـــــرا

يـــــا رب وانفـــــعْ بشـــــعري كـــــل مَـــــن قـــــرأوا ... فالشـــــعرُ كـــــم ينفـــــعُ الأكيـــــاسَ والبُـــــدُرا!

خياران أحلاهما مُر!

(تزوجها على كتاب الله تعالى وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، ليس يَطمحُ إلى شيءٍ سوى مرضاة ربه ، بينما كانت لها ولأهلها مطامحُ أخرى ومطامعُ مختلفة ! ولما تحققتْ هذه المطامحُ وتلك المطامعُ ، وأدركتْ أن الرجل كان قد طعنَ في السن ، تمردتْ عليه ، واتخذتْ من أهلها حِصناً ودِرعاً ، وبات الرجلُ بين خِيارين أحلاهما مُرٌ للغاية: إما أن يستمر معها ريثما ينصلحُ الحال ، وإما أن يتزوجَ من أخرى مُضحِّياً بكل ما يملك! وفي هذه الحالة يكونُ قد ضَيَّع على أولاده أموالاً وعقاراتٍ شتى يملكها! وبعد دراسةٍ واستخارةٍ تصبرَ الرجل ، وارتأى أن يترك أولاده أغنياء! فإن ذلك أولى! وضحَّى بنفسه في سبيل تلك الغاية! وكما عنوَنا للقصيدة بأن هذا الخيارَ خِيارٌ مُر! وأمَرُّ منه أن يتزوج من أخرى صالحةٍ يستعيد على يديها ما افتقده من الشباب! وهذه مغامرة ، فإنه لا يضمن الثانية!)

حـــارَ فِكـــري مـــا بـــين ضِـــدٍ وضِـــدِّ ... والمـــوازينُ أشـــكلتْ بعـــدُ عِنـــدي

وابتأسْـــتُ إذ ضِـــعتُ كمًّـــا وكيفـــاً ... كيـــف آلـــتْ حـــالي لهـــذا التـــردي؟!

كيـــف هُنـــتُ حتـــى طـــوتْني خطـــوبي؟! ... وعلـــى ماضـــي العمـــر كـــم طـــال وجـــدي!

كـــم بـــذلتُ الخيـــورَ عـــن طِيـــب نفـــس ... رغـــم أحـــوال بـــين جَـــزْر ومَـــد!

كـــم تحمَّلـــتُ أنفســـاً لا تُبـــالي ... سَـــربلتْ عَيشـــي بـــين بَـــرق ورَعـــد!

كـــم تغاضـــيتُ عـــن بلايـــا عِظـــام ... صـــانعوها كـــم أمعنـــوا فـــي التحـــدي!

كـــم تكلفـــتُ كـــي أبَلـــغ غيـــري ... مـــا تمنـــى مـــن كـــل خيـــر وسَـــعد!

كـــم تنازلـــتُ عـــن حقـــوقي لغيـــري ... عَلنـــي أحظـــى ذات يـــوم بـــرَدّ!

كـــم نصـــحتُ مَـــن عـــاقبوني لنصـــحي ... ثـــم كـــادوا ، وبـــالغوا فـــي التعـــدي!

كـــم وعظـــتُ قومـــاً أبـــوا كـــل وعـــظٍ! ... ليتنـــي كنـــتُ صُـــنتُ بـــذلي وجُهـــدي!

مِثـــلَ كـــل زوج تزوجْـــتُ فضـــلى ... أظهـــرتْ لـــي طوعـــاً صُـــنوفَ الـــود

فـــاخرتْ بـــي أهـــلاً وصَـــحباً وقربـــى ... وحبتْنـــي الألقـــابَ فـــوق الحـــد

نـــاولتْني تشـــجيعَها عـــن يَقِـــين ... فانطلقـــتُ أســـعى لنيـــل المجـــد!

دون شـــرطٍ أعطـــتْ لينـــزاح همـــي ... واســـتزادتْ فـــي جُودهـــا دون قيـــد

وقضـــينا عقـــدين فـــي خيـــر حـــال ... والوفـــاقُ للخيـــر والبـــر يَهـــدي

ودوامُ الأحـــوال شـــيءٌ مُحـــالْ ... حيـــث عِشـــتُ انقـــلابَ ضِـــدٍّ لِضِـــد

عَضَـــلتْ بـــي الحيـــاة لمَّـــا اســـتبدتْ ... زوجـــة غالـــتْ عِشـــرتي بالحِقـــد

وهـــنَ العظـــمُ ، والمَشِـــيبُ اعترانـــي ... والقـــوى هِيضـــتْ عنـــدما التـــاعَ كَبْـــدي

وارتضـــتْ زوجـــي ذِلتـــي وانكســـاري ... ولـــذا خانـــت فـــي الكُهولـــة عَهـــدي

قلبـــتْ لـــي ظهـــرَ المِجَـــنِّ اعتباطـــاً ... والـــدموعُ ســـالتْ علـــى كـــل خـــد

تخِـــذتْ ردْءاً أهلهـــا ، فتقـــوَّتْ ... والجميـــعُ فـــي الظلـــم أشـــرسُ جُنـــد!

لـــم يَعُـــدْ لـــي إلا خيـــاران قطعـــاً ... لـــم يعُـــدْ وقـــتٌ بـــين أخـــذٍ ورَد

إنَّ فصـــلَ الخطـــاب أدلـــى بـــدَلو ... وإذا بـــي لا أســـتطيعُ التصـــدي

هـــل زواجـــي يَحُـــل أعتـــى القضـــايا؟ ... هـــل يُعِيـــدُ الصـــبا زواجـــي بخَـــود؟!

هـــل يَسُـــرُّ الـــنفسَ ارتبـــاطي بـــأخرى ... ذاتِ ديـــن حـــق ، وحُسْـــن ، وزُهـــد؟!

تحتفـــي بـــي مـــن بعـــد لأي وضـــنكِ ... إن تبـــدتْ تغتـــالُ ضِـــيقي وسُـــهدي

إن هـــذا – واللهِ – أشـــقى اختيـــار ... قـــد يَزيـــدُ حِنقـــي وحُزنـــي وحَـــردي

والمصـــيرُ المعهـــودُ مكـــرٌ وكيـــدٌ ... هـــل يفـــوقُ كيـــدَ الحليلـــة كيـــدي؟!

ربمـــا تُـــؤذيني بشـــتى الأواذي ... أو حظِيـــتُ منهـــا بلعـــن وطـــرد

أو أعـــيشُ بالصـــبر حتـــى ألاقـــي ... خـــالقي المَـــولى ، ثـــم أســـكنُ لحـــدي!

إن هـــذا الخيـــارَ أهـــدى ســـبيلاً ... رغـــم إخـــلال يَعتريـــه ونقـــد

قـــد يكـــونُ فـــي الصـــبر أرجـــى عِـــلاج ... ســـاقه لـــي بعـــد الـــدعا بعـــضُ رُشـــد

كـــم بلايـــا بالصـــبر والرُّشـــد تُـــزوَى ... عنـــدما تُمســـي زوجـــة شـــرَّ نِـــد!

قـــد يَزيـــدُ الـــزواجُ حـــالي اكتئابـــاً ... وانفعـــالاتٍ مـــا لهـــا مِـــن خَمـــد

بينمـــا بالصـــبر العـــذاباتُ تخبـــو ... ثـــم فـــي يـــوم الحشـــر جنـــاتُ خلـــد

قِصَّـــتي فيهـــا الصـــبرُ سَـــمتٌ وهَـــديٌ ... صُـــغتُها بالأشـــعار بعـــد الســـرد

ولربـــي الـــرحمن أكبـــرُ فضـــل ... ولـــه شُـــكري بعـــد ذِكـــري وحمـــدي!

تبادلُ الزوجات!

(تحتاج هذه الظاهرة الملعونة القذرة – تبادل الزوجات - إلى علاج شرعي وآخر شعري ، وبينهما علاجات أخرى نفسية ، وعصبية ، ومجتمعية ، ريثما تنقشعُ من المجتمعات الطيبة ، بعد أن كثرَ بلاؤها وشرُّها! وهذه الظاهرة كأني بها تقول للواحد منا: مرحباً بك في القرن الواحد والعشرين. حيثُ بات الحـرامُ مجانياً وبأيسر السبل وأرخصها ، والحلالُ مكلفاً جداً وبأصعب الوسائل وأغلاها. حيث أصبحَ وصولُ البيتزا أسرعَ من وصول الإسعاف والأمن. حيث صار فقدانُ الهاتف أكثر ألماً من فقدان الكرامة. والملابسُ اليوم تحدد قيمة الشخص. حيث أصبح الوفاء وأصحابه من الطراز القديم. حيث إن المال اليوم هو تمثال الحرية والعدالة والمساواة. مرحباً بك في هذا العصر الموحش. حيث أصبح الكذب فهلوة ، والخـيانة ذكاءً ، والفقر عيباً. والعُـري قمة الأناقة والحرية ، والتحشم قمة التخلف ، والجمال هو عامل الجذب الأول ، وكسر الخاطر أصبح صراحة ، وجبر الخواطر أصبح طِيبة وهبلاً ، والمال يجبر الناس أن تحترمك حتى لو كان من حـرام ، والخمر مشروبات روحية ، والحِشمة والحجاب رجعية وعودة إلى عصور الظلام ، والتبرج والسفور والعُرْي البهيمي العجماوي تقدماً وحضارة ، والزنا تعاطِيَ الحب ، والربا فائدة ، أصبحت المبادئ والقيم قمة التخـلف والتأخر. أهلاً بك في قمة الزيـف وفي أسـوأ عصر من عصور البشرية ، للأسف الشديد. في عصرنا المنحط ، بعض الزوجات تُتبادل كالسيارات والدراجات البخارية والثياب والفساتين! لقد سمعنا عن تقسيم بعض الصحابة للزوجات تقسيماً أبدية ، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، وكان كثيرَ المال ، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً ، سأقسِّمُ مالي بيني وبينك شطرين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئاً من سمن وأقط ، فلم يلبث إلا يسيراً ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وضر من صُفرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهيم مهيم ، قال: تزوجت امرأة من الأنصار ، فقال: ما سُقت إليها؟ قال: وزن نواةٍ من ذهب ، أو نواةٍ من ذهب. فقال: أولمْ ولو بشاة. اهـ. وليس فيما ذكر امتهان للمرأة ، وإنما يتنازل عنها بالطلاق سعد ثم تعتد ثم يتزوجها عبد الرحمن بعد رضاها ؛ لأن الثيب قد تقرر في الشرع أنها لا تزوج برجل إلا إذا صرحت نطقاً بقوله ، فقد اتفق العلماء أنه لا بد من رضا الثيب. قال الإمام ابن رشد: وأما النساء اللاتي بعتبر رضاهن في النكاح: فاتفقوا على اعتبار رضا الثيب البالغ ، لقوله صلى الله عليه وسلم: والثيب تعرب عن نفسها. رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي. اهـ. ويدل لهذا ما ورد من التفصيل في رواياتٍ أخرى ، فقد ذكر ابن حجر في الفتح أن في رواية ابن سعد: فانطلق به سعد إلى منزله فدعا بطعام فأكلا ، وقال: لي امرأتان ، وأنت أخي لا امرأة لك ، فأنزل عن إحداهما فتتزوجها. وفي رواية إسماعيل بن جعفر: ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها ، فإذا حلت تزوجها. وفي حديث عبد الرحمن بن عوف: فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أي زوجتيَّ هويت فأنزل لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها. ونحوه في رواية يحيى بن سعيد وفي لفظ: فانظر أعجبهما إليك فسمها لي فأطلقها ، فإذا انقضت عِدَّتها فتزوجها. وفي رواية حمادٍ بن سلمة عن ثابت عند أحمد: فقال له سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فأنظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها! هذا ومن المعلوم أن الغالب عن هذه المرأة لو طلقها زوجها أنها سترضى بعبد

الرحمن بن عوف زوجاً لها وذلك لأكثر من سبب:- الأول: أنها صحابية جليلة تحب الدين وأهله وتعلم أن عبد الرحمن من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ترك وطنه وماله وأهله وهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فراراً بدينه واعتزازاً بربه واتكالاً عليه ، فهو أهلٌ لأن يقدر له هذا الموقف. الثاني: أن عبد الرحمن من وسط مرموق فهو من أوسط قريش نسباً! الثالث: أنه تاجر ماهر ذو خبرة عالية في التجارة وقد يكون ممن عُرفوا بذلك في الجاهلية ، والنساء يرغبن في الزواج بالرجل الناجح لاسيما إذا كان ينحدر من وسطٍ محترم. ولنعلم يقيناً أن الإسلام كان قد كرَّم المرأة لم يعرف التاريخ مثله ، ولم تعرف الحضارات الإنسانية له مثيلاً! لقد استشرت مسألة: (تبادل الزوجات) في الآونة الأخيرة! وأصبحت ظاهرة تستهدف أمن وسلامة وسعادة المجتمع! وعندما نعلم أنها واكبت انتشار الإنترنت ببعض مواقعه الإباحية القذرة ، ندرك أنها إفراز من إفرازاته العفنة الدنسة! ولقد سمعنا عن التنازل عن الزوجات لا عن التبادل لهن! وفرق كبير بينهما ، يزيد عن الفرق بين السماء والأرض بمراحل! لقد كان التنازل عن الزوجات منقبة عليها الأجر من الناس والثناء من الناس! ولم نسمع قط عن تبادل الزوجات الذي هو العار والشنار وغضب الجبار ولعنة الأخيار وذم الأبرار! أما التنازل عن الزوجات فكان يفعله بعض أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – من الأنصار الذسن آووا ونصروا ، أولئك الأقوام الذين قسموا الدور والممتلكات مع إخوانهمُ المهاجرين ، وأتى الدور على تقسيم الزوجات! وبالاصطلاح المعاصر: (التنازل عن الزوجات)! فيُخير الأنصاري أخاه المهاجري بين زوجاته ، فمن أعجبته منهن أو منهما طلقها زوجها ، وبعد انقضاء عدتها تحل للمهاجري فيتزوجها على كتاب الله وسنة رسوله! أما عن تبادل الزوجات الذي بدأ يستشري بين الديوثيين الداعرين اليوم ، ففيه يتبادلُ كل ديوثين زوجتيهما دون طلاق حيث إن كل زوجةٍ في عصمة زوجها ، استجابة لداعي الهوى والشهوة والنزق ، أو بداعي التجديد على حد قولهم لعنة الله تعالى عليهم! وذلك تأثراً بالحضارة الغربية الجاهلية المعاصرة! ولما علِمتُ بذلك رأيتُ أن أدلي بدلوي غيرة على دين الله وحُرماته سبحانه! وهذا سؤال: هل يجوز الزواج بالتبادل إذا وافقت الزوجتان؟ وتفصيل السؤال: هل يجوز الزواج بالتبادل أو في البدلة ، بمعنى: رجلان يتبادلان بأخواتهم ، أو في بناتهم؟ مع دفع مبلغٍ من المال كمهر ، لكل واحدةٍ منهن ، ولكن أقل من المهر السائد في المنطقة؟ علمًا بأن الزواج بموافقتهن. والجواب: الزواج بالتبادل لا يجوز ، كونه يسمى: نكاح الشغار ، وقد نهى عنه النبي ﷺ في أحاديث كثيرةٍ صحيحة ، وهو أن يقول: زوجني أختك ، وأزوجك أختي ، أو بنتك ، وأزوجك بنتي ، أو ما أشبه ذلك ، هذا لا يجوز ، ولو بالمهر ، ولو تراضى الجميع ؛ لأن الرسول نهى عن ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ ولأنه وسيلة إلى إجبار النساء ، وظلم النساء ؛ ولأنه وسيلة إلى الفتن ، والخصومات ، إذا تنازع هذا مع زوجته ، كذلك الرجل الآخر تنازعه زوجته أو أهلها. فالحاصل: أنه لا يجوز لما يترتب عليه من الشرور ، أما إذا خطب هذا ، وخطب هذا من دون شرط ، هذا خطب من الأسرة ، وخطبوا منه ، من دون مُشارطة ؛ فلا حرج في ذلك! واليوم تُطالعنا الأخبار بتخلى عامل ما عن نخوته ، وعِرض زوجته على راغبي المتعة الحرام ، على صفحة تابعة لإحدى التطبيقات ، وقام العامل وزوجته بعمل فيديوهات بث مباشر ، فقدَّما خلالها عروضاً جنسية للزبائن ، لجذب أكبر عددٍ ممكن حتى ذاع صيتهما ، ليقوم الزوج بعمل صفحة لتبادل الزوجات! كان هذا هو الموجز ، وإليكمُ الأنباء بالتفصيل بدون ذكر الأسماء ولا الأماكن ولا التواريخ! جلس عامل وزوجته يبحثان عن طريقةٍ لزيادة دخلهما ، وقادهما تفكيرُهما

الشيطاني إلى عرض صور خادشةٍ للحياء للزوجة على صفحةٍ أنشأها الزوج الديوث ، وأشرف عليها بنفسه ، وبدأ الزوج في التقاط صور ونشرها لتجذب آلاف الزوار ، فقررا توسيع نشاطهما وتصوير فيديوهاتٍ قصيرةٍ ونشرها على واحدٍ من التطبيقات! ومن مجرد الدعوة الملعونة والصور الأكثر لعنة إلى حفل جنس جماعي! فلقد وجد الزوج ضالته المنشودة وعرف طريق المال ، دون مبالاةٍ بزوجته وما سيقول الناس ، وبدأ في التواصل مع بعض رواد الصفحة الذين طلبوا مقابلته وزوجته واقترحوا سوياً إقامة حفل جنس جماعي ملعون وتبادل زوجات ، وهو ما لاقى قبولاً عند الرجل ، الذي بدأ في نشر تعليقات على صفحته حول استعداده وزوجته لإقامة حفل جنس جماعي. وذاع صيت الديوث ، وقامت زوجته بتقديم خدمات جنسية لراغبي المتعة الحرام عبر أحد التطبيقات ، كما قامت بعمل جروب لتبادل الزوجات. وتبين فيما بعد ، أن المجرم كان يعمل موظفاً صغيراً ، وزوجته ربة منزل ، وكانا معاً قد أدارا صفحة لتسهيل الدعارة ، مستغلين في ذلك واحداً من التطبيقات ، وتواصلا مع آخرين لعمل حفل جنس جماعي وتبادل الزوجات. بينما قام المتهم وزوجته بإنشاء حسابات على تطبيق "تانجو" ، حيث قاما ببث فيديوهاتٍ جنسيةٍ للمجرمة الثانية بهدف تسهيل عملها بالدعارة ، وربح المزيد من الأموال ، والمجرم الأول كان يخفي الأموال التي تحصلا عليها من أعمالهما المشبوهة! واعترف المتهم بمكان الأموال ، كما اعترفتْ زوجته بإنشاء جروب عبر وسائل التواصل الاجتماعي لتبادل الزوجات والتحريض على الفسق والفجور ، وكذلك تنظيم وبث مقاطع جنسية عبر التطبيقات الإلكترونية بهدف تحقيق مكاسب مالية. وكانت تستدرجُ شقيقتها وتُقدمُها لزوجها لاغتصابها ، وأخبرتْها أنها في انتظارها لقضاء الإجازة بصحبتها ، إلا أن الشيطانة كانت قد خططتْ مع زوجها للانتقام من شقيقتها بسبب خلافاتٍ ماليةٍ سابقةٍ بينهما ، وقدمتْها لزوجها لاغتصابها ، وقامتْ بتصويرها أثناء مواقعة الزوج للمجني عليها! وتبين كذلك قيام موظفة ، وزوجها بتخدير المجني عليها شقيقة الأولى ، داخل شقتهما ، وعقب ذلك مارس المجرم الثاني الجنس معها ، بينما صورتها المتهمة الأولى شقيقتها بهاتفها المحمول. وكان الشعارُ المعمولُ به في هذه المجموعة المنحلة الملعونة مجموعة الزناة القوادين: (استمتع بزوجات الآخرين ، مقابل أن تتركهم يستمتعون بزوجتك» ، وتلك فكرة بغيضة أعلن عنها أشخاصٌ بلا أخلاق ، واتخذوها شِعاراً للترويج للمتعة الحرام عبر شبكة الإنترنت ، فأنشأوا حساباتٍ وصفحاتٍ مشبوهة لارتكاب تلك «الجريمة الأخلاقية» ، قبل أن تكون جريمة «جنائية» والتي عرفها الإعلام بقضايا تبادل الزوجات! وكانت هناك قرابة 8 قضايا لتبادل الزوجات خلال السنوات العشر الأخيرة ، جميعها دعتِ العديدَ من خبراء علم النفس والاجتماع والأطباء والباحثين إلى دراسة تلك الوقائع لمعرفة دوافع أصحابها وماذا دار في عقولهم ليدفعهم لهذا السلوك البغيض ، ليرمي بهم في مستنقع الرذيلة هم وزوجاتهم! وبعد ذلك انقلب الرأي العام وسادت حالة من الاستنكار والذعر الاجتماعي من هذه الجريمة اللاأخلاقية! فلقد أنشأ المجرمون موقعاً على شبكة الإنترنت عام 2008م ، يتضمنُ عرض نفسه وزوجته لممارسة الجنس الجماعى ، وبث إعلانات عبر مواقع المحادثات على الشبكة من أجل ممارسة الدعارة والرذيلة. وكان الزوج للأسف هو المجرم الرئيسى ، وكان قد اشترط على الراغبين في «تبادل الزوجات» أن يُقدِّموا عقودَ زواج رسمية للزوجين ، وأنه كان يرفضُ المتزوجين عُرفياً ، خوفاً من حدوث اختلافٍ بينهم قد يُؤدي إلى تمزيق أحدهما لورقة الزواج ، وتبين أن من بين الشروط أيضاً موافقة الزوجتين ، وأن تكونا معجبتين بالطرف الثانى ، فيما اعترفتِ الزوجة

بعد ذلك بأنها تمارس الدعارة مع الرجال دون تمييز! وفي عام 2012م ، كانت هناك شبكة أخرى لتبادل الزوجات ، وفيها أن الزوج المتهم أقنع زوجته بضرورة «التغيير» لتجديد علاقتهما الجنسية والعاطفية ، وأنه وزوجته قد قررا من خلال مشاهدتهما موقعاً خاصاً بشاب خليجى يُعلنُ عن تبادل للزوجات. وأضاف أنهما اختارا 3 أسر من بين العشرات من الأسر التي وافقت على أفكارهما ومارست معهما الدعارة. وقالت الزوجة «30 سنة» وهى مديرة حضانة إن زوجها عرض عليها الأمر ، وأكد لها أن ذلك سيزيد من علاقتهما ويجدد حياتهما الجنسية ، وأنها كانت تدخل غرفة بصحبة الشخص وزوجها يدخل غرفة مجاورة مع زوجة هذا الشخص. وتكرر ذلك – والعياذ بالله - 3 مرات! وفي عام 2014م كان هناك أستاذ جامعي يقود شبكة لتبادل الزوجات في شقته ، وذلك عقب إنشائه حساباً على شبكة الإنترنت لهذا الغرض ، فيتم ضبطه وزوجته وعددٍ آخرَ من المتهمين المشتركين معه في ارتكاب تلك الجريمة! وفي 2015م كان هناك موظف وزوجته ربة منزل بشقتهما ، كانا قد أنشآ صفحة بموقع التواصل الاجتماعي لهذا الغرض ، ورصدت المقابلات الخاصة بالمجرمين بالصوت والصورة! وفي عام 2019م كان هناك مجرم آخر قد أنشأ صفحة عبر موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» لتبادل الزوجات ، وأرسل صوراً عارية لزوجته لراغبي المتعة ، وأنه يعرضها لممارسة الجنس مع الرجال ، وبمجرد التواصل مع أي شخص يدخل للصفحة يخبره برغبته في ممارسة الرذيلة مع زوجته مقابل زوجته المعروضة! وكانت هناك في فترةٍ وجيزة قرابة 8 قضايا لتبادل الزوجات خلال السنوات العشر الأخيرة ، وكانت هناك أكثر من شبكة تبادل زوجاتٍ علي مواقع التواصل الاجتماعي. لقد جرى العُرف أن عِرض الزوجة وشرفها من شرف الزوج ، وما يُمس شرف الزوجة ينال من عِرض زوجها وكرامته ، واعتدنا في مجتمعاتنا على أن أكبر عنوان للرجولة هو حِفظ الرجل لعِرض زوجته وكرامته ، كما أنه في القرآن الكريم وصف الله سبحانه وتعالى الزواج بالميثاق الغليظ ، إلا أنه في هذه الواقعة الكارثية بكل المقاييس ، استباح الأزواج المجرمون كل هذا وضربوا بتعاليم الدين والأعراف المجتمعية عُرض الحائط من أجل المتعة الحرام بالترويج لتبادل الزوجات ، بأن يقدم المجرم الديوث منهم زوجته لرجال غرباء في مقابل أن ينال من زوجاتهم! وكم من واقعةٍ طغى فيها حب اللذات والشهوات الشيطانية على زوج ما وزوجته ، بأن استباح عِرض زوجته وتقديم جسدها لكل من يرغب أن يتبادلها معه ، ليستمرا في إقامة حفلاتِ الجنس الجماعي في شقتهما من خلال هذه الشبكة لتبادل الزوجات التى أنشأوها على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" من أجل المتعة الحرام ، بعد أن زين لهما الشيطانُ طريقَ الفاحشة. وإذا فتحنا صفحة الأطباء النفسيين لندرك آراءهم وعلاجاتهم لهذه الظاهرة الملعونة: (تبادل الزوجات) لأدركنا مدى الخطورة وصعوبة الحلول! فلنطالع ما قاله بعضهم ، فهذا هو الدكتور محمد هاني ، استشاري الصحة النفسية والعلاقات الزوجية والأسرية ، يقول: (إن تبادل الزوجات ، وتكوين شبكات لممارسة هذا الفعل ، تعد من الأشياء الغريبة في المجتمع. وأضاف هاني ، أن الذين يمارسون هذه الرذيلة ، فهم خرجوا عن أساس الزواج ، فأحلوا إشباع الغرائز والشهوات ، محل الرحمة والمودة التي أمر بها الدين. وأوضح استشاري الصحة النفسية ، أن الذين يكوّنون شبكات تبادل الزوجات ، لديهم مرض يسمى بـ "الهلاوس الجنسية" ، وهو يعتبر نوعًا من أنواع الشذوذ ، لافتًا إلى تعدد أسباب الإصابة بالشذوذ ، أبرزها التعرض لتجربة في سن صغير ، والممارسة والمشاهدة للأفلام الإباحية. وأشار استشاري الصحة النفسية والعلاقات الزوجية ، إلى أن المصابين بالشذوذ ، يعانون من

نقص جنسي ، وعدم القدرة على إشباع رغباتهم ، فيبدأون في اللجوء إلى مشاهدة الأفلام الإباحية ، ثم يبدأون في إنشاء صفحاتٍ على الإنترنت ، للتواصل مع من يعانون من نفس المشكلة ، ويتبنون نفس الفكرة. وأوضح الدكتور هاني ، أن مرضى تبادل الزوجات ، لديهم "كوكتيل نواقص" ، منها انفصام في الشخصية مع انفلاتٍ أخلاقي ، ومنهم من لديه نقص ديني ، ومنهم من يكون مدمناً جنسياً ويريد التجربة ، مشيرًا إلي أن بعض الرجال الذين يقومون بذلك العمل الشاذ ، يكون ذلك منهم من أجل جلب الأموال ، مطالبًا بتطبيق أقصى عقوبةٍ رادعةٍ عليهم ، للحفاظ على سلامة المجتمع ، وبنية الأسرة. ولفت هاني ، إلى أن الزوجة التي يُفكر زوجها بهذه الطريقة ، تكون في حيرة ، بين ممارسة الرذيلة ، أو الرفض والطلاق ، كما أنه في كثير من الحالات الزوج يجبر زوجته على الفحشاء ، وإذا كانت لديها الميولُ نفسها ، فتستصعب الأمر في البداية ، ثم تعتاد عليه فيما بعد ، والزوجات يعتبرن أزواجهن أنهم بلا قيمةٍ أو فائدةٍ ، بينما المرأة السوية الحُرة العفيفة الشريفة منهن ، تطلب الطلاق فورًا. وأما عن العلاج ، فبيّن استشاري الصحة النفسية ، أن علاج أصحاب فكرة تبادل الزوجات ، يتم عن طريق أحد برامج العلاج النفسي ، التي تبدأ بتغيير الوسط الذي يعيشون فيه وتغيير ميولهم ورغباتهم ، وإخراج هذا "الفكر الشيطاني الخبيث" من عقولهم).هـ. وفي سياق متصل ، أكد الدكتور أحمد هارون ، استشاري العلاج النفسي وعضو الجمعية الأمريكية لعلم النفس ، أن شبكات تبادل العلاقات الزوجية ، تعد شكل من أشكال الاضطرابات النفسية! وتابع هارون ، أن هناك عدة أنواع في التعاملات الجنسية ، والتي تتمثل في شخص هادئ ، وآخرعنيف ، وأخر يفضل الرومانسية ، مشيرًا إلى أن هناك أزواج يطلبون من زوجاتهم أشياءً غريبة ، كأن تقصُّ عليهم قصصاً جنسية ، موضحًا أن هذه النماذج الأربعة يُعانون من المرض ذاته ، وهو الاضطراب النفسي الجنسي. وأضاف استشاري العلاج النفسي ، أن مرضى تبادل العلاقات ، يشعرون بالملل والتقليدية في حياتهم ، مما يدفعهم للبحث عن وسائل تزيد من الرغبة لديهم ، ومن ثم يلجأون إلى تبادل زوجاتهم. ولفت عضو الجمعية الأمريكية لعلم النفس إلي أن تعارف مرضى تبادل الزوجات ، يتم عن طريق نوع من أنواع الطاقة يسمي بـ"الطاقة النفسية" ، والتي تجذب الأشخاص إلى من يشبهونهم في الميول. كما أوضح هارون ، أن أي اضطراب نفسي ، يكون أساسه 3 أسباب رئيسية ، إما العوامل الوراثية ، وهي تعني استعداد الشخص للإصابة بالمرض ، وإما التنشئة الاجتماعية ، وهي التي تُساهم بشكل كبير في تشكيل رغبات الفرد وتفكيره ، ما إذا كان ملتزمًا أم سيئًا ، وإما أن يكون لدى الشخص دافع ما يحركه مبينًا أن علاج كل هذه الحالات ، يكمن في التكثيف من التوعية النفسية ، أي معرفة ميول الأفراد ودوافعهم ، وهي تتم عن طريق جلسات خاصة حتى يتم تغيير فكره الخاطئ. وشدد هارون ، على أنه إذا شعر الفردُ في نفسه ، برغبةٍ جنسيةٍ غريبةٍ على دينه ومجتمعه ، فعليه الذهاب إلى الطبيب المتخصص ، حتي لا يتطور الأمر ويصبح كارثة جنسية ، ككارثة تبادل الزوجات. ومن جانبها ، قالت العبقرية الدكتورة هبة عيسوي ، استشارية الطب النفسي بطب عين شمس ، ما نصه: (إن حالات تبادل العلاقات الزوجية الجنسية ، تندرجُ تحت نوع من الاضطرابات يطلق عليها "الإثارة الجنسية غير السوية". وتابعت عيسوي ، إن ممارسة العلاقات التبادلية ، ترجعُ إلى وجود كبتٍ جنسي أو هرموني ، مَرجعه سبب ظهور هذه العلاقات ، باحتمالية كبيرة لتعرض من يمارسونها لحالات تحرش ، في إحدى مراحل حياته الأساسية ، خاصة الطفولة والمراهقة ، مُشدِّدة على أن هذه المراحل إذا لم تمر بسلام ، تحدث

له خللاً في علاقاته فيما بعد. وأشارتِ استشارية الطب النفسي ، إلى أنه قد يكون للزوج والزوجة ، نفسُ المُيولُ الجنسية ، وربما تُجبَرُ الزوجة على ارتكاب هذا الفعل ، بسب تدهور حالتها الاقتصادية ، أو أنه لا مأوى لها سوى بيت الزوجية. وشددتِ استشارية الطب النفسي على أنه من أحد أهم العناصر لعلاج هذه المشكلة ، هو عودة تفعيل الخط الساخن التابع للمجلس القومي للمرأة ، للإبلاغ عن حالات التحرش ضد المرأة ، مما يساهمُ في إنقاذ العديد من الزوجات ، وتفعيل خط المشورة أيضًا ، لمعرفة كيفية التعامل مع الزوج في هذا الوضع قانونًا ونفسيًا!).هـ. وحَري بنا أن نطالعَ صفحاتِ التاريخ لندرك إهانة المرأة في الحضارات الجاهلية كلها غابرها وحاضرها! ثم جاء الإسلام العظيم بينهما ، فانتشل المرأة من الحضيض الأسفل ، ووهبها الحياة والكرامة معاً! ثم ها هو فريق من النساء ضاق بالكرامة والطهر ، وانغمس في الرجس والرذيلة ، إلى أن وصل بهن الحال إلى (تبادل الزوجات)! فإذا نظرنا إلى الحضارات التي سبقت الإسلام ، وكيف كان وضع المرأة فيها مُزرياً ولا يتناسب مع أبسط مبادئ الإنسانية. ومنها الحضارة البابلية ، والتي عبرت عنها قوانين حمورابي والتي يرجع عمرها من ٣٥٠٠ عام. أي أنها تسبق الإسلام. وكانت منزلة المرأة فيها بمنزلة الأمة أو العبدة المملوكة ثم تأتي "شريعة مانو" والتي كانت تقضي بأن تموت الزوجة يوم موت زوجها ، وأن تُحرق معه وهي حية! وكثيراً ما تردد في أمثال الأمم القديمة بقولهم: احذر المرأة الفاسدة ، ولا تركن إلى الفاضلة. وحضارة اليونان التي يزهو بها الأوروبيون والأمريكيون لأنهم ينتسبون إليها ؛ فلم يظهر فيها امرأة واحدة نابهة أو كان لها دورٌ فاعلٌ في هذه الحضارة. ومن مشاهير هذه الحضارة كان أرسطو والذي يمثل أكبر عقل فيها ، فقد بنى فلسفته الاجتماعية على أن المرأة للرجل كالعبد للسيد ، ومنزلتهاعند زوجها لا تعدو منزلة العبد لسيده ، وقال: إن الطبيعة تمنحُ الرجلَ عقلاً كاملاً ، بينما تمنحُ المرأة حظاً أقل مما يمنعها أن تشارك الرجل في أعمال الجندية أو السياسة لأنها تحتاج عقلاً راجحاً لا تملكه المرأة التي خلقت للتناسل وإرضاء الزوج فقط. وتحت عنوان: (المرأة عبر الحضارات ، هل ظلمها الإسلام أم كرمها؟!) يقول الأستاذ جلال الجنيدي ما نصه بتصرفٍ زهيد: (لا شك أن الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام كثير وكثير جداً ، فهناك من يخرج علينا صائحاً بأعلى صوته أن الإسلام ظلم المرأة وجار عليها وصادر حريتها وحال بينها وبين حقها في أن تعيش كمثيلاتها من النسوة الأخريات من أتباع الحضارات الأخرى ، وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك ووضع الإسلام في قفص الاتهام وحاكمه وأدانه حتى قبل أن يتحرى ويتبين من براءته ، وراح يُجَرِّمُه ويسيء إليه بدعوى ظلم المرأة بدون دليل ولا منهج علمي موضوعي ، وعلى الجانب الآخر تجد من ينفى كل ما نسب إلى الإسلام من شبهات تجاه المرأة ويقول عكس كل ما قيل سابقاً ، وأن الإسلام كرم المرأة وأعلى من شأنها. وللإجابة على هذا السؤال سنعرض مكانة المرأة في مختلف الحضارات وماذا قدمت تلك الحضارات بما فيها الإسلام للمرأة. ففي الحضارة الإغريقية كانت المرأة عند الإغريق محتقرة مهانة حتي أنهم أسموها رجس من عمل الشيطان. وكانتْ كالمتاع تُباع وتشترَى في الأسواق ، مسلوبة الحقوق ، محرومة من حقِّ الميراث وحقِّ التصرُّف في المال ، وكانتْ في غايةِ الانحطاط. وقد قال عنها أشهر فلاسفة الإغريق أرسطو طاليس: "إن المرأة رجل غير كامل ، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخليقة" ، وهو القائل أيضاً: "أن المرأة للرجل كالعبد للسيّد ، والعامل للعالم ، والبربري لليوناني ، وأن الرجل أعلى منزلة من المرأة". أما الفيلسوف الإغريقي المشهور سقراط فقد قال: "إنَّ وجودَ المرأة هو أكبر منشأ ومصْدر

للأزمة في العالَم ، إنَّ المرأة تُشبه شجرةً مَسْمومة ، حيث يكون ظاهرها جميلاً ، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً. واليهود قد صبوا جام غضبهم على المرأة ، فكانت عندهم سلعة خسيسة رخيصة تتنقل بين أحضان الرجال بطريقة غاية في الشذوذ ، كما جعلوها هي الخائنة والمتمردة والكاذبة والذليلة. أما عن وضع المرأة في الحضارة الرومانية فقد كان سيئاً جداً فقد اعتبر الرومان المرأة متاعاً مملوكاً للرجل وسلعة من السلع الرخيصة يتصرف الرجال فيها كيف يشاءون ، وكان يعتبرها الرجال شراً لا بد من اجتنابه ، وأنها مخلوقة للمتعة ، وكان الرجل يملك مالها فهي في نظره ونظر المجتمع الروماني كله مخلوقة لا قيمة لها ، وكان بيد أبيها وزوجها حق حياتها وحق موتها وإذا كانت ملك أبيها في شبابها فهو الذي يختار لها زوجها فإذا تزوجت ملكها زوجها وفي ذلك يقول جايوس: "توجب عادتنا على النساء الرشيدات أن يبقين تحت الوصاية لخِفة عقولهن. وكان من أبرز قرارات المؤتمر الكبير الذي عقد في روما هي أن المرأة بلا نفس أو خلود وأنها لن ترث الحياة الآخرة وأنها رجس ويجب ألا تأكل اللحم وألا تضحك وألا تتكلم وعليها أن تمضي جميع أوقاتها في الخدمة والطاعة وقد حكموا عليها بأن تمنع من الكلام. وقد أقدموا على وضع قفلاً حديدياً على فم النساء كانوا يسمونه (الموزلير) حتى يمنعوا المرأة من الكلام فكانت النساء جميعهم من أعالي الأسر وأدناها تسير في الطرقات وتعمل في البيت وفي فمها قفل من حديد. والطلاق عند الرومان كان كشرب الماء فالزوجة تطلق في السنة عشرات المرات كأنها حشرة تافهة بلا قيمة تطلق لأبسط الأسباب فهذا سينيكا الفيلسوف الرومانى الشهير يندب كثرة الطلاق فيقول: "لم يعد الطلاق اليوم شيئاً يندم عليه أو يستحيا منه في بلاد الرومان وقد بلغ من كثرته وذيوع أمره أن جعلت النساء يعدون أعمارهن بأعداد أزواجهن. وفي إنجلترا كانت تباع المرأة في الأسواق بثِلنين لأنها ثقلت بتكاليفها على الكنيسة التي تؤويها ، كما بقيت المرأة إلى سنة 1882 م محرومة من حقها الكامل في ملك العقارات وحُرية المُقايضة ، وفي بلغراد بيعت النساء بالميزان ، وكان الرطل الواحد يساوي بنسين أو ثلاث بنسات ، وكان ثمن الزوجة التي تزن مائة رطل أو مائة وعشرين رطلاً لا يزيد عن 28 شلناً. والفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر يؤكد ذلك وقد قال: "أن الزوجة كانت تُباع في إنجلترا خلال القرن الحادي عشر" وقد سنت المحاكم الكنسية في هذا القرن قانوناً ينص على أن للزوج أن ينقل أو يعير زوجته. وفرنسا أيضاً لم تكن هي الأخرى أفضل في تعاملها مع المرأة من جاراتها فقد قرر فيها مجمع ماكون الذي عقد سنة 586م: "أنَّ المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل ، وتخلو روحها من الروح الناجية من عذاب جهنَّم ما عدا أم المسيح"! أما اليهود فقد صبوا جام غضبهم على المرأة، فكانت عندهم سلعة خسيسة رخيصة تتنقل بين أحضان الرجال بطريقة غاية في الشذوذ كما جعلوها هي الخائنة والمتمردة والكاذبة والذليلة، في أبشع هجوم وجريمة بحق المرأة وامتهان لحقوقها. كما أنهم يعتبرون المرأة لعنة ، لأنَّها أغوت آدم ، وقد جاء في التوراة: "المرأة أمرُّ من الموت وإنَّ الصالح أمام الله ينجو منها. أما العرب في الجاهلية كانوا ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم ، ويتصرفون فيها كيف شاءوا ، وقد حرموها من الميراث وكان العرب يقولون: "لا يرثنا إلا من يحمل السيف". وقد كانت المرأة مصدر عار عند العرب فقد كان أحدهم إذا ولدت زوجته بنتاً ضاق ذرعاً واستشاط غضباً ، وقد كان وأْد البنات منتشراً بشكل كبير بينهم ، والوأْد هو دفن المولودات الإناث وهن على قيد الحياة. وما تحدثتُ به عن وضع المرأة المأساوي في تلك الحضارات السالفة الذكر غيضٌ من

فيض ، وقد اختصرت الكثير الكثير ، وحتى في وقتنا الحاضر فالمرأة لا زالت عند تلك الحضارات مجرد سلعة وأداة ناجحة للترويج والإعلان ، فالمرأة عندهم متاحة للجميع وفي أي وقت ولا يوجد أي ضابط شرعي أو أخلاقي أو قانوني يحد من ازدرائها والحط من قدرها والاعتداء على كرامتها ، وربما أن حالات الاغتصاب الهائلة وتعدد العشيقات وأطفال الملاجئ خير دليل على وضع المرأة الغربية البائس. إن الإسلام لم يظلم المرأة بل قد ظلم أولئك التغريبيين الإسلام ونالوا منه بافترائهم عليه وخلطوا الأوراق على معتنقيه وعلى غير معتنقيه وصوروه بصورة الوحش الذي ينقض على فريسته وهو بريء من هذه التهم. إن الإسلام لم يظلم المرأة بل قد ظلم أولئك التغريبيين الإسلام ونالوا منه بافترائهم عليه وخلطوا الأوراق على معتنقيه وعلى غير معتنقيه وصوروه بصورة الوحش الذي ينقض على فريسته وهو بريء من هذه التهم. أما الإسلام الذي يتهمه القاصي والداني من أبناء هذه الأمة ومن غير أبنائها فهو الوحيد الذي صان المرأة وحفظ لها كرامتها وأعلى من شأنها ، فقد جاءت النصوص الشرعية جميعها لتأكد على أهمية احترام المرأة وتغليظ عقوبة الاعتداء عليها والحط من قدرها فقد جاء بالحديث الصحيح عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: "استوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عَوانٌ عندكم ، إن لكم عليهن حقاً ، ولهن عليكم حق". وقد نزلت سورة كاملة تحمل اسم "النساء" تُبينُ حقوق المرأة وتُنظم شؤونها وتُعلي من شأنها ، فالمرأة في الإسلام مصانة ولها الحرية في كل شيء ضمن ضوابط شرعية من شأنها حفظ كرامة المرأة. يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون: "إن الأوربيين أخذوا عن المسلمين مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة ، وهو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه ، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع. وبعد كل هذا التكريم للمرأة في الإسلام نجد من يطل علينا ليتهم الإسلام بظلم المرأة والحط من قدرها والتضييق عليها! ، وقد طالب البعض بتحريرها ليس ذودا عنها بل ليسهل على نفسه وعلى غيره سرعة الوصول إليها وهذا ما قد حدث للأسف وقد خسرت كل من اذعنت لأصواتهم فقد أصبحت دمية بيد كل عابث. لنفرض أن الإسلام حقاً قد ظلم المرأة وحط من قدرها كما فعلت باقي الحضارات الأخرى إذن لماذا هذه الهجمة الشرسة على الإسلام وحده فقط؟! ولماذا لا يهاجم أولئك الذين ذبحتهم الشفقة على المرأة تلك الحضارات التي أهانت المرأة وحطت من قدرها على مدى العصور ، إذا فالمسألة ليست مسألة خوف وشفقة على المرأة ، بل هو شيء في النفوس تجاه الإسلام ومعتنقيه. وأنا أعتقد أن الإسلام لم يظلم المرأة بل قد ظلم أولئك التغريبيين الإسلام ونالوا منه بافترائهم عليه وخلطوا الأوراق على معتنقيه وعلى غير معتنقيه وصوروه بصورة الوحش الذي ينقض على فريسته وهو بريء من هذه التهم كبراءة الذئب من دم يوسف. وعلى المرأة المسلمة أن لا تصغي لأصوات أولئك المدلسون الذين لا يريدون لها ولا للإسلام الخير ، وعليها أن تتمسك بتعاليم هذا الدين العظيم الذي أعلى من شأنها وحافظ على كرامتها. ونظرة لمكانة وحال المرأة في الجاهلية قبل الإسلام تبين لنا مدى الظلم الذي لحق بها! لقد كان العرب في الجاهلية ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم ، ويتصرفون فيها كيف شاؤوا. وكان العرب لا يورثون المرأة ، ويرون أن ليس لها حق في الإرث وكانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة. وكذلك لم يكن للمرأة على زوجها أي حق ، وليس للطلاق عدد محدود ، وليس لتعدد الزوجات عدد معين. وكان العرب إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره ، فهو

يعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حموه فهو أحق بامرأته ، إن شاء أمسكها ، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها ، أو تموت فيذهب بمالها. رواه أبو داود. وقد كانت العدة للمرأة إذا مات زوجها سنة كاملة ، وكانت المرأة تحد على زوجها شر حداد وأقبحه ، فتلبس شر ملابسها ، وتسكن شر الغرف ، وتترك الزينة والتطيب والطهارة ، فلا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً ولا تبدو للناس في مجتمعهم. وكان عند العرب أنواع من الزيجات الفاسدة منها: اشتراك مجموعة من الرجال بالدخول على امرأة واحدة ثم إعطاؤها حق الولد تلحقه بمن شاءت منهم فتقول إذا ولدت: هو ولدك يا فلان فيلحق به ويكون ولده. ومنها: نكاح الاستبضاع وهو أن يرسل الرجل زوجته لرجل آخر من كبار القوم لكي تأتي بولد منه يتصف بصفات ذلك الكبير في قومه. ومنها: نكاح المتعة وهو المؤقت. ومنها: نكاح الشغار وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته أو موليته لرجل آخر على أن يزوجه هو موليته بدون مهر وذلك لأنهم يتعاملون على أساس أن المرأة يمتلكونها كالسلعة. وكذلك كان العرب يكرهون البنات ويدفنونهن في التراب أحياء خشية العار كما يزعمون ، وقد ذمهم الله بذلك وأنكر عليهم فقال الله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ).هـ. وإذا عقدنا مقارنة يسيرة للمرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية ، لأدركنا يقيناً الفرق الكبير بينهما! وهناك فرية يتهم الغرب فيها الإسلام بأنه يظلم المرأة ، فما هي مكانة المرأة في الإسلام؟! فنقول له: لقد بلغت المرأة في الإسلام مكانة عالية ، لم تبلغها ملة ماضية ، ولم تدركها أمة تالية ، إذ إن تكريم الإسلام للإنسان تشترك فيه المرأة و الرجل على حد سواء ، فهم أمام أحكام الله في هذه الدنيا سواء، كما أنهم أمام ثوابه وجزاءه في الدار الآخرة سواء ، قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) ، وقال عز من قائل: (للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) ، وقال جل ثناؤه: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ، وقال سبحانه: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، وقال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمَّا يبلُغنَّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رِّب ارحمهما كما ربياني صغيراً). وقال تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أنّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) ، وقال جل ثناؤه: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ، وقال عز من قائل: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً). وهذا التكريم الذي حظيت به المرأة في الإسلام لا يوجد له مثيل في أي ديانة أو ملة أو قانون فقد أقرت الحضارة الرومانية أن تكون المرأة رقيقاً تابعاً للرجل ، ولا حقوق لها على الإطلاق ، واجتمع في روما مجمع كبير وبحث في شؤون المرأة فقرر أنها كائن لا نفْس له ، وأنها لهذا لن ترث الحياة الأخروية ، وأنها رجس. وكانت المرأة في أثينا تعد من سقط المتاع ، فكانت تُباع وتُشترى ، وكانت تعد رجساً من عمل الشيطان. وقررت شرائع الهند القديمة: أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي والنار خير من المرأة ، وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها - الذي هو سيدها - فإذا رأت جثمانه يحرق ألقت بنفسها في نيرانه ، وإلا حاقت عليها اللعنة! أما المرأة في اليهودية فقد جاء الحكم عليها في العهد القديم ما يلي: (درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً ، ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة أنها جنون ؛ فوجدت أمرّاً من الموت : المرأة التي هي شباك ، وقلبها شراك ، ويدها قيود) سفر الجامعة ،

الإصحاح 7 : 25 ، 26 ، ومن المعلوم أن العهد القديم يقدسه ويؤمن به اليهود والنصارى. تلك هي المرأة في العصور القديمة ، أما حالها في العصور الوسطى والحديثة فتوضحها الوقائع التالية شرح الكاتب الدانمركي اتجاه الكنيسة الكالوثوليكية نحو المرأة بقوله: (خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة الأوربية محدوداً جداً تبعاً لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية) ، وفي فرنسا عقد اجتماع عام 586 م يبحث شأن المرأة وما إذا كانت تعد إنساناً أو لا تعد إنساناً؟ وبعد النقاش: قرر المجتمعون أن المرأة إنسان ، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل. وقد نصت المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسي على ما يلي : (المرأة المتزوجة - حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها - لا يجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية. وفي إنجلترا حرّم هنري الثامن على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس وظلت النساء حتى عام 1850 م غير معدودات من المواطنين ، وظللن حتى عام 1882 م ليس لهن حقوق شخصية ، سلسلة مقارنة الأديان ، تأليف د . أحمد شلبي ، ج3 ، ص: 210 ، أما المرأة المعاصرة في أوروبا وأمريكا وغيرها من البلاد الصناعية فهي مخلوق مبتذل مستهلك في الأغراض التجارية ، إذ هي جزء من الحملات الإعلانية الدعائية ، بل وصل بها الحال إلى أن تجرد ملابسها لتعرض عليها السلع في واجهات الحملات التجارية وأبيح جسدها و عرضها بموجب أنظمة قررها الرجال لتكون مجرد متعة لهم في كل مكان. وهي محل العناية ما دامت قادرة على العطاء والبذل من يدها أو فكرها أو جسدها ، فإذا كبرت وفقدت مقومات العطاء تخلى عنها المجتمع بأفراده ومؤسساته ، وعاشت وحيدة في بيتها أو في المصحات النفسية. قارن هذا - ولا سواء - بما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، وقوله جل ثناؤه: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف). وقوله عز وجل: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمَّا يبلُغنَّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رِّب ارحمهما كما ربياني صغيراً). وحينما كرمها ربها هذا التكريم أوضح للبشرية قاطبة بأنه خلقها لتكون أماً وزوجة وبنتاً وأختاً ، وشرع لذلك شرائع خاصة تخص المرأة دون الرجل. وتحت عنوان: (مكانة المرأة في بعض الحضارات القديمة والأديان الأخرى) ، يقول الأستاذ عبد الرحمن الطوخي ، ما نصه بتصرفٍ زهيد: (على مرِّ التاريخ ، وتعاقُب الأمم والحضارات ، كانتِ المرأةُ ممسوخةَ الهُوية ، فاقِدة الأهلية ، منزوعة الحريَّة ، لا قِيمةَ لها تُذكر ، أو شأن يُعتبر ، بل كانتْ تُقاسي في عامَّة أحوالها - باستثناء عصور الرِّسالات الإلهيَّة - ألوانًا من الظُّلم والقهْر ، والشَّقاء والذُّل ، صاغتْها أهواءٌ ضالَّة ، أو عقائدُ فاسِدة! ولا جرمَ أنَّ الباحثَ في وضْع المرأة قبلَ الإسلام لن يجدَ ما يسرُّه ؛ إذ يرى نفسَه أمامَ إجماع عالَمي على تجريدِ هذه المخلوقة مِن جميع الحقوق الإنسانيَّة. المبحث الأول: المرأة عند الإغريق:- كانتِ المرأة عندَ الإغريق محتقرةً مَهينة ، حتى سموها رجسًا مِن عمِل الشيطان ، وكانتْ كسقط المتاع تُباع وتشترَى في الأسواق ، مسلوبة الحقوق ، محرومة من حقِّ الميراث وحقِّ التصرُّف في المال ، وكانتْ في غايةِ الانحطاط سوء الحال مِن حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونيَّة والسلوك الاجتماعي جميعًا. وممَّا يُذكر عن فيلسوفِهم سقراط قوله: "إنَّ وجودَ المرأة هو أكبر منشأ ومصْدر للأزمة والانهيار في العالَم ، إنَّ المرأة تُشبه شجرةً مَسْمومة ، حيث يكون ظاهرها جميلاً ، ولكن عندما تأكل منها العصافير

تموت حالاً". ويقول أرسطو: "إنَّ الطبيعة لم تزودِ المرأةَ بأيِّ استعداد عقلي يُعتَدُّ به ؛ ولذلك يجب أن تقتصرَ تربيتُها على شؤون التدبير المنزلي والأُمومة والحَضانة وما إلى ذلك ، ثم يقول: "ثلاث ليس لهنَّ التصرُّف في أنفسهنَّ: العبد ليس له إرادة ، والطِّفل له إرادة ناقِصة ، والمرأة لها إرادة وهي عاجِزة". المبحث الثاني: المرأة عند الرومان:- كان شِعر الرومان فيما يتعلَّق بالمرأة: "إنَّ قيْدها لا يُنزع ، ونيرها لا يخلع" ، وكان الأب غيرَ ملزم بقَبول ضمِّ ولده منه إلى أُسرته ذَكرًا أم أنثى ، بل يُوضَع الطِّفْل بعد ولادته عندَ قدميه ، فإذا رفَعَه وأخَذه بيْن يديه ، كان ذلك دليلاً على أنَّه ضمَّه إلى أُسْرته ، وإلا فإنَّه يعني رفْضه لذلك. ومِن عجيب ما ذكرتْه بعضُ المصادر - وهو ممَّا لا يُكاد يُصدَّق - أنَّ "ممَّا لاقته المرأة في العصور الرُّومانية تحتَ شعارهم المعروف "ليس للمرأة رُوح" تَعذيبها بسَكْب الزَّيْت الحار على بَدنِها ، وربْطها بالأعمدة ، بل كانوا يَربطون البريئاتِ بذُيول الخيول ، ويُسرعون بها إلى أقْصى سُرْعة حتى تموت". المبحث الثالث: المرأة عند الفُرْس:- كان الفُرْس أُمَّةً حربية ، وكانوا يُفضِّلون الذَّكَر على الأنثى ؛ لأن الذكور عمادُ الجيش في الحرْب ، وأمَّا البنات فإنَّهن ينشأْنَ لغيرهنَّ ، ويَستفيد منهنَّ غيرُهنَّ. وخضَعَتِ المرأة الفارسية القديمة للتياراتِ الدِّينيَّة الثلاثة ، فمِن الزرادشتية ، إلى المانوية ، إلى المزدكية ، وقد تركتْ كلُّ ديانة من هذه الديانات بصمتَها الواضحة على كيان الأُسرة ، تعيش في ذلٍّ ، وقهْر ، واستعباد. وكانتِ النساء تحتَ سُلطة الرجل المطلَقة الذي يحقُّ له أن يحكُمَ عليها بالموت ، أو ينعم عليها بالحياةِ طبقًا لِمَا يراه ، وتطيب له نفْسه ، فكانتْ كالسلعة بيْن يديه. كما كانتْ بخسة في الأدوار الطبيعيَّة "كالحيْض والنِّفاس" ، يُبعدن في وقتِه عن المنازل ، ويَقمْنَ في خيام صغيرة تُضرب لهنَّ في ضواحِي المدينة أو البلدة ، ولا يجوز مخالطتُهنَّ قطعًا ، بل كانوا يعتقدون أنَّهم يتنحسون إذا مسُّوهنَّ أو مسُّوا الخيام أو الأشياء المحيطة بهنّ. المبحث الرابع: المرأة عند الهنود:- في شرائعِ الهندوس أنَّه: "ليس الصبر المقدَّر ، والرِّيح ، والموت ، والجحيم ، والسُّم ، والأفاعي ، والنار ، أسوأَ مِن المرأة").هـ. ويقول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله -: "ولم يكن للمرأةِ في شريعة "مانو" حقٌّ في الاستقلال عن أبيها أو زوْجها أو ولدها ، فإذا مات هؤلاء جميعًا وجَب أن تنتمي إلى رجلٍ من أقارب زوْجها ، وهي قاصرةٌ طِيلةَ حياتها ، ولم يكن لها حقٌّ في الحياة بعْدَ وفاة زوْجها ، بل يجب أن تموتَ يومَ مات زوجها ، وأن تُحرَق معه وهي حيَّة على موقِدٍ واحد ، واستمرَّتْ هذه العادة حتى القرن السابع عشر ، حتى أُبطلت على كُرْه من رِجال الدّين الهنود ، وكانت تُقدَّم قربانًا للآلهة لترْضَى ، أو تَأمُر بالمطر أو الرِّزق ، وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرةٌ يجب أن يُقدِّم لها أهلُ المنطقة فتاةً تأكلها كلَّ سَنَة. المبحث الخامس: المرأة عند اليهود:- كانتْ بعض طوائف اليهود تَعتبر البنتَ في مرتبة الخادم ، وكان لأبيها الحقُّ في أن يبيعها قاصِرة ، وما كانت تَرِث إلا إذا لم يكن لأبيها ذريةٌ من البنين ، وإلا ما كان يتبرَّع لها به أبوها في حياته. والمتأمِّل لحال المرأة في المجتمع اليهودي يَجِدها لا تختلف عن المجتمعاتِ البدائية ، فهي مملوكةٌ لأبيها قبلَ الزواج ، ثم تُشترَى منه عندَ نِكاحها ؛ لأنَّ المهر كان يدفع لأبيها أو لأخيها على أنَّه ثمن شراء ، وبذلك تُصبح مملوكةً لزوجها ، وهو سيِّدها المطلَق ؛ إذ إنَّ العقد في شريعتهم عقد سِيادة لا عقد زواج. والمرأة في الشريعة اليهودية تُورَث كجزء مِن تركة الميِّت ، فإذا مات زوجُها وَرِثها وارثُه مع بقية المتروكات ، وله أن يبيعَها أو يعضلها ، ثم إنَّ المرأة غيرُ طاهرة عندَهم في اليوم الذي تبدأ فيه بالشُّعور بأنَّ عادتها الشهرية قد اقتربَتْ ، وحتى إذا لم يكن هناك أثرٌ ظاهِر ، وعلى الزَّوْج عدم ملامستها ، ولا حتى بأصبعه الصَّغير ، ولا يسمح له

بمناولتها أي شيء ، ولا حتى شيئًا طويلاً ، ولا أنْ يأخذ منها شيئًا من يدِه إليها أو العكس غير مسموح به أيضًا ، ولا يسمح لها بالأكْل مع زَوْجها على مائدةٍ واحدة ، ولا يُسمح له بشُرْب ما تفضل منها في الكوب ، ولا يُسمح لهما في المبيت في السَّرير نفْسه ، ولا في الرُّكوب معه في عَرَبة واحدة. المبحث السادس: المرأة عند الأمم النصرانية:- هالَ رِجالَ النصرانية الأوائل ما رَأَوا في المجتمع الرُّوماني مِن انتشار الفواحش والمنكرات ، وما آل إليه المجتمعُ مِن انحلال أخلاقي شَنيع ، فاعتبروا المرأةَ مسؤولة عنْ هذا كلِّه ؛ لأنَّها كانت تخرج إلى المجتمعات ، وتتمتَّع بما تشاء مِن اللهو ، وكذلك فقد عدُّوها أصْلَ الخطيئة ، ورأس الشر ؛ لأنَّها سببُ الفساد ، وسبب خروج آدمَ مِن الجنة. فكانت المرأة نتيجةً لذلك مُطالَبةً بنوع من سلوك معيَّن ، حتى وهي داخل الكنيسة ، فقد أصدر "بولس" أوامرَ صارمة لأتْباعه ، وكما يقول صاحب قصَّة الحضارة: "لتصمتْ نِساؤكم داخلَ الكنيسة ؛ لأنَّه ليس مأذونًا لهن أن يتكلمْنَ ، ولكن إذا كُنَّ يُرِدْنَ أن يتعلمْنَ شيئًا فليسألْنَ رجالهنَّ في البيت ؛ لأنَّه قبيح بالنساء أن تتكلَّم في الكنيسة". وقد وصَمت الكنيسةُ العلاقة الزَّوجيَّة بين الرجل والمرأة بالنجاسة؛ ولذا يجب أن تُجتنب، ولو كانت عن طريق نِكاح مشروع، ومِن هذه النظرة انتشرتِ الرهبانيةُ لدَى كثير من الرجال، وامتنعوا عنِ الزواج، كما انتشرتْ نظرية الازدراء لمَن يكشف عن زواجه؛ لأنَّ علاقة الزواج مبنيَّة على أمرٍ نَجِس. وقد حرَّمت الكنيسةُ الطلاق، مهما بلغ التباغُض بين الزوجين مداه، وأقصى ما يمكن اتخاذُه في مثل هذه الحال أن يفرق بينهما جسديًّا مع امتناع كلٍّ منهما عن الزواج حتى يفرقَ بينهما بالموت).هـ. هذا ولقد تفردت الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) بالحديث المحقق المدقق عن المرأة العربية قبل الإسلام ، أقتبس منه نصياً: (لقد اختلفت مكانة المرأة حسب المستوى الاجتماعى الذي تنتمي إليه. وناقش بعض الكُتاب وضع المرأة في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ووجدوا أنهم أمام وضع مختلط. فوفقًا للعرف القبلي الذي كان بمثابة القانون القائم آنذاك ، لم يكن للمرأة كقاعدةٍ عامةٍ أي وضع قانوني يُذكر ، لقد بيع النساء عن طريق أولي أمورهن ، والذين كانوا بدورهم «كتجار إناث» يقبضون الثمن في المقابل ، وكان هذا الزواج قائم على الإرادة المنفردة للزوج ، ولم يكن للنساء الحق في الملكية أو الإرث. ويذهب بعض الكُتاب ، بأن المرأة كانت أكثر تحررًا قبل الإسلام عن ماكان عليه وضعها بعده ، ويستشهدون على ذلك بالزواج الأول للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم - ؛ والذي كان زواجًا عن طريق طلب خديجة بنت خويلد ، حيث أرسلت إحدى صديقاتها ؛ وهي نفيسة أخت يعلى بن أمية إلى النبي محمد تعرض عليه الزواج من خديجة ، وكانت خديجة سيدة في قومها وتاجرة ذات مال. وكذا يُعول هؤلاء الكُتاب على نقاطٍ أخرى منها عبادة العرب للات ، وهي إحدى الأصنام التي عبدها العرب قبل الإسلام وكانت هي والصنمين مناة والعزى يُشكلن ثالوثًا أنثويًا عبده العرب وبالخصوص ممن سكن مكة. وتعتبر المؤرخة السعودية هاتون الفاسي أن حقوق المرأة العربية تضرب بجذورها في عمق التاريخ ، وتستعين بذلك بأدلة من الحضارة النبطية القديمة الموجودة في الجزيرة العربية ، فقد وجدت أن المرأة العربية في ظل هذه الحضارة كانت تتمتع بالشخصية القانونية المستقلة ، وأشارت الفاسي إلى أن المرأة فقدت الكثير من حقوقها في ظل القانون اليوناني والروماني قبل دخول الإسلام ، وقد تم الإبقاء على هذه المعوقات اليونانية الرومانية في ظل الإسلام. ويختلف وضع المرأة على نطاق واسع في جزيرة العرب قبل الإسلام من مكان لآخر نظرًا لاختلاف الأعراف والعادات الثقافية للقبائل التي كانت متواجدة آنذاك ؛ حيث كانت قوانين المسيحية واليهودية مهيمنة

للغاية بين الصابئة والحميريون في الجنوب المزدهر من المنطقة العربية. في أماكن أخرى مثل مكة المكرمة حيث مولد النبي محمد كان لمجموعة من القبائل الحق في المكان ؛ وكان ذلك أيضًا ينطبق مابين ساكني الصحراء من البدو ، ويختلف الوضع باختلاف العرف من قبيلة لأخرى ، وبالتالي لم يكن هناك تعريفٌ واحدٌ لا للدور الذي اضطلعت به المرأة ولا للحقوق التي حصلت عليها قبل مجيئ الإسلام. وأما عن مكانة المرأة في طبقة الأشراف والأغنياء ، فالجدير بالذكر أنه في طبقة الأشراف والسادة والأغنياء ، كانت المرأة محترمة ، مصونة تتمتع بكل الحقوق ، تُسل دونها السيوف ، وتراق فداء لكرامتها الدماء وكانت لها ذمتها المالية المستقلة فامتلكت الأموال ، وشاركت في التجارات ولعل السيدة خديجة بنت خويلد كانت أعظم نموذج لذلك إذ كانت من ذوات المال ، وكانت تشتغل بالتجارة ، ولها قوافل تجارية تخرج سنويا إلى بلاد الشام ، وكانت تشرف بنفسها علي تجارتها تجارتها ، وتعهد بها لأهل الثقة والكفاءة والأمانة. وأما عن المرأة في الحروب ، فقد لعبت المرأة دوراً كبيراً فيها وذلك بإثارة روح الحماسة في صفوف الرجال ، وتشجيعهم علي بذل النفس والنفيس ولتحقيق النصر لقبائلهم ، فعندما استحكم الصراع بين الغساسنة والمناذرة ، قامت حليمة بنت الحارث الغسانى تتفقد جنود أبيها بنفسها ، وتدهن أيديهم بالطيب والعطر ، وهي تبث فيهم روح الحماسة والإصرار. ويتكرر هذا الدور في مشهد أخر عند محاربة قريش للمسلمين في يوم أُحد ، حيث خرجت نسوة قريش تقودهن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان يتجولن في الصفوف ، ويضربن بالدفوف ، يستنهضن الرجال ، ويحرضوهم علي القتال ويثرن حفائظ أهل الضرب والطعان وينشدن. وكانت النساء تصاحب الرجال إلى ساحة القتال لمداواة الجرحى ، وحمل الماء إلى العطشى ، ولم يقتصر دورهن عند هذا الحد فحسب ، بل بارزن بالسيف ، وامتطين صهوة الجياد ، ورفعن لواء الحرب ، وكانت لبعضهن صولات وجولات لا تقل عن فرسان قبائلهن. كما كانت المرأة قادرة على أن تشعل نار الحرب والقتال بين القبائل ، فإنها كانت قادرة أيضا على وقف القتال والدعوة للسلام ، وحقن الدماء ، وإنها الخلاف ، وقد رأينا سبيعة بنت عبد شمس في يوم عكاظ بين كنانة وقيس وكانت الدائرة فيه علي قيس ، فلما رأت قومها قد أسرف في القتل ، جعلت من خبائها حرماً آمناً لكل من استجار به من قيس ، وأمضي ذلك حرب بن أمية فأجار من استجار بها ، وقال لها: "ياعمة من تمسك يا طناب خبائك أو دار حوله فهو آمن فنادت بذلك ، فأستدارت قيس بخبائها حتى كثروا ، فلم يبقي أحداً لا نجاة له إلا دار بخبائها فسمى هذا الموضع مدار قيس! كما كان أي اعتداء على المرأة سبباً في اندلاع الحرب بين القبائل، وإراقة الدماء، فعندما نادت ليلى ام الشاعر عمرو بن كلثوم «واقوماه» لم يملك ابنها إلا أن استل سيفه وذبح عمرو بن هند ملك الحيرة ، وسبى خيله ونسائه عقاباً له لتعمد أمه إهانة ضيفتها أم الشاعر. وتمادى العرب في ذلك فكان اعتداء كليب وائل زعيم ربيعة على ناقة البسوس سبباً في حروب ومعارك دامية استمرت أربعين عاماً ، وكان تناول رجل رغيفاً من على رأس الخولاء ، خبازة بني سعد بن زيد مناة سبباً في أن تشكوه إلى قومها فثأروا عليه ، وقامت حروب ومعارك بينهما قتل فيها ما لا يقل عن ألف رجل. واشتهرت بعض نساء العرب بالحكمة والعقل ، فكن مرجعا للرجال يأخذوا بمشورتهن ، ويسمعوا لأرائهن ، وقد رأينا كيف تمكنت سُعدى أم أوس بن حارثة بين لأم طائى من اقناع ابنها بالعدول عن قتل الشاعر الذي هجاها وهجاه ، والعفو عنه والإحسان إليه وإكرامه ، حتى أقسم ألا يقول شعراً إلا مدحاً فيهما فأنهت بحكمتها صراعاً كاد أن ينشب ، وحقنت دماء كادت أن تراق. وإذا برحنا ساحة الحرب والقتال ودلفنا إلى ساحة المرأة ودورها في الأدب ، لأدركنا أن المرأة العربية كانت مبرزة في الحياة الأدبية! فقد برزت نساء شاعرات ، أجدن في نظم الشعر ، وقد امتلكن من فصاحة اللفظ وجزالة المعنى ما جعلهن على قدم المساواة مع فحول الشعراء ، وكان من أشهرهن جليلة بنت مُرة ، والخنساء التي بلغت من

الفصاحة والبيان والشهرة ما أهلها لأن تقوم بالتحكيم بين كبار الشعراء المتنافسين ، كما برزت منهن طبيبات ومعالجات. وإذا كانت المرأة قد تمتعت بكل هذا الاحترام ، فإن الأم بصفة خاصة حظت بمكانةٍ مرموقةٍ ، حيث حرص أبناؤها على برها وكسب ودها ، وجاء الإسلام ليؤكد هذه النزعة عندهم فقال عز وجل: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً). وأما عن دور المرأة في المنزل ، فالمرأة في الحياة المنزلية قد حظت نساء الأشراف والأغنياء في بيوتهن بالراحة والدعة ، تخدمهن جوارى وإماء ، يقضين أوقات فراغهن في التزين ، وعقد المجالس مع نساء طبقتهن للحديث والمسامرة. وأما المرأة العامية أو البدوية. أما المرأة في الأوساط العامية أو البدوية ، فكانت أقل حظا من مثيلاتها من أبناء الطبقة الراقية! إذ وقع على عاتقهن مسؤولية البيت ، ورعاية الأولاد ، وإعداد الطعام ، وسقى الماء ، وجلبه من الأبار والعيون ، وحلب الحيوانات ، وغزل الصوف ، وصناعة الملابس لها ولأولادها ، وصناعه الخيام والبسط ، وجمع الحطب للوقود وفضلاً ذلك كانت بعض النساء تشارك زوجها في كسب العيش والسعي للرزق ، فمنهن من احترفت حرفه الرضاعة ، خاصه إرضاع أبناء الأغنياء في الحضر مقابل جعل يأخذونه من والد الصبي. ومنهن من عمل بالكهانة والعرافة والتنجيم ، وقد أوردت المصادر التاريخية جانباً من أخبارهن ، خاصة وأن معظم العرب كانوا يلجأون إليهم لمعرفة المجهول ، أو قراءة الطالع أو للتعرف على إرادة ومشيئة الآلهة بزعمهم ، لاسيما من أضافت إلى عملها السابق سدانة معبد أو خدمة صنم).هـ. وإذن فكانت حياتها في البادية الجاهلية قاسية وعاتية! حيث إنها إن سلمت من الوأد صغيرة ، فكان ينتظرها مشوارُ حياةٍ حافلٌ بالشقاء والضنك! وتحت عنوان: (المرأة عبر العصور) تقول الأستاذة سحر عبد القادر اللبان ، بتصرف يسير: (لقد اختلفتْ معاملة الشعوب للمرأة وتباينت نظرتهم إليها ، فقد كانت المرأة في الصين تتجرّع كؤوس المهانة صباحاً ومساءً. ورسمت أغنية صينية قديمة صورة وضع المرأة الحقيقي في الصين وقد تضمنت: "ألا ما أتعس حظّ المرأة ، ليس في العالم كله شيءٌ أقلّ قيمة منها. إن الأولاد ، الصبيان يقفون متكئين على الأبواب كأنّهم آلهة هبطوا من السماء...أما البنت فإن أحداً لا يُسرّ بمولدها ، وإذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر وجه إنسان ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها. ولقد كان الأب الصيني مثلاً إذا بُشّر بالأنثى ذهب إلى السوق عارضاً إياها للبيع بأبخس الأثمان ، فإن لم يجد من يشتريها أعطاها لأول عابر سبيل بدون مقابل ، أو عمد إلى قتلها خنقاً في مكان مهجور أو أغراقها ، أو وأدها في التراب. والتي لم يتم التخلّص منها بوسيلةٍ من الوسائل ، يُصار إلى تشويه أقدامها لمنعها من الخروج من بيت أبيها أو زوجها ، وكانت المرأة دائماً تحت الوصاية إن من أبيها أو من زوجها ، أو حتى من ابنها ، أو من رجل من أقارب زوجها في النسب! ولقد كان بين بعض العِرقيّات وبين المرأة من عهد بعيد عداوة مزمنة وصلت لحدّ الانتقام والاقتصاص منها فالزوجة التي يموت عنها زوجها ، فمحرّم عليها العيش بعده ، وواجب عليها أن تموت وتحرق معه على موقد واحد! وكانت المرأة الهندية ، محرومة من الميراث حتى عام 1656م. والمرأة في بابل كانت تعتبر حسب شريعة "حمورابي" في عِداد الماشية المملوكة ، وعليها أن تبقى في بيتها لرعاية أطفالها ، وخدمة زوجها والسهر على راحته ، وإدخال السرور إلى قلبه ، وإذا مات هذا الزوج ورثها أخوه تلقائياً ومن دون اي مناقشة. أما المرأة الإغريقية فقد وصلت بها المهانة والمذلة إلى ذروتها ، فقد كانت المرأة معزولة تماماً عن المجتمع وكأنها سقط متاع. وكان أرسطو أشدّ قسوة على المرأة عندما قال: "إن المراة رجل غير كامل ، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخليقة"! وهو القائل: "إن المرأة للرجل كالعبد للسيّد ، والعامل للعالم ، والبربري لليوناني ، وإن الرجل أعلى منزلة من المرأة". والقانون الروماني كان يعتبرُ الأنوثة سبباً أساسياً لانعدام الأهلية كحداثة السنّ والجنون ، وأعطوا الحقّ لزوجها بأن يُحاكمها عندما تتهم بجريمةٍ وأن يعاقبها ، بل

ويحكم عليها بالإعدام وينفذه بنفسه! أما المرأة الفرعونية فقد نالت من التكريم والاحترام ما خوّل الحضارة الفرعونية أن تتبوّأ المرتبة الأولى بين الحضارات الإنسانية بالنسبة لاحترامها للمرأة وحقوقها. فالمرأة الفرعونية كانت تملك ، وترث ، وتتولى أمر أسرتها في غياب الزوج. وقد كان المصريين يعتقدون أنْ المرأة أكمل من الرجل ، والزوج يكتب كل ما يملك من عقارات لزوجته ، التي كانت تساعده في الزراعة والعمل. والأطفال الفرعونيون كانوا ينتسبون لأمهاتهم لا لآبائهم ، كما كانت القوّامة للمرأة على زوجها ، والزوج كان عليه أن يتعهّد في عقد الزواج بأن يكون مطيعاً لزوجته في جميع الأمور. أمّا عن المرأة العربيّة في الجاهليّة ، فنعرف عن مكانتها ، بالرجوع إلى القرآن الكريم وما أنبأنا به عن اسوداد وجه الأب عند تبشيره بالأنثى ، وعن وأدهم للبنات والعمل على التخلّص منهن. وكيف كانت المرأة تُباع وتُشترى في أسواق النخاسة ، فضلاً عن إيجارها وإعارتها! وتكليفها ما لا تطيق من الأعمال الشاقة وفي الإسلام ، ارتفع شأن المرأة وعلا قدرها ومكانتها ، فأصبحت شقيقة الرجل. وسمح لها أن تُشارك مشاركة فعّالة في نشر الدين الجديد! ولقد اعترف الإسلام بالمرأة كائناً مستقلاً لا مجرّد تابع للرجل ، وأعطاها التشريعُ الإسلامي شخصية قانونية كاملة ، لها مطلقُ السلطة على كلّ ما تملك دون حاجةٍ إلى تدخّل الرجل. وقد قال "المسيو ريفيل": "إننا لا نجد عملاً أفاد النساء ، أو رفع من قدرهن أعظم مما أتى به النبي محمّد ، فهنّ مَدينات له بأمور كثيرة ، وفي القرآن آياتٌ سامياتٌ عن تقرير حقوقهنّ وما يجب لهنّ على الرجال ، ولقد قطعت المرأة في النصف الثاني من القرن العشرين خطواتٍ واسعة نحو تحقيق المساواة الاجتماعيّة والسياسية مع الرجل ، وحقّقت الكثير من المكاسب في مجالات العمل والنشاط السياسي والاقتصادي. وقلدت العديد من النساء مناصب دبلوماسيّة مرموقة ، كرئيسة وزراء سيريلانكا ، ورئيسة وزراء الهند ، ورئيسة وزراء باكستان ، ورئيسة الوراء البريطانية ماغريت تتشر. ولم تدع المرأة مجالاً واحداً يدخله الرجل إلا ودخلت فيه وشاركته معه ، حتى إنّها زاحمته إلى غزو الفضاء ، فكانت "فالنتينا تريشكوفا" الروسية ، أول رائدة فضاء في العالم! أما المرأة في العالم العربي فقد قطعت شوطاً لا يستهان به ، فقد اكتسبت في الأردن الحقوق في التعليم ، والعمل ، كالمشاركة في الأنشطة المهنيّة ، كالاشتغال بالطبّ والتعليم ، وكافة المجالات الأخرى كما نالتِ الحقوق السياسية ، فحصلتْ على حقّ الترشيح النيابي ، وهذه كلها تُعدّ مبادرة فعّالة لإشراك المرأة في عمليات تطوير المجتمع وتنميته الشاملة).هـ. وإذن فجاء الإسلام وحال بين المرأة وصنيع الجاهليات بها! فأبقى على حياتها فلم تُوأد! ومنحها الكثير من الحريات التي يعجز القلم عن تصويرها! فاستقام على هُدى الإسلام كثير من النساء ، فأبلين بلاءً حسناً في نهضة المجتمع وبنائه! ولكن طائفة من النساء لم تُطِق العيش في الطهر والنقاء ، عمدن في العقدين الأخيرين إلى ظاهرة قد تصلح في عالم الطيور والببغاوات والحيوانات ، ألا وهي ظاهرة تبادل الزوجات! ومن هنا احتاج الأمر أن يُدلي الشعر بدلوه ، جنباً إلى جنب بجوار العلم الشرعي والطب النفسي والعصبي للإسهام في وضع حد لهذا الظاهرة الدنسة الملعونة! فكانت قصيدتي هذي بمقدمتها التاريخية وشواهدها الواقعية ، ترجمة لإحساسي بالمسؤولية كشاعر!)

بـــئسَ الحيـــاة مِـــن الهدايـــة تمْـــرُقُ وتضِـــيقُ بالهَـــدْي القـــويم وتَشـــرَقُ

والجاهليـــــة أشـــــرَبَتْها كأسَـــــها والكـــأسُ - بالسُّـــمِّ الـــذعافِ - مُعتـــق

أسَـــــنتْ حيـــــاة لا تُسَـــــلي أهلهـــــا ... هـــل يُســـعِدُ الأقـــوامَ عَـــيشٌ مُوبِـــق؟!

يـــا ليـــت شِـــعري كيـــف رَاجَ فجورُهـــا ... ودُروبُهـــا اختلطـــتْ ، وغـــابَ المَفـــرق؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــف طـــابَ سُـــفولها ... والنـــاسُ ضـــلوا: غَرَّبـــوا أو شَـــرَّقوا؟!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف جَنـــدلتِ الـــورى ... فـــتنٌ تمُـــوجُ ، بهـــا الخلائـــقُ كـــم شَـــقوا؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــف منهـــا مَخـــرَجٌ؟! ... إنـــي علـــى مَـــن غـــاصَ فيهـــا مُشـــفِق!

أو ليـــت شِـــعري كيـــف دَكَّـــتْ عَيشـــنا ... بـــدعٌ عليهـــا الجاهليـــة بَيـــرق؟!

هـــذي الجحافـــلُ رَكَّبَـــتْ بـــدَمارها ... وغـــدَتْ بكـــل نقيصَـــةٍ تتعلـــق

كيـــف ارتضَـــتْ غيـــرَ الرشـــاد طريقـــة؟! ... أبـــئسْ بمَـــن ســـلكوا ، وبـــئسَ المنطـــق!

كيـــف اســـتكانتْ للضـــلالة والهَـــوَى ... وغـــدَتْ بأعـــذار وَهَـــتْ تتشَـــدَّق؟!

و(تبـــادلُ الزوجـــات) شَـــرٌ مُؤشِـــرٌ ... يَصِـــفُ الســـقوط ، فـــذا بَـــلاءٌ مُحْـــدِق!

هـــذي الدياثـــة مَـــن تُـــراه وراءهـــا؟! ... تلـــك الدعايـــة مَـــن عليهـــا يُنفـــق؟!

هـــل هانـــتِ الزوجـــاتُ يـــا أهـــلَ الخنـــا؟! ... تعســـاً لكـــم ، أنـــا لا أكـــادُ أصَـــدِّق!

زوجٌ يُقـــدِّمُ زوجَـــه لمَـــن اشـــتهى ... وأمـــام عينيـــه الكرامَـــة تُسْـــرق!

فبـــأي وجـــهٍ طـــابَ للتـــيس الرِّضـــا؟! ... هـــل فـــي الوريـــدِ دَمُ الحيـــا يتـــدفق؟!

أيـــن الرجولـــة عـــن رذيـــل أدبـــرَتْ؟! ... فمضـــى يُغَلّـــبُ مـــا يُحِـــبُّ ويَعشَـــق!

أيـــن التقاليـــدُ التمَسُّـــكُ خانهـــا ... فغـــدتْ علـــى مُســـتهتر تتحـــرَّق؟!

بـــل أيـــن أعـــرافٌ بكَـــتْ أصـــحابَها ... منهـــا اســـتطابوا بـــالهوى أن يَمرُقـــوا؟!

أيـــن المعـــاييرُ التـــي ترقـــى بهـــم ... حتـــى يكـــونَ بهـــا المَقـــامُ الأليـــق؟!

أيـــن المـــوازينٌ الكرامـــة أسُّـــها ... ولهـــا الســـعادة والمَهابـــة رَونـــق؟!

أيـــن المقـــاييسُ التـــي إنْ أمحلـــتْ ... فقـــدَ الأنـــامُ إبـــاءَهم ، وتفرَّقـــوا؟!

هـــل كـــان يُعقـــلُ أن تســـودَ دَعـــارة ... تُـــزري بمَـــن للهاثهـــا يتشـــوَّق؟!

حَنـــتْ لهـــا (شـــبَكاتُ) عُهـــر تجتننـــي ... طهـــرَ الـــديار ، بهـــا الغـــواة تخلقـــوا

تهفـــو القِحـــابُ لرجســـها وفســـادها ... وبهـــن مَـــن حـــذقوا المُـــراودة التقـــوا

وتســـــعَّرَتْ شـــــهواتُهن لفسَّـــــق ... بالســـــاقطات الفـــــاجرات تعلقـــــوا!

حـــــاكوا الخنـــــازيرَ التـــــي بإناثهـــــا ... ظفِـــرَتْ ، وذا بـــابُ الحظيـــرة مُغلـــق!

تنـــــزو وتَحكُمُهـــــا الغريـــــزة وحـــــدَها ... والجمـــعُ فـــي قـــاع الرذيلـــة يَغـــرق

يتبـــــادلون إنـــــاثهم بمِـــــزاجهم ... ويَضُـــمُّهم بيـــتٌ لهـــم أو فنـــدق!

وتكفـــلَ الشـــبَقُ الرَّقيـــعُ يُجِـــيلهم ... زُمَـــــراً بحُريَّاتهـــــا تتحـــــذلق!

ويَـــؤزُّهم نحـــو التحَلـــل دُعـــرُهم ... وجمـــيعُهم فـــي المُوبقـــات اســـتغرقوا!

ويقـــودُهم نحـــوَ الضـــياع سُـــعارُهم ... وقـــد اســـتلذ بـــذا الضـــياع الفيلـــق

مـــا هـــذه الفوضـــى؟ ومـــا تبعاتُهـــا؟ ... والـــبعضُ يَشـــجُبُها ، وبعـــضٌ يَقلـــق!

مـــا هـــذه المحـــنُ الرهيبـــة تجتنـــي ... مُهَـــج العِبـــاد؟ ومَـــن يَثَـــرْ فسيُثْـــنق!

الغـــربُ صَـــدَّرَها ، وأشـــعلَ نارهـــا ... وبناظريـــه – إلـــى الضـــحايا – يرمُـــق!

وأرادهـــا حربـــاً ضَروســـاً لا تنِـــي ... والأمـــرُ مَـــدروسُ الصُّـــوَى ومُوثَّـــق

مَـــوجٌ إبـــاحيٌ يجُـــوسُ خِلالـــه ... جيـــلٌ إلـــى حُســـن العَـــواهِر يُحْـــدِق

مـــا انفـــك تُصْـــليه المَواقـــعُ نارَهـــا ... وعيونُـــه ممـــا يُشـــاهدُ تُصـــعق

واستســـلمَ الجيـــلُ البئـــيسُ لحتفـــه ... ورأيـــتُ أرواحَ الأشـــاوس تُزهـــق!

وهنـــتْ عَـــزائمُ أهلهـــا ، فتقهقـــروا ... وبـــدا لهـــم نفـــقٌ دَجِـــيٌ ضَـــيق!

وتمـــرَّسَ الشـــبانُ فـــي عِشـــق الزنـــا ... يـــا ليـــتهم صَـــمَدوا ، ولـــم يتحـــذلقوا

يـــا ليـــتهم هرعـــوا إلـــى قـــرآنهم ... ليُغِيـــثهم ممـــا يُضِـــيرُ ويَمحـــق!

يـــا ليـــتهم لجـــأوا لسُـــنة (أحمـــدٍ) ... لتُجيـــرَهم مِـــن باطـــل يتملـــق!

يـــا ليـــتهم نـــدِموا علـــى مـــا فرَّطـــوا ... فـــالله يَقبـــلُ مَـــن يَتـــوبُ ويَصْـــدُق!

قالت رحابُ ، وقلتُ!

(كنتُ قد وعدتُ الشاعرة رحابَ المحمود بمحاكاةٍ لقصيدتها: (لكَم أرتجي! وذلك لأنني عندما طالعتُها أخذتُ بعُذوبة النص ورموزه وإيحاءاته! فعنونتُ لمُحاكاتي بـ: (قالت رحابُ ، وقلت!) ، وعسى الله أن أكون قد وُفقتُ فيما وعدتُ به ، وأن تكون محاكاتي على نفس المستوى! وإلا تكنْ فيبقى لي شرفُ المحاولة على نسق بدأهُ غيري ، ويبقى لها شرفُ البدء بهذا النسق على غير مثال سابق!وكنتُ قد آليتُ على نفسي أن أجتهد في هذا النص ، حِسبة لله تعالى! فمنّ الله علي بأربعين بيتاً فوق سبعة (رحاب) ليصبح عدد أبيات المحاكاة أربعة وخمسين بيتاً ، على البحر الطويل ، وقافية السين كما اختارت (رحاب ورشحت! ويحسُن بنا أن نجعل قصيدة شاعرتنا القديرة رحاب المحمود في مقدمة محاكاتنا ليستمتع القراء بالنصين! جزى الله خيراً رحاب المحمود ، ونفع بها وبأشعارها ، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر الوحيد عليه! وهذه هي قصيدة رحاب أضعها في مستهل تقديمنا لمحاكاة هذه القصيدة الجميلة:-

لَكَمْ أرتجي أن أستفيقَ ، وأن أُمْسِي! وكَمْ أرتجي أنْ يُحفَظَ الدَّرسُ في الرَّأسِ!
فزادُ التقى لو كنت يا صاحبي تُصغي لشِعْرٍ طويلِ البَحْرِ خَالٍ منَ اللّبْسِ
وعينٍ برمشِ الفجر أخفت نجومها تدلّتْ عناقيدًا ، ونورًا من الأنسِ!
تدور بك الدنيا وطوفان حيرةٍ مِنَ اليومِ تذوي يا فؤادُ أوِ الأمسِ
لعَمْرُك إنْ طالت ليالي كَ بالأسى سيشرق فيك السّعدُ معْ طلعةِ الشّمس
توكّأْ على جور الزّمانِ ببسمةٍ وأوقد سراجَ الفألِ في حالِكِ اليأسِ
وتُمسيْ قريرَ العين ِ أو شئت لا تُمسي حنانيكَ! كَم درْسٍ أخذتَ على درْسِ!

ومنّ الله تعالى علي بهذه المحاكاة – على طولها – فضلاً من الله ونعمة! وأسأل الله أن ينفع بما نكتب من الشعر! وهذه نبذة تاريخية عن عشيرة (النُعَيم) التي تنتسب إليها (رحاب) على حد قولها وحديثها عن نفسها بأناملها! ومهم جداً أن نترجم لرحاب بشيء من التفصيل ، بدءاً بقبيلة (النُعَيم) ، وانتهاء برحاب! ولقد رجعت في هذا الكلام لأمهات المراجع في التراجم والأنساب! أما قبيلة أو عشيرة (النُعَيم) فهي ما يعرف اليوم بمنطقة القريات ، وكانت تابعة لحكم الشعلان. بين طريف وسكاكا الموازية للحره من جهة الشرق. إن قبيلة (النُعَيم): بضم النون وفتح العين ، يرجع أصلهم إلى (مازن ابن الأزد) ، وبالتحديد إلى عمرو بن عامر: (وهو مزيقياء). ويورد كتاب (معجم العشائر الفلسطينية) ، لمؤلفه الباحث محمد محمد حسن شرَّاب: إن اسمي عشيرتين في حلحول وفي قضاء حيفا في فلسطين تحملان إسم النعيم ، ولكنه لم يتطرق إلى أصولهما ، كما لم يتطرق إلى وجود أو عدم وجود قرابة بينهم وبين قبيلة (النُعَيم) في بلاد الشام. ويعود سبب الانتشار الواسع لقبيلة "النعيم" لعدة أسباب منها ما جرى في المدينة المنورة من أحداثٍ قديمةٍ ، فاضطر بعض السادة الأشراف من آل البيت للخروج منها والتوزع بعدة أماكن ، وكذلك بحث أبناء القبيلة عن المراعي كوْنهم أصحاب قطعان كبيرة ، ولهذا البعض أطلق على قبيلة النعيم بالقبيلة "الدوارة" لكثرة تنقلها وبحثها عن الكلأ والمرعى ، بحسب الشيخ أبو إسماعيل. فماذا عن نسب عشيرة السادة النعيم وأفخاذها والرؤساء والوجوه فيها: إن عشيرة السادة النعيم: هي من العشائر الموسوية الحسينية ،

ينتسب أبناؤها الى جدهم السيد نعيم بن أحمد بن اسماعيل الصالح بن السيد سلطان علي المتوفى في بغداد عام 519هـ بن يحيى نقيب العلويين في البصرة ويتسلسل نسبهم الى السيد موسى الثاني بن السيد ابراهيم المرتضى الاصغر بن الإمام موسى الكاظم! ويتركز سكن هذه العشيرة في محافظات نينوى وكركوك وديالى والأنبار ويسكن الكثير منهم في العاصمة بغداد ، كما تنتشر منهم بيوتات وعوائل في محافظات العراق الأخرى وهم أربعة عشائر رئيسية: أولاً: البيوض والفكرة والعلي والعيسى (أجدادهم أخوة) وكل منها يتفرع الى عشائر وأفخاذ:- أ- البيوض: (آل سيد أحمد الصوفي - عشيرة كبيرة يسكن أفرادها في ديالى) مندلي وبلدروز (وفي بغداد ومن رؤسائها السيد عبد الله علي محمد النعيمي الأنساب وتتكون من عدة أفخاذ آل بدر وآل مبادر وآل نجم وهم رؤساء وآل شبيب وآل حبيب وآل مرعي وآل شرعي وآل دخيل. وآل بريج وآل سودان ومنهم آل سيد عبد القادر رئيسهم السيد إسماعيل حميد فرج النعيمي). وآل صالح الحمد ورئيسهم عبد الإله مجيد إبراهيم النعيمي وآل عبد عون ورئيسهم ستار خضر سلمان النعيمي. وثانيا: آل السيد محسن- يسكنون الكرادة ومناطق مختلفة من بغداد وهم عدة أفخاذ. وثالثاً: آل سيد سلمان - يسكنون المدائن في بغداد. ورئيسهم السيد سلمان حسن سلومي النعيمي وشقيقه الدكتور جبار حسن النعيمي. ورابعاً: البهلول - يسكنون الصويرة والزبيدية وأراضي الشحيمية (في محافظة واسط يرأسهم السيد عبد الكاظم مصعب الجداح النعيمي وافخاذهم آل جداح وآل عليوي وآل دريب وآل دواح ومنهم السيد كاظم مرزة حمزة النعيمي وخامساً: البو ظاهر - يسكنون بغداد / الراشدية ، ورئيسهم السيد أركان عبود عبد الله النعيمي) أركان عبود الكرحة (وهم عدة افخاذ منهم الفريق الركن إسماعيل تايه النعيمي. وسادساً: النعيم البيوض: في قضاء مخمور رئيسهم السيد أياد صالح الهادي النعيمي. وسابعاً: النعيم في قضاء الدور - رئيسهم السيد يحيى جابر النعيمي. وثامناً: البركات - يسكنون ديالى في كنعان وفي بغداد ، ورئيسهم السيد گيلان سلمان النعيمي وتاسعاً: آل منصور - يسكنون باب الشيخ ومناطق مختلفة من بغداد ، ورئيسهم السيد وائل عباس محمد عباس النعيمي) وعاشراً وأخيراً: آل ناصر- يسكنون الكرخ في بغداد ، ورئيسهم السيد برهان الدين أحمد عناية الله النعيمي. وهم أشقاء آل منصور آل غني ، ورئيسهم السيد زهير عبد الرزاق حسن البو عواد - يسكنون الكوير وقراج في الموصل. لذلك يعتبر السادة النعيم المُنتشرون في العراق والجزيرة العربية هم من أبناء جدهم الإمام العظيم موسى الكاظم وقد سميت بالسادة الموسوية)! وانتشرت قبيلة (النعيم) في العراق والجزيرة والشام وفلسطين والأردن وسيناء! ورحاب من النعيم الشاميين! على ما ذكر البحاثة العلامة الأستاذ المؤرخ حمود هاشم المحمداوي ، وهو باحث في الأنساب! كانت هذه الاستفاضة عن عشيرة أو قبيلة (النعيم) المتشعبة والمتناثرة في أرجاء الأرض! فماذا عن أحمد الرفاعي الذي تنتسب إليه (رحاب)؟ جاء كلام قاله الأستاذ محمد المنجد في (الإسلام سؤال وجواب) ما نصه بتصرف زهيد: (الرفاعي: "هو أبو العباس ، أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد ، المعروف بابن الرفاعي ، شيخ الطائفة الأحمدية والرفاعية والبطائحية ؛ لسكناه في "أم عبيدة" من قرى البطائح ، وهي بين البصرة وواسط. فسكن هذه البلاد ، والتف عليه خلق كثير ، ويقال: إنه حفظ "التنبيه" في الفقه. وقد ذكرته في طبقات الشافعية" انتهى من "البداية والنهاية لابن كثير". وقال الذهبي رحمه الله تعالى. "تفقه قليلاً على مذهب الشافعي"انتهى من"العبر". وهو عند أهل العلم مشهور بالصلاح ، ويترحمون عليه. قال ابن خلكان رحمه الله تعالى: "كان

رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب" انتهى من "وفيات الأعيان". وقال الذهبي رحمه الله تعالى: "الإمام ، القدوة ، العابد ، الزاهد ، شيخ العارفين. وكان كثير الاستغفار ، عالي المقدار ، رقيق القلب ، غزير الإخلاص. توفي: سنة ثمان وسبعين وخمس مائة ، في جمادى الأولى ، رحمه الله" انتهى من "سير أعلام النبلاء". لكن مع شهرته بالصلاح لم يشتهر بالعلم بالسُنَّة وعلوم السلف الصالح ؛ ولم نقف على ما يقطع بسلامة جميع معتقده ؛ وما وصل إلى عصرنا من كتب منسوبة إليه ؛ لا يوجد ما يؤكد أنه هو كاتبها ؛ فالله أعلم بحالها. لكن الطائفة التي تنتسب إليه وتدعي التصوف في هذا العصر وفي الأعصار الماضية ، هم أصحاب ضلال وعقائد باطلة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:- "وأما كشف الرؤوس وتفتيل الشعر وحمل الحيات: فليس هذا من شعار أحد من الصالحين ؛ لا من الصحابة ولا التابعين ولا شيوخ المسلمين لا المتقدمين ولا المتأخرين ، ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي ولا غيره ، وإنما ابتُدع هذا بعد موت الشيخ أحمد بمدةٍ طويلةٍ ، ابتدعه طائفة انتسبت إليه ، فخالفوا طريق المسلمين ، وخرجوا عن حقائق الدين ، وفارقوا طريق عباد الله الصالحين. وهم نوعان: أهل حال إبليسي. وأهل محال تلبيسي" انتهى من "مجموع الفتاوى لابن تيمية". وقال الذهبي رحمه الله تعالى: "وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ، ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن ، ولكن أصحابه فيهم الجيد ، والرديء ، وقد كثر الزغل فيهم ، وتجددت لهم أحوال شيطانية ، منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات! وهذا ما عرفه الشيخ ، ولا صلحاء أصحابه ؛ فنعوذ بالله من الشيطان." انتهى من "العبر". وقد سأل السيد عبد الرحيم السيد الجليل الشيخ أحمد الرفاعي الكبير قدس سره فقال: "الناس يسألوني عن عقيدتي فما أقول لهم؟ فقال السيد أحمد رضي الله عنه: "أي عبد الرحيم ، اعلم أن كل ما عدا الخالق فهو مخلوق ، والليل والنهار والضوء والظلام ، والسموات السبع وما فيهما من النجوم والشمس والقمر والأرض ، وما عليها من جبل وبحر وشجر ، وأنواع النباتات وأصناف النبات ، والحيوانات الضار منها والنافع ، لم يكن شيء من ذلك إلا بتكوين الله ، ولم يكن قبل تكوين الله الأشياء أصل ولا مادة ولا شيء من ذلك إلا بتكوين الله ، وكذلك الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والإنس والجن والشياطين ، لم يكن منها شيء إلا بتكوين الله تعالى ، وكذا صفات هذه الأشياء من الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق ، والأطعام والمشروب والروائح ، والجهل والعلم ، والعجز والقدرة ، والسمع والصمم ، والبصر والعمى ، والنطق والبكم ، والصحة والسقم ، والحياة والموت ، كل ذلك من مخلوقات الله تعالى ، وكذلك أفعال العباد واكتسابهم ، من الأمر والنهي والوعد والوعيد ، كل ذلك من مخلوقات الله تعالى ، خلق كل شيء ، قال الله تعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم)؟ يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ، الطاعات والمعاصي بقضاء الله وقدره ، وعبادته بإرادته ومشيئته ، فإن الطاعة مقدرة من الله تعالى بقضائه وقدره ، وكذا المعصية والمعاصي والذنوب مكونة مقدرة بقضاء الله تعالى وقدره ومشيئته ، لكن ليست برضائه ولا محبته ، ولا بأمره ، وما أراد الله أن يكون كان بلا محالة ، طاعة أو معصية ، وهذا معنى قولنا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن هداه الله تعالى خلق فيه فعل الاهتداء ، من لم يهده لم يهتد وكل ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: (الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ). والله يعطي العبد كما يريد ، كان فيه صلاح العبد أو فساده ، وغاية صلاح العبد ليست بواجبة على الله تعالى ، بل إن كان فيه صلاح كان منه إحسانًا وتفضلًا ، وإن لم يكن ذلك كان منه عدلاً ، فله

الفضل والحمد ، والله تعالى قديم ليس لوجوده ابتداء ، وباق ليس لبقائه انتهاء ، حي بلا روح ، عالم بلا قلب وفكرة ، قادر لا بآلة ، سميع لا بأذن ، بصير لا بحدقة ، متكلم لا بلسان ، والله تعالى قديم بصفاته ، وليس شيء من صفاته محدث ، وكلامه ليس من الحروف والأصوات ، بل الحروف والأصوات عبارة عن كلامه ودلالة عليه ، والله تعالى ليس بجسم ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا على مكان ولا في مكان ، بل كان جلت عظمته ولا زمان ولا مكان ، والله تعالى ليس بصورة ، وكل ما تصور في فهمك ووهمك فالله تعالى خالقه ومكونه ، والله تعالى لا يشبه شيئًا مما خلق ، ولا يشبه ذاته ذوات المخلوقين ، ولا صفاته صفات المخلوقين كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). والله تعالى واحد أحد فرد صمد ، لا شريك له ولا وزير له ، ولا شبيه له ، ولا ضد له ولا ند له ، ولا نظير له ولا مثيل له ، ولا أول له ولا آخر له ، ولا ولد له ولا والدة له ولا والد له ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، علام بأمور خلقه من مبتداهم إلى منتهاهم ، وكل مخلوق بخلقته شاهد عادل على أنه لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. وأن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخيرته من خلقه ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وأن الله أرسل من قبله رسلًا ، أولهم آدم وخاتمهم محمد صلى الله عليهم وسلم ، وكلهم جاءوا بالحق وتكلموا بالصدق ، وبلغوا الرسالة وصدقوا فيما بلغوا عن ربهم عز وجل ، وكل ما أنزل عليهم من الكتب والصحف حق ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ولا نبي بعده حق ، وأن الرسل كلهم على حق ، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل في آخر الزمان حق ، وأن المعراج حق ، أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وشخصه في ليلةٍ واحدةٍ من مكة إلى بيت المقدس على ظهر البراق ، ثم عرج به إلى السماء حيث شاء الله ، وأن الصالحين مع علو منزلتهم وقربهم من الله لا يسقط عنهم شيء من الفرائض والواجبات من الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك ، ومن زعم أنه صار وليًّا وسقط عنه الفرائض فقد كفر ، فإنه لم يسقط ذلك عن الأنبياء فكيف يسقط عن الأولياء؟! وأن الإيمان يزيد وينقص ، والإيمان والإسلام واحد ، وكل مسلم مؤمن ، وأن عذاب القبر حق وأن منكرًا ونكيرًا حق ، وسؤالهما حق ، وأن البعث حق والعرض حق ، والحساب حق ، وأن الجنة ونعيمها حق ، والنار وعذابها حق ، وأهل الجنة يرون ربهم بعيونهم من غير تشبيهٍ ولا إحاطةٍ ولا كيفيةٍ ولا مقابلةٍ ولا على مكان - هم في الجنة وهو موجود بلا مكان - ، ولا في جهة من الجهات الست ، وأن قراءة الكتب أي في الآخرة حق ، يؤتى المؤمن كتابه بيمينه والكافر بشماله ، والميزان حق والشفاعة للنبي حق ، وأن أبا بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة حق ، وبعده خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق ، وبعده خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حق ، وبعده خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حق ، إلى أن قال سيدنا أحمد الرفاعي فهذا اعتقادنا ومذهبنا. فمن خالفه وقال غير ذلك لا برهان له والله برئ منه ا.هـ (من كتاب المجالس الرفاعية). فإذا استثنينا جواب سؤال أين الله؟ (في السماء ، فوق عرشه بائن عن خلقه على كيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى) ، تكون عقيدة الرفاعي هي نفس عقيدة أهل السنة والجماعة ، ويكون توحيده هو عين توحيد أهل السنة الجماعة! فلا ينبغي أن نحمّل الرفاعي ضلال وزندقة وكفر وبدع بعض أتباعه الغلاة المنحرفون المخرفون! وإذن فنحن – إن صحت النِسبة والخبر – نكون أمام إحدى شواعر البيت النبوي ، وإنْ بعدت المسافة! هذه الشاعرة هي (رحابُ المحمود) والله إننا لنغبط (رحاباً) على هذا

النسب العظيم الشريف! لأجدادٍ ضاربين بجذورهم في الفروسية والقنا ، والعلم والشعر! عموماً هذه المقدمة الطويلة كان ولا بد منها لنعرِّف برحاب شخصية وشعراً! وعسى الله تعالى أن يغفر لها ما لا نعلم عنها ، وأن لا يؤاخذها بما نقول فيها ، وأن يجعلها خيراً مما نظن فيها! ولنقرأ القصيدة!)

(رحـــابُ) حَنانيـــكِ! اهْـــدَئي وارقئـــي بُؤســـي ... فقـــد أثـــرَتْ أبياتُـــكِ الســـبعُ فـــي نفســـي!

وحَلّـــتْ شِـــغافَ القلـــب أرجـــى رموزهـــا ... وجـــادتْ معانيهـــا ببارقـــة الأنـــس!

ودَفـــتْ بـــأحلى الأمنيـــات لخـــاطري ... فأذهبـــتْ البُشـــرى مُـــراودة اليـــأس

تـــزفين آيـــاتِ التفـــاؤل تجتنـــي ... عـــذاباتِ نفـــس أوغلـــت فـــي دجـــى الـــنحس

وكـــم ســـربلتْ نفســـي أراجيـــفَ وهمهـــا ... فســـارتْ بهـــا الأوهـــامُ للضـــنك والـــوَكس!

وكـــم هِبّـــتُ بـــالنفس اللجـــوج أريـــدُها ... مِـــن الـــوهم فـــي حِـــل ، فأزعجَهـــا حِســـي!

وكـــم نـــاولتْني مـــن لظـــى الطـــيش حِصـــة ... ظللـــتُ بهـــا دهـــراً أقاســـي ضـــنى البـــؤس!

وكـــم قلـــتُ: يـــا نفســـي كفانـــا تـــرهلاً ... وأضـــحوكة أصـــبحتُ للجـــن والإنـــس!

(رحـــابُ) خبَـــرتِ الشـــعرَ قلبـــاً وقالبـــاً ... وجُسْـــتِ ديـــارَ الشـــعر مَحظوظـــة الجَـــوس

وطيّبـــتِ أصـــلاً بعـــد فصـــل ، كمـــا أتـــى ... بـــنص - تلـــتْ عينـــايَ - دونـــتِ بـــالأمس!

لـــئنْ صَـــحَّ هـــذا القـــولُ نِلـــتِ شَـــرافة ... وجُلـــى تُســـامِي صَـــفوة النبـــع والغـــرس

ألا طـــابَ ســـاداتُ (النُعَـــيم) نجابـــة ... لهـــم بـــين أشـــراف الـــورى أنبـــلُ الإرس!

ومَـــن ذا الـــذي ضَـــاهى (الحُسَـــين) عَراقـــة؟ ... وآلُ رســـول الله هـــم أعظـــمُ الإنـــس!

(رحـــابُ) تســـامتْ بالرِّفـــاعيِّ نســـبة ... سَـــمَتْ مَحْتِـــداً يســـري بـــه النـــورُ كالشـــمس!

وأجـــدادُكِ الأفـــذاذ فـــي البـــأس قـــادة! ... ومَـــن لـــي بوصـــفٍ للضـــراغِمة الحُمـــس؟!

وفـــي العِلـــم كـــانوا كالأســـاطين علّمـــوا ... لحِفـــظ ضـــرورات مُبجَّلـــةٍ خمـــس!

وفـــي الشـــعر كـــانوا كالغطـــاريف قصَّـــدوا ... وخطـــوا نضـــيدَ الشـــعر فـــي زاهـــر الطِـــرس!

وقـــد جمَعـــوا بـــين القـــريض وحـــربهم ... تمامـــاً كمـــا قـــد كـــان (عنتـــرة العبســـي)!

وحاكـــت (رحـــابُ) اليـــوم أمجـــادَ قومهـــا ... بشـــعر عـــلاه الصـــبغ بـــالوَرد والـــوَرس!

تُعيـــدُ لنـــا (الخنســـاءَ) فـــي لمســـاتها ... ولمـــسُ الـــورى بالشـــعر مـــن أطيـــب اللمـــس

تمَـــسُّ قضـــايا أمـــةٍ لـــم تمسَّـــها ... أيـــادٍ تخلـــتْ ، لا تحِـــنُ إلـــى المَـــس!

ويومـــاً ســـيفنى الأهـــلُ فـــي (حَلـــب) هنـــا ... وشِـــعرُ (رحـــاب) لـــن يُســـاق إلـــى الـــدرس!

(رحـــابُ) نكَـــأتِ الجُـــرحَ تـــدمِي كُلومُـــهُ ... بأبيـــات شِـــعر فـــذة الـــنص والجَـــرس!

فلقنـــتِ دَرســـاً لا ســـبيلَ لوصـــفهِ ... يُفِيـــقُ مـــن الشـــجوى ، ويُنْجـــي مـــن الـــنكس!

بألفـــاظ وَجعـــى جَنـــدلتْها تجـــاربٌ ... فجـــادتْ علينـــا بالنصـــيحة والـــدرس

وكانـــت تُرَجّـــي أن يُصـــان بـــأرأس! ... وينفـــعُ درسٌ لـــو تمكـــنَ مـــن رأس!

وزادُ التقـــى لا يُســـتهانُ بصُـــنعه ... بـــه الـــنفسُ تســـتعلي علـــى الكـــرب والـــتعس!

يمينـــاً هـــي التقـــوى تُعلـــي مَـــن اتقـــى ... ولـــيس يُلاقـــى قـــط بالهضـــم والـــبخس!

لقـــد وَصّـــفتْ زادَ التقـــى فـــي قصـــيدها ... جَليـــاً ، بـــلا تخمـــينِ فِكـــر ، ولا حَـــدس!

فمـــن رامَ أجـــرَ الله ، فليلـــزمِ التقـــى ... هـــو الشـــرط جـــلّ الشـــرط عـــن ظلمـــة اللـــبس!

(رحـــابُ) وصَـــفتِ الليـــلَ غابـــتْ نجومُـــهُ ... وأحيـــاهُ عبـــدٌ فـــي العبـــادة ذو بـــأس

كـــأن قِيـــام الليـــل سَـــلوى مُوَحّـــدٍ ... يُنقيـــه مـــن سُـــوآى تدسّـــيه أو رجـــس!

ووصّـــفتِ الـــدنيا (رحـــابٌ) لقاصـــد ... وكيـــف احتـــوتْ أهـــلَ الفـــواحش والهَلَـــس؟!

وكيـــف اســـتبدتْ بـــالألى لـــم يُوحّـــدوا؟ ... وطوفانُهـــا اليـــومَ اســـتطالَ ، وبـــالأمس!

يـــدورُ مـــع الـــدنيا جهـــولٌ مُعانـــدٌ ... فيتْبعُهـــا حتـــى يُوسّـــدَ فـــي الـــرمس!

يَهـــيمُ بهـــا فـــي كـــل وادٍ يجوبُـــه ... كعـــاسٍّ يـــرى كـــل اللذائـــذ فـــي العـــوس!

دَرى العبـــدُ مـــن دنيـــاه جنـــاتِ عَـــدْنها ... ولـــم يَـــدر مـــا أخـــراهُ ، إذ غِيـــلَ بـــالهوس!

دَرى بالـــدنايا كهفِهـــا ورقيمِهـــا ... وجالـــدَ أهـــلَ الحـــق بـــالرمح والتُـــرس!

ويلفظهـــا عبـــدٌ أنـــابَ لربـــه ... ومـــا التقيـــا إلا لقـــا العكـــس بـــالعكس!

هـــل التـــيسُ يَقتـــاتُ الحشـــائش فـــي الربـــا ... كليـــثٍ؟ ، فهـــل ذيـــلٌ تشـــبهَ بـــالرأس؟!

ويُـــزري بضـــرغام قيـــاسٌ مُحَقـــرٌ! ... فشـــتان بـــين الليـــث - يـــا قـــوم - والتـــيس!

(رحـــابُ) وصـــفتِ الليـــلَ يَغمـــرُه الأســـى كســـجن غـــدا يُبلـــي الخلائـــق بـــالحبس!

ألا إن هـــــذا واقـــــعٌ لا نحبـــــه! تـــداعتْ علينـــا أمّـــة الـــروم والفـــرس!

وضـــاعت علـــى الأيـــام أمجـــادُ قومِنـــا ولـــيس لنـــا حـــقٌ نجـــاهرُ بـــالهمس

تقـــولين سَـــعدٌ ســـوف تُشـــرقُ شمسُـــه هـــداديكِ! هـــل تُشـــجيك إشـــراقة الشـــمس؟!

تقـــولين فلنلـــق الـــبلاءَ ببســـمةٍ سنبسُـــمها يـــا أختُ فـــي باحـــة (القـــدس)!

تقـــولين فلنوقـــدْ سِـــراجَ تفـــاؤل عســـانا بهـــذا النـــور نُـــردي دُجـــى الطـــنس

ألا إن نصـــر الحـــق والعـــدل عُرسُـــنا فهـــل فرحـــة ضـــاهتْ جمـــالاً فرحـــة العُـــرس؟!

نبـــاهي بهـــذا الحـــق مَـــن يحتفـــي بنـــا ونوسِـــعُهُ مَـــدحاً ، وننـــأى عـــن المَـــيس!

كمـــا احتفلـــتْ بـــالحق (أوسٌ) و(خـــزرجٌ) أيـــا خزرجِـــيْ مَرحـــى ، وبُشـــراكِ بـــالأوس!

وتغبِطنـــا (تـــيمٌ) ، وتـــزدانُ (شـــامُنا) وفيهـــا يُضـــحِّي الجمـــعُ بالأســـود العنســـي!

(رحـــابُ) مُحاكـــاتي بـــذلتُ تكلفـــاً فطِيبـــي بهـــا نفســـاً ، فقـــد أطربـــتْ نفســـي!

وبـــارك ربـــي فـــي جميـــع قريضـــنا ليجعلـــه أحلـــى مِـــن الشـــهدِ والـــدِّبس!

ما تغيرَ الحالُ ولا الخال!

(اعتادَ هذا الخالُ الطيبُ البَذولُ الشهمُ أن يُعين ابن أخته المعيلة على صعوبات الحياة! فأنفقَ من جيبه ومقتنياته الشخصية ما الله به عليم! كما عرَّض نفسه لمخاطر شتى من أجل أن يُحقق هذه الغاية: (إعانة ابن أخته الفقير). فجاد برأس المال النقدي والعيني عن طِيب نفس! فجاد بالفلوس والجواكت الفاخرة والأقمصة الراقية والأقلام النفيسة وقنينات العطور والأجندات وغير ذلك لرؤية ابن أخته في أبهى صولاة وأرقى حال! وشارك مشاركة إيجابية فاعلة بكل رشد وروية في حل المشكلات دون من أو ضرب أو أذى أو عُقوبة! وشرح دروس اللغة الفرنسية ، والتشجيع الدائم على التفوق وإحراز المستقبل الرائع الأمثل! ودارت الأيامُ دورتها وتخرج هذا الابن من الجامعة ، بفضل الله تعالى أولاً وآخراً ، ثم بفضل هذا الخال وتشجيعه ودعمه! ثم تعسَّرَ هذا الابن جداً في مشروع زواجه ، ووصل مع أسرته إلى طريق مسدود في القبول بزوجةٍ اختارها ورفضوها جميعاً ، وفشل في إقناعهم! فذهب إلى خاله مستعيناً به في إيجاد حل! فاصطحب الخال أخاه وأبيه! وانطلق ابن الأخت مصطحباً جده وخالاه ، وذهبوا جميعاً للأسرتين: أسرة العريس ، وأسرة العروس! وتم التوفيقُ بين الجميع ، وفتح الطريق لإكمال المسيرة! وعاد الخال ، وتم الزواج! واستمر الحال عاماً بأكمله ، ثم لاحت فرصة لابن الأخت للسفر إلى الخليج ، وتعشم الخال الشهم البذول ردَّ الجميل من ابن أخته! خاصة وأنه بدأ يرسل بتأشيرات الزيارة والعمل لأناس من العائلتين! فعتبَ الخال على ابن أخته عتاباً أعقبته قطيعة دامت عقداً! وكان اجتهاد ابن الأخت أن الخال في وظيفة مرموقةٍ براتب معقول نسبياً في بلده! فكيف به يكون سبباً في تسفيره إلى بلد يعيش فيها غريباً شريداً! ولم يهتد إلى أن يعطي الفرصة لخاله ليجرب حظه كما يقولون! وبعد عقد عاد ابن الأخت ليفصل وليبين وليشرح السبب وراء تصرفه ، ولكن لم يعطه الخال الفرصة لإزالة ما في النفوس من رواسب! فكتب في ذلك التصرف قصيدة عنوانها: (تغير الحال أم الخال؟) ، ثم عاد ابن الأخت لخاله بعد عقدين من القطيعة ، ليجد خاله على ما كان عليه من الخؤولة والأبوة والحيدة والموضوعية! ففرح بذلك فرحاً عظيماً ، إذ رحَّبَ به خاله ، وكأن شيئاً لم يكن! فكانت هذه القصيدة ترجمة لهذا اللقاء: (ما تغير الحال ولا الخال!) ، لتأخذ صورة الاعتذار اللطيف وبدء صفحة جديدة!)

كـــم غيَّـــرتْ أنفســـاً رُؤىً وأحـــوالُ! وكـــم أدارتْ رَحَـــى التغييـــر أجيـــالُ!

وكـــم أضـــاعَتْ حقوقـــاً حُـــدِّدتْ فِـــتنٌ! وكـــم أزاغـــتْ قلـــوبَ الـــبعض أمـــوال!

وكـــم بفتيـــا خبَـــتْ نيـــرانُ مُعضِـــلةٍ! وكـــم بشُـــورى زَوَى بـــأسٌ وإشـــكال!

وكـــم بـــرأي زكَـــتْ أوضـــاعُ شِـــرذمةٍ! وكـــم أزاحَـــتْ شـــرُورَ الـــبُغض أقـــوال!

وكـــم أعـــادتْ لبـــاري القـــوس عـــن رَغـــم قوســـاً طوتْهـــا تكـــاليفٌ وأحمـــال!

وكـــم أقامَـــتْ عَلاقـــاتٍ مُقطعـــة تنـــازلاتٌ بهـــا تفضـــلَ الآل!

ورُدَّ أمـــرٌ إلـــى نِصـــابه بهُـــدىً أمـــلاهُ شَـــهمٌ لـــه فـــي النـــاس إجـــلال

الحـــق أجـــدرُ أن يسُـــودَ فـــي مَـــلأ ... مهمـــا تعقبـــه حِـــلٌ وتِرحـــال

لـــولا وســـاوسُ شـــيطان نضِـــلُّ بهـــا ... مـــا راجَ بـــين بنـــي الإنســـان إضـــلال

لـــولا الهـــواجسُ تُملِيهـــا خواطرُنـــا ... مـــا جَنـــدَلتْنا أراجيـــفٌ وأحـــوال

لـــولا اتبـــاعُ الهـــوى يُعمِـــي بصـــيرتنا ... لمَـــا اســـتبدتْ بنـــا فـــي الـــدرب أهـــوال

لـــولا ظنـــونٌ خلـــتْ ممـــا يُؤَكِّـــدُها ... لزخرَفـــتْ قولنـــا المَوتـــورَ أعمـــال

لـــولا انتصـــارٌ لحـــظ الـــنفس عـــنَّ لنـــا ... مـــا شـــابَ عِيشـــتنا عَيـــبٌ وإخـــلال

لـــولا الوشـــاة غـــوَوا فـــي كـــل مُصـــطدَم ... وكـــل مَـــن صَـــدَّقوا الوشـــاة جُهـــال

علـــى الجميـــع انطلـــتْ زوراً وشـــايتُهم ... وللأكاذيـــب إدبـــارٌ وإقبـــال

لـــولا النفـــاقُ صَـــفتْ لـــه ضـــمائرُهم ... وترجمـــتْ زيفـــه المكشـــوفَ أفعـــال

يـــا خـــالُ أحســـنت فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... والكـــل يشـــهدُ بـــالمعروف يـــا خـــال

بـــذلت نصـــحَك ترتـــاحُ النفـــوس لـــه ... ولـــم يكـــنْ منـــك لابـــن الأخـــت إهمـــال

وجُـــدْت بـــالخير يـــا شـــهماً صـــباحَ مســـا ... والجُـــودُ بـــالخير نِعـــمَ الطَـــولُ والطـــول

وسُـــقت عِلمَـــك مَوفـــوراً لراغبـــه ... لنـــا بمـــا سُـــقته تِيـــةٌ وإدلال

ويـــحَ (الفرنســـية) احتاجَـــتْ قواعـــدها ... إلـــى البيـــان ، ولا فهـــمٌ ، ومـــال!

حتـــى أتيـــت لنـــا مُعَلمـــاً فطِنـــاً ... لـــم يـــألُ جُهـــداً ، ولـــم تصـــرفه أشـــغال

شـــرَحت غامضـــها شـــرحاً يُبَلغنـــا ... خـــوضَ امتحـــان لـــه فـــي الـــنفس إعمـــال

ســـل (الجواكـــت) كـــم جـــاد الكـــريمُ بهـــا! ... وكـــم تُعِـــز كـــريمَ الأصـــل أفضـــال!

واســـأل كـــذلك عـــن جميـــل أقمِصـــة ... لهـــا بهـــاءٌ وألـــوانٌ وأشـــكال

مِـــن خيـــر أقمِشـــةٍ تسْـــبي مناظرُهـــا ... عيـــونَ مَـــن نظـــروا ، فالحســـنُ مِكمـــال!

ســـل العُطـــورَ بهـــا الأنـــوفُ مُولعـــة ... وإنْ تباشِـــرْ شـــذى العطـــور تختـــال

ســـل (الأجنـــداتِ) أهـــدَاها مُزركشـــة ... والـــذكرياتُ بهـــا صُـــوىً وأطـــلال

وســـل إذا شِـــئت (أقلامـــاً) ومـــا سَـــطرَتْ ... مِـــن طيِّـــب الـــنصِّ ، طـــابَ الرســـمُ والقـــال!

سـل الخِلافاتِ جَلاها وناقشها ... وحُققتْ بعدها للكل آمال

سل المشاكلَ ما حُلتْ وما هدأتْ ... حتى أتانا بما يُزيلها الخال

ولم يكنْ قاطعاً أهلاً ولا رحِماً ... والكل وَقرهُ شِيبٌ وأطفال

حَييتُ فيك أباً فاحتْ أبوته ... مِسكاً ، يُحاكيه أعمامٌ وأخوال

وما رَدَدتُ جميلَ الخال أحسِبني ... حيث ابتُليتُ ، وغالَ اليُسرَ أنذال

قي غربةٍ شَقِيتْ نفسي بوحشتِها ... وما بكاني بها صحبٌ ولا آل

ما طابَ عيشي بها يوماً ، ولا ابتشرَتْ ... روحي ، ولا هدأتْ نفسي ولا البال

تآمرتْ زمرٌ على مُناواتي ... وهدَّ عزمِيَ خُذلانٌ وإشكال

وساحُهم برئتْ مما يُدَنسُها ... وساحتي عابَها وعدٌ وإمطال

وعَدتُ لكنْ خبَتْ أنوارُ مَوعدتي ... والوعدُ مُستطرٌ ، وليس إغفال

وما تغيرَ (خالي) رغم فرقتنا ... ولا تغيرَ – بالقطيعة – الحال!

آلُ (السماحة) أخوالي ذوي رحِمي ... في البذل والجُود أعلامٌ وأبطال

وبالدقهلية الشَّمَّاء هم نشأوا ... طابَتْ أصولهمُ ، وطابَ مِنوال!

هم الغطاريفُ في ريفٌ وفي حَضَر ... أشباهم نُدُروا ، وعَز أمثال

تاريخهم حافلٌ بالمَكْرُمات شدَتْ ... وإنْ قائلهم بالخير مِفعال

نشأتُ فيهم ، فأولوني مناقبَهم ... وعِشْتُ لي بينهم حُبٌ وإفضال

حيَّاهمُ اللهُ في الدنيا وضُرَّتها ... لِمَا دَعوتُ مليكُ الناس فعال!

بطرس البستاني أبو القواميس المعاصرة!

(برز هذا العبقري الجهبذ اللغوي الفذ أبو القواميس المعاصرة والمعاجم الحديثة في القرن التاسع عشر! فمهَّد السبيلَ لمن أتى بعده من اللغوين وأهل المراجع والمعاجم! وتخيلتُ اللغة العربية تبكيه يوم وفاته بحُرقة ولوعة! فكانت ترجمة بكائها قصيدتي هذي! وبقطع النظر عن معتقد الرجل ، أنا أشيد بعلمه في اللغة العربية وبإسهاماته في النهوض بها! وإن كان للبعض مؤاخذات على تراثه اللغوي والشعري! الرجل كاتب وشاعر ومؤرخ ومعجمي وصاحب موروثٍ ثقافي ولغوي بحت! (بطرس البستاني ١٨١٩–١٨٨٣م ، بطرس البستاني أبو القواميس المعاصرة! إنه في مثل هذا اليوم الأول من مايو ، ولد وتوفي بطرس البستاني؟! فمن هو هذا الرجل ، وماذا أضاف القواميس العربية؟ لقد ولد بطرس البستاني في قرية الدِّبِّيَّة أو الدِّبَية من مناطق الشوف في جبل لبنان في 1 مايو عام 1819م ، وكُنيته «البستاني» هي لقب لأسرةٍ مارونيةٍ مشهورةٍ يعود أصلها لمدينة جبلة ، هذا ، وأنجبت العائلة رجالاً عدة يجيدون اللغة العربية ، وقدموا للأدب خدمات جليلة. تلقى بطرس علومه بانتظام ، ودرس الإنكليزية بنفسه ، على طريقة التعليم الذاتي. وفي عام 1840م ذهب إلى بيروت واتصل ببعض المبعوثين الأمريكيين يعلمهم العربية ويُعَرِّب لهم الكتب ، فاستعانوا به على إدارة الأعمال في مطبعتهم. وعُين أستاذ في «مدرسة عبية» عام 1860م ، فمكث فيها سنتين ، ثم عين ترجماناً للقنصلية الأمريكية في بيروت. وبعد عام 1860م وجه عناية فائقة بالغة إلى توعية الشعب في بلاده ، فأنشأ جريدة «نفير سورية» ، وهي أول جريدة وطنية راقية ، دعا فيها إلى الألفة ونبذ الأحقاد ورأى أن القلوب لا تتفق إلا إذا اعتادت الاتحاد والوئام. فأسس سنة 1863م «المدرسة الوطنية» الشهيرة ، وكانت أول مدرسة وطنية عالية ، فأمها الطلاب من مختلف الطرائف ومختلف المناطق ومن البلدان المجاورة ليتعلموا فيها ، وفي جملة ما يتعلمونه العربية والإنكليزية والفرنسية ومحبة الإنسان والتعلق بالأوطان. وأكثر ما عرف به البستاني هو اللغة والتأليف ، فقد اشتغل بالتأليف ، فصنف كتباً متعددة في الحساب والنحو والصرف واللغة والأدب ، كما ترك أثاراً مثل الخطب والمحاضرات والمقالات التي كان يلقيها في المنتديات والجمعيات ويدبجها في الجرائد والمجلات ، وكان لها أبلغ الأثر في ثقافة عصره. وأنشأ ـ مستعيناً بابنه الأكبر سليم ـ أربع صحفٍ بالإضافة إلى (نفير سورية) وهي: الجنان والجنة والجنينة ، وكانت جميعها صحفاً سياسية وتجارية وأدبية أسبوعية أو يومية! وأما أعظم أثاره على الإطلاق ، فهي دائرة المعارف التي عرفها بقوله «إنها قاموس عام لكل فن ومطلب». وقد صدر منها في حياته ستة أجزاء ، وصدر منها بعد وفاته خمسة ، واشتغل فيها أبناؤه وبخاصة سليم ونسيبه سليمان خطار البستاني ، وتوقف العمل قبل أن يكمل المشروع ، وتعد هذه الموسوعة فعلاً أول موسوعة وطنية قائمة على المنهج الحديث في التأليف. أما الأثر الثاني له والباقي أيضًا ، فهو معجم محيط المحيط وهو أول قاموس عصري في اللغة العربية ، طبعه في مجلدين كبيرين في بيروت ، صدر الأول سنة 1867م ، والثاني سنة 1870م. ورفعه إلى السلطان العثماني ، فنال عليه الوسام المجيدي الثالث ، ولا يزال هذا المعجم أحد أهم المعاجم العربية الحديثة يحتاج إليه كل عالم لغة وطالب بحث ، وشاعر وكاتب ، رغم مرور أكثر من مئة عام على تأليفه ، ذلك لأنه رتبه على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول من الثلاثي المجرد ، وجمع فيه كثيراً من مصطلحات العلوم والفنون سواءً منها القاموسية أم المعّربة ، وشرح أصول بعض الألفاظ الأجنبية وجمع كثيراً من الألفاظ العامية الحية وفسرها ، واعتمد

المعاجم القديمة الموثوقة ، واستخدم العبارة السهلة البسيطة. وقد أعادت «مكتبة لبنان» طباعة المعجم بمجلديه ثم جددت طبعة سنة 1977م في مجلد واحد ، وصححت الأخطاء الطباعية ، وميزت المداخل الجذرية والرئيسية بلون مختلف ، مما يساعد على سهولة استعمال المعجم! ونقلاً عن (تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) مؤسسة هنداوي: (إنه في إقليم الخروب ، من قضاء الشوف في جبل لبنان ، قرية صغيرة على مسافة ثلاث ساعات من دير القمر ، وثلاث ساعات ونصف من صيدا ، وسبع ساعات من بيروت ، يُقال لها الدِّبَية ، عدد سكانها خمسمائة نفس من طائفة الموارنة ، وقليل من البروستانت ، نشأ فيها غير واحد من مشاهير اللبنانيين ، جميعهم من آل البستاني ؛ أشهرُهُم عبد الله البستاني ، وبطرس البستاني ، والمعلم بطرس البستاني ، صاحب الترجمة ، وقد اقتطفنا ترجمة حياته مما كتبتْه جرائدُ الشام على إثر وفاته ، وأثبتته دائرةُ المعارف في جزئها السابع ، ومما عرفناه بنفسنا من آثار اجتهاده وفضله. إنه بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ بن أبي محفوظ البستاني ، من أعيان الطائفة المارونية ، وُلد في الدبية عام ١٨١٩م في عهد إمارة الأمير بشير الشهابي الكبير في جبل لبنان ، وظهرتْ عليه مخائل النجابة والذكاء منذ نُعُومة أظفاره ، فأخذ في تَلَقِّي مبادئ العربية والسريانية على المرحوم الخوري مخائيل البستاني ، وكان المطران عبد الله البستاني إذ ذاك مطرانًا على صور وصيدا ، وكان يُقيم هناك ، فنمى إليه أن هذا الغلام وغلامًا آخر يدعى شبلي ابن الخوري يوسف البستاني (بطرس البستاني بعدئذٍ) قد تفرَّدا بالذكاء والفطنة والاجتهاد بين أقرانهما ، فاستقدمهما إليه ، ثم بعث بهما إلى مدرسة عين ورقة بلبنان ، فقضيا فيها عشر سنوات حتى أتقنا آدابَ اللغة العربية مما تيسر الحصولُ عليه إذ ذاك ؛ كقواعد اللغة والنحو والصرف والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا ، وتناولا اللغات السريانية واللاتينية والإيطالية ، وتلقيا الفلسفة ومبادئ الحق القانوني. وكان صاحب الترجمة قد بلغ العشرين سنِّه ، فأرسل مع رفيقه إلى رومية للتبحُّر في العُلُوم ، وكان والدُهُ قد توفي فعارضت والدتُهُ في إبعاده ، فتعيَّن مدرسًا في مدرسة عين ورقة ، وكان يُعهَد إليه قضاء بعض المصالح إلى سنة ١٨٤٠م ، وكانت حال الجبل في اضطراب لِمَا كان في نفس الدولة العليَّة على الأمير بشير وإبراهيم باشا ، وكانت الدول الإفرنجية قد بعثت مراكبها إلى سواحل سورية تعِين الباب العالي العثماني على إخراج إبراهيم باشا منها ، وكان صاحب الترجمة قد درس اللغة الإنكليزية في بيروت أثناء إقامته بمدرسة عين ورقة وبعدها ، فاستخدمه الإنكليز للترجمة ، وكان يعلم الأمريكان اللغة العربية ، ويعرِّب لهم بعض الكتب ، حتى تمكَّنت علائقُ المودة بينه وبينهم ، وفي سنة ١٨٤٦م عزم أُستاذنا الخطير المرحوم الدكتور فانديك على إنشاء مدرسة عبية ، فاستعان بصاحب الترجمة في إنشائها ، فتولى التعليم فيها عامين ، وكان قد ألَّف في أثنائهما كتابًا مطولًا في علم الحساب ، سمَّاه كشف الحجاب في علم الحساب ، طُبع مرارًا عديدة ، وذاع استعماله في سائر مدارس سورية! ثم قَدِم بيروت وتولى منصب الترجمة في قنصلية أميركا مع مباشرة التأليف والترجمة والوعظ والخطابة ، ودرس — في أثناء ذلك أو قُبيله — اللغتين العبرانية واليونانية ، وكان قد شرع في تأليف قاموسه محيط المحيط. وفي سنة ١٨٦٠م نشر نشرةً سماها نفير سورية ، وهي أول نشرة عربية ظهرت في سورية ، وإذا جاز لنا أن نسميها جريدة ؛ فالبستاني أول من أنشأ جريدة عربية غير رسمية بين قُرَّاء اللغة العربية. وفي عام ١٨٦٣م أنشأ في بيروت مدرسةً عاليةً سمَّاها «المدرسة الوطنية» ، أسسها على الحرية ومبدأ الجامعة الوطنية

العثمانية ، فتقاطر إليها الطلبةُ من سائر أنحاء الشام ومصر والآستانة وبلاد اليونان والعراق وغيرها ، فذاع صيتُها في الآفاق ، وظهر فضلها على رؤوس الأشهاد ، فأنعمت عليه الحضرةُ السلطانية بنيشان عالٍ ؛ تنشيطًا له ومكافأة لخدمته ، وقد تولى ولده سليم البستاني نيابة رئاسة المدرسة ، وكان متضلعًا في العلوم الحديثة ، فكان يدرس التاريخ والطبيعيات والصف الأول في اللغة الإنكليزية ، وكان والدُهُ يلقي على التلامذة الخطب والمواعظ مرتين في الأُسبوع. وفي سنة ١٨٦٩م فرغ من تأليف قاموسه محيط المحيط ، وقد أخذه عن أشهَر متون اللغة ؛ ولا سيما الفيروزآبادي وصحاح الجوهري ، ولكنه يمتاز عنها كلها بما يأتي:- أولاً:- أنه رَتَّبَه على حُرُوف المعجَم باعتبار الحرف الأول من الثلاثي المجرد. ثانياً:- أنه جمع فيه كثيرًا من الألفاظ العامية وفَسَّرَها بالألفاظ الفصحى! ثالثاً:- أوضح كثيرًا من أُصُول الألفاظ الأعجمية كان أصلها مجهولًا أو مهملًا. رابعاً:- أنه أدخل فيه كثيرًا من المصطلَحات التي حدثتْ في اللغة بحُدُوث العلوم الحديثة المنقولة عن اللغات الأعجمية ، فضلًا عن بسط عبارته وسهولتها. فجاء كتابًا وافيًا بغرض طلاب اللغة العربية ، تفهمه العامة وترضى به الخاصة ، طبعه في مجلدَين كبيرَين ، واستخرج منه مختصرًا سمَّاه قطر المحيط ، أصغر منه حجمًا ، خصَّصه لتلامذة المدارس ، فشاع استعمالُ الكتابين في سائر أنحاء سورية وغيرهما ، فلما تم طبعُهُما رفع نسخةً من محيط المحيط إلى حضرة الشاهانية ، ونسخةً إلى الصدارة العُظمى ، وأُخرى إلى نظارة المعارف بالآستانة ، فوقع عملُهُ هذا موقع الاستحسان ، فأجازتْه الحضرة السلطانية بالجائزة الأولى التي ينالها المؤلفون ، وهي مائتان وخمسون ليرة عثمانية ، وأنعمت عليه بالنيشان المجيدي من الدرجة الثالثة! ولكنه رأى — بعدئذٍ — أن يتوسَّع في مشروعه هذا ، فعوَّل على تأليف قاموسٍ شاملٍ كامل لسائر العلوم على اختلاف مواضيعها وأزمانها ، فشرع فيه عام ١٨٧٥م يعاونه به ولده سليم وبعض الكتاب، وسماه «دائرة المعارف» ، وهو كتابٌ فريدٌ لم ينسج على منواله في اللغة العربية ، فأصدر منه ستة مجلدات ، وتُوُفي وهو في بدء السابع ، فأتم السابع والثامن ابنه سليم ، ولكنه تُوُفي قبل الشروع في التاسع ، فأصدر أبناؤُهُ الباقون الجُزء التاسع بمعاضدة ابن عمهم سليمان أفندي البستاني ، ثم حالت موانعُ أدت إلى إيقاف العمل في بيروت ، ومضت على ذلك بضع سنوات إلى أن قَدِم القاهرة سليمان أفندي — المشار إليه — ، وأخذ في إتمام الدائرة مع ابنَي عمه نجيب أفندي ونسيب أفندي البستاني ، فصدر الجزء العاشر ثم الحادي عشر. وكانت وفاته في أول أيار (مايو) سنة ١٨٨٣م فجأة بِعِلَّة في القلب ، فطار خبر مَنعاه في البلاد ، فاهتزت له أنحاء سورية ؛ لأن بفقده فقد الوطن السوري ركنًا من أقوى أركانه في نهضته الأخيرة ، فبكاه الأهل والأصدقاء ، وأبَّنه الخطباء والعلماء ، ورثاه الكتَّاب والشعراء! وأشهر مؤلفاته: دائرة المعارف ، ومحيط المحيط ، وقطر المحيط ، وكشف الحجاب ، ومسك الدفاتر ، ومفتاح المصباح في الصرف والنحو ، وكتب أُخرى ورسائل عديدة للتثقيف والتهذيب ، فضلًا عن ترجمة الكتب الأدبية الأخرى ، وأنشأ ثلاث جرائد: الجنان ، والجنة ، والجنينة. ومن مشروعاته: المدرسة الوطنية ، وقد رأس مدرسة الأحد في بيروت خمس عشر سنة ، وترجم لها عدةَ رسائل دينية ، دعا فيها إلى تربية الأولاد والإمساك عن المسكرات ، وسنَّ قانونًا للمدرسة الداوودية التي أنشأها المرحوم داود باشا ، وكان كثير الحَثِّ على تعليم النساء ، وهو أولُ من خطب في هذا الموضوع بالشرق ، وله خطبٌ كثيرةٌ تلاها على منابر بيروت وفي جمعياتها ، ومقالات جمة نشرها في جرائده ، كلها فوائدُ ، وقد وصفنا كتبه في أثناء ترجمة حياته. وكان رَبعة ، ممتلئ الجسم سمينًا ، قوي البنية ، ولولا ذلك ما استطاع القيام بما عني به من المشروعات العقلية والإدارية ، وكان حازمًا نشيطًا ، لا يفتر عن التفكر في مشروع يشرع فيه أو عمل يعملُهُ لخدمة وطنه ، فإذا بدأ بعمل أَكَبَّ عليه بكلِّيته مواصلًا العمل للقيام به ، وكانوا إذا افتقدوه ليلًا أو نهارًا عثروا عليه في مكتبه بين كُتُبه وأوراقه. وكان

ثابتَ الجنان ، قادرًا على الأعمال ، لا يأخذُهُ مللٌ ولا ضجرٌ مع ما يعترض المشروعات العلمية والأدبية في بلادنا من العقبات مما يثبِّط العزيمةَ ويُضعف العزم ؛ وخصوصًا في أيامه ؛ فقد نبغ في عصرٍ لم تتوافر فيه معدات الطبع والنشر ، ولا اعتاد فيه الناس مطالعةَ الجرائد والإقبال على المؤلَّفات ، ومع ذلك فإنه عمل أعمالًا يقصر عن القيام بها عدةٌ من الرجال الأقوياء ؛ فكان يؤلِّف ويعلِّم ويترجم ، ويُدير أعماله ويُكاتب عمَّاله وأصدقاءه ، ويضبط حساباته ويدير مدرسته علمًا وعملًا ، ناهيك بما كان يقومُ به من المساعدات الأدبية لمن يَقصده من المستشيرين والمستعينين ، فيقضي حاجاتهم ، ويحضر اجتماعات الجمعيات ، ويقدِّم الخُطب والمواعظ ، وهو مع ذلك يستقبل الزائرين بوجهٍ باشٍّ، فلا يرجع أحدهم من بين يديه إلا شاكرًا حامدًا معجبًا بلطفه وغيرته. وكان مخلصَ الطوية ، دمث الأخلاق ، لين العريكة ، صادق النية ، محبًّا لوطنه ودولته ، كريم الخلق ، بعيدًا عن التعصب ، كارهًا للتملُّق والرياء ، وكان سخيًّا على المشروعات الأدبية ، بسيطَ المعشر ، حسن المحاضرة ، يسترضي جليسه شابًّا كان أو شيخًا ، ويخاطب كُلًّا بما يناسب ذوقه وأخلاقه ، وكان يَعتقد أن المصالح العامة أساسُ كل تقدم ، فيبذل جهده في تأييدها متخذًا الصدق شعارًا والنشاط عمادًا. وكان مع ذلك رفيعَ الجناب ، وقورًا محترمًا ، لم يجالسْه أحدٌ إلا خرج وفي نفسه انعطافٌ إليه ، وفي قلبه احترام له ، فكان حيثما ذكر اسمه قُرِن بالمدح والثناء والتجلَّة والوقار ، فنال مقامًا رفيعًا في نفوس ذوي الوجاهة والمقامات الرفيعة وأهل الفضل على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ، وكان من أشدهم صداقة له الدكتور كرنيليوس فانديك ؛ فقد ساكنه وآكله وشاربه زمنًا طويلًا كانا معًا أخوين متصافيين ، فلما تُوُفي صاحب الترجمة رثاه الأستاذ بلسان الصديق ، وبكاه بدموع الأخ الشقيق).هـ. والآن لنطالع قصيدتنا في بكاء الضاد على رحيل بطرس البستاني!)

تَبكيـــك ضـــادُ العُـــرْب يـــا (بُســـتاني)! والـــدَّمعُ هَـــيَّجَ ســـادنَ الأشـــجانِ

والوَجـــدُ آلمهـــا ، وشـــط بهـــا النـــوى وتوزهـــــا عينـــــانِ ذابلتـــــان

تبكيـــــك أســـــتاذاً لرفعتهـــــا انبـــــرى ليَصُـــدَّ عنهـــا هجمـــة الـــذؤبان!

ليـــــدُك تغريبـــــاً يُشِـــــينُ جمالهـــــا ويَمُـــــجُ الاستشـــــراقَ باســـــتهجان

ليقـــــول للحُسَّـــــاد كُفـــــوا غـــــيظكم! وحـــــدي ســـــأخمِدُ ســـــاعرَ الشـــــنآن!

وحـــــدي سأصْـــــلِيكم بخيـــــر أدلتـــــي وأســـوقُ فـــي ســـاح الـــوَغى بُرهـــاني

الضـــادُ أشـــرفُ مِـــن تجنـــي مُبطِـــل فـــي مَعـــرض التنظيـــر ســـوف يرانـــي

يـــا مُغرضُـــون سَـــبَرْتُ فحـــوى كيـــدِكم مـــا كـــان فـــي سِـــر وفـــي إعـــلان!

ولكُـــــم كتبـــــتُ معارفـــــاً حَبَّرتُهـــــا دُرَراً يُغلفهـــــا عطيـــــرُ بيـــــاني

أكـــرمْ بـــ (ـــدائرة المعـــارف) مَرجعـــاً! ســـلوى المُحِـــب ومَوئِـــلُ الحَيـــران!

موســـــوعة وطنيـــــة قوميـــــة لغويـــــة مَوضُـــــونة التبيـــــان!

تسَـــعُ اصـــطلاحاتٍ زكـــتْ أوصـــافها ... مثـــلُ البـــواخر أرســـيتْ بمَـــواني

شـــملتْ حضـــارتكم ، ولـــم تعبـــأ بهـــا ... واســـتوعبتْ مـــا جـــال فـــي الأذهـــان!

وسَـــلوا التـــراجمَ أشـــرقتْ أنوارُهـــا ... وأتـــتْ لنـــا مـــا لـــيس فـــي الحُســـبان

نقلـــتْ ثقافـــاتٍ ، وجَلّـــتْ عالَمـــاً ... هـــو والخفـــاءُ – حقيقـــة سِـــيَّان

ونقشـــتُ (قاموســـي المحـــيط) مُنقحـــاً ... ووضـــعتُ أحرفـــه علـــى الميـــزان

وعلـــى حـــروف المُعجـــم ازدادَتْ حَـــلا ... لتُفِيـــدَ مَـــن يـــأوي إلـــى اســـتبيان

وسَـــطرْتُ تعريبـــاً لألفـــاظٍ جـــرتْ ... عامِّيـــة نطقـــتْ بكـــل لِســـان

وأضـــفتُ مِـــن بعـــض الـــدخيل مَعانيـــاً ... لتكـــون مثـــلَ الـــوَرد فـــي البســـتان

وكتبـــتُ قاموســـاً لأعـــلام الـــدنا ... ممـــن تمَيَّـــز فـــي بنـــي الإنســـان

اليـــومَ تبكيـــك المـــدائنُ والقـــرى ... يـــا بالغـــاً بالضـــاد أعظـــمَ شـــان

إنـــا افتقـــدنا فيـــك نِحريـــراً حبـــا ... ضـــادَ العُروبـــة أعظـــمَ التيجـــان

فتراثـــك اللغـــوي زادٌ طيِّـــبٌ ... ألفاظـــه فاقـــتْ نفـــيسَ جُمـــان!

مَهَّـــدْت بالتـــأليف دَربـــاً مُوحِشـــاً ... واللاحقـــون عَلـــوْك بالشـــكران

أهـــديتهم نـــوراً يُضِـــيئ ســـبيلهم ... فاستبصـــروا بالرُّشـــدِ والرُّجحـــان

والضـــادُ أهـــدتْك المَـــدائحَ جَمَّـــة ... تســـمو بصِـــيتك فـــي جِـــوا البُلـــدان

ولـــئنْ تعقبَهـــا التوَجُّـــدُ والأســـى ... غـــدَتِ المَراجـــعُ أعـــذبَ الســـلوان

نعـــمَ القـــواميسُ احتفـــتْ بمُريـــدِها ... إذ ألفـــتْ بمهـــارةٍ وتفـــان

تفنـــى (الدِّبَيَّـــة) ، ثـــم يبقـــى (بُطـــرسٌ) ... علمـــاً ســـما فـــي الضـــاد والعُربـــان

وعلـــى رُبـــا (بيـــروتَ) يَحتفـــلُ المَـــدى ... بـــك يـــا (مُعلـــمُ) ســـائرَ الأزمـــان!

بقدر احترامي كان احتقاري!

(إنه رجلٌ أخذتْه الغيرة على الأعراض الرخيصة التي تصعدُ إلى الطائرة بالعباءات السوداء السابغة الفضفاضة ، وعند النزول من الطائرة تُتركُ هذه العباءات على الكراسي! فأمسك بعباءتين منها ، وأنشأ يقول: إنه بقدر احترامي لصويحبات هذه العباءات – بقدر احتقاري لهن! عجبتُ لمن يُلقين بمبادئهن وأخلاقهن وقيمهن على الأرض ، غير عابئاتٍ بإهانة البلاد ، ولا بغضب ربِّ العباد! لقد كتب على حسابه تحت عنوان: (العباءات البريئة) في (تويتر) وفي (الفيس بك) هذا الطيار الأمريكي (جي إف كي) يقول بالنص:- تفاجأتُ عندما صعدتِ الطائرة نساءٌ من بلادهن العربية المسلمة بالعباءات محتشمات ، فغضضتُ بصري احتراماً وحياءً لحِشمتهن ووقارهن! وعندما هبطت الطائرة ونزل ركابها ، وجدتُ العباءات خلف الكراسي قبل نزولهن مطار كذا الدولي! قال ذلك وهو يضحكُ على تلك العقول الخاوية التي رَمتْ مبادئها بمجرد خروجها من بلادها ، هذا هو حال بعض نسائنا للأسف! وسُئِل ابن باز رحمه الله تعالى:- ما حكم لبس الحجاب في الخارج بحيث يكون اللبس محتشمًا ، والوجه خالٍ من الزينة ؛ لأن تغطية الوجه بالكامل يجعل الآخرين ينظرون إلى المتغطية بشكٍ وريبة ، وربما يتبعونها بشكل مجموعات ، نرجو التوضيح في هذه المسألة ، جزاكم الله خيرًا ، وهل يجوز وضع النقاب – اللثمة - بحيث تظهر العينان فقط؟ فأجاب الشيخ بقوله: إن الحجاب واجب في السفر والحضر ، وعند الأجانب وغير الأجانب ، من الكفرة وغيرهم ، ليس للمرأة أن تكشف الحجاب عند الكفرة في بلاد الكفار ، بل عليها أن تستر بدنها ووجهها كما تستره عند المسلمين ، وليس لها أن تحتج باستنكارهم لذلك ، فهؤلاء المشركون وهؤلاء الكافرات إذا جاؤوا إلى بلاد المسلمين يبقون على حالهم وعلى زيهم وهم كفار ، فالمرأة المؤمنة أولى وأولى بأن تلزم زيها الإسلامي ، ولو سخر منها من سخر ، ولو استنكره من استنكره من الكفرة. ولا مانع من لبس البرقع لإظهار عين أو عينين فقط ، مع ستر جميع الوجه كما تقدم ، ولكن الحجاب الكامل هو أفضل منه ؛ لأن بعض الناس قد يفتن بالعين ، فإذا سترت وجهها بالخمار ؛ كان أكمل ، وإذا أبدت العين أو العينين فلا حرج في ذلك ، وإن جعلت فوق ذلك خمارًا أو غيره لا يمنع الرؤية ؛ فلا بأس فهو أكمل).هـ. وجاء في (إسلام ويب) سؤال وجواب:- السؤال هو: (أنا وزوجتي ملتزمان دينياً - والحمد لله - وزوجتي محافظة على لبس العباءة والحجاب ، وقد قمنا بالتخطيط للذهاب إلى أحد المنتجعات في إحدى الدول الأجنبية لقضاء الإجازة ، وبعد أن قمنا بعمل جميع الحجوزات ، وقبل السفر بعدة أيام اكتشفتُ أن هذا المنتجع لا يسمح للمحجبات بدخول المنتجع ، وقد حاولت إلغاء الحجز بشتى الوسائل دون جدوى ، وقد سولت لنا أنفسنا أن نذهب إلى المنتجع ، ونقضي إجازتنا دون أن تلتزم زوجتي بالحجاب في تلك الأيام ، وبعد عودتنا من الإجازة شعرنا بهذا الذنب العظيم الذي ارتكبناه واحترنا في أمرنا ، حتى شعرت أن سخط الله قد ينزل علينا في أية لحظة ، ونحن لا نقصد أن تخلع زوجتي حجابها أبداً ، فهل هذا الذنب يوجب سخط الله علينا؟ وهل لهذا الذنب كفارة؟ وما هي نصيحتكم لنا حتى نزيل الهم والقلق الذي نزل بنا من هذا الذنب؟!) ، فكانت الإجابــة: (إن الحجاب قد فرضه الله تعالى على المرأة المسلمة ، فلا يجوز التفريط فيه لأدنى سبب ، ولا سيما إن كان ذلك لمثل هذا الغرض الدنيوي ، فالمؤمن يتنازل عن دنياه لأجل دينه ورضا ربه لا العكس ، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ). فما أقدمتما عليه لا ريب في أنه إثمٌ عظيم ، قد يستوجب سخط الله تعالى ، وما ضرك لو أنك تركت مثل هذا المال ابتغاء

مرضات الله ، وهو مما يوشك رب العزة والجلال أن يعوضك خيراً منه ، ففي مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنك لن تدع شيئا اتقاء الله تبارك وتعالى إلا آتاك الله خيرا منه. ثم كيف أمنتما أن يُدرككما الموت وأنتما على ذلك الحال ، وفي ذلك المكان ، ولكن مهما عظم الذنب فمغفرة الله أوسع وفضله أكبر ، فهو سبحانه قد دعا المسرفين على أنفسهم إلى التوبة ، فالواجب عليكما التوبة إلى الله سبحانه ، ولا كفارة لهذا الذنب إلا التوبة ، وينبغي أن تحسنا الظن بربكما ، وأن تُقبلا على طاعته ، ولا تيأسا من رحمته).هـ. فتخيلتُ الطيار الأمريكي يستهجن السلوك المزدوج الشاذ من المنهزمات السواقط اللائي صعدن الطائرة حشيمات محترمات ، وهبطن منها متبرجاتٍ سافراتٍ ، مائلات مميلات! وأنشدتُ قصيدتي على لسانه!)

خَلعـــــن المبـــــادئَ يـــــا للأســـــى ... فبـــثْن بمـــا جـــئْن أشـــقى النســـا

وكنـــــتُ أوَقـــــرُ سَـــــمْت الحيـــــا ... وسِـــــتراً علـــــى مَـــــنهج أسِّســـــا

فأغمضـــــــتُ عَينَـــــيَّ مســـــتعظماً ... جمـــــالاً بـــــداجي الســـــواد اكتســـــى

حَبتْـــــــه العبـــــاءاتُ أســـــتارَها ... فبـــــات بإســـــدالها أنفســـــا

فـــــأكْبرتُهن ، وقلبـــــي بكـــــى ... وفـــــي الطهـــــر عقلـــــي الـــــرزينُ رســـــا

وقلـــــتُ: العقائـــــلُ أحرَجْننـــــي ... وأذهـــــبْن مـــــا هـــــالني مِـــــن أســـــى

أطلـــــن الجلابيـــــبَ ، أرســـــلنها ... وغطـــــين بـــــالأثوُب الأروســـــا

وأدنـــــين منهـــــا ، فحَـــــلَّ الخفـــــا ... وعُمِّـــــيَ حُســـــنٌ بمـــــا ألبســـــا

فمـــــا عُرفـــــتْ (هنـــــدُ) مـــــن (عَـــــزةٍ)! ... ولـــــم تُبصـــــرَنْ أعـــــيُنٌ (سُندســـــا)

وكـــــان لهـــــن سَـــــنا مِشـــــيةٍ ... تُخـــــامِرُ لـــــيلاً إذا عسعســـــا

فحـــــولن نَـــــصَّ الكتـــــاب إلـــــى ... حقـــــائقَ تســـــتنطقُ الفهرســـــا

جَلائـــــلَ يَمشِـــــين فـــــي عـــــالم ... غـــــدا بالخنـــــا والزنـــــا أتعســـــا

كَوامـــــلَ يحيـــــين وفـــــق الهُـــــدى ... وطِـــــبْن بتطبيقـــــه أنفســـــا

فلمـــــا انقضـــــتْ رحلـــــة ، وانتهـــــى ... رحيـــــلٌ بصـــــبح غـــــدا مُشمِســـــا

رأيـــــتُ العبـــــاءاتِ تشـــــكو الجفـــــا ... وكـــــادتْ مـــــن الوصـــــل أنْ تيأســـــا

تقـــــول: رُمِيـــــتُ علـــــى مقعـــــدٍ ... كتُـــــرب جـــــدير بـــــأن يُكنســـــا!

فأمســـــكتُها مشـــــفقاً عاتبـــــاً ... فمـــــا كـــــان لـــــي قـــــط أن ألمســـــا!

صـــــــواحبُهن قلـــــــين الهُـــــــدى وقلبـــــــي علـــــيهن فـــــوراً قســـــا

وضـــــجَّ احترامـــــي الـــــذي كِلتُـــــه فـــــأحرى بـــــه الآن أن يُحبســـــا

وفـــــاضَ احتقـــــاري الـــــذي ذِعتُـــــه وحُـــــق لـــــوجهيَ أن يعبســـــا

وعِبـــــتُ التصـــــرُّفَ مُســـــتهجناً ونهجـــــاً أردتُ بـــــأن يُغرســـــا

عســـــايَ أزيـــــلُ أســـــى طـــــاقمي لقـــــد ينفـــــعُ اليـــــومَ لفـــــظ (عســـــى)!

فهـــــذي النســـــاوينُ مِـــــن (يثـــــربٍ) ولســـــتُ أراهـــــن مِـــــن (رُودِســـــا)!

بُنيـــــاتُ (يَعـــــرُبَ) يـــــا ســـــائلي فهـــــل (يَعـــــربٌ) قـــــد غـــــدا (ماركســـــا)؟!

حشـــــيماتُ دار يعشْـــــن بهـــــا فإمـــــا رَحلـــــن خلعـــــن الكِســـــا

لـــــزمْن الســـــفورَ وهتـــــك الحيـــــا تـــــبعن بمـــــا جئنـــــه (أحمُســـــا)

وهـــــذي بضـــــاعتُنا أرجعـــــتْ إلينـــــا ، وجيلـــــي بهـــــا أركِســـــا!

فشـــــتان بـــــين الحجـــــاب أتـــــى بعِلـــــم حَـــــري بـــــأن يُدرَســـــا

وتوحيـــــد رب لـــــه أعبُـــــدٌ وزوجـــــاتُهم مـــــن كِـــــرام النســـــا

وبـــــين الحجـــــاب أتـــــى عـــــادة وعُرفـــــاً ترسَّـــــخَ واستُؤنســـــا!

شجر الدر بين الرق والملك!

(لا أعلم امرأة في التاريخ دار عليها جدلٌ كبيرٌ كالجدل الذي دار على هذه المرأة! لقد جعل منها بعض الباحثين صِدِّيقة من ربات الفضل والجُود والكرم ، وجعل منها آخرون ملكة عظيمة ذات حكمةٍ ورأي وسداد ، وجعل منها آخرون عاشقة ولهانة تصل بعشقها إلى كرسي الحكم ومقاليد الأمور في الدولة! وتأتي هذه القصيدة في إنصافها بعض الشيئ ، اعتماداً على صحيح التاريخ! شجرة الدر الملكة الظالمة المظلومة ، والسلطانة المفترية والمُفترى عليها! ولقد عبث في سيرتها وسُمعتها وصيتها الحاقدون من أهل زمانها ، والمستشرقون والعابثون والمفلسون والمفسدون في الأرض من أهل زماننا! وطبعاً لن نعتمد عل واحدٍ من هؤلاء المغرضين الجهلاء ، كما أننا لن نعول كثيراً على الأفلام والمسلسلات والمسرحيات التي تناولتها بإسفاف أو باحترام! وأي عاقل يعول على الفن في تحقيق مسألة؟! قال عنها الذهبي في تاريخه: (كانت شجر الدُّر بارعة الجمال ، ذات رأي ودهاء وعقل ، ونالت من السعادة ما لم ينلها أحد من نساء زمانها ، وكان الملك الصّالح يحبّها ويعتمدُ عليها ، ولما تُوفّي على دِمياط أخفَت موته ، وكانت الأمراء والخاصية يحترمونها ويُطيعونها ، وملّكوها عليهم أيامًا ، وتسلطنت وخُطب لها على المنابر). من هي شجرة الدر؟ شجرة الدر أو شجر الدر: ملقبة بـ (عصمة الدين أم خليل) ، خوارزمية الأصل ، هي جارية اشتراها السلطان الصالح "نجم الدين أيوب" ، وحظيت عنده بمكانة عالية وأحبها ، فأعتقها وتزوجها. وأما عن صفات شجرة الدر: فشجرة الدر اسم عظيم في التاريخ الإسلامي: (إن شئت الشجاعة ، وإن شئت الفطنة ، وإن شئت الغضب ، وإن شئت الغدر) ، كل هذا تجمع في هذه المرأة! جاء في الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) عن شجر الدر ما نصه بتصرف زهيد: (شجر الدرّ (أو شجرة الدّر) ، (ت 1257) الملقبة بعصمة الدين أم خليل ، خوارزمية الأصل ، وقيل أنها أرمينية أو تركية. كانت جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها وتزوجها وأنجبت منه ابنها خليل الذي توفي في 2 من صفر 648 هـ (مايو 1250م). تولت عرش مصر لمدة ثمانين يومًا بمبايعة من المماليك وأعيان الدولة بعد وفاة السلطان الصالح أيوب ، ثم تنازلت عن العرش لزوجها المعز أيبك التركماني سنة 648 هـ (1250م). لعبت دورًا تاريخيًا هامًا أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر وخلال معركة المنصورة. أنت شجرة الدر جارية من أصل تركي أو خوارزمي وقيل إنها أرمنية. اشتراها الصالح أيوب قبل أن يكون سلطاناً ، ورافقته في فترة اعتقاله في الكرك سنة 1239 مع مملوك له اسمه ركن الدين بيبرس الصالحي (ليس الظاهر بيبرس الذي أصبح سلطاناً لاحقاً سنة 1260م) وأنجبت ولد اسمه خليل. لُقِبَ بالملك المنصور. وبعد ما خرج الصالح من السجن ذهبت معه إلى مصر وتزوجا هناك.وبعد أن أصبح سلطان مصر سنة (1240 م) بقيت تنوب عنه في الحكم عندما يكون خارج مصر. في أبريل 1249 م كان الصالح أيوب في الشام يحارب الملوك الأيوبيين الذين الذي أصبح -(Louis IX)ينافسونه على الحكم وصلته أخبار أن ملك فرنسا لويس التاسع قديساً بعد وفاته. في قبرص ، وفي طريقه لمصر على رأس حملة صليبية كبيرة حتى يغزوها بالقرب من دمياط على البر الشرقي للفرع الرئيسي للنيل ، حتى يجهز الدفاعات لو هجم الصليبيون. وفعلاً، في يونيو 1249 م نزل فرسان وعساكر الحملة الصليبية السابعة من المراكب على بر دمياط ونصبوا خيمة حمراء للملك لويس. وانسحبت العربات التي كان قد وضعها الملك الصالح في دمياط للدفاع عنها فاحتلها الصليبيون بسهولة وهي خالية من

سكانها الذين تركوها عندما رأو هروب العربات. فحزن الملك الصالح وأعدم عدداً من راكبي العربات بسبب جبنهم وخروجهم عن أوامره. انتقل الصالح لمكان آمن في المنصورة.وفي 23 نوفمبر 1249 م توفي الملك الصالح بعد أن حكم مصر 10 سنين وفي لحظة حرجة جداً من تاريخها. استدعت شجرة الدر قائد الجيش المصري «الأمير فخر الدين يوسف» ورئيس القصر السلطاني «الطواشي جمال الدين محسن» ، وقالت لهم إن الملك الصالح توفي وأن مصر الآن في موقف صعب من غير حاكم ، وهناك غزو خارجي متجمع في دمياط. فاتفق الثلاثة أن يخفوا الخبر حتى لا تضعف معنويات العساكر والناس ويتشجع الصليبيون. وفي السر ومن غير أن يعلم أحد نقلت شجرة الدر جثمان الملك الصالح في مركب على القاهرة ووضعته في قلعة جزيرة الروضة. ومع أن الصالح بن أيوب لم يوص قبل أن يموت بمن يمسك الحكم من بعده ، إلا أن شجرة الدر بعثت زعيم المماليك البحرية «فارس الدين أقطاى الجمدار» على حصن كيفا حتى يستدعي «توران شاه» ابن الصالح أيوب ليحكم مصر بدل أبيه المتوفى. قبل أن يتوفى الصالح أيوب كان أعطى أوراقاً على بياض لشجرة الدر حتى تستخدمها لو مات. فبقيت شجرة الدر والأمير فخر الدين يصدران الأوامر السلطانية على هذه الأوراق. وقالا إن السلطان مريض ولا يستطيع مقابلة أحد. وكان يتم إدخال الطعام للغرفة التي كان من المفروض أن يكون نائماً فيها حتى لا يشك أحد. وأصدرا أمراً سلطانياً بتجديد العهد للسلطان الصالح أيوب وتنصيب ابنه توران شاه ولي عهد للسلطنة المصرية، وحلفا الأمراء والعساكر. وتم انتصار المماليك على الحملة الصليبية السابعة ، وتم أسر لويس التاسع ملك فرنسا يُأسر في فارسكور. وصلت أخبار وفاة الصالح أيوب للصليبيين في دمياط بطريقة ما. وفي نفس الوقت وصلت إلى دمياط إمدادات أخ الملك لويس. فتشجع الصليبيون (Alphonse de Poitiers) «مع «الفونس دو بويتي وقرروا الخروج من دمياط والتوجه للقاهرة. واستطاعت قوات من الفرسان الصليبيين ، بقيادة أخ الملك لويس ، اجتياز قناة اشموم عن طريق مخاضة (Robert d'Artois)روبرت دارتوا عرفوها عن طريق أحد قادة العربات. فهجموا فجأة على المعسكر المصري في جديلة على بعد حوالي 3 كليومتر من المنصورة. قتل الأمير فخر الدين يوسف وهو خارج من الحمام على صوت الضجة والصريخ فهربت العساكر التي بغتها الهجوم غير المتوقع وذهبوا إلى المنصورة. عرض الأمير ركن الدين بيبرس على شجرة الدر ، الحاكمة الفعلية لمصر في هذا الوقت ، خطة وضعها يدخل فيها الفرسان الصليبيون المندفعون نحو المنصورة في مصيدة فوافقت شجر الدر على الخطة. اجتمع بيبرس وفارس الدين اقطاي الذي أصبح القائد العام للجيوش المصرية. نظم صفوف العساكر المنسحبين من جديلة داخل المنصورة وطلب منهم ومن السكان التزام السكون التام بحيث يظن الصليبيون المهاجمون أن المدينة خالية مثل ما حصل في دمياط. وفعلاً وقع الفرسان الصليبيون في الفخ واندفعوا إلى داخل المنصورة واتجهوا نحو القصر السلطاني حتى يحتلوه. فخرجت لهم المماليك البحرية والمماليك الجمدارية فجأة وهاجموهم من كل ناحية بالسيوف والسهام وخرج سكان المنصورة والمتطوعون وهم يرتدون خوذ من النحاس الأبيض بدل خوذات العساكر وضربوهم بكل ما أوتوا من قوة. حاصر المماليك القوات الصليبية المهاجمة وأغلقوا الشوارع والحواري وبقي الصليبيون غير قادرين على الهروب ولم يبق أمامهم سوى الموت على الأرض أو أن يرموا أنفسهم في نهر النيل ويغرقوا فيه. اختبأ «روبرت دارتوا» أخ لويس داخل بيت لكن الناس وجدوه وقتلوه ، وانتهت المعركة بهزيمة الصليبيين هزيمة منكرة في حواري المنصورة. وقتل منهم عدد كبير لدرجة

أنه لم ينج من فرسان المعبد إلا واحد أو اثنان. هذا كان أول ظهور للمماليك البحرية داخل مصر كمقاتلين يدافعون عن مصر. وفي تلك اللحظة كان تاريخ مصر والمنطقة التي حولها يتشكل عن طريق شجرة الدر ورجال دخلوا تاريخ مصر والعالم مثل الظاهر بيبرس عز الدين أيبك وقلاوون الألفي وغيرهم. وتم التخلص من توران شاه ، فقد اغتيل سنة 1250 م ، بعد النصر تنكر السلطان الجديد لشجرة الدر ، وبدلاً من أن يحفظ لها جميلها بعث يتهددها ويطالبها بمال أبيه ، فكانت تجيبه بأنها أنفقته في شؤون الحرب وتدبير أمور الدولة ، فلما اشتد عليها ، ورابها خوف منه ذهبت إلى القدس خوفًا من غدر السلطان وانتقامه. ولم يكتف توران شاه بذلك بل امتد حنقه وغيظه ليشمل أمراء المماليك ، أصحاب الفضل الأول في تحقيق النصر العظيم وإلحاق الهزيمة بالحملة الصليبية السابعة ، وبدأ يفكر في التخلص منهم غير أنهم كانوا أسبق منه في الحركة وأسرع منه في الإعداد فتخلصوا منه بالقتل على يد أقطاي. وجد المماليك أنفسهم في وضع جديد ؛ فهم اليوم أصحاب الكلمة الأولى في البلاد ومقاليد الأمور في أيديهم ، ولم يعودوا أداة في يد من يستخدمهم لتحقيق مصلحة أو نيل هدف وعليهم أن يختاروا سلطانًا للبلاد. وبدلاً من أن يختاروا واحدًا منهم لتولي شؤون البلاد اختاروا شجرة الدر لتولي هذا المنصب الرفيع. أخذت البيعة للسلطانة الجديدة ونقش اسمها على السِّكة بالعبارة الآتية (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة خليل أمير المؤمنين). والجدير بالذكر أن شجرة الدر لم تكن أول امرأة تحكم في العالم الإسلامي ، فقد سبق أن تولت رضية الدين سلطنة دلهي واستمر حكمها أربع سنوات (634 - 638 هـ) الموافق (1236 - 1240م). وحكمت أروى بنت أحمد الصليحي من سلالة بنو صليح اليمن من تاريخ (492 - 532 هـ) الموافق (1098 - 1138م. وتمت تصفية الوجود الصليبي. وما إن جلست شجرة الدر على العرش حتى قبضت على زمام الأمور وأحكمت إدارة شؤون البلاد ، وكان أول عمل اهتمت به هو تصفية الوجود الصليبي في البلاد وإدارة مفاوضات معه انتهت بالاتفاق مع الملك لويس التاسع (القدّيس كما يسمّيه قومه) ، الذي كان أسيرًا بالمنصورة ، على تسليم دمياط وإخلاء سبيله لويس وسبيل من معه من كبار الأسرى مقابل فدية كبيرة قدرها ثمانمائة ألف دينار ، يدفع نصفها قبل رحيله والباقي بعد وصوله إلى عكا ، مع تعهد منه بعدم العودة إلى سواحل البلاد الإسلامية مرة أخرى. غير أن الظروف لم تكن مواتية لأن تستمر في الحكم طويلاً على الرغم مما أبدته من مهارة وحزم في إدارة شؤون الدولة وتقربها إلى العامة وإغداقها الأموال والإقطاعات على كبار الأمراء. لقيت معارضة شديدة داخل البلاد وخارجها ، وخرج المصريون في مظاهرات غاضبة تستنكر جلوس امرأة على عرش البلاد ، وعارض العلماء ولاية المرأة الحكم وقاد المعارضة العز بن عبد السلام لمخالفة جلوسها على العرش للشرع. وفي الوقت نفسه ، ثارت ثائرة الأيوبيين في الشام لمقتل توران شاه وأغتصاب المماليك للحكم بجلوس شجرة الدرّ على سدة الحكم ، ورفضت الخلافة العباسية في بغداد أن تقرّ صنيع المماليك ، فكتب الخليفة المستعصم إليهم: (إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسيّر إليكم رجلاً). ولم تجد شجرة الدرّ إزاء هذه المعارضة الشديدة بدًا من التنازل عن العرش للأمير عز الدين أيبك أتابك العسكر الذي تزوجته ، وتلقب باسم الملك المعز ، وكانت المدة التي قضتها على عرش البلاد ثمانين يوماً. وإذا كانت شجرة الدر قد تنازلت عن الحكم والسلطان رسمياً ، وانزوت في بيت زوجها ، فإنها مارسته بمشاركة زوجها مسؤولية الحكم ، فخضع هذا الأخير لسيطرتها ، فأرغمته على هجر زوجته الأولى أمّ ولده علي وحرّمت عليه زيارتها هي وابنها ، وبلغ من

سيطرتها على أمور السلطان أن قال المؤرخ الكبير «ابن تغري بردي»: (إنها كانت مستولية على أيبك في جميع أحواله ، ليس له معها كلام). وساعدت شجرة الدر عز الدين أيبك على التخلص من فارس الدين أقطاي الذي سبب لهم مشاكل عديدة في حكم البلاد ، والذي كان يعد من أشرس القادة المسلمين في عصره، كما كان لكلمته صدى واضح في تحركات الجند في كل مكان. غير أن أيبك انقلب عليها بعدما أحكم قبضته على الحكم في البلاد ، وتخلص من منافسيه في الداخل ومناوئيه من الأيوبيين في الخارج ، وتمرس بإدارة شوؤن البلاد ، بدأ في اتخاذ خطوات للزواج من ابنة «بدر الدين لؤلؤ» صاحب الموصل. فغضبت شجر الدر لذلك وأسرعت في تدبير مؤامرتها للتخلص من أيبك ، فأرسلت إليه تسترضيه وتتلطف معه وتطلب عفوه ، فانخدع لحيلتها واستجاب لدعوتها وذهب إلى القلعة حيث لقي حتفه هناك في 23 ربيع الأول 655 هـ 1257م. أشاعت شجر الدرّ أن المعزّ لدين الله أيبك قد مات فجأة بالليل ، لكن مماليك أيبك لم يصدقوها فقبضوا عليها وحملوها إلى امرأة عز الدين أيبك التي أمرت جواريها بقتلها بعد أيام قليلة ، فقاموا بضربها بالقباقيب على رأسها وألقوا بها من فوق سور القلعة ، ولم تدفن إلا بعد عدة أيام. وهكذا انتهت حياتها على هذا النحو بعد أن كانت ملء الأسماع وتحت عنوان: (شجرة الدر: قصة تاريخية) ، يقول الأستاذ الأديب محمد سعيد والأبصار).هـ. العريان ما نصه: (تتحدث هذه القصة عن «شجرة الدُّرِّ» الملكة المشهورة في التاريخ ، تلك التي حكمتْ مصر في منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ويعدُّها بعض المؤرخين آخر ملوك الدولة الأيوبية ؛ ويعدُّها بعضهم أُولى سلاطين المماليك. وسبب هذا الخلاف أنَّ الملكة «شجرة الدُّرِّ» تُعتبرُ عضوًا من الأسرة الأيوبية ، وتعتبر في الوقت نفسه عضوًا من أسرة المماليك ؛ أمَّا أنها كانت عضوًا من الأسرة الأيوبية ؛ فلأنها كانت زوجةً للملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي ، ولا شكَّ أن زوجة الملك عضو من أسرته ، على أنها ـــ فوق ذلك ـــ أمُّ الأمير خليل ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، الذي كان يعدُّه وليًّا لعهده ، ويرشحه لولاية العرش من بعده. وأما أنها كانت عضوًا من أسرة المماليك ؛ فلأنها كانت جارية مملوكة قبل أن تكون زوجة للملك ؛ فكان المماليك لذلك يعدُّونها واحدة من أسرتهم ، ينتسبون إليها وتنتسب إليهم ، فلمَّا تولَّت الحُكم بعد وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كانت في رأي الناس واحدة من الأسرة الأيوبية التي تتوارث عرش مصر منذ عهد صلاح الدين الأيوبي ، ولكنَّها لما نزلت عن العرش بعد ذلك تولَّاه بعدها مملوك من مماليك الملك الصالح ؛ هو الأمير عزِّ الدين أيبك التركماني ، ثم صار عرش مصر بعد ذلك وراثة للمماليك ، يتوارثونه مملوكًا عن مملوك نحو ثلاثة قرون ـــ وتُسمى هذه الفترة في تاريخ مصر باسم «عصر سلاطين المماليك» ـــ لذلك لا يخطئ مَن يقول إنَّ تولِّي «شجرة الدُّرِّ» عرشَ مصر يعتبر أول عصر سلاطين المماليك ؛ لأنها كانت مملوكة مثل سائر المماليك الذين تولوا العرش بعدها. وشجرة الدُّرِّ ـــ أو شجر الدر كما جاء في بعض التواريخ ـــ اسمٌ مشهورٌ جدًّا في تاريخ مصر ، بل إنها تعتبر أشهر امرأة في هذا التاريخ ، لعدَّةِ أسباب منها: أنها أول امرأة وآخر امرأة تولَّت عرش مصر الإسلامية ، فلا نعرف امرأة قبلها ولا بعدها ـــ منذ أول عهد الإسلام إلى اليوم ـــ تولَّت عرش هذه البلاد ، تأمر وتحكم وتُولِّي وتعزل ، وتُسيِّر الجيوش للحرب ، وتوقع معاهدات الصلح ، وتُعيِّن الوزراء وتعقد الألوية للقواد ، ويُنقش اسمها على الدراهم والدنانير ، ويُدعى لها على المنابر في المساجد. ومنها: أنها كانت أول «مملوكة» تجلس على العرش ، فتصير ملكة يدِين لها الملايين

بالطاعة والولاء ، بعد أن كانت جارية مُشتراة بالمال ، يأمرها سيدها فتأتمر ، وينهاها فتنتهي. ومنها: أن عهدها كان حدًّا فاصلًا بين مرحلتين من مراحل التاريخ ؛ فقد كانت ولايتها آخر عهد الدولة الأيوبية ، وأول عهد المماليك. ومنها: أن عصرها كان مزدحمًا بالحوادث التاريخية العظيمة ؛ ففي عهدها انكسر الصليبيون كسرة شنيعة ، وكانوا قد زحفوا من فرنسا وسائر بلاد أوربة ، ليستولوا على مصر والشام ؛ فانهزموا عند مدينة المنصورة شرَّ هزيمةٍ ، وقُتل قُوَّادهم وأُسِرَ مَلكهم لويس التاسع ملك فرنسا ، واعتُقل في دار الأمير فخر الدِّين بن لقمان بالمنصورة ، فلم يُفرَج عنه إلا بعد أن افتدى نفسه بمال ، وعاهد على ألَّا يعودَ إلى غَزْوِ مصرَ. وفي عهدها كان قد بدأ زحف المغول من أواسطِ آسيا على البلاد الإسلامية للاستيلاء عليها وإذلال أهلها ، واستمرَّ زحفهم حتى استولوا على كثيرٍ من البلادِ الإسلاميةِ ، وتوغَّلُوا فيها يفتكون ويهتكون ويسفكون الدم ويحطِّمون العروش ، حتى أوشكوا أن يبلغوا حدُودَ مصرَ بعد أن قطعوا إليها مئات الآلاف من الأميال ؛ ثم كانت هزيمتهم الساحقة الماحقة على يد الجيش المصري في موقعة «عين جالوت» بفلسطين ، بعد وفاة شجرة الدُّرِّ بأمدٍ قليلٍ ، فلم تقم لهم قائمة بعد هذه الهزيمة التي لم ينهزموا قبلها قَط. وفي عهدها بدأت عادة تسيير المحمل في كلِّ عامٍ من مصر إلى الحجاز في موسم الحج ، يحمل كسوة الكعبة كما يحمل كثيرًا من المؤن والأموال لأهل بيت الله الحرام ، وتصحبه فِرقة كبيرة من الجيش المصري لحماية الحجاج. وما تزال هذه العادة مُتَّبعة إلى اليوم. وفي عهدها نَبَغَ كثيرٌ من الأدباء والشعراء المصريين الذين يُذكرون في تاريخ الأدب العربي ؛ كبهاء الدين زهير ، وجمال الدين بن مطروح وغيرهما. والآن فلنذكر طَرَفًا من التاريخ الذي يُعينُ على فهم حوادث هذه القصة. كانت مصر منذ دخلها الإسلام يحكمها أميرٌ من أمراء المسلمين ، يُعيَّنُ من قِبَلِ الخليفةِ ، في المدينة أو في دمشق أو في بغداد ، ويكونُ تابعًا له. وظلَّ الأمرُ كذلك إلى أن وَلي مصرَ الأميرُ أحمد بن طولون في مُنتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في عهد الخليفة المعتز العباسي ، فاستقلَّ ابن طولون بمُلك مصر ، وجعلها دولة مُستقلة له ولأولاده من بعده ، ولكن هذا الاستقلال لم يستمر إلا نحو خمسين سنة ؛ إذ ضعفت الدولة الطولونية ، فعادت مصر تابعة للخليفة العباسي في بغداد. واستمرَّت مصر تابعة لبغداد ثلاثين سنة أُخرى ، إلى أن وليها الأمير أبو بكر محمد الإخشيد في عهد الخليفة المقتدر العباسي ؛ ففعل مثل ما فعل ابن طولون من قبل ، واستقلَّ بمصر ، وصار عرشها وراثة له ولأولاده من بعده ، واستمرت «الدولة الإخشيدية» في مصر بضعًا وثلاثين سنة ، وكان آخر ملوكها كافور ؛ وهو عبدٌ مملوكٌ من مماليك بني الإخشيد. ثم ضعفت الدولة الإخشيدية، فطمع في مُلك مصر مَلكٌ من ملوك المغرب ، اسمه المعزُّ لدين الله الفاطمي ، فزحف عليها من تونس في جيشٍ كبيرٍ ، فملكها في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). وكان هذا الملك «المعزُّ لدين الله» يقولُ إنَّه من أبناء السيدة فاطمة بنت سيدنا محمد ﷺ؛ ومن أجل ذلك كان يُسمِّي نفسه «الفاطمي» ، ويرى أنه أحق بالخلافة من العباسيين في بغداد ؛ فأنشأ خلافة فاطمية في مصر ، وأعلن الاستقلال عن الخليفة العباسي في بغداد ، وصار عرش مصر وراثة له ولأسرته من بعده أكثر من مائتي سنة. وكان للفاطميين مذهبٌ في الدِّين لا يُوافقهم عليه أكثر المسلمين ؛ لذلك لم تكد بوادر الضعف تظهر على ملوك الدولة الفاطمية في منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، حتى أخذ أصدقاء الخلافة العباسية في المشرق يتطلَّعونَ إلى غزو مصر ، ليُخلِّصوها من الفاطميين ومذهبهم الشيعي. وكان مما ساعد على ضعف الدولة الفاطمية، غزوات الصليبيين المتوالية

على مصر والشام، فانتهز «صلاح الدين الأيوبي» هذه الفرصة ودخل مصر ، وكسر شوكة الصليبيين ، وقضى على الدولة الفاطمية ، واستقلَّ بحكمِ البلاد وأزال منها مذهب الفاطميين ، وأعلن ولاءه للخليفة العباسي في بغداد ؛ وكان ذلك في الثلث الأخير من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). وكان صلاح الدين قائدًا من أعظم القواد ، وحاكمًا من أعدل الحُكَّام؛ وأصل أبيهِ من بلادِ الكرد ، واسمه «أيوب بن شاذي» ، فلمَّا ملك صلاح الدين بن أيوب مصر ، انتقل أبوه وأسرته إليها ، وصار عرش البلاد وراثة لهم ، يتوارثونه أيوبيًّا بعد أيوبيٍّ ؛ ولذلك تُسمَّى دولتهم (الدولة الأيوبية). وفي عصر الدولة الأيوبية اتَّسعَ مُلك مصر حتى شمل الحجاز واليمن إلى شواطئ المحيط الهندي ، وامتدَّ على بلاد الشام إلى أطراف العراق وحدود الموصل ، ووصل إلى أواسط آسيا وحدود التركستان! وظلَّت هذه البلاد تحت حكم الأيوبيين أكثر من ثمانين سنة ، من عهد صلاح الدين إلى عصر شجرة الدُّرِّ ، ثم انتقل الحكم إلى المماليك الذين أنشأهم ورعاهم الملك الصالح نجم الدين أيوب. وخلال هذه المُدَّة التي حكم فيها الأيوبيون هذه البلاد ، كان في كلِّ بلدٍ منها أمير أيوبي ؛ ففي دمشق أمير ، وفي حلب أمير ، وفي اليمن أمير ، إلى أمراء آخرين في كثيرٍ من البلاد ، ولكن أكبر هؤلاء الأمراء وأعظمهم هو السلطان الذي يجلس على عرش قلعة الجبل في القاهرة. وكان الذي يجلس على عرش القاهرة حين بدأت حوادث هذه القصة ، هو الملك الكامل ناصر الدين ابن الملك العادل سيف الدين أخي صلاح الدين الأيوبي مُؤسِّس الدولة. وكان أكبر بنيه هو الأمير نجم الدين أيوب — الذي سُمِّي فيما بعد الملك الصالح — وكان في ذلك الوقت واليًا من قِبَلِ أبيه الملك الكامل على حصنٍ من حصونِ المشرق ، اسمه «حصن كَيفا» ، وكان معروفًا أن نجم الدين هو ولي عهد أبيه الكامل ، وأن مُلك مصر سيئولُ إليه بعد أن يتخلَّى أبوه عن العرش ، وكان مما يُقوِّي هذا الظن ، أنَّ نجم الدين كان ينوبُ عن أبيه في الحكم حين يُضطر أبوه إلى الخروجِ من مصر للحرب أو لسببٍ آخر. وكان لنجم الدين أخٌ أصغر منه، هو الأمير سيف الدين — الذي سُمِّي فيما بعد الملك العادل — وكانت أمه أقرب إلى قلب الملك من أمِّ الأمير نجم الدين ، وكانت أم سيف الدين مصرية خالصة النسب ، وكان أبوها من شيوخ الفقه المشهورين في مصر ، واسمه الشيخ نصر الفقيه. هذا هو الأمير نجم الدين الذي كان زوجًا لشجرة الدُّرِّ، وهذا هو موقفه من أبيه وأخيه وأُسرته ، أمَّا شجرة الدُّرِّ نفسها فكانت فتاة مقطوعة الجِذْر ، لا يُعرف لها أبٌ ولا أمٌّ ولا أصل ، ولم تترك بعد موتها ولدًا ولا بنتًا ولا ذريةً ، فكانت حياتها من أعجبِ العجب ؛ إذ ليس لها أصلٌ يُذكر ولا فرعٌ يبقى! وماتت قبل أن يأفل شبابها ، ومع ذلك ظلَّ ذِكرها باقيًا على توالي القرون منذ القرن السابع الهجري إلى اليوم ، وإلى الغد وإلى الأبد. أيُّ قوة من قوى الغيب تجمَّعت في هذه الجارية الأنثى ، فكتبت لها في التاريخ هذا الخلود؟ لقد كانت جاريةً ذات أدبٍ وعلمٍ وفنٍّ، وكانت أُنثى ذات جمالٍ وفتنةٍ وحيلةٍ. وكانت زوجةً ذات حب ووفاءٍ وغيرة. وكانت ملكةً ذات حزمٍ وإرادةٍ وتدبيرٍ! صفاتٌ أربعٌ لا يجتمعُ مثلُها في امرأةٍ ، واجتمعن في شجرة الدُّرّ. أحبت وتزوجت وحملت ووضعت ، ولكنها لم تنس في أي أحوالها أنها ملكة ، على رأسها تاج وفي يدها صولجان ، وتحتها عرش ، وبها ترتبط مصاير أمة ؛ فكانت — حتى في اللحظة التي تنسى فيها كلُّ أنثى أن لها إرادة — ملكةً ذاتَ إرادةٍ وتدبيرٍ وكيدٍ. وملكت وتسلَّطت وقَبضَتْ على الصولجان ، وركع تحت قدميها الرجال ، ولكنَّها لم تنس في لحظةٍ من لحظاتِ السُّلطان الباطش أنها أنثى ، وأنَّ لكلِّ أُنثى رجلًا تخضعُ له ، وتذوب إرادتها في إرادته ، فكانت — حتى في اللحظة التي ينسى فيها كل ذي سلطان أنه بشر — أنثى تستسلم للحب استسلام كل ذات

قلب. فلما جدَّت في آثارها الحوادث ، وأرغمتها على أن تختار بين أن تكون امرأةً لرجلٍ أو ملكةً لعرشٍ وتاجٍ وصولجان ، تَنَازعتها الكبرياء والغيرة ، فطاشت فلم تكن في طيشتها أنثى ذات قلب ، ولا ملكة ذات تدبير ، وفقدت الرجل والعرش والحياة جميعًا. تلك شجرة الدُّرِّ: تاريخ أُمَّة في تاريخ أَمَة وفي التاريخ قصص كثيرة لملكاتٍ غير شجرة الدُّرِّ ، ولكن التاريخ لم يأثر عن ملكةٍ منهن ما أثَر عن شجرة الدُّرِّ من صفاتٍ لم تجتمع مثلها في أنثى ولا في ملكة). انتهى.
وقد أثنى عليها المؤرخون المعاصرون لدولة المماليك، فيقول "ابن تغري بردي" عنها: (وكانت خيّرة دَيِّنة ، رئيسة عظيمة في النفوس ، ولها مآثر وأوقاف على وجوه البر ، معروفة بها). وأما عن مقتل شجرة الدر: فتعددت الروايات حول مقتل شجرة الدر! إلّا أنّ أشهرها يقول إنّه عندما وصلت أنباء مقتل نور الدين إلى أمه اجتمعت مع المماليك وطلبت منهم أن يقتلوا شجرة الدر ، وبالفعل اقتاد المماليك شجرة الدر إلى أم نور الدين والتي بدورها أشارت إلى الجواري ليضربنها بالقباقيب إلى أن ماتت ، ويقال أيضاً إنّ زوجة المعز الأولى هي التي حرّضت ابنها علي على قتل شجرة الدر انتقاماً لأبيه! وتقول بعض الروايات إن أم علي أمرت جواريها بهذه المناسبة بخلط الحليب والدقيق مع السكر والمكسرات ، في طبق "أم علي" ، وتقديمه للناس ، فدخل هذا الطبق الشهير إلى المطبخ المصري ، ومنه إلى المطبخ العربي.
وأما عن إنجازات شجرة الدر: فلقد ساهمت في حكم مصر خلال فترة حكم زوجها وبعده ، وكان لها العديد من الإنجازات في تاريخ الدولة المصريّة ، والتي من أهمها ما يأتي:- وأول ما بدأت به بعد تنصيبها ملكة هو تصفية الوجود الصليبي في مصر ، وأدارت مفاوضات انتهت بالاتفاق مع الملكة مارغريت لإيقاف الحملة الصليبية السابعة. واتفقتا على تسليم دمياط ، وإعطاء فدية لإطلاق سراح لويس التاسع المأسور بالمنصورة ومن معه من الصليبيين ، وفرضت عليهم دفع نصف الفدية قبل رحيلهم ، والنصف الآخر حين عودتهم إلى بلادهم ، وأخذت منهم تعهداً بعدم العودة إلى غزو سواحل بلاد الإسلام. وبدأت شجر الدر إقامة مشاريع عمرانية ، وملأت خزينة الدولة بفدية لويس التاسع ، وتقربت من الرعية ، وخفضت الضرائب ، ونصبت المماليك في أعلى الرتب ، لكن فكرة تولّي امرأة أمر المسلمين لم تكن مقبولة عند الجميع ، وقد أثار ذلك بعض الرعية ضدها. ومن إنجازاتها صد الحملة الصليبية السابعة! إذ توفي السلطان الصالح نجم الدين أيوب في عام 1249م خلال الغزو الصليبي بقيادة الحاكم الفرنسي لويس التاسع على مصر ، ولكن أخفت شجرة الدر خبر وفاة السلطان وقامت باستخدام أوراقًا فارغة كان السلطان قد أصدرها بتوقيعه وختمه مسبقًا لتقوم من خلالها بإصدار الأوامر للقادة والجيوش خلال الحملة ، وبذلك تمكنت من الحفاظ على ثبات الجنود وتحققت النصر للدولة، بالإضافة إلى حماية مصر والقدس. وأما عن حكم مصر:- واجهت مصر فترة من الفراغ السياسي بعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب وابنه توران شاه، ممّا دفع المماليك إلى مبايعة شجرة الدر في عام 1250م لتكون سلطانة مصر وحاكمتها الوحيدة في الفترة القادمة ، إذ تم ذكر اسمها في خطبة الجمعة ، وسك عملة معدنية تحمل اسمها ، كما قامت بتقليد قادة الدولة وسادتهم أثواب الشرف كسلطانة رسمية لها ، وبذلك تكون أول امرأة مسلمة ذات سيادة في تاريخ الدولة المصريّة ، وقد استمر حكمها لمصر لمدة 80 يومًا. وأما عن تأسيس دولة المماليك: فلقد تعرضت شجرة الدر للعديد من الضغوطات خلال الفترة القصيرة التي حكمت بها مصر، وذلك لعدم اعتراف أمراء سوريا بها كسلطانة للدولة ، بالإضافة إلى خضوع الأيوبيين للخلافة في بغداد وحدوث العديد من التغييرات في التحالفات السياسية بين المماليك الأمر الذي

دفع شجرة الدر للجوء إلى استخدام الحل السياسي بزواجها من عز الدين أيبك الذي تنازلت له بالسلطة وتوجته سلطانًا ، وكانت بذلك المؤسسة الحقيقية لدولة المماليك التي استمر حكمهم إلى ما يُقارب 300 عام. وعلى وجه العموم فإنني أنتصر لامرأة مظلومة إلى حدٍ بعيد كانت بحق ضحية ظروف قاهرة ، وأناس ماكرين حولها ، لهم مآرب ونوايا لا يعلمها إلا الله تعالى!)

كـــــم تحَـــــدَّى الكـــــاذبين المَنطـــــقُ! وابتلـــــى تـــــزييفهم مَـــــن حققـــــوا!

كـــــم تمـــــادَى فـــــي الأباطيـــــل الغثـــــا! وعلـــــى ترويجهـــــا كـــــم أنفقـــــوا!

كـــــم دَهَـــــتْ حقـــــاً أحـــــاجي مُبطـــــل! والـــــورى كـــــم صَـــــدَّقوا مَـــــن لفقـــــوا!

والفِـــــرى كـــــم أعجبـــــتْ مَـــــن أنصـــــتُوا غـــــرَّبَ الحـــــقُّ ، وهـــــم قـــــد شَـــــرَّقوا!

والأضـــــاليلُ تُسَـــــلي مَـــــن غـــــووا ورديءُ الوصـــــف فـــــيهم يَصْـــــدُق

(شـــــجرُ الـــــدُّر) خبَـــــتْ أخبارُهـــــا غالهـــــا الـــــدَّسُّ ، وغـــــابَ المَوثِـــــق!

بـــــاحثو التـــــاريخ عنهـــــا سَـــــطروا بعـــــضَ أخبـــــار قلاهـــــا المنطـــــق

فارتآهـــــا باحـــــثٌ شـــــيطانة كـــــلَّ إفســـــادٍ تُلاقـــــي تعشـــــق!

جعلـــــتْ قتـــــلَ المُنـــــاوي سَـــــمتها وتشـــــفتْ فـــــي الضـــــحايا تُزهـــــق

والتـــــدابيرُ ســـــعتْ فـــــي حَبْكِهـــــا واحتواهـــــا فـــــي التلاحـــــي خنـــــدق

وارتآهـــــا باحـــــثٌ ولهانـــــة عِشـــــقها فـــــخٌ حقيـــــرٌ يُوبـــــق

تبتلـــــي بالعشـــــق مَـــــن يرنـــــو لهـــــا فـــــإذا اصـــــطادتْه طـــــابَ الرونـــــق!

كـــــم أحبـــــتْ عاشـــــقاً تلهـــــو بـــــه! إذ فـــــؤادُ الصَّـــــبِّ أمســـــى يَخفِـــــق

وارتآهـــــا باحـــــثٌ سُـــــلطانة تفهـــــمُ اللغـــــز ، فـــــلا يُســـــتغلق!

وتلـــــي الأمـــــرَ كـــــأزكى حـــــاكم ومِـــــن الأعـــــراف ليســـــتْ تمْـــــرُقُ

ومِـــــن القصـــــر تُـــــوالي جيشـــــها لـــــم يكـــــنْ أمْـــــرٌ لـــــدَيها يُقلـــــق

أمرُهـــــا فـــــي الجُنـــــد قطعـــــاً نافـــــذ مـــــا عصـــــاها قائـــــدٌ أو فيلـــــق!

وارتآهـــــا مَـــــن تجنـــــى ضُـــــرَّة تقتـــــلُ الـــــزوجَ ، فليســـــت ترفـــــق

ثـــــم تُغـــــري بـــــابن زوج عُصـــــبة ولهـــــم بعـــــد اتفـــــاق ملحـــــق

فـــــإذا اغتـــــالوه أزجـــــتْ دمعهـــــا ... وعلـــــى الحُـــــزن التبـــــاكي بيـــــرق!

وارتآهـــــا باحـــــثٌ كـــــل الـــــذي ... قلتُـــــه! أضـــــحى غرابـــــاً ينعِـــــق!

وأنـــــا حاولـــــتُ تحقيـــــقَ الـــــذي ... قيـــــلَ لكـــــن لـــــم يكـــــنْ لـــــي مَوبـــــق!

فافترضـــــتُ الخيـــــرَ فيهـــــا قانعـــــاً ... وافتـــــراضُ الخيـــــر نِعـــــمَ المَفـــــرق!

ووكلـــــتُ الفصـــــلَ لله الـــــذي ... ســـــوف يَجـــــزي العبـــــدَ لا يَســـــتوثق

واعتمـــــدتُ القـــــولَ أمضـــــاه الألـــــى ... غربلـــــوا الأخبـــــارَ ، لـــــم يستشـــــرقوا

(شـــــجرُ الـــــدر) كفاهـــــا أوقفـــــتْ ... زحـــــف أوغـــــادٍ علينـــــا أطبقـــــوا

فـــــي (بنـــــي أيـــــوبَ) كانـــــت فخـــــرَهم! ... حُرمـــــة جَلـــــتْ ، وشمســـــاً تُشـــــرق!

أو (بنـــــي مملـــــوكَ) كانـــــت تـــــاجَهم! ... شـــــرُفَ الحكـــــمُ بهـــــا والجَوسَـــــق!

وكسَـــــتْ مِـــــن مالهـــــا مرضـــــية ... (كعبـــــة) المَـــــولى ، فباتـــــتْ تبـــــرُق!

وحَمَـــــتْ حُجـــــاجَ بيـــــت الله لـــــم ... يُترَكـــــوا نهبـــــاً لعـــــادٍ يَســـــرق

واعتلـــــى الشـــــعرُ الســـــها فـــــي عهـــــدها ... وارتقـــــى العلـــــمُ الصـــــحيحُ الشـــــيق!

لـــــم تُكَمِّـــــمْ (شـــــجرُ الـــــدُّر) فمـــــاً ... وأولـــــو العلـــــم – كـــــذا – لـــــم يُرهَقـــــوا

لـــــم تُعـــــرِّضْ لابـــــتلاءٍ عالمـــــاً ... لـــــم تقـــــلْ: جُنـــــدِي اســـــجنوه أو اشـــــنقوا!

لـــــم تقـــــلْ يومـــــا لجُنـــــدٍ: صـــــادِروا ... سِـــــفرَ عِلـــــم ، أو لِمـــــا يحـــــوي احرقـــــوا

لـــــم تقـــــلْ يومـــــاً لكُتـــــاب: كفـــــى ... أو لجُنـــــدٍ: تـــــابعوا ، أو مزقـــــوا!

لـــــم تقـــــلْ يومـــــاً لجُنـــــدٍ أوقفـــــوا ... سُـــــفنَ الصـــــيد اغتـــــدَتْ ، أو أغرقـــــوا

ربنـــــا أجُرْهـــــا علـــــى مـــــا قـــــدَّمتْ ... عنـــــدك الخيـــــرُ العمـــــيمُ المُغـــــدق

وتجـــــاوز عـــــن ذنـــــوب قارفـــــتْ ... فـــــاعفُ واصـــــفحْ عـــــن عَبابيـــــد شَـــــقوا

رب أعتقهـــــا مِـــــن الســـــوآى أتـــــتْ! ... مَـــــن سِـــــوى رب البرايـــــا يُعتِـــــق؟!

عائشة التيمورية خنساء العصر!

(عائشة التيمورية أو خنساء العصر ، هي واحدة من أديبات مصر المؤمنات الصامدات الداعيات إلى التوحيد والعقيدة والحشمة والحجاب والوقار! ولها الشرفُ أنها تفردتْ بأوليات ، وكأني بها تقول لنا: من له مثلُ أولياتي. فهي أول متعلمة وشاعرة وكاتبة وأديبة عربية في العصر الحديث. ولدت في عهد محمد على باشا ، ونادت بحقوق المرأة على منهج الإسلام لا منهج كوتاريللي ودانلوب! وفتحت الباب لتعليم النساء. حفظت القرآن كاملاً وتعلمت ثلاث لغاتٍ قبل بدء التعليم النظامى (العربية والفارسية والتركية! فمن هي عائشة التيمورية (1840-1902)؟! إنها عائشة (عصمت) بنت إسماعيل باشا بن محمد كاشف تيمور ، وهي شاعرة مصرية ، ولدت في أحد قصور «درب سعادة» ، وهو أحد أحياء الدرب الأحمر ، حين كانت تلك المنطقة مقرًا للطبقة الأرستقراطية ولعائلاتها العريقة ، وهي ابنة إسماعيل باشا تيمور رئيس القلم الإفرنجي للديوان الخديوي في عهد الخديوي إسماعيل (يَعْدل منصب وزير الخارجية حاليًا) ، ثم أصبح رئيسًا عامًا للديوان الخديوي ، كان اسم والدتها هو ماهتاب هانم ، كانت شركسية تنتمي للطبقة الأرستقراطية ، وهي أخت العالم الأديب أحمد تيمور ، ولكن من أم أخرى هي مهريار هانم شركسية الأصل أيضًا ، وعمة الكاتب المسرحي محمد تيمور ، والكاتب القصصي محمود تيمور! وكأن عائلتها شملت الأدباء العماليق! نشأت عائشة في بيت علم وسياسة ، فأبوها رجل له مكانته السياسية ورجل مثقف له شغف بمطالعة كتب الأدب ، وكانت عائشة تميل إلى المطالعة ، إلا أن أمها كانت تعارض هذا وأصرت على أن تتعلم عائشة ما تتعلمه الفتيات ، إلا أن عائشة استمرت في المطالعة ، فتفهم أبوها طبعها ، فأحضر لها أستاذين أحدهما لتعليم اللغة الفارسية والآخر للعلوم العربية ، وعلى هذا فعائشة نشأت في أسرة تركية غنية ، وتعلمت القراءة والكتابة في القصر على طريقة بنات الأكابر ، فتنبهت في نفسها الرغبة في المطالعة والإشراف على مجالس العلم في القصر ، فأخذت النحو والعروض عن فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية ، وأخذت الصرف والفارسية على علي خليل رجائي ، وأخذت القرآن والخط والفقه على إبراهيم تونسي ، وحفظت عشرات الدواوين ، وطالعت كتب الأدب حتى صارت تنظم الشعر بالعربية والفارسية والتركية ولها دواوين فيها جميعًا. وتحكي عائشة عن هذا وتقول: «فلما تهيأ العقل للترقي ، وبلغ الفهم درجة التلقي تقدمت إلي ربة الحنان والعفاف ، وذخيرة المعرفة والإتحاف ، والدتي تغمدها الله بالرحمة والغفران ، بأدوات النسج والتطريز ، وصارت تجد في تعليمي وتجتهد في تفهيمي وتفطيني ، وأنا لا أستطيع التلقي ، ولا أقبل في حرف النساء الترقي ، وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك ، والتهافت على حضور محافل الكتب بدون ارتباك ، فأجد لصرير القلم في القرطاس أشهى نغمة ، وأتخيل أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة ، وكنت ألتمس - من شوقي - قطع القراطيس وصغار الأقلام ، وأعتكف منفردة عن الأنام ، وأقلد الكتاب في التحرير لأبتهج بسماع هذا الصرير ، فتأتي والدتي ، وتعنفني بالتكدير والتهديد ، فلم أزدد إلا نفورا ، وعن هذا التطريز قصورا ، فبادر والدي تغمد الله بالغفران ثراه ، وقال لها: (دعي هذه الطفلة للقرطاس والقلم ، واحذري أن تكثري من الكسر في قلب هذه الصغيرة) ، وأن تثلمي بالعنف طهرها ، وما دامت ابنتنا ميالة بطبعها إلى المحابر والأوراق ، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها ، وتعالي نتقاسم بنتينا ، فخذي عفت وأعطيني عصمت ، وإذا كان لي من عصمت كاتبة وشاعرة ، فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لي بعد مماتي ، وأخذ بيدي وخرج بي إلى محفل الكتاب ورتب لي أستاذين ، أحدهما

لتعليم الفارسية والثاني لتلقين العلوم. ومرت الأيام والشهور والسنون! وتزوجت عائشة وهي في الرابعة عشرة من عمرها سنة 1854 م من محمد بك توفيق الإسلامبولي ، وهيأت لها حياتها الرغدة أن تستزيد من الأدب واللغة ، فاستدعت سيدتين لهما إلمام بعلوم الصرف والنحو والعروض ، ودرست عليهما حتى برعت ، وأتقنت نظم الشعر باللغة العربية ، كما أتقنت اللغتين التركية والفارسية ، وقد أخذتهما عن والديها. تولت عائشة تعليم أخيها أحمد تيمور ، وكان والدها قد توفي بعد ميلاده بعامين ، فتعهدته بالتربية والتعليم حتى عرف طريقه ، وقد صار بعد ذلك واحداً من رواد النهضة الأدبية في العالم العربي! وبعد سنوات من زواجها ، فقدت عائشة ابنتها توحيدة التي توفيت في سن الثانية عشرة ، وظلت عائشة سبع سنين ترثيها حتى ضعف بصرها وأصيبت بالرمد ، فانقطعت عن الشعر والأدب ، وكانت حبيبة إليها فرثتها بعدة قصائد منها «بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي» ، وكان لهذا الحادث الأليم عميق الأثر في نفس عائشة حيث ظلت 7 سنوات بعد وفاة ابنتها في حزن دائم وبكاء لا ينقطع ، وأحرقت في ظل الفاجعة أشعارها كلها إلا القليل. وفي سنة 1898 م أصيبت بمرض في المخ ، واستمر المرض أربع سنوات حتى توفيت في الثاني من مايو سنة 1902م ، لها ديوان باللغة العربية باسم (حلية الطراز) وآخر بالفارسية طبع بمصر وبالأستانة وبإيران ، ولديها رسالة في الأدب بعنوان «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال» طبعت بمصر وتونس. ولديها رواية بعنوان «اللقا بعد الشتات» وتركت رواية أخرى غير مكتملة بخط يدها. ونشرت عائشة في جريدة الآداب والمؤيد عدداً من المقالات عارضت فيها آراء قاسم أمين ودعوته إلى السفور. ومن آثارها الأدبية الأخرى «مرآة التأمل في الأمور» ، وكتاب يضم مجموعة من القصص باسم «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال». وتوفيت في 25 مايو من عام 1902م. ومن شعرها في الحجاب:

بيد العفاف أَصــون عــز حجابي وبِعِصمَتي أَسمــو عَلى أَترابـــي
وَبِفِكـــرَة وَقـــادَة وَقَّريحـــة نَقـــادَة قَّد كَمَلَـــت آدابـــــي
وَلَقَد نَظَمت الشِعرَ شيمَـــة مَعشَر قَّبلى ذَّوات الخُـدر وَالاأحســـاب
ما قُلتُه إلا فكاهـــــة ناطِـــق يَهوى بَلاغَـــة مَنطِق وَكِتـــاب

وشعرها متنوع بين المجاملة والغزل والمواعظ والأخلاقية والدينية والابتهالات ، وأصدق شعرها مراثيها خصوصاً مرثاة ابنتها توحيدة التي ارتقت فيها إلى مرتبة عالية! قالت ناديا نويهض: "هذه هي التيمورية الشاعرة الرائدة التي امتزج في حياتها الفرح بالحزن ، والشهرة بالضنك ، والنشوة بالمرارة ، وأجمل الشعر يزهو بالمجد ، في حقول العذاب والأحزان. وقال عنها نبيل الحاج: "لم يعرف الأدب العربي خلال القرن التاسع عشر أدبية شجاعة ، تحملت مسؤولية الدفاع عن المرأة العربية كعائشة التيمورية. وكانت رائدة في الأدب النسائي الحديث. ودعوتها إلى تحرير المرأة العربية من عادات فرضت عليها لتكون جاهلة بأمور دينها وشؤون دنياها! وطالبت بتعليمها وتفقيهها في الدين! وأكثر قصائدها في الرثاء تأثيراً خصوصاً إذا علمنا أن القائل امرأة ، وأصدق تعبيراً ، هي قصيدة ترثي ابنتها (توحيدة) تقول في مطلعها:-

إن سال من غرب العيون بحـــــور فالدهـــر باغ ، والزمـــان غـــدور
فلكل عين حق مـــــــدرار الدمـــا ولكل قلـــــب لوعـــــة وثبـــور

ستر السنا وتحجبت شمس الضحى وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذي أهوى وجرّعني الأسى وغدت بقلبي جذوة وسعير
يا ليته لما نوى عهد النوى وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي نار لها بين الضلوع زفير

إلى أن قالت – رحمها الله تعالى وغفر لها - في خاتمتها:-

بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي قد زال صفو شأنه التكدير
لا توصي ثكلى قد أذاب فؤادها حزن عليك وحسرة وزفير
أبكيك حتى نلتقي في جنة برياض الخلد زينتها الحور
إن قيل (عائشة) أقول لقد فنى عيشي وصبري ، والإله خبير
ولهي على (توحيدة) الحسن التي قد غاب بدر جمالها المستور
قلبي وجفني واللسان وخالقي راض وباك شاكر وغفور
متعت بالرضوان في خلد الرضا ما ازينت لك غرفة وقصور

إنه حين تشرق شمس بعد غروب طويل يزهر الفضاء بسواسن اشتاقت لشعاعها. ويحلو للعصفور التحليق في سمائها بحثاً عن أشعة نسجتها على طريق النور! هكذا أنظر إلى سيدتي التي أنا بصدد الحديث عنها إذ أراها شمساً أطلت على سماء المرأة المسلمة بعد انقطاع دام قروناً. فقدت خلالها المرأة أهميتها ودورها في بناء لبنات المجتمع. وبات من يعرف كيف يفك الخط عالماً. ومن يحسن قراءة القرآن شيخ زاوية. وأضحى الموروث من العرف أقوى في ألباب الناس من النهج الرباني. فغدت المرأة متاعاً ووعاء ليس إلا! وفي هذا الموج الشديد الظلمة وخلف أستار ليله الدامس ولدت شاعرتنا عائشة هانم تيمور في القاهرة سنة 1840 م لأب تركي كان ساعداً من سواعد محمد علي فارتقى في السلك الحربي حتى بلغ مرتبة الباشوية. لكن تكوينه العسكري لم يمنعه من الاهتمام بالأدب والثقافة أكثر من اهتمامه بالحرب. ويبدو أن عائشة تأثرت به فظهر حبها للعلم من نعومة أظفارها. ومالت للقراءة أكثر من الحياكة والتطريز. وتجلى اهتمامها بالقرطاس أكثر من الغسل والطبخ الأمر الذي لم يكن مألوفاً في عصر أقصى ما تتعلمه المرأة هو الأعمال المنزلية والتطريز! وكانت والدة عائشة تيمور من ربات الخدور اللواتي يسعين إلى تعليم بناتهن ما ينفعهن في حياتهن الزوجية فحسب! فلم تقبل بميول ابنتها وعملت على تعنيفها حرصاً منها على تعلم ما يصلح لها. خاصة وأن ذلك العصر كان يقيس المرأة بمقاييس العرف السائد. لكن والدها كان له موقف معاكس من والدتها. فما لبث أن اهتم بموهبة ابنته الأدبية وعمل على تشجيعها. ولما كان عصرها مقتصراً على الكتاب ومدارس الذكور التي لم تحظ بها سوى المدن الكبرى فقد جلب لها المعلمين والمعلمات لتعلم القرآن الكريم والفقه والخط والشعر وعلم العروض. مما ساهم في صقل موهبتها وظهورها بشخصية تختلف عن بنات عصرها. واستمرت على ما شغف به قلبها يجذبها العلم بحباله المتينة أكثر مما تستهويها مجالس النساء وحكايات القيل والقال. فنفرت

مما اعتادت عليه بنات جيلها لتنزوي خلف أبواب مجالس الأدب التي اعتاد والدها أن يقيمها في بيته تستمع لأقوال الأدباء والشعراء دون أن يعلم بها أحد. وجاء عنها في (قصة الإسلام) للسرجاني ، ونقلا عن (الأعلام) للزركلي ما نصه: (إن التاريخ الإسلامي حافل بذكر العالمات الأدبيات من النساء في عصوره كلها ، وفي كتب الجرح والتعديل ذكر المئات من المحدثات اللائي كنا أساتذة الرجال ، وكثير من المحدثين عندما يذكرون أساتذتهم ، يعدون أساتذة من النساء ، وهذه هي الشاعرة الأديبة الكاتبة التي سبقت زمانها ، والتي كانت أعجوبة في بيانها إنها امرأة خلدها البيان ، إنها السيدة عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا ابن محمد كاشف تيمور، واشتهرت بعائشة التيمورية ، وهي أخت العلامة المحقق أحمد تيمور ، وعمة رائد الأقصوصة العربية ابنه محمد تيمور ، وأخيه كبير القصصيين محمود تيمور! فاقت عائشة التيمورية أدباء عصرها ، وسبقت في مضمار الرثاء العاطفي أدباء العصور كلها ، وكانت واحدة جمعت عجيبتين اثنين أولهما: أنها مجودة ، والمجودات في الشعر من النساء أقل من القليل ، لا في العربية وحدها ، بل في كل ألسنة العالم! والثانية: أنها نشأت في عصر النساء فيه كن أسيرات الجهل ، وضيق الفكر واستبداد الرجل ، فكان من أعجب العجاب أن تنشأ فيه شاعرة مجودة وكاتبة بليغة! لم يفوق عائشة التيمورية من شعراء عصرها إلا البارودي ، والساعاتي ، ولها كتابة منها المسجع ، ومنها المرسل ، ومنها البليغ ، وهي أول من دعا إلى تعليم المرأة ، ولها في ذلك مقالات وأشعار ، وكانت تحبّذ الحجاب ، وترى أنه لا يمنع من العلم والأدب ، ولها قصيدة مشهورة في ذلك! وأما عن وفاة عائشة التيمورية ، فلقد توفيت عائشة التيمورية في الثاني من مايو سنة 1320هـ= 1902م ، ولها من الكتب مرآة التأمل في الأمور، ونتائج الأحوال في الأقوال والأفعال في الأدب ، وحلية الطراز وهو ديوان شعرها العربي ، وكشوفة وهو ديوان شعرها التركي).هـ. ولفرط إعجابي بقصيدتها في رثاء ابنتها (توحيدة) ، جعلتُ قصيدتي في تأبينها على ذات بحرها وقافيتها ، رحم الله عائشة التيمورية ، خنساء العصر ، وتجاوز عن سيئاتها! وأسكنها وابنتها توحيدة فسيح جناته ، وأسبغ عليهما رضاه!)

كأسٌ هو الموتُ الزؤامُ تدُورُ ... منها سيشرَبُ يَافعٌ وكبيرُ!

ليستْ ترَفقُ بالسقيم لسُقمِه ... أو تحسُدُ الضرغامَ وهْو جَسور

والدهرُ ليس بغادر أو ظالم ... إنْ ساقَ موتاً أمرُه مَقدور

فالمرءُ مَرهونٌ بعُمْر حُدِّدَتْ ... أيامُه وسِنيُّه وشهور

والقبرُ مُرتصدٌ جَثامين الألى ... آجالهم جاءتْ ، فلا تأخير

لا ساعة يَستقدمون مُرورَها ... كلا ، فليس لِمَا ارتجَوه مُرور

أو ساعة يستأخرون حُلولها ... إن المهيمن عنده التقدير

يا عائشَ الخير المَنية إن أتتْ ... ألفيتِ روحاً في الفضاء تطير

والجسمَ أسقتْه المَنية كأسَها ... وبدَتْ عليهِ دَلائلٌ وأمور

مـــا أســـرعَ الأيـــامَ تختصـــرُ المـــدى ... ولهـــا علـــى مُتأمـــل تـــأثير

بـــالأمس كنـــتِ بكيـــتِ بنتـــاً ودَّعـــتْ ... هـــذي الحيـــاة لنـــا ، وحَـــلَّ مصـــير

وبكيتِهـــا بـــدم العيـــون ودمعهـــا ... ســـبعاً مـــن الســـنوات وهْـــيَ تـــدور!

لـــم تهنئـــي بـــالنوم لـــيلاً أو ضـــحىً ... والقلـــبُ فـــي أشـــجانه مأســـور

والعـــيشُ جَنـــدلتِ الحُـــزونُ سِـــنِيَهُ ... بســـعيرها ، وكأنهـــا تنـــور!

(توحيـــدة) ذهبـــتْ ، وأذهبَـــتِ الهنـــا ... ولكـــم حَـــوَتْ مِـــن طيبـــين قبـــور!

تركـــتْ فراغـــاً لـــيس يَملـــؤه الـــورى ... والحُـــزنُ لا تُخفـــي جَـــواه سُـــتور!

فبكيتِهـــا بالشـــعر يُـــذهِبُ صَـــدمة ... جعلتْـــكِ وَجْعَـــى ، والأنـــينُ جَهيـــر

واليـــومَ يبكيـــكِ القـــريضُ أديبـــة ... فخـــرَ الزمـــانُ بهـــا ، وشـــعَّ النـــور

واسترســـلَ التـــاريخ فـــي كيـــل الثنـــا ... بمـــدائح وافـــى بهـــا الجمهـــور

نـــاوأتِ مَـــن ظلمـــوا النســـاءَ ، وعربـــدوا ... وبظلمهـــم شـــقيَ الحِمـــى والـــدُّور

وحملـــتِ ســـيفَ الفكـــر يُوقِـــف طاغيـــاً ... طغيانُـــه بجهـــادكم مَثبـــور!

مـــا قلـــتِ: وحـــدي ، والريـــاحُ عَتيـــة ... والجيـــلُ غـــاو ، والظـــروفُ تمـــور!

مـــا قلـــتِ: وحـــدي ، والعِـــدا لـــن يرحمـــوا ... والكيـــدُ عنـــد عُتـــاتهم مَوفـــور

طـــالبتِهم بحقـــوق حـــواءٍ ، ولـــم ... تخشَـــي بـــلاءً فـــي الـــبلاد يجـــور

أعلمْـــتِهم أن المليـــك قضـــى بهـــا ... فـــإذا بغـــيظ الظـــالمين يبـــور

وطرقـــتِ أبوابـــاً تعـــذرَ طرقهـــا ... والســـعي يـــا أخـــت الهُـــدى مَشـــكور

وجَهـــرتِ بالشـــعر المجاهـــدِ حِســـبة ... حتـــى تُـــزالَ مِـــن الـــدِّيار شُـــرور

وإلـــى الحِجـــاب دعـــوتِ دعـــوة مَـــن زكَـــتْ ... بالســـتر ، خـــابَ تبـــرجٌ وسُـــفور!

ورأيـــتِ سَـــترَ الوجـــه فرضـــاً واجبـــاً ... فالوجـــهُ بالحُســـن النضـــير يَفـــور

وهجَـــوتِ مـــن رقصـــتْ وغنـــتْ تشـــتهي ... فـــتْنَ الخلائـــق ، والفســـادُ خســـير

وســـــطرتِ ديوانـــــاً كمثـــــل ســـــبائكٍ ... مـــــن عَسْـــجَدٍ فيهـــا البيـــانُ قريـــر

يـــا عـــائشَ التوحيـــد شِـــعرُكِ طيـــبٌ ... ولـــه بقلـــب مَـــن اجتبـــاهُ حُضـــور

خنســـاءَ عصـــركِ طِبْـــتِ أصـــلاً والصُّـــوَى! ... والفكـــرُ طـــابَ ، وطيِّـــبَ التفكيـــر!

ديوانُـــكِ المطبـــوعُ ســـلوى عاشـــق ... للشـــعر إنْ غشِـــيَ الفـــؤادَ فتـــور

والـــرِّيُّ شِـــعرُكِ إنْ تعقبَنـــا الظمـــا ... هـــو مَوئِـــلٌ مُســـتعفِفٌ وغـــدير

وعليـــكِ مِـــن رب الســـما رحَماتُـــه ... إن الإلـــهَ لِمَـــا يَشـــاءُ قـــدير!

رَدُّ سادةِ القبائل على اليَمامة!

(كتب الشاعرُ الكبير الفحل الأستاذ عبدُ الناصر عليوي العبيدي رسالة شعرية على لسان (اليمامة) ابنة كليب بن وائل ، تُذكِّرُ فيها قومها البكريين بثأر أبيها (كليب) من (التغلبيين)! وقد أحسَّتْ بعجزهم وتقاعسهم عنه ، بل ونسيانهم أو تناسيهم له! وكم كانت رسالة مؤثرة جداً على مَن قرأها بقلبه وشعوره وحسه! ولما قرأتُها رأيت بأن أسَطر في مُحاكاتها ردَّ عِلية القوم من سادات القبائل على اليمامة لأصور مدى لا مبالاتِهم لألمها وجرحها وشكاتها وثأرها! وآثرتُ أن يكون لمُحاكاتي ذات البحر وذات القافية ، حباً في الأستاذ عبد الناصر وقصيدته! وكان قد بدأها بقوله مستهجناً معيشة الكبراء في اللذائذ ، غافلين عن رَعيتهم تمام الغفلة:

مـــا للأشـــاوس فـــي اللـــذات قـــد مكثـــوا ... وفـــي حِمانـــا يعيـــثُ القمـــلُ والعُثَـــثُ؟

إلـــى متـــى وضِـــباعُ الليـــل تنهشُـــنا ... ونحـــن ننظـــر حتـــى ينضـــج الحـــدث؟

واستمر الشاعر في تبكيت القوم ، مُبيناً أسبابَ فرقتهم وطمع الأعداء فيهم وتكالبهم عليهم ، فقال محذراً من هذا الركون إلى الأعداء والأنس بهم:-

يـــا قـــومُ نطلـــب أحلامـــاً مزركشـــة ... أمـــا الحيـــاة ففيهـــا البُـــر والغلـــث!

مـــن ظـــن أنـــي بقـــولي كنـــتُ أقصـــده ... كـــان اعترافـــاً صـــريحاً أنـــه الخبـــث

والحقيقة أنني أحذتُ بجمال وجلال القصيدة المعلقة الانتصارية ، وكنتُ قد وعدتُ الأستاذ عبد الناصر برغبتي في مُحاكاتها في إيراد رَد عِلية القوم وساداتِ القبائل على رسالة اليمامة!)

نحـــن الأشـــاوسَ باللـــذات نكتـــرثُ ... وفـــي مَرابعنـــا يَحلـــو لنـــا الرَّغَـــثُ

نحـــن الأبـــاة ، لنـــا الـــدنيا وزخرفهـــا ... ومِـــن شـــمائلنا الأنـــوارُ تنبعـــث

ونجلِـــبُ الخيـــرَ ، نُهديـــهِ رَعِيتنـــا ... فـــلا يُهـــدِّدُهم سُـــوءٌ ولا نَغَـــث

كـــم يَفخـــرون بنـــا فـــي كـــل مُصـــطدم ... كـــأنهم حِكمـــة الأجـــداد قـــد وَرثـــوا!

(يمامـــة) الخيـــر ، خَـــلِّ الثـــأرَ ، وانتبهـــي ... لِمَـــا يَحِيـــكُ لنـــا أعـــداؤُنا الخُبُـــث!

(كُليـــبُ) ولـــى ، وعـــافَ القـــومُ سِـــيرته ... و(الزيـــرُ) لـــيس لـــه جُنـــدٌ ولا بَعَـــث!

يحيـــا أســـيفاً ، ونـــارُ الوَجـــدِ تَحْرقـــه ... ولا يَـــزالُ بأخـــذ الثـــأر يَكتـــرث!

ولابـــن مُـــرَّةَ (جَسَّـــاسٌ) مَحـــاذرُهُ ... مِـــن أن يُجَندِلـــه الإرصـــادُ والـــدَّعَث

وآلُ (بكْـــر) تُغشِّـــيهم كـــآبتُهم ... ويَســـتهينُ بهـــم فـــي المحنـــة العبـــث

ويـــحَ (البَســـوس) أمَـــا لاحـــتْ نهايتُهـــا ... إن الســـبيل إلـــى إنهائهـــا وَعِـــث!

وعَمُّـكِ (الزيـرُ) فـي التخييـر جُـرْتِ علـى ... مقامـــه ، فزهـــا آرائهـــم ضُـــغُث

(يمامـة) العُـرب ، جـدِّي السـيرَ عازمـة ... علـى الصِّـمات ، فحبـل الثـأر منتكـث

لسـنا مـن العُـرب حتـى يُسـتعانَ بنـا ... علـى قِتـال عِـدا فـي داركـم عبثـوا

دَكـوا البيـوت ، وأهليهـا هُـمُ قتلـوا ... لأنهـم همـجٌ رؤوسُـهم رِثَّـث

إنْ جـاء أمـرٌ لنـا ضـجَّتْ جحافِلنـا ... والجُنـدُ فـي أمِّهـا بنصـرهم شَـبِثوا

مـا نفـعُ حـرب تُقـويكم وتـدعَمُكم ... وبعـضُ سـادتكم إلـى القنـا لهثـوا؟!

والـبعضُ يُحْـدثُ إرهاصـاتِ مُنفعـل ... يسـتعجلُ النصـرَ يُغـري عزمَـه الحـدث

مـاذا اسـتفدتُم مـن الجهـاد يُشْـهرُه ... سـيفاً شـراذمُ فـي أصـقاعكم مكثـوا؟!

فكـم أعـدوا لِمَـا رامـوا! وكـم حرصـوا! ... وفـي عهـودِهمُ – والله – مـا حَنثـوا!

ووحـدهم صـمدوا فـي سـاح خندمـةٍ ... عَبـرَ المفـازات عـن أعـدائهم بحثـوا

لـم يُمهلـوهم ، ففـي الإمهـال مَهلكـة ... والله وحَّـدَهم صَـفاً ، فمـا ارتبثـوا!

ونحـن نشـهدُ أعـداءً وقـوَّتهم ... لـذاك نخشـى فئامـاً جيشَـهم بعثـوا

لكـنْ شـجَبنا ، وأنكرْنـا علانيـة ... وفـي الجرائـد وصـفٌ للألـى خبثـوا

والـبعضُ كـال لهـم ألقـابَ تحْقِـرُهم ... هـمُ الخنـافسُ والجُعـلانُ والعُثـث

والـبعضُ قـال: هـمُ الأوسـاخ مُنْتنـة ... فلـم يَـزرْ جُلهـم طهـرٌ ولا تفـث

والـبعضُ نـدد بالعـادات هـم ألِفـوا ... فالديـدنُ القـبحُ والفحشـاءُ والرَّفـث

(يمامـة) الفخـر قلـتِ الحـق فـي وضـح ... لـذا اسـترحتِ كمـا ارتـاحَ الألـى نفثـوا

فمـا أسِـرتِ ، ولا لبثـتِ فـي قلـق ... ومـا سَـعيتِ لـه ، ومـا سـعى اللبَـث

بـل عِشـتِ فـي دَعـةٍ ، وفـي بُلهنيـة ... ولـم يُسـاومْكِ دُهقـانٌ ولا خَنِـث

بعنـا القبائـلَ بيعـاً لا سَـوامَ لـه ... وكـل مُعتـرض يَضـمُّهُ جَـدَث

وكـم بَكَـتْ جُثَـثٌ أصـحابُها انـدفعوا! ... فهـل تعـودُ إلـى أرواحهـا الجُثَـث؟!

إنـــا إلـــى الغـــرب يَمَّمنـــا مطامحَنـــا ... فجُـــدِّدَ القصـــرُ والأســـلوبُ والرِّثَـــث!

ولـــم نعـــد فـــي الـــورى – حاشـــا - نمـــثلكم ... لا يســـتوي الـــدُّرُ فـــي الميـــزان والـــرَّوَث

الغـــربُ مكّـــنَ للأتبـــاع مَـــن حرســـوا ... تراثـــه ، وجَنـــى غِراســـه حرثـــوا

ومـــا احتفلنـــا بأرقـــام ، ولـــو كثُـــرتْ ... ومـــا اســـتقامَ لنـــا مـــنكم ، ولا الثلـــث!

فيـــا (يمامـــة) هـــل وعيـــتِ مقصـــدَنا ... إذ لـــيس ينقصُـــه فـــي نصـــه شَـــعَث؟!

أيماننـــا انعقـــدتْ ، ولا نبَـــدِّلها ... إذ لـــيس يُفلـــحُ مَـــن أيمـــانهم نكثـــوا!

وهـــل نســـيتِ (جُبيـــراً) يـــومَ ضـــاقَ بـــه ... صـــدرُ الحـــوار فغِيـــلَ العاشـــقُ الـــدمِث!

بســـيفِ عَمِّـــكِ لمَّـــا الكِبْـــرُ شَـــط بـــه ... ولـــم يـــزرْ قلبـــه رفـــقٌ ولا خَـــوَث!

أودى بقلبـــكِ قتـــلُ الحِّـــب فـــي مَـــلأ ... و(ابـــنُ العُبَـــادِ) طـــوى إيلافـــه الحـــدث!

لا نحـــن مِـــن (تغلـــب) ومَـــن يُؤازرهـــا ... ولا نناصِـــرُ (بكـــراً) أيهـــا اللـــوَث!

نـــراكِ فاطنـــة ، للجـــدِّ فيـــك مَـــدىً ... لا تســـتوي مَـــن وَعـــتْ والمـــرأة الخُنَـــث

فامشـــي الهَـــوَينى علـــى بســـاط فرقتنـــا! ... وزايلـــي كـــل مَـــن بأمرنـــا اكترثـــوا!

هـــذا هـــو الـــرَّدُّ ســـطرناها تبصـــرَة ... لكـــل قـــوم لنـــا (اليمامـــة) ابتعثـــوا!

معاني بعض الكلمات غير المطروقة

الأشاوس: عظماء الرجال. نكترث: نهتم. الرغَث: العطاء والنماء وسعة العيش. نغث: شر. يمامة: ابنة كُليب. جساس بن مُرة: ابن أخت كُليب. الزير: هو المهلهل ، وكنيته سالم أخو كليب. بَعَث: جيش. الوجد: شدة الحزن. الدَّعَث: الحقد والكراهية. بكر: قبيلة بكر. تغلب: قبيلة تغلب. البسوس: ناقة الجليلة والتي سميت الحرب باسمها ، فلقد كان قتل الناقة سبب الحرب! وَعِث: وعِر وشاق. الصِّمات: السكوت والصمت. حبلٌ منتكث: أي مفكوك منحل. جحافلنا: جيوشنا. شَبِثوا: تمسَّكوا. القنا: الحرب. خندمة: معركة. المفازات: الصحاري. ارتبثوا: تفرقوا. العُثَّث: حشرات تشبه البق والبرغوث والقمَّل. الجُعلان: ذكور الخنافس. الخنافس: نوع من الصراصير يهوى المجاري والقاذورات. تفث: القيام بسنن الفطرة. الديدن: السمت. الرفث: له معان كثيرة ، لكننا عنينا به في نصنا الفحش. نفثوا: أي نفثوا عن أنفسهم ثقل ما تحوي من المحن والبلاءات. اللبَث: المَقام. دَعَة: راحة. بُلهنية: سعة العيش. خَنِث: أي المخنث أو الخنيث فاقد الرجولة والشهامة من أشباه الرجال! سَوام: مساومة. جَدَث: قبر. يممنا: اتجهنا. الرِّثَث: لها معان كثيرة ، ولكننا عنينا بها في نصنا بقايا متاع البيت أو القصر. الرَّوَث: مخلفات الحيوانات كالبقر والغنم والإبل. شَعَث: هو انتشار الأمر. اللوَث: جمع ألوث وهو الأحمق الجبان. فاطنة: ذكية. المرأة الخُنَث: المتكسرة التي تخضع بالقول. الهُوَينى: على مهل. ابتعثوا: أرسلوا. ابن عُباد: هو الحارث بن عُباد سيدٌ من سادات تغلب! جُبير: هو جبير بن الحارث بن عُباد الشاب الذي كانت اليمامة مخطوبة له ، وكان عمها الزير قد قتله في نقاش بينهما بشأن كليب! الخَوَث: الألفة والمودة!

فراق الدكتور فكري حجازي!

(لقد أثر فيَّ جداً فراق الدكتور فكري حجازي. عالمٌ تجاوزتْ كتبه الآفاق ، وسطع نجمه في الشرق والغرب! فلقد تُرجمت بعض إسهاماته وشروحاته في النحو العربية للمبتدئين للغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، الأمر الذي جعل (فكري حجازي) يُعرف ويُذاعُ سيطه في شرق الأرض وغربها! واليوم يتركنا ويُودعُ الحياة بعد مسيرة حافلة بالكفاح في تبيين وتبسيط قواعد النحو العربية ، تشهد كتبه وإسهاماته بذلك! ألا ما أصعب الفراق بدون وداع ، والوداع بدون فراق! ما أصعب أن تفارق روحاً كانت جزءًا منك ، دون أن تحزن ودون أن تتألم لذلك ، إنه حقيقة لا يوجد في الدنيا أصعب من فراق الأحبة. يرحلون عنا تاركين في القلب ندبات لا يزول أثرها ، ولا ينطفئ وجعها ، حتى وإن توالت الأيام ومرت السنون. فلو كانت للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال! ما أصعب حين تبحث عن مدامعك فلا تجدها! وتبحث عنها كي تُطفئ بها جذوة الاشتياق ولهيبُ الشوق والبين. وتبحث عنها لتخفف وطأة الألم وحدة الغضى ، لكنها تأبى النزول فتظل تحترق ، ويحترق قلبك بعدها إلى أن يُصبح رماداً. خيالهم يحيط بنا ، نستأنس بهم ونعيش على ذكراهم. والفراق حديثه الصمت ولسانه الدموع ، لا ندرى أنبكي عليهم أم نبكي على أنفسنا؟! تغيب شمس الأحبة وعند غروبها تصفر من ألم الفراق. فتتلاشى الملامح والأصوات! الفراق هو القاتل الصّامت ، والقاهر الميت ، والجرح الّذي لا يبرأمن المعلوم أن الفراق له وقع فاجع بين المحبين ، يعكس مشاعر الحزن ، ويكرس ألم الفراق هذا إذا كان الغائب حياً تُنتظر عودته فيتجدد نحوه الشوق بحسب طول غيابه ومسافة ابتعاده ، ويظل الأمل معلقاً عليه ، والرجاءُ مرتبطاً به في تعليل للنفس بالآمال المرتجاة لهذه العودة القريبة ، والصلة به موصولة على بُعده على أساس عودةٍ منتظرة ورجعة مؤملة كما هو واقعنا في هذه الدنيا. فكيف المقام إذا كان الفراق أبدياً لا يُنتظر له إياب ولا يُؤمل بعده عودة؟ وذلك كما هو واقع الحال في رحيل مَن ينتهي أجله ولا رجعة له من رحلته الأبدية إلى دنيا الناس. لاشك أن الفاجعة حينئذٍ ستكون فادحة ، والحزن أعم وأشمل. لانقطاع الأمل وتلاشي الرجاء في أوبة الراحل وعودة الغائب ، وهنا يتعمق الحزن فيهزّ كيان المحزون ، ولا يخفف لواعج الفراق ويهدّئ من توترات المحزون سوى الدموع التي يسفحها ، والرثاء الذي يخفّفها! لقد كان الدكتور فكري حجازي أستاذ العربية نحوها وصرفها للجميع ممن تلمذوا على يديه أو على أسفاره ومراجعه العلمية اللغوية الدقيقة! والحقيقة أنني لم يكن لي شرف التلمذة على يديه ، وكنتُ أتمنى ذلك ، ولكن لم يشأه الله تعالى لي! فقط تتلمذتُ على كتبه الطيبة المباركة كما تتلمذ غيري ، فألفيتُه سيبويه عصره ، وبأسلوب سهل ممتنع جامع مانع! فلقد جمع بين أصالة الماضي وعراقة الحاضر! فرثيته من قلبي بهذه القصيدة عرفاناً بفضله العظيم عليَّ وعلى غيري ممن تتلمذوا عليه مشافهة وكتباً ، فقلت على البحر المجتث!)

أثَـــــرْتَ فـــــي القلـــــب حقـــــا ... حتـــــى اســـــتكانَ ورَقـــــا

إذِ الرحيـــــــــلُ ابـــــــــتلاءٌ ... يَسُـــــوقُ للحـــــزن سَـــــوقا

والعـــــينُ تبكـــــي (النشـــــامى) ... والقلـــــبُ يَخفِـــــقُ خفقـــــا

(فِكـــــريْ) افتقـــــدناك نحـــــواً ... إليـــــه نشـــــتاقُ شـــــوقا

كـــــم جُـــــدْت بـــــالعِلم ترجـــــو ... بالضـــــــاد نصَّـــــــاً ونطقـــــــا!

وللتـــــــــــآليف سَـــــــــــمْتٌ ... مَتنـــــــاً وشَـــــــكلاً وذوقـــــــا

وكنـــــــت زللـــــــت فيهـــــــا ... صَـــــعباً علـــــى الكـــــل شَـــــقا

وكـــــــم أبنـــــــت خبايـــــــا ... تَبيينُهـــــــا اليـــــــومَ دَقـــــــا!

وكـــــــم شـــــــرحت شُـــــــرُوحاً ... تحتـــــــاجُ سَـــــــحباً وطرقـــــــا!

وكـــــــم نفعـــــــت البرايـــــــا ... ولـــــــم يُوَفـــــــوك حقـــــــا!

عِشـــــــنا نعُـــــــدُّك فينـــــــا ... مُعَلمـــــــاً حـــــــاز سَـــــــبقا

أفنيـــــــت فـــــــي البـــــــذل عُمْـــــــراً ... تتـــــــوقُ للخيـــــــر توقـــــــا

نـــــــذرت للضـــــــاد جُهـــــــداً ... والنـــــــذرَ وفيـــــــت صِـــــــدقا

واليـــــــومَ تمضـــــــي ، ويبقـــــــى ... دَيـــــــنٌ علينـــــــا اســـــــتحقا

أن ننشـــــــرَ العِلـــــــمَ نشـــــــراً ... كـــــي نســـــحقَ الجهـــــلَ ســـــحقا

أن نجعـــــــلَ الضـــــــادَ كأســـــــاً ... ظمآنُنـــــــا منـــــــه يُســـــــقى!

عَهـــــــــداً ســـــــــنُكْمِلُ دوراً ... بخوضـــــــــه ازددْت ضَـــــــــيقا

أبشِـــــــرْ بخيـــــــر ، فإنـــــــا ... فـــــي النحـــــو نـــــزدادُ عُمقـــــا

نحـــــــن التلاميـــــــذ ذبْنـــــــا ... فـــــي النحـــــو يـــــا فـــــذ عِشـــــقا

تُراثـــــــــك اليـــــــــومَ زادٌ ... أمســـــــى مِـــــــن الله رزقـــــــا

يـــــا ابـــــنَ (المبـــــرِّد) أيقـــــنْ ... بـــــأن عِلمـــــك يَرقـــــى

فـــــلا يَـــــؤزك هـــــمٌ ... رفقـــــاً بنفســـــك ، رفقـــــا!

فـــــي الغـــــرب نحـــــوُك نـــــورٌ ... مِـــــن بعـــــد أن ضـــــاء شـــــرقا!

ربـــــاه فـــــالطف بـــــ (ـــــفكريْ) ... حاشـــــاهُ بـــــاللطف يشـــــقى!

عبيد من ينفق عليهم!

(منذ فجر التاريخ ، والمفسدون في الأرض بجميع طوائفهم ، على اختلاف طرائقهم في الفساد والإفساد المتعمدَين ، يَعبدون من ينفق عليهم ويُرَوج لباطلهم ولفسادهم ولفجورهم! وتتنوع سبل الفساد ، وتكون أعتى عندما يُشَرعِنها المجرمون ، فتبيتُ مَألوفة للناس ومُباحة حسب القوانين ، لا حسب شريعة الله تعالى! منشور مع مقطع أسباب سقوط الحضارات للدكتور سفر الحوالي. (كان الموسيقار والمُغني العباسي الشهير عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي البغدادي ، ممن عاصر اجتياح التتار لبغداد سنة 656هـ. ففي يوم من أيام الخلافة العباسية ، قامت المغنية الشهيرة في بغداد والتي تُدعى (لحاظ) وهي فائقة الجمال بأداء أغنية لصفي الدين فاخر الأرموي البغدادي امام الخليفة المستعصم بلحن عجيب ، فسألها الخليفة عن صاحب هذا الحن فقالت معلمي الأرموي البغدادي ، فأمر بأحضاره فضرب العود بين يديه فأعجب به الخليفه وأمره بمُلازمة مجلسه وراتب خمسة آلاف دينار سنوياً. وهكذا كان آخر خليفه عباسي ببغداد يقضي الكثير من أوقاته بالاستماع إلى موسيقى الأرموي البغدادي حتى تولى الأرموي البغدادي منصب رئيس الموسيقيين في البلاط العباسي ومدير مكتب الخليفه المستعصم والصديق المقرب له. وكان يعلم أولاد المستعصم الموسيقى وضرب العود إضافة إلى إسماع الخليفة (الفاشل) الأغاني ، ومشاركته مجالس الفساد. يصف ابن الطقطقي حال الخليفة المستعصم بقوله: وكان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الأغاني ، ولا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعةً واحدةً ، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات ، لا يراعون له صلاحاً! واتجه المغول نحو بغداد لدمارها ، وحشد لها قائدهم الدموي هولاكو كل جيشه ، كل ذلك والخليفة عاكف على سماع الأغاني واستماع المثالث والمثاني ، وملكه قد أصبح واهي المباني. ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل ـ يطلب منه جماعةً من ذوي الطرب ، وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو إليه يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار ، فقال بدر الدين: انظروا إلى المطلوبَيْن ، وابكوا على الإسلام وأهله. فلما سقطتْ بغداد بأيدي المغول وقتل الخليفة ورجال دولته ، وأباد التتار أغلب الناس فيها ، حتى قيل إنهم قتلوا من أهلها حوالي مليونين مسلم ، كان المطرب (عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر) من القلائل الذين نجوا من سيوف المغول مع نصارى بغداد! واندفع المغولُ يسعون في بغداد فسادًا ، وأكثروا فيها القتل والفساد وخربوا الديار والقصور ، وهدموا المساجد والمكتبات ، واستمر هذا الوضع الأليم أربعين يومًا كاملة. وامتلأت شوارع بغداد بتلال الجثث المتعفنة ، واكتست الشوارع باللون الأحمر ، وعم السكون عاصمة الرشيد ، فلا يسمع فيها أحد إلا أصوات ضحكات التتار الماجنة. أو أصوات بكاء وأنين النساء والأطفال بعد أن فقدوا كل شيء! وفي وسط هذا الوضع المأساوي الذي يُذيب الصخور حزناً وكمداً إذ بفنان بغداد الشهير يعد حفل ساهر للقائد الميداني للجيش المغولي (بانوانوين) المسؤول عن المجزرة ومرافقيه من قادة المغول الذين لم تجف سيوفهم بعد من دم المسلمين ، ويستضيفهم في قصره الفاخر الذي يبدو أنه نجا من الدمار ، ليقيم مأدبة على شرفهم ، وحين فتح لهم الباب خر المطرب ساجداً وقبل الأرض بين يدي قائد المغول ، وترجاه أن يقبل هذه الضيافة! وأعد الفنان لضيوفه المغول المجلس وقدم لهم الخمور التي كانت منتشرة في بغداد قبيل سقوطها ، بعد أن فسد حال الناس وخلت المساجد وتعطلت حلقات العلم وتوقفت حركة التأليف والعلم والترجمة وبعد أن قدم الفنان الفاسد ما لذ وطاب لقائد المغول وحاشيته ، ولعبت

الخمرة برؤوسهم ، قدم الفنان فقرة رقص الجواري الحسان تحت إيقاع الأنغام البغدادية ، فرحن يغنين ويرقصن بخلاعة للمغول ، ليمارس القائد (بانوانوين) الفاحشة مع جاريةٍ منهن أمام أنظار المغني الفاسد ومائة من الحاضرين من أثرياء ووجهاء بغداد الفاسدين المدعويين للحفل والمطربين والفرق الموسيقية في مشهدٍ لا يخلو من الدياثة ، كما جاء في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج10 صـ500 ، ثم أرسل الفنان مع القائد المغولي التحايا والهدايا النفيسة لسيده هولاكو! وحضر صفي الدين الآرموي البغدادي عند هولاكو بعد دخوله بغداد ، وغنى بحضرته فأعجب غناءه هولاكو وعزف فأعجبه عزفه كثيراً فضاعف هولاكو راتبه السنوي وجعله عشرة آلاف دينار سنوياً ، وبعد هولاكو اتصل الأرموي البغدادي بخدمة علاء الدين وهو والي بغداد من قبل هولاكو ، وبمساعدة فنه ، تمكن من الحصول على موطئ قدم في عند المغول وهكذا انتقل الفنان من صديق الخليفة المستعصم المقرب ونديمه ، إلى الخادم الذليل لهولاكو وقادة جيشه! ولم يتأخر لحظة في تقديم خدماته من خمور ونساء للمغول وجعل من بيته خمارة وماخوراً لممارسة الفواحش بشكل علني بهيمي. وفي الأخير كانت نهاية المغني الفاسد عِبرة لمن يعتبر ، ففي أواخر عمره غلبت عليه الديون حيث مات في السجن بسبب دين عليه (300 دينار) وكان عند سقوط بغداد يملك أموال تساوي ميزانية دول ، فتقلب به الحال ليموت مسجوناً في مبلغ حقير (جَزَاءً وِفَاقًا). والخلاصة أن أهل الفن والطرب لا أخلاق لهم ولا عهد ولا ذمة ، فهم عبيد لشهواتهم وعبيد لكل حاكم ، وخدم لكل ذي مال وجاه يبغضون أهل العفة والشرف والدين. والشقي التعيس من اتخذ من هؤلاء الفساق قدوة له في حياته).هـ. والحقيقة المُرة أن كثيراً من هؤلاء المفسدين في الأرض بعد أن يُزَوجوا للفواحش والموبقات بأفلامهم ومسلسلاتهم وأغنياتهم ومسرحياتهم ، يظهرون بين الفينة والأخرى على أنهم مرشدون إصلاحيون ناصحون أمناء للناس ، وتجري الحكمة على ألسنتهم ، بينما هم لم يبرأوا إلى الله الجبار القهار المنتقم – سبحانه وتعالى - من أعمالهم الفنية! وعجب العجاب أن يتحدثوا عن فساد الناس وإشاعة الفاحشة فيهم ، وينسون أو يتناسون أنهم كانوا سبباً مباشراً فيها! كذلك يتحدثون عن الغلاء والوباء والبلاء الذي لحق بالناس في الآونة الأخيرة ، متجاهلين أن أعمالهم الفنية والموسيقية والإباحية ، كانت سبباً مباشراً في إيجاد هذا كله! كذلك يتحدثون عن انحراف الشباب وميله للجريمة وللدعارة وللفجور ، متغافلين عمداً عن جرائمهم التي أشربوها للناس تحت مسمى الفن والإبداع! وهنا تتخدَّرُ مشاعرُ الناس إلى حين ، ولكن لا يستمرُ هذا الحالُ المُعْوَج طويلاً ، فسرعان ما تنكشفُ خِدعُهم وتكتشفُ الجماهيرُ المخدوعة ما هم عليه من باطل وفساد وفجور ، ما كان له أن يصمد طويلاً! قلتُ في هذا على البحر المديد!)

مُفســـــدون ، والـــــدعاوى اســـــتبانتْ ... والضـــحايا وَعْيُهـــا اليـــومَ صـــامتْ

أوغلـــوا فـــي التيـــه دهـــراً ، فضـــاعوا ... وريـــاحُ العُهـــر عَمَّـــتْ ، وفاحـــت

فِرقـــــة ضَـــلتْ ســـبيلَ المَعـــالي ... ولِمَـــا تهـــوَى دَنـــتْ ، واســـتكانت

عَربـــدَتْ فـــي الأرض شـــرقاً وغربـــاً ... ولهـــا الأهـــواءُ رَقـــتْ ، ولانـــت

واعتراهـــا الســـوءُ فـــي كـــل شـــيءٍ ... ولـــه فـــي النـــاس صـــالتْ ، وجالـــت

لـــم تَخَـــفْ ربـــاً ، ولـــم تَـــرْعَ دينـــاً ... ولـــذا كـــلَّ المَخـــازي استســـاغت

شَـــرْعَنتْ فِســـقاً يَـــرُوحُ ، ويغـــدو ... سُـــوقه بـــين الهلافيـــت راجـــت!

كَفكِفـــوا يـــا عِيـــرُ هـــذا التـــردي ... إنّ دَعْـــواكم – وربـــي - اســـتبانت

تنشـــرون الفحـــشَ شـــرقاً وغربـــاً ... خـــابَ ســـعيٌ! والشـــعاراتُ خابـــت!

هـــزلكم أودى بعِـــزة قـــوم ... بـــارَكوا أعمـــالكم حـــينَ ذاعـــت!

يـــا عبيـــداً للألـــى جَنـــدُوكم ... لنفـــوس للمفاســـد مالـــت

تزعمـــون الفـــنَّ ينشُـــرُ هَـــدْياً ... صـــدِّقوني الدولـــة اليـــومَ دالـــت!

أي هـــدْي يـــا حُثـــالات جيـــل ... ضَـــجَّتِ الأخـــلاقُ ، ثـــم اســـتجارت

هـــل أفـــادَ الـــرَّقصُ إلا نـــدامى ... سَـــربلتْهم شـــهوة مـــا اســـتقامت

والأغـــاني أزهقـــتْ كـــم فئامـــاً! ... والنفـــوسُ مِـــن أذى اللحـــن عانـــت!

ربِّ خلصْـــنا مِـــن الفـــنِّ أودى ... بـــديار أشـــمَتتْ كـــل شـــامت!

العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)

(كتب الشاعر العبقري عبد الناصر عليوي العبيدي نصه الرائع: (العشق المهلك) ، فلما طالعتُه للمرة الأولى تولد عندي مطلعٌ يُحاكي نصه! فعزمتُ على إكمال المُحاكاة حُباً في العبيدي وبُغضاً في منهج العشق المهلك! فكانت هذه القصيدة ترجمة له! يقول مطلع العبيدي:-

الـــذئبُ يأكـــلُ كـــل يـــوم نعجـــة ... وبعدلـــــه تتـــــبجح الأغنـــــامُ!

قالـــت: مُخلصُـــنا ، وحـــامي أرضـــنا ... وبـــــه غـــداً تتحقـــقُ الأحـــلام!

ويستمر (العبيدي) في وصف العشق المهلك مبيناً كيف عشقتِ الأغنام الذئب الذي استفحل خطره ، ودعا صحبه ورفاقه ليأكلوا معه ، إلى أن يختم (العبيدي) بالتنديد بالرعاة الذين سلموا أغنامهم طائعين للذئاب ، محملاً إياهم المسؤولية الأخلاقية والأدبية ، فيسجل في رمزية نادرة اعتراف الجميع ـ موضحاً أبعاد المؤامرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ بقوله:-

فجميعُنـــا ضـــد النعـــاج حقيقـــة ... وعـــــدوُّنا وعـــــدوُّك الإســـــلامُ

أيـــــلامُ ذئـــــبٌ بـــــالغريزة حاقـــــدٌ؟! ... أم إن شـــــذاذ الخِـــــراف تُـــــلام؟!

فنسَجتُ على مِنوال العبيدي هذه القصيدة في محاكاته! وأعلم علم اليقين أنني لم أبلغ شأو (العبيدي) في الشعر ، ولكن يبقى لي شرفُ المحاولة الذي أدندنُ حوله في كل مرة أحاكي فيها فحولَ الشعراء! وعسى اللهُ تعالى أن يكتب الأجر لي وللعبيدي على ما نكتبه من الشعر نسقطه على واقعنا الكسير ، علنا نساهم في إصلاح مُعوجه! فالدال على الخير كفاعله!)

الـــــذئبُ شَـــــدَّتْ أزرَه الأغنـــــامُ ... وظهيرُهـــا – فـــي الشـــدِّ – الاستســـلامُ!

منحَتْـــه عـــن عمـــدٍ زمـــامَ قِيادهـــا ... وكأنـــــه المُتصـــــرفُ القـــــوَّام!

إن شـــاء فلـــيَطعمْ ويَعـــزمْ صـــحبَه ... إذ إن أفـــــراد القطيـــــع كِـــــرام

أو شـــاء بـــاعَ مـــن القطيـــع أو اشـــترى ... وفـــق الهـــوى ، مـــا فـــي البيـــوع سَـــوام

أو شـــاء ذبَّـــحَ ، والمُـــدى مَشـــحوذة ... ويُعينـــــه الجـــــزارُ واللحـــــام

أو شـــاء جَـــوَّعَ ، والقطيـــعُ مُرَحِّـــبٌ ... يُزجـــي المـــدائحَ منـــذ غـــابَ طعـــام!

أو شـــاء عطـــشَ رغـــم وفـــرة مائـــه ... فالشـــربُ ـ يـــا غـــنمَ القطيـــع ـ حـــرام

أو شـــاء فليقصِـــفْ حظـــائرَ أسِّســـتْ ... لتعـــيشَ داخـــل سُـــورها الأغنـــام

أو شـــاء هجَّرَهـــا ، وحـــاز ربوعَهـــا ... مـــن بعـــد أن أفتـــى لـــه (الحاخـــام)!

أو شـــاء شـــرَّدَ بعضَـــها متغلبـــاً ... وســـلاحُه التقتيـــلُ والإرغـــام!

أو شـــــاء ســـــربلها بأشـــــرس قيـــــدِه ... ولـــــه ـ علـــــى تقييـــــدها ـ إجـــــرام

هـــــذي مبادئـــــه ، وذلـــــك شـــــأنه ... فعليـــــه – مـــــن رب الأنـــــام – الســـــام!

هـــــو لا يـــــرى غيـــــرَ الـــــذئاب خلائقـــــاً ... فلتســـــقطِ الأهـــــدافُ والآضـــــام!

وإلـــــى هنـــــا فالـــــذئبُ لـــــيس يَعيبُـــــه ... مـــــا قـــــد رأى أبـــــداً ، فـــــلا اســـــتذمام!

لكنمـــــا الأغنـــــامُ تعشـــــقُ ذئبَهـــــا ... كيـــــف استســـــاغتْ؟ بـــــئسَ الاســـــتفهام؟!

هـــــل أصـــــبحتْ (ليلـــــى) وذئـــــبٌ (قيسُـــــها)؟! ... هـــــل بـــــين (ليلـــــى) والوحـــــوش غـــــرام؟!

تعســـــاً لعشـــــق لا يُسَـــــلي أهلـــــه ... بـــــين الأنـــــام ، وخـــــابَ بعـــــدُ هُيـــــام!

يـــــا هـــــذه الأغنـــــامُ عِشـــــقكِ مُهلـــــكٌ ... أفـــــلا يَصـــــدُّكِ عـــــن هـــــواكِ حِمـــــام؟!

عِشـــــقُ الـــــذئاب إهانـــــة ومَذلـــــة ... وفضـــــيحة يهـــــذي بهـــــا اللـــــوام!

أزرى بـــــكِ العِشـــــقُ الرذيـــــلُ ، فـــــأقلعي ... عمـــــا يَشـــــينكِ ، عابَـــــكِ الآنـــــام

كيـــــف ارتأيـــــتِ الـــــذئبَ ألطـــــفَ عاشـــــق ... وهـــــو الكفـــــورُ تحوطـــــه الآثـــــام؟!

أوَمـــــا قـــــرأتِ علـــــى المَـــــدى تاريخـــــه ... إذ خطـــــه بمِـــــداده النهـــــام؟!

ذئـــــبٌ إلـــــى ســـــفكِ الـــــدما مُـــــتعطشٌ ... جَـــــمُّ المفاســـــد ، واســـــمُه (بَلعـــــام)!

ويـــــرى حميـــــراً دونـــــه كـــــل الـــــورى! ... ذئـــــبٌ تُشـــــكلُ عقلـــــه الأوهـــــام

ويُشِـــــيعُ فـــــي الأرض الفســـــادَ بـــــلا حيـــــا ... وعـــــدوُّه ـ فـــــي ذي الـــــدنا ـ الإســـــلام

ولـــــه جـــــرائمُ لا ســـــبيلَ لعـــــدِّها ... مهمـــــا رَصَـــــدتُ تخـــــونني الأرقـــــام!

ولـــــه هـــــزائمُ أزهقـــــتْ ثرواتـــــه ... شَـــــهِدَتْ بهـــــا الأصـــــقاعُ والآكـــــام

ورفاقـــــه لـــــم يفقهـــــوا كبواتـــــه ... وكـــــأنهم ـ فـــــي دعمـــــه ـ أصـــــنام!

يـــــا هـــــذه الغـــــنمُ الـــــذئابُ تجمهـــــرتْ ... لـــــو كـــــان ذئـــــبٌ لـــــم تـــــذلَّ الهـــــام

بـــــدأتْ بـــــذئب ، ثـــــم نـــــادى قومـــــه ... فتكتلـــــوا ، واستأســـــدَ الأقـــــوام!

وأتـــــوا علـــــى الأغنـــــام دون هـــــوادة ... حمـــــل اللـــــواء جـــــوارحٌ ورُهـــــام

بـــــدأوا براعيهـــــا وقائـــــد جمعهـــــا ... لمَّـــــا يَعُـــــدْ راع ولا غنـــــام!

والـــــدَّورُ آتٍ كـــــل مـــــن خنعـــــوا لـــــه ... وعقابَـــــــــه ســـــــــيناله الظـــــــــلّام

فخـــــذي بنصـــــح (ابـــــن العبيـــــديِّ) الـــــذي ... أزرى بعِشـــــــقكِ ، والقصـــــــيدُ سِـــــــهام

ورأيـــــتُ (عبـــــدَ الناصـــــر) اختصـــــرَ المَـــــدى ... والـــــــنصُّ يُنبـــــــيءُ أنـــــــه مِقـــــــدام!

هـــــو شـــــخصَ الـــــداءَ الـــــذي أودى بنـــــا ... وكـــــــأن فـــــــي طياتـــــــه الجرســـــــام

ومُحـــــــذراً سُـــــــمرَ النعـــــــاج مُبينـــــــاً ... خطـــــرَ الـــــذئاب ، فمـــــا عليـــــه مـــــلام!

وكلامـــــه فصـــــلٌ لمـــــن يُصـــــغِي لـــــه ... فعســـــى يُفِيـــــدُ الغـــــافلين كـــــلام!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

شدت أزره: أي قوت من عزمه. القوام: أي القائم على أمرها المتولي قيادها. سوام: أي مساومة في عمليتي البيع والشراء! المُدى: جمع مُدية وهي المطواة أو السكين في أيدي الشطار! اللحام: بائع اللحم. السام: اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى. استذمام: تعيير أو تعييب. الآضام: الآمال والطموحات. هُيام: شدة الحب والتعلق. حِمام: موتٌ وهلاك. الآنام: الخلائق. النهام: الراهب الذي يكتب ويؤرخ. بلعام: هو بلعام بن باعوراء عالم بني إسرائيل ، وفيه نزلت آية سورة الأعراف: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها). الآكام: الصخور. كبواته: عثراته ومزالقه. الهام: جمع هامة وهي الرأس. رُهام: هي جوارح الطير كالصقر والنسر والباز والشاهين. خنعوا: أي رضخوا. ابن العبيدي: هو شاعرنا الكبير عبد الناصر عليوي العبيدي ، وهو شاعر غني عن التعريف ، وقد عارضناه من قبل في قصيدتنا: (رد سادة القبائل على اليمامة) ، ولا يخفى أن الأستاذ عبد الناصر له قدم طولى علينا ، في تقديمنا وأشعارنا للناس وللجمهور ، ونقول هذا معترفين بفضله. الجرسام: أي السم الزعاف.

حربٌ تُخَضبها الدماء!

(محاكاة لنص نقوش على جدار الحرب للشاعر أحمد عبد الحي)

(حاكيتُ الشاعرَ القديرَ أحمد عبد الحي في قصيدته الطيبة المباركة التي عنوانها: (نقوشٌ على جدار الحرب! وذلك لِما لمستُ في الأستاذ الشاعر من حَس مُرهفٍ وقدرةٍ فائقةٍ على التعبير! وأعلمُ أن نص الأستاذ يَفوقُ ما كتبتُه بمراحل ، ولكنه شرفُ المحاولة الذي يحدوني دائماً ، والفضلُ والسبقُ لمن سبق! وكان الأستاذ قد استهل قصيدته بالحَيرة فقال:-

مـــن أيـــن أبتـــدئ الكـــلام وأنطِـــق؟! أو كيـــف أنظـــم دُرتـــي وأنمـــق؟!

وبـــأي قافيـــةٍ أصَـــفف بيتهـــا وبـــأي لحـــن يســـتجيبُ المنطـــق؟!

ويستمر الشاعر في وصف الحرب ، وبين فظاعتها وآلام أهل أرض الرباط المباركة ، راسماً صورة للتفاؤل بمستقبل عظيم تعجز الكلمات عن تصويره ، فيقول:-

مـــا عـــدتُ تغرينـــي الحـــروف لأنهـــا كتبـــتْ لشـــاردةٍ وباتـــت تزهـــق

فخلعـــتُ مـــن لغتـــي الكـــلام ، وربمـــا تعـــبَ الكـــلامُ مـــن الكـــلام ويرهـــق!

والحقيقة أن النص في حقيقته سُلوانٌ لأهل عزة المساكين الذين خذلهمُ القاصي والداني! فلهم الله تعالى الغالب القاهر فوق عباده ، والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً! والآن نعيشُ مع نصِّنا!)

مـــا أجمـــلَ الهيجـــاءَ نبضـــاً يَخفِـــقُ! وتبيـــتُ فـــي الآفـــاق شمســـاً تُشـــرقُ!

مـــا أجمـــلَ الهيجـــاءَ تُفهـــمُ مـــن طغـــى أن الحقيقـــة نورُهـــا يتـــألق!

الثـــأرُ يَكـــوي ، والمكائـــدُ تصـــطلي والمَكـــرُ بـــين يديـــه دَفَّ البَيـــرق

وتكالبـــتْ أمـــمُ الأعـــادي فـــي الـــوغى ووطيسُـــها يُصـــغِي لبُـــوق يَنعِـــق

هـــي يـــا (ابـــن عبـــد الحـــي) ســـاحة مُلتقـــى شـــبَّتْ جهالتُهـــا ، وغـــابَ المَنطـــق!

بـــين الضـــعاف وقـــد تعـــاظمَ ضـــعفهم والمُعتـــدين مِـــن الـــذين تحـــذلقوا

بـــين التقـــاة الأبريـــاء لهـــم جَـــوىً والمجـــرمين وجـــرمُهم يَتحـــرق

والحـــربُ بـــين الكـــل فـــارَ ســـعيرُها ومُسَـــعِّروها فـــي المـــآل تفيهقـــوا

ورأيـــتُ بعضـــاً فـــي المصـــائر غرَّبـــوا والـــبعضَ فـــي شـــأن المعـــارك شـــرَّقوا

تعســـاً لهـــذي الحـــرب أغـــرق شـــؤمُها داراً بكـــتْ أصـــحابَها إذ أغرقـــوا!

حـــربٌ تُخضـــبها الـــدماءُ عزيـــزة بـــأكُف أعـــداءٍ عَتـــوا ، لـــم يُشـــفِقوا

كـــــم هُـــــدِّمتْ دُورٌ علـــــى سُـــــكانها ... وأوى الألـــى هربـــوا العَـــرا والخنـــدق!

كـــــم أزهقـــــتْ أرواحَ قـــــوم عُـــــزل ... ودمـــــاؤهم فـــــوق الثـــــرى تتـــــدفق!

كـــم شـــردتْ شـــعباً ترفـــعَ ، مـــا ارعـــوى ... لـــــدغاول حِيكـــــتْ بأعـــــداءٍ شـــــقوا!

وإذا تـــــرى الأطفـــــالَ والأنقـــــاضَ لـــــم ... تُمســـكْ دموعـــاً فـــي المصـــيبة تُهـــرق!

وإذا تـــــرى أتقـــــى النســـــاء قوانتـــــاً ... يبكـــين مـــا فعـــلَ الـــبلاءُ المُحْـــدِق!

حـــربُ الكرامـــة لـــم تضـــعْ أوزارَهـــا ... فالنـــارُ مُوقـــدة ، ويســـعى الفيلـــق

هـــي يـــا (ابـــن عبـــد الحـــي) حَـــتمٌ لازمٌ ... والمعجـــــزاتُ بســـــاحها تتحقـــــق

فـــــي بَرِّهـــــا أو جَوِّهـــــا أو بَحرهـــــا ... فيهـــــا أمـــــورٌ لا تكـــــادُ تُصـــــدَّق!

وإذا تـــــرى الأنفـــــاقَ تقـــــذفُ بـــــاللظى ... وشـــــواظ نـــــار يجتبيهـــــا الـــــزورق

دعهـــا تُطهـــرُ مـــن خيـــاس أرضـــنا ... لتعـــود أرضـــاً بالطهـــارة تنطـــق!

لتنـــــال (كهفياتُـــــك) الجـــــاهَ الـــــذي ... أبياتُـــــك الغـــــرا بـــــه تتعلـــــق

فـــذر الجبـــال ، وعُـــد لنـــا مستبشـــراً ... بالنصـــــر أنـــــت لشـــــكله تتشـــــوق

الحـــــربُ عَلمـــــتِ الصـــــغيرَ إبـــــاءَه ... ليعـــــيش معتـــــزاً ، فـــــلا يتملـــــق

داعـــــبْ قصـــــيدتك التـــــي ســـــطرتها! ... روحُ القصـــيد علـــى المـــدى لا تُزهـــق

صُـــورُ التفـــاؤل جمـــة ، فـــافخر بهـــا ... ونســـيمُ عِزتهـــا عطـــورٌ تعبـــق

ونقوشـــها شـــتى ، وشِـــعرُك زانهـــا ... والـــنص مـــن زبـــد الكـــلام منســـق

وعلـــى (جـــدار الحـــرب) زينتُهـــا بـــدتْ ... مثـــل اللآلـــئ زانهـــا الاســـتبرق

آمـــنْ بـــأن الله مُنجـــزُ وَعـــدِه ... والخيـــرَ آتٍ ذات يـــوم يُغـــدِق

والميتـــون اليـــوم يُولـــدُ غيـــرُهم ... فـــالله مَـــن يهـــب الأنـــامَ ويـــرزق

ولســـوف نبنـــي مـــا الأعـــادي هـــدَّموا ... ونصـــيرُنا وظهيرنـــا مَـــن يَخلـــق!

مأساة سُليمى!

(محاكاة لنص مأساة سُليمى للشاعرة العامرية)

(أحاكي نص: قفي يا سُليمى للشاعرة العامرية ، لِمَا ألفيتُ فيه من عذوبة نص وجمال فكرة ودقة معالجة للواقع! وللشاعرة العامرية عدة قصائد تتفاعل فيها لأرض الرباط وأهلها بمستقبل عظيم يكون النصر فيه للمؤمنين! وتعود مع النصر الوشيك الكرامة والعزة! وكانت شاعرتُنا العامرية قد استهلت قصيدتها ببكاءٍ على الأطلال لم تقدر عليه وحدها ، فطلبتْ من (سُليمى) أن تشاركها! متأثرة بما حدثَ للديار من قصف همجي بربري غاشم فتقول:-

قفــي يــا سُــليمى دون غــزة وانــدبي ... وهلــي دمــوع العــين ، ثــم تحســبي

وطــــوفي بـــــدار للكِـــــرام تهـــــدَّمتْ ... تضـــمُ رُفـــاة مِـــن أبـــيٍّ وأهيـــب

وتجاوزت الشاعرة البكاء على الأطلال ، لتستأنف وصفَ المأساة. وتناولتْ فيما تناولت التخاذل القائم باكية معنا على المجد التليد والأنفة اليعربية والكرامة المُضرية ، وتختم واصفة حالها:-

فــإني نزفــت الــدمع مــن شــدة الجــوى ... ومــا طــاب لــي نــوم ولا طــاب مشــربي

ومـــــا ذاك إلا أن مجـــــداً تقوضـــــتْ ... مبانيـــه ، أضـــحى كـــالأديم المثقـــب

وتـــــالله لا عَـــــودٌ لأمجـــــاد قومنـــــا ... إذا لـــم نكـــن مثـــلَ دَلاص ومِقضـــب!

وأراها نجحتْ نجاحاً باهراً في محاكاة القصيدة العربية الجاهلية الأولى مستوفية شروطها ، وتفردتْ بجديدٍ هو تشخيص الواقع وتحديد طرق علاجه! وكم تطرب نفسي وتسعد روحي عندما أجد شاعراً أو شاعرة يعيش لقضيةٍ وينذر نفسه وشعره لها ، وينتصر لها مهما كانت التكاليف! وأحسب الشاعرة العامرية من هذا النوع! ولستُ أزكي على الله ربي أحداً! والله تعالى حسيبها ووكيلها ، وهو سبحانه أعلم بها مني! والآن نطالع المحاكاة العامرية!)

(سُـــليمى) أطلـــتْ بـــالجَبين المُقطـــبِ ... لتحكـــيَ مأســـاة بقلـــب مُعَـــذبِ

وتُكشـــفُ أســـراراً تنـــوءُ بحَملهـــا ... وتُـــدلي بـــرأي فـــي الصـــراحة مُعتِـــب

وتفضـــحُ أقوامـــاً تـــأخرَ فضـــحُهم ... وتجتـــثُ إرجافـــاً شـــديدَ التهيـــب

وتُـــزري بألقـــاب تســـامى احترامُهـــا ... لأصـــحابها شـــأنٌ رَفيـــعٌ ومَوكـــب

تقـــولُ: فجعـــتِ القلـــبَ يـــا (ابنـــة عـــامر) ... فمـــا لـــي وقـــد فـــاض الجـــوى أيُّ مَهـــرب

نكـــأتِ جراحـــي ، فاســـتحالَ علاجُهـــا ... ومـــا طـــابَ لـــي فـــي عِيشـــتي أيُّ مـــأرب

أنـــا قصـــة مَكلومـــة نصُّـــها اســـتمى ... فمـــا تُليـــتْ ، أو داعبـــتْ قلـــبَ مطـــرب

أنـــا مـــن عقـــود ســـبعة لســـت حـــرة ... وداري تُعـــاني فـــي الـــدنا كيـــدَ أذؤب

وسُـــوآى ذوي قربـــايَ أعتـــى مـــن الـــرَّدى ... وحُضـــارُ قـــومي قـــد أحيطـــوا بغيـــب

أنـــا أشـــرقتْ شمســـي دُهـــوراً تعاقبـــتْ ... ولـــم تمـــتحنْ يومـــاً بمحنـــة مغـــرب

أنـــا مَهـــبط الـــوحي الجليـــل تفضـــلاً ... وأرضِـــي حَـــوَتْ مـــن كـــل شـــرع ومَـــذهب

وفـــوق ربـــوعي الرُّسْـــل عاشـــوا وبلغـــوا ... وهـــل فـــوق تبليـــغ الهُـــدى أيُّ مكســـب؟

فـــلا تُكثـــري لـــومي ، فـــإني كســـيرة ... فرقـــي لـــوجْعَى ، إنمـــا الرفـــقُ مَطلبـــي

أعاتـــبُ أعرابـــاً تخلـــوا ، وأهملـــوا ... وبـــاعوا الإخـــا ، والخـــذلُ لـــيس بطيـــب

إنْ لـــم أكـــنْ مـــنهم فنصـــري مُحَـــتمٌ ... أنـــا جـــارة ضِـــيمتْ بتـــدبير أكلـــب

فهـــل زاحـــمَ الخـــذلانُ أخـــلاقَ (يعـــرب)؟! ... وأيـــن ســـجايا زيَّنـــتْ سَـــمت يَعـــرب؟!

متـــى كانـــتِ الأعـــرابُ يَرضَـــون ذلهـــم ... ويَلقـــون أعـــداءً ببـــذل التحسُّـــب؟!

متـــى سَـــلّمَ الأعـــرابُ دُوراً مِـــن الحِمـــى ... لكـــي يَســـلموا مِـــن بطـــش عـــاتٍ ومُرعِـــب؟

أثمِّـــنُ شـــعرَ (العامريـــة) أفصـــحتْ ... عـــن الحـــال بـــاللفظ المَشـــوق المُحَبـــب

وأعْلمهـــــا أن الـــــديارَ أبيـــــة ... ومَـــن يَصـــطبرْ يُفلـــحْ ويَـــنجحْ ويَغلـــب

وتاريخنـــا كـــم فيـــه يـــا أختُ مِـــن أســـىً! ... ومَـــن يقـــرأ التـــاريخ يَرشُـــدْ ويَطـــرب

ســـيعلمُ أن الظلـــمَ يَحفـــرُ قبـــرَه ... وإنْ يـــكُ مَحميـــاً بأسْـــدٍ وأعقـــب

لـــيَ اللهُ يـــا أخـــت الهُـــدى خيـــرُ ناصـــر ... ومَـــن ينصـــرِ الـــرحمنُ يَـــربحْ ويَكســـب

وأهـــدي ســـلامي للعـــراق وأهلـــه ... وكـــلِّ هُمـــامٍ لـــوذعيٍّ وأدرب!

حنانيك يا عبد الحي!

(محاكاة لنص كهفيات عبد الحي للشاعر أحمد عبد الحي)

(أحاكي الشاعرَ القديرَ أحمد عبد الحي في نصه الرائع: (كهفيات عبد الحي) ، وذلك لما احتواه النص المحترم من جاذبية الشعر وبيان عظيم رسالته! والشاعر فيما يبدو قد دفعته ظروف الحياة لأن يعتزل أهلها قليلاً ، ثم أرسل راحلة فراقه ، وعاد إلى الناس! وكان الشاعر قد استهل قصيدته بمطلع يبين حاله وأنه ارتأى هجرة البلاد تطلعاً لغدٍ ومستقبل أفضل فقال:-

وقد أويتُ إلى الجبال ، لأنني ... من بعد نصب قد بلغتُ مرادي

حتى خرجتُ من البلاد لنلتقي ... وتعلم الطفل الذي بفؤادي!

واستمر الشاعر في شجونه مسامراً غربته ومستفيداً من دروسها القاسية ، فتوصل إلى قرار حازم صارم رغم عدم حبه له ، وهو عودته إلى الناس من جديد. فقال الأستاذ عبد الحي:-

ورجعتُ من كهف الحقيقة واجداً ... وخرجتُ من سجن الحقيقة حادي

سأسوق راحلة الفراق لأنني ... ما عاد يجدي أوبتي ورشادي

وعندما طالعتُ النص تذكرت غربتي التي ربما لا تقل قسوة عن غربة الشاعر عبد الحي إن لم تزد عليها! لقد كانت تجربة مريرة! ومن هنا كانت محاكاتي لنص الأستاذ عبد الحي!)

أهديتُ (راحلة الفراق) جِلادي ... وأعَرتُها في العائدات فؤادي

ودخلتُ (كهفياتِ عبد الحي) ، لم ... أحفلْ بصَولة مجرم أو عادِ!

ورحلتُ قبلك ، واصطليتُ بغربتي ... وجهدتُ فيها غاية الإجهاد

وجَرَعتُ خذلَ الصحب مُرَّاً عَلقماً ... وأصِبتُ من خذلانهم بسُهاد

وشَقِيتُ بالأهلين أعظمَ شِقوةٍ ... وكأنهم خلقوا لكبح ودادي

وشَرِقتُ بالخلان لمَّا أسفروا ... عن حِفنةٍ مِن سيئ الأوغاد

ورأيتُ في التغريب كهفاً مُوحشاً ... حتى رأيتُ الأنسَ أرضَ بلادي

في غربةٍ أنا ما احتفلتُ بطولها ... إذ عَوْدتي لمَحلتي مِيلادي

سَلني عن التغريب كيف بلاؤه ... وشؤونه سَكنتْ شِغافَ فؤادي

فلقد علمتُ بكهفه ورقيمه ... علماً يفوقُ كتيبة الأفراد!

كُـــن حِلـــسَ بيتـــك ، لا تُصـــاحبْ أرذلاً ... عمـــداً يَبيعُـــك فـــي زهيـــد مَـــزاد

وانظـــرْ إلـــى مســـتقبل مترصـــدٍ ... ترنـــو إليـــه نـــواظرُ الأحقـــاد

إذ إن تحديـــد المُـــرام فراســـة ... فيهـــا تكـــونُ مَصـــارعُ الحُسَّـــاد

أنـــا يـــا (ابـــن عبـــد الحـــي) ذبـــتُ تحســـراً ... أنْ لـــم أجهـــز للقتـــال جيـــادي

بيَّـــتُّ حُســـنَ الظـــن ، أحسِـــبُ أننـــي ... فـــي غربتـــي فـــي عـــالم الزهـــاد

قـــدَّرتُ أشـــياءً تُفِيـــدُ صَـــحابتي ... والصَّـــحبُ لـــي فـــي الكيـــد بالمرصـــاد

والله قـــــدَّرَ أن أذوق عـــــداءَهم ... ســـبحان ربـــي المســـتعان الهـــادي!

قـــدَّمتُ خيـــري وافـــراً ومقنطـــراً! ... والســـوءُ مِـــن صَـــحب لئـــام بـــاد

هـــذا قصـــيدُك هـــيَّجَ الـــذكرى جـــوىً ... وأنـــا أحـــاكي الـــنص بالإنشـــاد

(الكهـــفُ) أولـــى مـــن رفـــاق كالغثـــا ... (الكهـــفُ) أطيـــبُ مـــن رفـــاق النـــادي

(الكهـــفُ) فـــي دنيـــا اغترابـــك جَنـــة ... ترتـــاحُ فيهـــا مِـــن شُـــرور عِبـــاد

درسُ الحيـــاة ببـــاح كهفـــك نجـــدة ... ممـــا تُعـــاني الـــنفسُ مـــن تَسْـــهاد

وهـــو النجـــاة مِـــن المَهالـــك تجتنـــي ... فـــي كـــل قلـــب طعـــمَ أي وداد

وهـــو الســـبيلُ إلـــى اتقـــاء معـــارك ... رَصَـــدتْ وقـــوداً أســـوأ الأجنـــاد!

التضـــحياتُ كثيـــرة ، ومِلاكُهـــا ... أن لا يُصـــيبَ الـــروحَ أي فســـاد

صـــورُ الـــبلا شـــتى ، وأعتاهـــا الهـــوى ... لِيُزيـــغ بالإرغـــاء والإزبـــاد

تصـــطادُك الـــدنيا إذا أحببتهـــا ... فاحـــذرْ فِخـــاخ الصَّـــيد والصَّـــياد!

لا تخلـــدَنَّ إلـــى زخـــارف أخـــذها ... فلتـــدفعنَّ مَغبـــة الإخـــلاد

(الكهـــف) مَلجـــأك الوحيـــدُ حقيقـــة ... ولزومُـــه يُنجيـــك يـــومَ مَعـــاد

واحـــذرْ مَقولـــة رفقتـــي وصـــحابتي ... لا ألفينـــك تهـــذينْ: (عُـــوَّادي)!

عاشـــرتُ قبلـــك ، والقصـــائدُ شـــاهدي ... ورأيـــتُ أغلـــبَهم بـــدون رَشـــاد!

ما غابت الشمس!

(محاكاة لنص الشمس غابت للشاعرة نسرين بدر)

(أحاكي قصيدة الشاعرة القديرة نسرين بدر: (الشمس غابت) ، وذلك لِما لمستُ فيها من دِقة التشخيص للواقع ومعالجته بالشعر! الأمر الذي يعجز عنه حقاً كثيرٌ من الشعراء! حيث ينجحون في تشخيص الواقع ، ولا تكون منهم ولو بادرة واحدة في إصلاحه! لكن المتتبع لشعر نسرين بدر يجدُها تنفعل وتتعاطف وتشخص وتعالج! فجزاها الله خيراً كثيراً عن أرض الرباط وأهلها! وتبدأ نسرين بدر بوصف حالتها وشعورها عندما هالتْها الأخبارُ المُفجعة ، فتقول:-

سـهمٌ أصـاب القلـبَ طـاف بـداري! عـين الخلائـق أغلقـتْ بعـوار!

وتعرقلـتْ كـل الظـروف بغـزةٍ وتعالـتِ الـدنيا علـى أسـواري

وتستمر الشاعرة في السرد الشعري الدقيق لمأساة غزة وأهلها ، وتوصي الجميع بأن لا ييأسوا من النصر المبين الوشيك ، حتى تختم قصيدتها برسم صورة تفاؤلية فتقول:-

سـتعود بالإصـرار (غـزة هاشـم) فـالله يخسـفُ طغمـة الأشـرار

إنـا عُتـاة لا نلـينُ لظـالم والله ناصـرُنا علـى الكفـار

وبـديننا نعلـو وهـدي نبينـا سنسـودُ فـوق العـالم المنهـار

والحقيقة أنني أخذت بجمال النص وعذوبة الكلمات ، فكانت مُحاكاتي لهذا الجمال الشعري.)

(نسـرينُ) شمسُـكِ فـي السـماء تُـواري مـا لاحَ مـن سُـحُب ، ومـن أمطـارِ

وتُخبِّـيء النصـرَ المبـين تـدللاً ووراءهـا أخفـتْ سـنا الأقمـار

وتُـدَثرُ الفجـرَ الوليـدَ تشَـوُّقاً للصـبح إمـا شـط فـي الإسـفار

مـا (غابـتِ الشـمسُ) اهـدئي ، وتـدبري فضـياؤها يـأوي إلـى الإبصـار

هـذا خيـالُ الشـعر يـا أخـت الهُـدى أوَتـذهبين ضـحية الأشـعار؟!

كـم مـن قصـائدَ أوغلـتْ فـي حزنهـا! والحـزنُ يَرفـلُ فـي أذىً وضِـرار!

ولطالمـا شَـحَذ اليَـراعُ نفوسَـنا فـإذا بهـا فـي أوج الاستبشـار

ولطالمـا وأدَ التفـاؤلَ غِيلـة فـإذا بنـا فـي محنـة وخسـار

ولطالمـا أهـدى الضـمائرَ شُـحنة مـن طيـب الإطـراء والإكبـار

ولطالمـــــا قمـــــعَ العـــــزائم جهـــــرة ... فأصـــــــابها بمَغبـــــــة الأكـــــــدار!

(نســـرينُ) شمسُـــكِ لـــم تغـــبْ ، فاستبشـــري ... والخيـــــرُ خلـــــف مطـــــارق الأقـــــدار

هـــــي أزمـــــة ســـــتمرُّ مهمـــــا أثقلـــــتْ ... والأمـــــرُ أمـــــرُ الواحـــــد القهـــــار

لـــــو شـــــاء ربـــــكِ لـــــم يُمَكـــــنْ للألـــــى ... فجَـــــروا ، فلـــــيس النصـــــرُ للفجـــــار!

واســـــتقرئي التـــــاريخ حتـــــى تعلمـــــي ... أن الهزيمـــــــــة ديـــــــدنُ الكفـــــــار

كـــــم كابـــــدتْ (أرضُ الربـــــاط) مَعامعـــــاً ... مُنِيـــــــتْ بالاســـــــتعمار والأخطـــــــار!

كـــــم أزهِقـــــتْ أرواحُ قـــــوم أبريـــــا! ... ودمـــــاؤهم ســـــالت كمـــــا الأنهـــــار!

كـــــم مـــــن حرائـــــرَ ذقـــــنَ ألـــــوان الـــــبلا! ... هـــــل راشـــــدٌ فـــــي ســـــحقهن يُمـــــاري؟!

و(القـــدسُ) كـــم عانـــت و(غـــزة) عنـــدما ... نقـــــمَ العِـــــدا كأوابـــــدٍ وضـــــواري!

وديارُنـــــا قاســـــتْ تخـــــاذلَ أهلهـــــا ... أواهُ إنْ ظفـــــرَ العِـــــدا بـــــديار!

واستبســـلَ الأبطـــالُ مِـــن أهـــل الحِمـــى ... وتـــــرَينهم هبـــــوا لأخـــــذ الثـــــار!

(نســـرينُ) شمسُـــكِ بـــالقريض تفاءلـــتْ ... وحَبَتْـــــكِ أطيافـــــاً مـــــن الأنـــــوار

وقصـــــائد (النســـــرين) عـــــاطرة الســـــنا ... عطـــــراً يزيـــــدُ علـــــى شـــــذى الأزهـــــار

خطـــــتْ بيُمناهـــــا القصـــــائدَ غضـــــة ... عـــــن (غـــــزةٍ) ، عـــــن آخـــــر الأخبـــــار

كـــــم وثقـــــتْ مـــــا قصَّـــــدتْ ، وتجَشَّـــــمتْ ... عـــــبءَ المَشـــــقة فـــــي لهيـــــب النـــــار!

كـــــم كَشَّـــــفتْ ضَـــــنكَ المَجـــــازر حِســـــبة ... حتـــــى تُبَـــــيِّنَ هجمـــــة الأشـــــرار!

ســـــتعود (غـــــزة هاشـــــم) ، لا تيأســـــي ... وثقـــــي بنصـــــر الغالـــــب الجبـــــار

تأبين سعيد عبد العظيم!

(لقد كان للشيخ العلامة سعيد عبد العظيم - إمام الدعوة السلفية المحترم - مكانة كبيرة في نفوس طلبة العلم الذين يُعظمون شأنَ العلم والعلماء! وطبيعي أن لا يكون له أدنى مكانة في نفوس المبتدعة ، ولا الروافض ، ولا المرتزقة ، ولا العلمانيين ، ولا الإباحيين ، ولا الملاحدة ، ولا طلاب العلم الصفر البلهاء السفهاء الحمقى أتباع كل ناعق الذين لا يعرفون كوعاً من بوع في دين السلف الكرام! ولمَّا توفاه الله - تعالى - في ليلة الاثنين السادس والعشرين من ذي القعدة عام 1445هـ ، الموافق الثالث من يونيو 2024م ، وعود على بدء! فمن سعيد عبد العظيم؟ وما حقيقة دعوته؟ وماذا عن مسيرته العلمية والدعوية؟ إنه سعيد عبد العظيم علي محمد (10 نوفمبر 1952 م - 3 يونيو 2024م) ، من مشايخ الدعوة السلفية بمصر ، ومن مؤسسيها في السبعينات من القرن العشرين ، ولد في الإسكندرية في 10 نوفمبر 1952م! حصل سعيد عبد العظيم على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة الإسكندرية عام 1978م ، وهو خطيب مسجد الفتح بمصطفى كامل بالإسكندرية ، كما قام بعمل رحلات دعوية إلى قطر وفرنسا وإيطاليا واليونان! بدأ طلب العلم في مرحلة مبكرة حيث كان لجده (الذي كان شيخا بالجامع الأزهر) مكتبة ضخمة أثارت شغفه للبحث والاطلاع وطلب العلم في صغره ، وقد ورث الكثير من كتبها ، فأصبحت نواة لمكتبته الشخصية فيما بعد. بدأت رحلته مع الدعوة في المرحلة الثانوية ، حيث كان يخطب الجمعة في عدة مساجد بالإسكندرية كالجمعية الشرعية وأنصار السنة وغيرهما! والشيخ هو أحد المؤسسين الأوائل للعمل الدعوي في الجماعة الإسلامية المعتدلة في الجامعة ، ثم المدرسة السلفية بالإسكندرية في سبعينيات القرن الماضي! ومن بعدها الدعوة السلفية وأشرف على العديد من أنشطتها الدعوية والاجتماعية ، وذلك عبر مراحل مختلفة وحتى الآن. وله العديد من المؤلفات ، تُرجِم بعضها إلى عدة لغاتٍ مثل الإنجليزية والتركية والإندونيسية ، وتطبع وتوزع في عدة دول ، وأيضاً للشيخ مقالاتٌ كثيرة نشرت في عدة صحف ومجلات عربية ، كما ساهم في الإشراف العلمي في فترة سابقة على مجلة (الحكمة) ، وهي مجلة علمية إسلامية تصدر في لندن ، وتوزع في العديد من الدول! وإضافة إلى الطب ، فقد حصل الشيخ أسامة عبد العظيم على إجازاتٍ متعددةٍ في رواية الحديث والعديد من أمهات الكتب مثل الكتب العشرة وكتب الشروح والتفاسير المعتمدة ، وهو عضو رابطة علماء المسلمين ومجلس أمناء الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح ومجلس شورى العلماء ومجلس أمناء الدعوة السلفية بالإسكندرية! وأما عن المؤلفات ، فيغلب عليها الجانب الدعوي والمنهجي والتأصيلي ، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر: (هيا بنا نؤمن ساعة - وعاشروهن بالمعروف - الديمقراطية في الميزان - ضوابط شرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية - ضوابط شرعية للألعاب الرياضية - الصدق منجاة - خطورة التليفزيون - خطورة التليفون - إلى كل عامل وموظف يؤمن بالله - اللهم لك أسلمت - الله أكبر - الموتى يتكلمون – الاصطياف - الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل - رسالة لأهل الفن - الدولة اليهودية العالمية دولة إسرائيل الكبرى - الزواج العرفي - نظرات في مسألة تعدد الزوجات - أمارات الساعة الآتية - تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد - معجزات النبي صلى الله عليه وسلم - كيف تحل مشاكلنا - كيف تنال السعادة الحقيقية - الكفارات أسباب وصفات - الخطب والوعظ والتذكير - إلى الفتاة المؤمنة - حياة القلوب - الأتقياء الأخفياء - وعند الله تجتمع الخصوم - دعوة أهل الكتاب للدخول في دين رب العباد - أخطاء شائعة في البيوع - الرقية النافعة للأمراض الشائعة -

الصرع (أسبابه وعلاجه) - يمحق الله الربا - خلق المسلم - الإنارة في الحج والعمرة والزيارة - قصص الأنبياء (عظات وعبر) - قصص الصحابة - دروس الزمان في شهر الصيام - ابن تيمية فقيه عصره - الشهرة وعالم الأضواء - الوصية بالأشهر العربية - إرشاد الطالب لتحقيق أهم المطالب - فتاوى اللجنة الدائمة - ماذا بعد رمضان؟! - وبالوالدين إحساناً (أسباب عقوق الأبناء - كيف تحقق غنى النفس؟! - صور من الطغيان المادي)! هذا ، وتوفي في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية ليلة الاثنين 26 ذو القعدة 1445 هـ الموافق 3 يونيو 2024 م! فرحمه الله رحمة واسعة! وإذ مات الشيخ في غير دياره غريباً ، ونص حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم على أن الغريب شهيد! فنسأل الله تعالى أن يكتب شيخنا الراحل سعيد عبد العظيم من الشهداء! ومن الآن أقولها: نحسب الشيخ شهيداً ، ولا نقطع له بالشهادة لماذا؟ لأن الحكم القطعي لله العلي الكبير فقط! وأما نحن فنحكم وصفياً بما رأت العين وأدرك العقل من أحكام الدنيا الظاهرة! لئلا يخرج علينا شحيط بن محيط فيتهمنا بالقطع لمعين بالشهادة! نقول له: يا جاهل يا مغرض يا سفيه ، نحن نجري أحكام الدنيا على ظاهرها ، وأما الحكم لمعين الحكم القطعي الثبوتي فلله! فكان لزاماً على كل شاعر مسلم مؤمن موحدٍ يعيشُ على منهج السلف الصالح بحق أن يبكيه شعراً! ولما كنتُ – وأحسبني – واحداً من هؤلاء الشعراء ، كانت هذه القصيدة التأبينية للشيخ العزيز سعيد عبد العظيم! وإن لم يؤبن الشعرُ السلفيُّ علماء الدعوة السلفية فمن يؤبن؟! ومن يبكي؟! ومن ينعي؟!)

سُـــرَّ (البقيـــعُ) بمَوكِـــب الأفـــراح! لا لطـــمَ فيـــه ، ولا حَسِـــيسَ نُـــواح!

والـــنعشُ مُبـــتهجُ الســـريرة باســـمٌ مُتوشِّـــحٌ بالصـــمت خيـــر وشـــاح

ومُشـــيِّعو الجُثمـــان هَـــدَّهمُ الأســـى كـــلٌ بكـــى بالمَـــدمع الســـحَّاح

ونعـــى الجميـــعُ مُعلمـــاً بلـــغ المَـــدَى فـــي النصـــح والإرشـــاد والإيضـــاح

وتـــأثرتْ برحيلـــه مُهَـــجُ الـــورى أرأيـــت مِثـــلَ تـــأثر الأرواح؟!

واســـتمطروا رحَمـــاتِ رَبٍّ مُـــنعم وتوسَّـــلوا بالواحـــد الفتـــاح

أن يـــرحمَ الشـــيخ الشـــهيدَ تفضـــلاً ويُفـــيضَ مِـــن بركاتـــه بصِـــفاح

ويَخصَّـــه بالرحمـــة اتســـعتْ لـــه والجَمـــعُ قـــال بنبـــرة المِلحـــاح

يـــا ربنـــا فـــارحمْ (ســـعيداً) ، إنـــه كـــم عـــاش يـــدعونا إلـــى الإصـــلاح!

لـــم يرتـــزقْ يومـــاً بـــإبلاغ الهُـــدى مثـــلَ الألـــى فـــي النـــاس كالأشـــباح

أكلـــوا بـــدين الله ، لـــم يَتورَّعـــوا وتبجَّحـــوا بهُـــرائهم فـــي الســـاح

وغـــدا (مُسَـــيلمة) إمـــامَ ضـــلالهم والـــبعضُ مـــنهم يقتـــدي بـــ (ـــسجاح)!

الشـــيخ قـــاطعَهم ، وكَشَّـــفَ كَيـــدُهم واجتـــثّ بـــاطلهم بخيـــر ســـلاح

ومجاهـــــدٌ بالـــــذكر يَختصـــــر المـــــدى ... بمســـــيرةٍ قرنـــــتْ ببـــــذل كِفـــــاح

نشـــــرَ الحـــــديثَ مُصـــــحَّحاً ومُنقحـــــاً ... وأجـــادَ بـــين النـــاس نشـــرَ صِـــحاح

وأقـــامَ حُجتـــه ، ولـــم يـــكُ وانيـــاً ... وبيانُـــــه كتـــــبلج الإصـــــباح

واستصـــحبَ البرهـــانَ يَقمـــعُ خصـــمَه ... مِثـــلَ الســـهام براحـــة النضـــاح

نِعـــمَ الأدلـــة ســـاقها نبراسُـــنا ... تُـــزري بصـــاحب سَـــطوةٍ ووَقـــاح!

كـــم صَـــدَّ هجمـــة مُبطـــل لـــم يَمتثـــل ... أدبَ الحـــوار ، وســـاقطٍ ، وإبـــاحي!

كـــم رَدَّ فِريـــة مُفســـدٍ مُتخـــرص ... مُتملـــق مُتزلـــفٍ ســـفاح!

لـــم يخـــشَ فـــي الـــرحمن لومـــة لائـــم ... بـــل كـــان يُخـــرسُ مَـــن طغـــى ، ويُلاحـــي

كـــان الطبيـــبَ مُشخصـــاً أمراضـــنا ... لنعـــيش دون مَواجـــع وجـــراح

(كليـــة الطـــب) التـــي شـــرُفتْ بـــه ... مَنحـــتْ شـــهادتها بـــدون مِـــزاح!

ليكـــون (دُكتـــوراً) لـــه تشخيصُـــه ... أكـــرمْ بعـــالم طِبِّـــه المِنصـــاح!

وأوى إلـــى القـــرآن يَـــدرُسُ آيـــه ... وبـــه يَســـيرُ كحامـــل المصـــباح

ليُنيـــرَ دربـــاً ضُـــوعِفتْ ظلماتُـــه ... والمـــاكِثون بـــه كمـــا النـــزاح

وعلـــيهمُ اختلطـــتْ أمـــورٌ جَمـــة ... فـــإذا المبـــاحُ غـــدا كغيـــر مبـــاح

وطغـــتْ علـــى الآنـــام أعظـــمُ فتنـــة ... فـــي غـــدوةٍ أودى بهـــا ورَواح

حتـــى قضـــى ســـبعين عامـــاً فـــي المَضـــا ... اليـــوم يرحـــلُ رحلـــة المرتـــاح!

إنـــا لنحســـبه ، وربـــي حَسْـــبُه ... أوحـــى لنـــا ذِكـــراه نفحـــة واح!

ونعـــى لنـــا نفســـاً دنـــا ميعادُهـــا ... وقضـــى ، فهـــل فـــي النعـــي أي جُنـــاح؟!

ووكيلـــه الـــرحمنُ ، هـــذا ظننـــا ... إذ كـــان صـــاحبَ دعـــوةٍ وصَـــلاح

أعطـــى وناصـــحَ ، لـــم يُطـــوِّع دِينـــه ... ولـــه صُـــوَىً فـــي جهـــره اللمـــاح

كجـــواد سَـــبق مـــا ارعـــوى فـــي ضَـــبحه ... بـــل أكمـــلَ المشـــوارَ بعـــد جمـــاح

وأتـــاه نُصَّـــاحٌ ضـــلالٌ نُصـــحُهم ... مـــا انفـــك يَفضـــحُ (عِـــرَّة) النصـــاح!

الشـــيخ مـــات ، ولـــم تـــزلْ أســـفارُه ... فـــي المكتبـــات كعـــاطر الألـــواح

والـــبعضُ تُـــرجمَ كـــي تُزخرفـــه اللغـــا ... والـــبعضُ يُعطـــى حِســـبة بســـماح!

أنـــا يـــا (ســـعيدُ) علـــى رحيلـــك آســـفٌ ... وأخـــصُّ بـــالإطراء والأمـــداح

كتبـــاً تركـــت وضـــيئة صـــفحاتُها ... ناحـــتْ عليـــك كســـائر الأنـــواح

عاينـــتُ فـــي (الإســـكندرية) حزنَهـــا ... مُـــذ غالهـــا نبـــأ بشـــرِّ صـــباح

كانـــت تُجلـــك لا تســـلْ عـــن جُودهـــا ... وخصِصـــت فـــي (سَـــمُّوحَةٍ) بجَنـــاح!

وبمســـجد (الفـــتح) اســـتقامتْ دعـــوة ... لـــم يَمْحُهـــا يومـــاً تجبُّـــرُ مـــاح!

طـــلابُ عِلمـــك مـــا نسَـــوْك لحَيظـــة ... فاشـــمخ بصِـــيتك ، وابتشِـــرْ يـــا صـــاح

(عبـــدَ العظـــيم) بكيـــتُ موتـــك والنـــوى ... لا يُرجـــعُ الأمـــواتَ أيُّ صِـــياح!

فـــي خيـــر أيـــام قبضـــت ، وبقعـــةٍ ... إن (البَقِيـــع) بهـــا لخيـــرُ بِطـــاح!

ضَـــمَّتْ صـــحابة (أحمـــدٍ) وحَـــريمَهم ... خيـــرُ الرجـــال هـــمُ ، وخيـــرُ مِـــلاح

ســـتُجاورُ (الصِّـــدِّيقَ) خيـــرَ رجالنـــا ... وتكـــون جـــار (الليـــث) و(الجـــرَّاح)!

وتُراثـــك المَـــذخورُ نحـــن دعاتُـــه ... ولســـوف يَحظـــى فـــي الـــوغى بنجـــاح

ومَـــن اهتـــدى بهُـــداه فالبُشـــرى لـــه ... ولـــه بهـــذا العـــيش كـــل فـــلاح

هـــو مـــنهجٌ متكامـــلٌ مسترشـــدٌ ... هـــو غيـــرُ محتـــاج إلـــى الإفصـــاح

إذ كـــل ســـطر فيـــه شـــمسٌ أشـــرقتْ ... فزهـــا بـــنص قـــاطع مِفصـــاح

أو كالغـــدير حبـــا العِطـــاشَ نميـــرَه ... مَرحَـــى بمـــاءٍ – للظِمـــاء – قـــراح!

ربـــاه فـــارحمْ يـــا رحـــيمُ (ســـعيدَنا) ... هـــو يســـتجيرُ بربـــه الفتـــاح

أبدلـــه داراً فضـــلتْ عـــن داره ... بُسِـــطتْ بـــأحلى سُـــندس فيـــاح

أبدلـــه أهـــلاً فضـــلوا عـــن أهلـــه ... ولهـــم كـــذلك أفضـــلُ الأرواح!

إدانة وإهانة وإبانة!

(تأصلتْ عادة ذميمة في هذه الزوجة ـ موضوع قصيدتنا – حتى أدمنتها ، ألا وهي إدانة زوجها في كل قول أو فعل أو عمل! وتطور الأمرُ ، فتحولتِ الإدانة إلى إهانة ، وساعدَها على ذلك حِلمُ زوجها ومعاملتُها بالمعروف والصبرُ عليها! وزادتِ المبلة طيناً بإدخال أهلها الذين ليس عند أحدهم حِكمة ولا رُشد! وفي نهاية المطاف كانت ثافية الأثافي ألا وهي الإبانة عن زوجةٍ ناشز لا حل لنشوزها ولا علاج له ولا حِيلة تُجدي معها! فكتبتُ عنها هذه القصيدة منددا بأخلاقها المنحطة السافلة ، وداعياً الله العلي القدير أن يهديها ، وطلبتُ من الزوج المسكين المبتلى أن يصبر ويحتسب ، لعل الله يهديها ويصلحها! ولا يطلقها لئلا يُبتلى بها أخ مسلم! تقول معلمتنا الفاضلة والمستشارة التربوية الشرعية أم عبد الرحمن محمد يوسف تحت عنوان: (العناد في الحياة الزوجية) ما نصه بتصرف يسير: (إن الخلافات والفشل في المواجهة ووجود بعض الصراعات أمر لا مفر منه في الحياة الزوجية ، فكلنا يميل لأن يرى الأمور بصورة مختلفة نوعًا ما ، على الأقل بعض الوقت. ونحن شديدو الاقتناع بأننا على حق ، وهذا مرده في المقام الأول إلى أننا مقتنعون بأننا ننظر بصورةٍ صحيحةٍ للأمور ، وحتى عندما لا نكون على حق "فمن السهل أن باللائمة على شريك حياتنا ، أو على موضوع ما ، أو نقاش ما ، أو خلاف ما أو حتى عدم اتفاق كمبرر لعدم سعادتنا ، إلا أن الواقع يشهد أن الجاني الحقيقي في أغلب الأوقات هو عنادنا الشخصي ، وعدم رغبتنا في التنازل عن حاجتنا أن نكون على صواب دائمًا. ولو استطعنا أن نتخلى عن دافعنا الذاتي ونروض غرورنا وأن نتخلى عن ضرورة أن نكون شديدي العناد ، فمن المدهش تلك السرعة التي تحل بها المشاكل بدون إحداث أي ألم" (لا تهتم بصغائر الأمورفي العلاقات الزوجية – د.ريتشارد كارلسون ، وكريستين كارلسون ـ 368 ، 369 بتصرف). إن السر يكمن في الإيمان الراسخ بأن النجاح لا يعني أن نظل دائمًا على صواب ، وأن النجاح يتحقق بالتواضع ، وأن عدونا هو العناد وليس شريك حياتنا. في حديقة الحيوان: في حديقة الحيوان ، نظر الزوج إلى طائر صغير ، وأخذ يتأمله مع زوجته مع زوجته ثم قال: "ما أجمل هذا العصفور". فأجابت الزوجة: "عفوًا إنها عصفورة". فقال الزوج: "عصفور". فقالت الزوجة: "عصفورة". وتشبث كل منهما برأيه ، واحتدم الجدال ، وتحول إلى مناقشة ، فمشاجرة لم تهدأ نارها إلا بعد وقت طويل. وبعد مضي سنة تذكر الزوج هذه الحادثة ، فقال لزوجته ضاحكًا: "أتذكرين تلك المشاجرة البلهاء بخصوص العصفور؟". فقالت: "نعم أذكر ، كادت أن تحدث بيننا أزمة كبيرة بسبب عصفورة". فقال الزوج: "عصفورة! ولكنها لم تكن عصفورة بل عصفور". قالت: "كلا ، بل عصفورة". واحتدم القتال من جديد. هذه قصة رمزية ، فكم هناك من عصفور وعصفورة وراء المشاجرات بين الأزواج؟ مشكلة العناد: إن من أكبر المشاكل التي تعترض الحياة الزوجية مشكلة العناد ، فالعناد والتصلب في الرأي والجمود وعدم المرونة تضفي على الأسرة جوًا خانقًا ، وتنشر في البيت ظلالًا قاتمة ، وتهيئ المناخ لنفثات الشيطان وهمزاته ، مما ينذر بالاقتراب من الخطر ، ولذلك فإن مراعاة كلا الزوجين لطباع الآخر ، ومحاولة التكيف والتفاعل مع ما يصعب تغييره أمرٌ يحتمه الوعي والذكاء الزوجي. إن الزوج الذي يتفرد برأيه مخطئ ، والذي يتخذ القرار غير الصائب لمجرد مخالفة رأي زوجته ، وقد تبين له صوابها ، هو رجل لا يقدر المصلحة ، ويضع كبرياءه في موضعه ، ويحقق انتصارات زائفة لا مكان لها إلا في عقله هو دون أحد سواه ، كما أنه يفقد مكانته لدى زوجته. من يبدأ أولًا: إن من الملاحظ دائمًا أن عناد الزوج يسبق عناد الزوجة! فالأخير يأتي غالبًا كرد فعل لعناد الزوج ، وتعليل ذلك أمر سهل ، فالزوج يبذل ما يستطيع من جهد لإثبات سيطرته وهيمنته ، بإلغاء ومحو أي رأي خلاف رأيه ، وهو حين يفعل ذلك يضع

الزوجة في موقف يحتم عليها أن تتخذ لنفسها موقفًا من ثلاث: - إما التصادم معه. - أو مهادنة هذا الموقف المستفز والسكوت والهدوء. - أو دفع الزوج لفتح باب الحوار معها. فتأخذ شكل العناد السلبي ؛ لكسر صراحة رأي الزوج وتمييع قراراته ، كي تفتح ثغرة للحوار والمناقشة بأقل قدر ممكن من الخسائر. موقف عناد: وقف أحد الأزواج يرن جرس الباب وزوجته بالداخل نائمة لا تفتح وحجتها في ذلك أن معه مفتاحًا للباب ، فلماذا يرن الجرس ويزعجها بالنهوض لفتح الباب له واستقباله؟ وتعتبر ذلك نوعًا من الاستعباد لمجرد السيد الرجل وسيطرته ، وظلت تهذي بهذه الأفكار المنكرة على الرغم من أنها رأته حاملًا في كلتا يديه بعض طلبات البيت من خبز وفاكهة وخلافه ، وأنه كان يستعين ببعض ما تبقى له من أجزاء يده في رن الجرس ، وظلت تبادله الحجة بالحجة وتجادله وترد عليه كلمة بكلمة ، وأنه كان بإمكانه وضع ما معه على الأرض ، حتى يفتح الباب بالمفتاح ثم يحمل هذه الأشياء مرة أخرى ، فهل هذه الزوجة تنشد الاستمرار والنجاح مهما كان زوجها صبورًا واسع الصدر؟ إن عناد الزوجة تدفع الزواج على طريق شائك. من أسباب العناد: - قد يكون السبب في عناد الزوجة راجع الى الزوج ، فإن تسلط الزوج وعدم استشارته للزوجة وتحقير رأيها والاستهزاء به يدفع الزوجة الى العناد. - عدم تكيف الزوجة مع الزوج والشعور باختلاف الطباع ، فيكون العناد هو صورة التعبير عن رفض الزوجة سلوك زوجها. -عدم الانسجام بين الزوجين في حياتهما الزوجية. - قد ترجع أسبابه الى أسباب في النشئة والتربية. - للعناد أسباب نفسية وتربوية مختلفة، تختلف باختلاف التربية الأسرية ، والعلاقات الوالدية ، وأسلوب الثواب والعقاب ، ومستوى الوعي الثقافي والفكري ، ودرجة النضج والإدراك ، إلى غير ذلك من أسباب. والعناد نوعان: إيجابي وسلبي. العناد الإيجابي ويتمثل في عناد الإرادة والتصميم! وهو إذا أصر الطفل على محاولة إصلاح لعبة أو غيرها محاولات عديدة حتى يصل إلى إصلاحها تمامًا ، وهذا النوع من العناد نشجعه وندعمه حتى تقوى إرادة الإنسان في الوصول للنجاح. أما العناد السلبي فيأخذ صورًا مختلفة نتيجة أسلوب وطريقة التربية الأسرية ، فهناك عناد مفتقد للوعي والإدراك والنضج ، مثال إذا أصرت الزوجة على شراء أشياء كمالية لا داعي لها ، وظروف زوجها المالية لا تسمح ويحاول إقناعها بشتى الطرق ولكنها تصر على طلباتها دون وعي وإدراك بظروف زوجها ، فتتسبب له في مشكلاتٍ عديدة ، ويحدث بينهما فجوة. كما أن هناك من الزوجات من تعتقد أن إصرارها على مواقفها يدل على قوة شخصيتها ويزيد من قيمتها ومكانتها عند زوجها فيحقق لها ما تريد. علاج العناد بين الأزواج: - معرفة أسباب العناد. - معرفة ما يغضب كل طرف لمراعاة مشاعر الطرف الآخر وفي حالة الخطأ يعترف بالخطأ ويعتذر. - قليلًا من العناد وكثيرًا من الحب والود واللين والمرونة. - تجنب موطن النزاع والبحث عن النقاط المشتركة ، فمن المعروف أن العلاقة الزوجية القائمة على التفاهم والوضوح والتضحية والتسامح والتجاوز عن الهفوات ، والتغاضي عن الزلات تساهم في استمرار الحياة الزوجية وقوتها بحب ومودة واحترام ، أما إن قامت العلاقة بين الزوجين على الأنانية والعناد وتصيد الأخطاء والمشاجرات المستمرة على كل صغيرة وكبيرة ، فإن ذلك يسرع بتصدع الأسرة وتنكلها ، ويشتت شمل أفرادها ، وقد يقضي على كيانها. - المرأة المسلمة تراعى زوجها لأنه أمانة في يدها ، فهي منبع الإحساس والرحمة والمشاعر وتدفق الحنان ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود الولود الغيور على زوجها التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: "والله لا أذوق غمضًا حتى ترضى عني" هي في الجنة هي في الجنة» (رواه الطبراني). - دخول طرف ثالث: من أحد الأسرتين أو كليهما ، استشارة زواجية ثم علاج زواجي أو عائلي. ودخول الطرف الثالث يصبح ضروريًا فى حالة إصرار أو عناد أحد الطرفين أو كليهما ، وفي حالة تفاقم المشكلة بما يستدعى جهودًا خارجية لاستعادة التناغم في

الحياة الزوجية بعد إحداث تغييرات في مواقف الطرفين من خلال إقناع أو ضغط أو ضمانات خارجية تضمن عدم انتهاك طرف لحقوق الآخر).هـ. ألا إن انتقاد الزوج في كل أمر سواءً كان على حق أم كان على غير الحق ، أمرٌ يزهقُ رُوحَ العشرة الزوجية! وزوج قصيدتنا صبرَ طويلاً ، ودعا الله تعالى وألح في دعائه أن يهدي الله تعالى هذه الزوجة ، وانتظر أن تُقلع عن هذه العادة السيئة المُسيئة التي تحرقُ الأعصاب وتوترُ النفس وتُحزنُ القلب وتقلقُ الوجدان وتُعذبُ الروح وتكسرُ الخاطر! كما اعتاد الزوج أن يُبرر ويُبين وجهة نظره ويسوق دليل براءته ، ولمَّا لم يجد تحسناً أو تغييراً اكتفى بالصمت والتجاهل والتغافل! فاتخذتِ الزوجة الراعنة من سلوكه هذا ذريعة للنيل منه وسُلماً لإهانته في المنشط والمَكره ، في السر والعلن! وتدخلَ أهلها الحمقى بناءً عن طلبها ، وأفشتْ أسرار زوجها لهم ، فوسَّعتْ الهوة ، وبين الإدانة والإهانة كانت هناك حياة زوجية مُرة وبات العدمُ خيرٌ منها! وازدادتْ رُعونتُها للحد الذي جعلها تتأففُ من كل شيئ يتعلقُ بزوجها: كلامه وسلامه ، لِباسه ومِشيته ، مَظهره ومَخبره ، سِره وظاهره ، رائحته وتسريحة شعره ، قراراته وآراؤه وأفكاره! وراحتْ تُفشي من أسرار الرجل ما يُشينه أمام أولاده وأمام أهلها وأمام الضيوف والجيرانه! واستغلتْ شيخوخة الرجل وضعفه وهوانه وقِلة حِيلته وفقره الذي كان سبباً مباشراً فيها نظامُها المالي وتدخلُ أهلها وإعطاؤها الضوءَ الأخضرَ لهم ليتصرفوا في ماله كيف شاؤوا إلى أن أصبح فقيراً بينه وبين مَدِّ كَفه للناس ليأكل قليلُ مسافة ، لولا سترُ الله تعالى! فبانتْ حقيقتها أن بها رعونة تتوزعُ على قارة أفريقيا! فلم يعد لها في قلبه مكان ، ولم يعد لها في نفسه احترام ، فكرهها بقدر ما كان يحبها وربما أكثر! وكانت قد رحبتْ ببُعده عنها وافتراقه ، ورأتْ في ذلك فرحة تُسليها ، وكنتُ قريباً منهما ، وأعرف كثيراً عن حياتهما ، فكتبتُ هذه القصيدة بهذا العنوان القاسي نذيراً لها ، ولكل زوجةٍ راعنةٍ ناشر! عسى الله أن يأتي بالفتح أو بأمر من عنده!)

غمَـــزتُ لِحَبكـــة الشِّـــعر اليَراعـــا ... فنـــاولني – مـــن التبيـــان - باعـــا

ولقنـــي مـــن التحـــذير درســـاً ... يُجَنبنـــي المَذلـــة والضَّـــياعا

وناصَـــحَني بـــأن أحيـــا طليقـــاً ... وإنْ عانيـــتُ فـــي العـــيش الصِّـــراعا

يَمـــينَ الله لا يَرضـــى بـــذل ... أبـــيٌ نفسَـــه لله باعـــا!

وكيـــف يعـــيشُ مبتئســـاً حزينـــاً ... يُكابـــدُ الانكســـارَ والاختضـــاعا؟!

وهـــذا العـــيشُ مَـــدٌ بعـــد جَـــزر ... كمثـــل البحـــر يَمـــتحِنُ الشـــراعا

وكـــل النـــاس يَلحقهـــم بـــلاءٌ ... تُقسِّـــمُ بيـــنهم صـــاعاً فصـــاعا

فعبـــدٌ صـــاعُه فـــي كسْـــب قـــوتٍ ... فمَـــدُّ الكـــف يَختـــرمُ الـــذراعا

وعبـــدٌ صـــاعُه فـــي ابـــن غضـــوب ... يُناولـــه التـــذمُّرُ الانـــدفاعا

ويَســـقيه العقـــوقُ كـــؤوسَ قهـــر ... ويُفلـــحُ لـــو تعقـــلَ أو أطاعـــا

وعبـــدٌ صـــاعُه فـــي البنـــت تعصـــي ... وتكـــرَهُ الاجتهـــادَ والاطلاعـــا

وتتخـــــذ الســـــفورَ لهـــــا ســـــبيلاً ... كـــأن الســـترَ مـــا اشـــتُرعَ اشـــتراعا

ولا ترعَـــــى أوامـــــرَ مَـــــن يُرَبـــــي ... وخطـــبُ عُقوقهـــا العـــاتي تـــداعى

وعبـــــدٌ صـــــاعُه نسَـــــبٌ وَضِـــــيعٌ ... فأصـــــهارٌعليه غـــــدَوا سِـــــباعا

بـــــه انتفعـــوا ، ومـــا شـــكروا جميـــلاً ... ويُزْكـــــي الشـــــكرُ بَـــــذلاً وانتفاعـــــا!

وعبـــــدٌ صـــــاعُه جيـــــرانُ سُـــــوءٍ ... غـــدَوا فـــي سُـــوء جيـــرتهم ضِـــباعا

فمـــــا حفظـــــوا الجـــــوارَ ولا التـــــآخِي! ... علـــى كيـــل الأذى اجتمعـــوا اجتماعـــا

وعبـــــدٌ صـــــاعُه مُـــــدَراءُ كـــــادوا ... وإنْ أمَـــــروا غـــــدا أمـــــراً مُطاعـــــا

كـــــأنَّ موظفـــــاً ورثـــــوه عبـــــداً ... يُطـــــيعُهمُ ، ويُبـــــدِي الاقتناعـــــا

وعبـــــدٌ صـــــاعُه زوجٌ تأبَّـــــتْ ... عليـــــهِ ، وصَـــــمتُه أمســـــى دِفاعـــــا

تعِيـــبُ عليـــه فـــي سِـــر وجهـــر ... وباتـــتْ فـــي النســـا الأخـــزى طِباعـــا

وكيـــف تعِيـــبُ زوجـــاً دون حـــق ... وتختـــرعُ الفِـــرى عنـــه اختراعـــا؟!

وكيـــف تُدينُـــه فـــي كـــل شـــأن ... وتلقـــى مـــن أقاربهـــا اســـتماعا؟!

وكيـــف تنـــالُ منـــه وتزدريـــهِ ... ومِـــن ألفاظهـــا التـــاعَ التياعـــا؟!

وكيـــف تُـــذيعُ أســـراراً وتُفشـــي؟ ... فـــأين الرُّشـــدُ إمَّـــا السِّـــرُّ ذاعـــا؟!

وإنْ يغضـــــبْ فنِقمتُهـــــا عِـــــلاجٌ ... ويُمســـــي الكـــــلُّ إنْ كـــــادتْ جياعـــــا

وكيـــف تُهـــينُ زوجـــاً ذاب فيهـــا ... غرامـــاً ، واســـألوا عنـــه اليراعـــا!

لـــــه فيهـــــا القصـــــائدُ لا تُبـــــارَى ... وديوانـــــاً لهـــــا مُلكـــــاً مُشـــــاعا!

تســـــمَّى باســـــمها حبـــــاً ووداً ... وأحـــــرى أن يُســـــمِّيَها لكاعـــــا!

وأدخلهـــــا بـــــه التـــــاريخ فضـــــلى ... قصـــــائدُها تجـــــاوزتِ الرِّباعـــــا!

يُغنيهـــــا الأنـــــامُ بكـــــل صُـــــقع ... قريضـــــاً شمسُـــــه تُزجـــــي الشـــــعاعا

يُحـــاكي شِـــعرُه مـــا صـــاغ (قـــيسٌ)! ... وشِـــعرُ (القـــيس) عـــن (لـــيلاه) شـــاعا!

يُحـــاكي (عنتـــراً) ، والشـــعر يســـمو ... بـــ (ـــعبلة) ، والقـــريضُ غـــزا الســـماعا

فكيـــف تُحَـــوِّلُ المـــدحَ انتقاصـــاً ... بتعييـــر قـــد اجتلـــبَ الوجاعـــا؟!

وتجعـــلُ منـــه (بُهلـــولاً) تـــدنى ... فـــإنْ يـــكُ مولـــدٌ حمـــلَ القِصـــاعا!

غـــدا أضـــحوكة بجِمـــى ذويهـــا ... وهـــم قـــومٌ يُجيـــدون الخـــداعا

إدانتُهـــا لـــه أمســـتْ ســـلاحاً ... بكـــل يـــدٍ تُـــؤجِّجُ الاصـــطراعا!

فمـــا احترمـــوهُ ، بـــل عـــابوهُ جهـــراً! ... وأســـقط بالمُواجهـــة القِناعـــا

فعَـــرَّى الكـــل ، لـــم يســـترْ علـــيهم ... يزيـــدُ الســـترُ مَـــن هبطـــوا ارتفاعـــا!

ولـــم يـــكُ ظالمـــاً إذ قـــال فـــيهم ... مقـــالاً بُعـــدُه اتســـع اتســـاعا

فخـــصَّ بكـــل مُجتـــرم قصـــيداً ... يُناولـــه إذا قـــرأ الصُّـــداعا

وردَّ علـــى إهانتهـــا بعـــدل ... فصـــاعُ المَكـــرَ كـــالَ لـــه صُـــواعا!

فلـــيس يُحـــبُّ ربُّ النـــاس جهـــراً ... بســـوءٍ مَـــجَّ صـــاحبُه النزاعـــا

فـــإن ظلِـــمَ البـــريءُ ، وضـــاع حـــقٌ ... ليَجهـــرْ ناشـــراً بالصـــاع صـــاعا

وأســـفرتِ الإبانـــة عـــن لئـــام ... قـــد احتاجـــتْ مكائـــدُهم شُـــجاعا

يـــردُّ علـــى الأراذل ، لا يُبـــالي ... سُـــفوحَ البَنـــد جـــاز أم الطِلاعـــا!

وينتـــزعُ الحقـــوقَ مـــن الخزايـــا ... فـــإن الحـــق يُنتـــزعُ انتزاعـــا!

ولا يحتـــاجُ أمـــرُهُمُ التـــرَوِّي ... فمـــا الأمـــرُ اســـتوى كـــالأمر ماعـــا!

لـــه حِيَـــلٌ ثـــلاثٌ فـــي التلاحـــي ... قـــد اتبـــعَ الهُـــدى فيهـــا اتباعـــا

فأولاهـــا القـــريضُ لـــه شُـــواظ ... لعـــل الهُـــزء يُقتلـــعُ اقتلاعـــا

وثانيهـــا الـــدعاء علـــى غِـــلاظٍ ... غـــدا حـــلاً جميـــلاً مســـتطاعا

وثالثهـــا انتظـــارُ لقـــاء رَبٍّ ... يُعيـــدُ الحـــق مُـــذ ولـــى وضـــاعا!

الأمانة بين الصيانة والخيانة!

(كان هذا العريس قد ابتُليَ بخيارين أحلاهما مُر! فإما أن يستأجر بيتاً ليُقيم فيه هو وعروسه وإما أن يبني بيتاً في أرض أصهاره الذين أبدَوا محبته ، وأظهروا مَوَدَّته! وعرضَ على صهره أبي العروس وصاحب الأرض أن يشتريها منه ، ويكون السداد على الأيام حسب الوسع! فأبى الصهرُ وقال: هذه القطعة من الأرض هدية لابنتي! فبنى العريسُ البيت ، وكان سقفه ألواحاً من الخشب عليها الحطب والقش ، وطبيعي جداً أنه إن كان يقي من الحر صيفاً فلا يمنع من المطر شتاءً! وسافر العريس ، واستباح الأصهارُ البيت ، وحولوه إلى حظيرة للدواجن! وخان الأصهارُ الأمانة ، فما صانوها بالصيانة ولا حفظوها ولا رَعَوها حق رعايتها ، وذلك بتركها على عِلتها ، وهذا أضعف الإيمان! وكان ذلك منهم على سبيل التمهيد لهدم ذلك البيت ، ولنا الظاهر ، والله تعالى يتولى السرائر! والأصل أنهم جيرانٌ وأصهارٌ في الوقت ذاته! وكانت إحداهما تغني عن الأخرى ، وتكفي للمحافظة على البيت من التلف والهدم! وليس ما يتطلبه البيت أمراً مُستحيلاً مُكلفاً! إنها بضعة أمتار من المُشمع البلاستيكي أو المَطاطي السَّمِيك تُفرش فوق سطحه ، لتحُول بين مياه الأمطار وبين البيت ، فلا يلحقه التلفُ والعطب! ولكن البيت أهملَ تمامَ الإهمال! فهل هذه مراعاة حقوق الجار؟ وهل هذه صِيانة الأمانة وحفظها؟ وهل هذه وشيجة مُصاهرة وقرابة؟! والعريس في غربته ألحق به زوجه ، واتخذ لها بيتاً في الغربة من أول عهده بالغربية ، في غضون أشهر ثلاثة! وكان سبباً مباشراً في كسر فقر أسرته وأسرتها! فهل يكون ردُّ الجميل إهمال بيته ومتاعه والإجهاز عليه تمهيداً لهدِّه! والهدُّ كان متوقعاً! لماذا؟ لأن الاهتمام بالبيت وإجراء الصيانة له وفرش المشمع السميك على سطحه يُطيلُ عمره ولا شك! ريثما يعود صاحبه ويُقررُ فيه قراره! واليوم تم هدمُ البيت بالفعل ، وعاد أرضاً تزرَعُ بعد أن كان بالأمس أرضاً بُوراً لا زرع فيها! وكان قد تبرَّأ بحكم محكمة! فكيف يعود لا بوراً كما كان ، بل يُزرع! البيت الذي طرق بابه بشدة ذات يوم الصهرُ الأكبرُ في ظهيرة رابع أيام العرس فقال العريس من وراء الباب: من؟ فقال: فلان بن فلان بصوت أجش! فقال العريس وقد استهجن الطرق والصوت والمجيئ: (وإن قيل لكمُ ارجعوا)! فأكمل الصهر الآية وفضح العريس فيما بعد! وانتصرَ العريسُ ، فلقد أوتيتُ في الكتاب والسنة جَدَلاً! واليوم وقد استُبيح البيتُ فكأن لسان حال الصهر هو لسان حال يهود عندما زاروا قبر صلاح الدين وقالوا: (ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين)! الدنيا - يا عِرة الأصهار وحُثالة المَعارف - ليست نهاية المطاف ، وعند الله تعالى تجتمعُ الخصوم! والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً! والله حَكَمٌ عدلٌ ، هلك المُرتابون! فأنشدتُ حكاية عن هذا العريس المسكين هذه القصيدة الانتصارية ، باعتباري أحطتُ بالقصة كلها!)

أمانـــة كـــان هـــذا البيـــت يـــا غَجَـــرُ! يَصـــونها مـــن لـــه فـــي الـــذكر مزدَجَـــرُ!

ويـــحَ الأمانـــة مـــا صِـــينتْ ولا حُفظـــتْ! وكَسْـــرُها بعـــد لأي لـــيس يَنجبـــر!

ويـــحَ الأمانـــة أهلوهـــا لقـــد رحلـــوا! وكـــم ســـألنا فـــلا حِـــسٌ ولا أثـــر!

ويـــحَ الأمانـــة لمَّـــا غـــابَ حافظهـــا بَكَتْـــه دَهـــراً ، ودمـــعُ العـــين ينحـــدر!

حتـــى إذا يَبسَـــتْ غصـــونُها هلكـــتْ مِـــن بعـــد أن أصـــبحتْ تـــزوَى وتحتضـــر

وطِئـــتُ دِيـــرتَكم شـــهماً لـــه شـــرفٌ ... وكـــم يُعِـــز الحِمـــى الأكيـــاسُ والبُـــدُر!

ولـــيس مـــن بـــاب مـــدح الـــنفس أعلِنهـــا! ... لكـــنْ بنعمـــة ربـــي القـــولُ والخبـــر

أحـــدِّثُ النـــاسَ عـــن نُعمَـــى خُصِصْـــتُ بهـــا ... علـــيَّ أنعُمَهـــا يـــا قـــوم مُقتـــدر

فعِشـــتُ بـــين جميـــع النـــاس مُحترمـــاً ... وسُـــمعتي بخِـــلال الخيـــر تشـــتهر

ومـــا بَخِلـــتُ علـــى قـــومي بعارفـــةٍ ... إذ كنـــتُ دومـــاً مـــع الـــرحمن أتَّجِـــر

ومـــا جعلـــتُ بَنـــاتِ النـــاس تســـلية ... إذ لـــم أكـــنْ بفتـــون الحُســـن أنبهـــر

مـــا كنـــتُ (قيســـاً) ولا (ليلـــى) سَـــبَتْ رَشَـــدِي ... والقلـــبُ مـــا كـــان لِلّـــذات ينحـــدر

وكنـــتُ مـــن فتنـــة النســـا علـــى حـــذر ... وكـــم يُفيـــدُ الحـــريصَ الـــوعيُ والحَـــذر!

وجئـــــتُ (كليـــــة الآداب) مُلتمســـــاً ... آدابهـــا ، حيـــث لـــي فـــي درسِـــها وَطـــر

وإنَّ (منصـــورة) التعلـــيم تشـــهدُ لـــي! ... لهـــا علـــيَّ جميـــلٌ لـــيس يســـتتر!

بهـــا أتِيـــهُ وقـــد دَفـــتْ مناقِبهـــا ... أرقـــى دِيـــار بهـــا الفـــؤادُ يفتخـــر

ولـــم أغـــازلْ بهـــا حاشـــايَ غانيـــة ... إذ كنـــتُ بـــالعِلم والإيمـــان أتَّـــزر

فـــررتُ مِـــن شِـــقوة الفوضـــى إلـــى كُتبـــي ... وعِشـــتُ عَفـــاً علـــى التعلـــيم أقتصـــر

لـــم تُلهنـــي فتنـــة البنـــات عـــن هـــدفي ... شـــأنَ التقـــاة الألـــى نفوسَـــهم قهـــروا

أصَـــمُّ أعمـــى عـــن الغـــادات عـــن رغـــب ... كأنمـــا لـــيس لـــي سَـــمعٌ ولا بَصـــر

حتـــى إذا اكتملـــتْ أعـــوامُ أربعـــة ... بهـــن فـــاخرَ بـــي ، وطـــابَ لـــي العُمُـــر

أضـــفتُ للضـــاد – إنْ حَـــدَّثتُ - ضُـــرَّتَها ... همـــا لِمَـــا أنتويـــه الشـــمسُ والقمـــر

واختـــرتُ (سُـــوهاجَ) أحيـــا فـــي مَرابعهـــا ... فالأهـــلُ فيهـــا عِـــزازٌ ســـادةٌ غُـــرر

فيهـــا ســـأكْمِلُ مِشـــواري وتجربتـــي ... وأطلـــبُ العِلـــمَ مِقـــداماً ، وأصـــطبر

وأصـــطفي مِـــن بنـــات الحَـــيِّ مُؤمنـــة ... تكـــونُ زوجـــاً بهـــا الحيـــاة تزدهـــر!

فقلـــتَ يـــا صـــاحبي: لمَـــن ســـتترُكُنا ... إذا رَحلـــتَ قلـــوبُ النـــاس تنفطـــر!

إنـــا نحبُّـــك حبـــاً لا مثيـــلَ لـــه ... فـــادرسْ قـــرارَك تُرضـــينا وتبتشـــر!

كنـــا نردِّدُهـــا إشـــاعة صَـــدَمَتْ ... أرواحَ قـــومٍ بمحبـــوبٍ لهـــم ظفِـــروا

أصـــابنا الحـــزنُ لمَّـــا قلتهـــا عَلنـــاً ... وانظـــرْ دموعـــاً مـــن العيـــون تنهمـــر

فقلـــتُ: رفقـــاً ، ألا تـــرى الـــبلاءَ طغـــى ... إنـــي إلـــى عـــودةٍ للأهـــل أفتقـــر

وأسْـــرتي اليـــومَ لا يَخفـــى تنكُرُهـــا ... وكـــم تُـــدَمِّرُ أفـــذاذاً بهـــا أسَـــر!

وكنـــتُ حاولـــتُ إصـــلاحاً فمـــا قبلـــوا ... بـــل جَنـــدِلوا عِشـــرتي وهـــدَّني الكـــدر!

فقلـــتُ: أهجـــرُهم هجـــراً يُطمئـــنُهم ... أنـــي أنفـــذ – رغـــم الأنـــف – مـــا أمـــروا

فقلـــتُ: يـــا صـــاح بنتـــي لا أضِـــنُّ بهـــا ... عليـــك زوجـــاً ، بهـــا تزفـــك البُشُـــر!

فقلـــت: دعنـــي يكـــادُ الفِكـــر يقتلنـــي! ... وكـــم تُعـــذبُ عقـــلاً تائهـــاً فِكَـــر!

درسْـــتُ مـــا قلـــتُ درســـاً غيـــرَ مُرتجـــل ... ثـــم استشـــرتُ الألـــى بحـــالتي خبـــروا

ثـــم اســـتخرتُ لكـــي تنـــزاحُ وسوســـة ... فارتـــاح قلبـــي ، وحَـــلَّ الســـعدُ والســـمر

واختـــرتُ سُـــكنايَ بالإيجـــار مبتعـــدا ... عـــن داركـــم ، وأنـــا عـــن ذاك أعتـــذر

فقلـــتَ: فـــي بيتنـــا الـــزواجُ يـــا رجُـــلاً! ... فقلـــتُ: كـــلا ، ففـــي مـــا قلتـــه خطـــر!

فقلـــتَ: تبنـــي بُييتـــاً فـــي مَحلتنـــا ... فقلـــتُ: شـــارٍ أنـــا ، والـــدَّينُ منتظـــر!

فقلـــتَ: بنتـــي لهـــا حـــقٌ أســـجِّله ... هـــذا اعتـــرافٌ إذا حققـــت معتبـــر

فقلـــتُ: أبنـــي ومـــا شـــككتُ خردلـــة ... فيمـــا ذكـــرتَ ، فـــلا غمْـــط ولا بطـــر

بَيَّـــتُّ حُسْـــنَ النوايـــا فـــي معـــاملتي ... وإذ تزوَّجـــتُ بـــانَ اللـــؤمُ والـــدبر

فـــي عِيشـــةٍ فقـــدتْ عمـــداً ســـعادتها ... وجيـــرة لـــم يَصُـــنْ حقوقهـــا الغجَـــر

وبـــين مَـــدٍ وجَـــزر غـــالَ عِشـــرتنا ... قـــومٌ مِـــن الكيـــد والتغريـــر مـــا طهُـــروا!

حتـــى أتـــتْ فرصـــة بالكـــاد ســـانحة ... فيهـــا الرحيـــلُ أتـــى يســـوقه الســـفر

وإذ رحلـــتُ فقـــد بانـــتْ مقاصِـــدُكم ... وأحـــرَقَ الـــودَّ والقرابـــة السُّـــعُر

وكـــان رَهـــط مِـــن الأصـــحاب أنـــذرني ... فهـــل تُفيـــدُ قليـــلَ الخبـــرة النـــذر؟!

لـــم أوتَ عِلمـــاً عـــن المكـــر المُبيـــر أنـــا! كـــي أســـتعينَ بـــه علـــى الألـــى مَكـــروا

ولـــم تكـــنْ خبـــرة عنـــدي ، فتعصـــمُني مِـــن الـــذين إذا تكلمـــوا ســـحروا

تخِـــذتُمُ البيـــت لمَّـــا غِبـــتُ توســـعة مثـــلَ القراصـــن مِـــن أعـــدائهم ثـــأروا

وعنـــه رُدَّ بـــنص الـــذكر أكبـــرُكم قيـــلَ: ارجعـــوا! فاشـــتكى وذلـــك الشـــرر!

لـــذا اســـتُبيحَ ، وقـــد قـــلاه صـــاحبُه كـــأن قومـــاً علـــى غـــازي الحِمـــى قـــدَروا

بـــئسَ الجـــوارُ غـــدا ظلمـــاً ومَخبثـــة! لـــم يـــأتِ ذلـــك أعـــرابٌ ولا مَجَـــر!

كيـــف اســـتبحتُم دخـــولَ البيـــت ، حُرمتُـــه فـــي الـــذكر خطـــتْ ، ومنهـــا العَـــفُّ يَـــذَّكِر

أمانـــــة ينبغـــــي قطعـــــاً صـــــيانتُها والاهتمـــامُ بهـــا جـــاءتْ بـــذا سِـــيَر

ومَـــن يخونـــوا بـــلا حـــق أمـــانتهم فجُلهـــم نعمـــة الـــدارين قـــد خســـروا

حظيـــرة يُصـــبحُ البيـــت الكـــريم ضُـــحَىً والجـــارُ صِـــهرٌ رجـــوعَ الجـــار ينتظـــر!

واللهِ مـــا قبلـــتْ نفســـي تطـــاولكم ولـــيس يقبلـــه الأحـــرارُ يـــا نَـــوَر!

مـــاءُ الشـــتاء بَـــرئٌ مِـــن تخرُّصِّـــكم ولـــيس يُســـعِفكم جـــدٌّ ولا هـــزر!

هـــو (المُشـــمَّع) يُقصِـــيهِ بـــلا نصـــب فأفصِـــحُوا عـــن نوايـــا الســـوء يـــا تتـــر!

وعَـــزلُ مـــاء الشـــتا مـــا كـــان مُعضـــلة لكنـــه الغـــدرُ مَخبـــوءٌ ومُـــدَّخر

هـــل الشـــتاءُ لـــدى الفـــلّاح مُشـــكلة؟! إن الخيـــورَ لـــه يســـوقها المطـــر

لكـــنْ طمِعـــتُم ، وزكَّـــى حِقـــدَكم حَسَـــدٌ مـــا حِيلـــة المَـــرء فـــي قـــوم إذا فجـــروا

هـــل الـــذي جئـــتُمُ رّدُّ الجميـــل لنـــا لـــم يشـــكر اللهَ مَـــن للنـــاس مـــا شـــكروا!

لِقاؤنـــا عنـــد رب النـــاس خالقِنـــا نـــتقصُّ مـــنكم ، فقـــد أودى بنـــا الضـــرر

قضـــاءُ رب الـــورى عـــدلٌ ، ألا انتبهـــوا إن المهـــيمن جبَّـــارٌ ومقتـــدر!

اليتمُ دَربُ الغِنى!

(يحكى أن أمراة تزوجت بعد وفاة زوجها ، وكان لديها طفلٌ واحدٌ من زوجها السابق ، وكان يبلغ من العمر ثلاثة أعوام ، وانتقلت المرأة إلى منزل زوجها مع ابنها بعد زواجها من الرجل الثاني. وكان غنياً جداً فلم يعترض الزوج على بقاء الطفل في منزله مع أمه! وبعد مرور عاما أنجبت المرأة طفلاً ، وشعر الزوج بالسعادة الغامرة ، ولكن بدأت مشاعر الزوج تتغير باتجاه ابنها اليتيم. حيث توقف عن اللعب معه ولم يعد يهتم به مثل السابق ، وأصبح لا يطيق وجوده في منزله الواسع. وفي أحد المرات عاد الرجل من العمل ومعه دراجة هوائية لابنه! وكانت الأم تتألم بشدة وهي ترى ابنها اليتيم يشاهد أخاه بحزن وهو يلعب ويتجول في المنزل فوق دراجته الجديدة! فتحدثت الأم مع زوجها ، وطلبت منه أن يجلب دراجة أخرى لابنها اليتيم مثل أخيه ، ولكن الزوج رفض بشدةٍ ، وأخبرها بأنه ليس مسؤولا عنه ، وإذا لم تتوقف عن الحديث عن ابنها فإنه سوف يقوم بطرده من المنزل ، فشعرت بالخوف على ابنها ، وتقبلت الأمر خوفاً على فقدانه! وقبلت الأم أن ترى ابنها يعيش حياة مريرة وقد ملئت هذه الحياة ظلماً وحزناً وقهراً وألماً أفضل من أن لا تراه نهائياً! ومضت الأيام ، وكبر الأولاد ، وقام الزوج بتسجيل ابنه في أحدث المدرس الأهليه ، ورفض تسجيل ابن زوجته فيها ، وقال: أنا لست والده ، لكي أهدر أموالي في تعليمه! وفي النهاية هو لن ينفعني ، ولن يحمل اسمي ، فأجابت الأم بغضب ، وقالت: نعم ربما لا يكون من لحمك ودمك وليس ابنك ولن يحمل اسمك. ولكن هذا لا يعني أن تحرمه من التعليم ، وتتركه يعيش في ظلام الجهل ، أليس في قلبك ذرة رحمة وشفقة؟! ألا تعطف على طفل يتيم؟! فقال لها متجهماً: لقد طفح الكيل ، أنا لم أعد أحتمل وجوده هنا ، ولا أريد رؤيته في منزلي! وهنا اقترب الصبي من أمه ، ومسح دموعها ، فنظرت إليه نظرة عطفٍ وحنان وإشفاق! فقال لها وهو يبكي: لا تحزني يا أمي ، لا يوجد شيئ يستحق أن تذرفي دمعة واحدة من دموعك من أجله ، لقد تعبت وأنا أرى ذلك العجوز يقوم بإهانتك كل يوم من أجلي! ومن أجل أن تكوني سعيدة ، سوف أرحل وأترك المنزل! وودع الصبي أمه ، وحمل ملابسه ، وغادر البيت! وأصبح قلبها يشتعل ناراً! ويوجد أسئلة كثيرة لا تعلم أجوبتها: إلى أين سيذهب هذا الفتى الصغير؟ وأين سوف يعيش؟ وأين سوف يأكل؟ وماذا إن مرض؟ من الذي سيداويه وسيهتم به؟! كل هذي الأسئلة كانت تطرق رأسها ، ثم رفعت يدها الى السماء وقالت: اللهم إني استودعتك ابني اليتيم ، فتكفل به واحفظه ، وأعده لي سالماً غانماً ، كما أعدت موسى – صلى الله عليه وسلم – لأمه! ومرت سُويعات ، وعاد الزوج من العمل نظر إلى زوجتة فوجدها سعيدة مطمئنة. فتعجب من أمرها ، كيف تبدو سعيدة ولم يمر علي رحيل ابنها بضع ساعات! فسألها: لماذا أنت سعيدة ولست حزينة على رحيل ابنك؟! فابتسمت ثم قالت: لقد تركت أمر كفالته على من يستطيع رعايته وحمايته وهو الوحيد القادر على فعل كل ذلك دون ملل وكلل ودون أن يطلب مقابلاً أيضاً! فقال متعجباً من هو؟! فقالت: إنه الله رب العالمين! فضحك ساخراً ، وقال: العالم في الخارج لا يرحم مسكيناً ، ولا يشفق على جائع! يبدو أنك فقدت عقلك! ومضت عجلة الزمان ، وبعد مرور سنواتٍ قليلةٍ عاد ابنها لزيارتها وهو يحمل طفلاً بيده ويصطحب امرأة برفقته. فسلم على أمه. فقالت وهي في غاية السعادة: من هذه المرأة؟! وابن من هذا الطفل؟! فأجابها بدون إبطاء: هذه زوجتي وهذا ابني. فقالت: كيف استطعت أن تكوِّن حياتك وأنت ليس لديك المال ولا مأوى لك ولا عائل؟! فقال لها: في الحقيقة أنا لا أعلم كيف عصفت بي الحياة ، لقد كنت تائهاً وحيداً ، لا أدري إلى أين أذهب. ثم توجهت

إلى أحد المساجد في قرية صغيرة ونمت. وكنت أبحث في النهار عن عمل وفي الليل أعود الى المسجد! فأخبرت إمام المسجد بقصتي وثم أستأذنت منه أن يسمح لي بأن أبات في المسجد حتى أجد مكاناً ، وافق وكان يطعمني كل يوم وكنت أقوم بتنظيف المسجد. وفي أحد الأيام مرض الإمام فتقدمت أنا بالناس ومنذ تلك الليلة وأنا أصلي بالناس. وبدأ الناس يتقربون مني ، وأصبح الجميع يحبونني ويحترمونني. ثم عرضوا علي بأن أتزوج من فتاةٍ يتيمةٍ ليس لديها سوى جدتها ، فوافقت ، وتكفل جميعهم بكل شيء. وتزوجت وبعد فترةٍ قصيرةٍ توفت السيدة العجوز! وحصلتْ زوجتي الفاضلة على قطعة أرض من ورث جدتها. وقمت بزراعتها وتحسنت أوضاعنا والحمد لله. أصبح لدي الكثير من الأراضي الزراعية! وهنا بكت الأم من شدة السعادة وعلمت بأن الله استجاب لدعائها. ولكن لم يكن الزوج مصدقا أنه سوف يعود في يوم من الأيام شخصاً غنياً! وجاء وتحدث إليه وقد زالت الأحقاد والضغائن ، حيث أيقن زوج أمه أن الله تعالى قد تكفل بالصبي ورعاه! فقال: ونعم بالله! وإذن فاليتم حقيقة درب الغنى والعفة والاعتزاز!)

إنمـــــا اليُـــــتمُ يَسَـــــارٌ وغِنـــــى ... وانتصـــــارٌ رَغـــــم ألـــــوان العَنـــــا

وابتشـــــــارٌ بـــــــالخيور ازيَّنـــــتْ ... واعتلـــتْ حِصـــنَ التحـــدي مَســـكنا

كابـــــــدتْ أمّ ، وجـــــافى زوجُهـــــا ... وأتـــــى فِعـــــلاً دَنيئـــــاً أرعَنـــــا!

لـــم يكـــنْ فـــي قلبـــه الجـــافي وفـــا ... ولآيـــــات الهُـــدى مـــــا أذعنـــــا

أزه العِنـــــــــدُ ، وأغـــــــــراهُ الأذى ... لـــم يكـــنْ فيمـــا ارتـــآهُ مُحسِـــنا

وانبـــــرى يهـــــذي بأشـــــقى حُجَّـــــةٍ ... بكُليمـــــــاتٍ تبـــــدَّتْ مَطعنـــــا!

أنكـــــــرتْ أمّ ، وقالـــــــتْ رأيهـــــا ... لكـــــن الـــــزوجُ لحـــــق مـــــا انثنـــــى

قـــــال: هـــــذا لـــــيس منـــــي ، فـــــافهمي ... لســـتُ أهـــوى قـــط أن يبقـــى هُنـــا!

فمضـــــى الابـــــنُ البئـــــيس المبتلـــــى ... بعـــد أن ضـــاقتْ علـــى الســـاري الـــدنا

ثـــم جَـــنَّ الليـــلُ ، واســـودَ الـــدجى ... ومِـــن الظلمـــة قـــد يـــأتي الســـنا

جعـــلَ السُّـــكنى بـــأرجى مســـجدٍ ... وعلـــى الحُســـنى (إمـــامٌ) بَرهنـــا

بـــذلَ الخيـــراتِ ، لـــم يبخـــلْ بهـــا ... جَـــلَّ سَـــمْتاً ، وتســـامى مَعـــدنا!

وأهـــالي الحـــي ســـاقوا جُـــودَهم ... وأنـــالوا الأعـــزبَ الشـــهمَ المُنـــى!

زوَّجـــوهُ حِســـبة ، يـــا ســـعدَهم! ... فـــإذا بـــالعيش يُشـــجيه الهنـــا

زالَ عنـــه اليُـــتمُ ، بـــاتوا أهلـــه ... وتوَلـــتْ كـــل أصـــناف الضـــنا

وغـــــــزتْ تفكيـــــــرَه أمٌ نـــــــأتْ ... بـــــدُعاها الابـــــنُ بـــــاهى ، واغتنـــــى

كيـــــف ينســـــاها ، ولـــــم تغـــــدُر بـــــه؟! ... هـــــل لـــــه عنهـــــا بمـــــا قالـــــت غِنـــــا؟!

نُصْـــــبَ عينيـــــه زهَـــــتْ أطيافهـــــا! ... كـــــلُّ طيـــــفٍ غـــــالَ كربـــــاً مُحزنـــــا!

بضـــــعة الأعـــــوام أمســـــتْ أدهُـــــراً ... وكـــــأن البُعـــــدَ وافـــــى أزمُنـــــا

زارهـــــا والأنـــــسُ يُشـــــجي قلبـــــه ... وإذا بالـــــدمع يُزْكِـــــي أعيُنـــــا

غربـــــة طالـــــتْ ، وشـــــبَّتْ نارُهـــــا ... وحبيـــــبُ الـــــروح فيهـــــا أمعَنـــــا

رحَّبَـــــتْ بـــــابن وزوج أشـــــرقتْ ... وحفيـــــدٍ بـــــالتلاقي دَنـــــدَنا

قـــــال: يـــــا أمـــــاه دنيـــــا أقبلـــــتْ ... حـــــوَّلَ الـــــرحمنُ صـــــعبي هيِّنـــــا

دعـــــوة هـــــذي اســـــتُجيبتْ صـــــدِّقي ... وغـــــدا حـــــالي ببُعـــــدي أحســـــنا

فـــــافرحي لـــــي ، واقرئـــــي أقصوصـــــتي ... قصـــــة التمكـــــين طابـــــت والغنـــــى

مـــــا اختفـــــى منهـــــا لقـــــد أعلنتـــــه ... كـــــل ســـــر فـــــي حيـــــاتي أعلنـــــا!

ازرعـــــي الآمـــــالَ فـــــي نفـــــس خبـــــتْ ... عزمُهـــــا بـــــالقهر أضـــــحى موهنـــــا

كـــــل حـــــي ســـــيُوافى رزقـــــه ... كـــــاملاً مســـــتكملاً قبـــــل الفنـــــا

أعلِمينـــــا أنمـــــا اليُـــــتم مَضـــــا ... وســـــبيلٌ للتنـــــامي والبنـــــا

وقضـــــاءُ الله بـــــاليُتم قضـــــى ... لليتـــــامى أن يُنـــــادوا: ربنـــــا!

هداية الأبناء من الله!

(لا تلوموا أحداً إذا رأيت أولاده على غير تربيته ولا هم على شاكلته ، ولا تسخروا منه أو تنهروه أو تغتابوه بحجة أنه قصّر في تربية أولاده ؛ فأبونا آدم عليه السلام لم يقصّر في تربية ولديه ، كما أن أمنا حواء لم تُقصّر أيضاً في التربية ، وبالرغم من ذلك قتل أحدهما الآخر ، ونوح عليه السلام لم يقصّر في تربية أبنائه ، وبالرغم من ذلك مات أحدهم كافراً ، ولم لم تأثير لزوج نوح على أبنائه الثلاثة ولا كنائنه الأربع ، رغم معيشة الكل في بيتٍ واحد! ويعقوب عليه السلام لم يُقصّر في تربية أبنائه الذين حقدواعلى أخيهم يوسف عليه السلام وألقوه في غيابة الجب ؛ ليتخلصوا منه! وكل ما فى الأمر: "إنك لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"! فإذا رزقك الله يا عبد الله أبناءً صالحين ، فاحمد الله واشكره كل يوم ، ولا داعى للافتخار بأنك أحسنت تربية أولادك وغيرك لم يحسن ، فخير البشرية محمد صلّى الله عليه وسلّم رباه جده وعمه الكافران ، وفي النهاية مدحه ربّه: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" ، فمن أين جاء الخلق العظيم ، إنه إعداد الله لمحمدٍ صلّى الله عليه وسلّم ، ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين! وحقيقة الأمر أن الهداية هداية الله ، فالأب والأم عليهما التربية وبيان الحق للأبناء ، والدعاء لهم ، والصبر عليهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فقط! أما هدايتهم للحق فهذي ليست بأيديهم ، بل يهديهم من خلقهم سبحانه وتعالى! يقول الأستاذ محمد المنجد: (مسؤولية تربية الأولاد هي مسؤولية مشتركة بين الأب والأم ، يتعاونان معًا للقيام بها وليس لأحدهما أن ينفرد بهذه المسؤولية ، ولا أن يعزل الأولاد عن الطرف الآخر ، ويتأكد ذلك في المجتمعات التي يكثر فيها الفساد والانحراف ، فإنه لو انفرد أحد الوالدين بتربية الأولاد ، فلن يستطيع الوصول إلى ما يريد – في الغالب - من حسن تربيتهم! فعلى الوالدين أن يتشاورا وأن يتوافقا على الطريقة التي يتم بها تربية الأولاد! لا شك أن المطلوب في معاملة الأولاد الرحمة بهم وعدم التشديد عليهم! عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا)! رواه الترمذي ، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ). رواه البخاري ومسلم! لذا كان من مقاييس الخيرية مدى الرحمة والشفقة بالولد والعطف عليه ، كما في حديث أَبي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: (نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ: أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ)! رواه البخاري ، ومسلم! لكن لا يعني ذلك إهمالهم ، وعدم الإنكار عليهم ، بل وضربهم أحياناً ، إذا استدعى الأمر ذلك ؛ كأن يقعوا في الفاسد من الأقوال والتصرفات ، بل المطلوب أن يُعتنى بالولد ويتدرج معه في إلزامه بشرائع الإسلام ومحاسن الأخلاق! وهذا الذي أتى به الشرع وعليه سبيل المؤمنين. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ). وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: (ويجب على الإنسان أن يأمر أهله بالمعروف كزوجته ، وأولاده ، ونحوهم ، وينهاهم عن المنكر: لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) الآية ، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: (كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته) الحديث بتمامه". انتهى من "أضواء البيان". ورحم الله الإمام الشنقيطي!

فلا تنسب هداية وأدب ابنك لنفسك ، وتنسى أن هذا توفيق من الله سبحانه ، ولا تجلد ذاتك ، لأن ابنك الذي بذلت جهدك ومالك وعمرك في تربيته مازال بعيداً عنك وعن الهداية ، لكن استمر واجتهد في الدعاء له ، والله يأتي بالهداية في الوقت الذي يريده سبحانه! وأكثر من دعائك:"رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"! نعم للأبوين دور التربية والتوجيه فقط. ولكن تبقى الهداية على الله وحده! كتبتُ في هداية الله للأبناء هذا النص.)

للخيـــــر رَبُّ الســـــما عِبـــادَه يَهـــدي ... هدايـــــة مُزجَـــتْ بـــالجُود والرُّشْـــدِ

ربُّ الأنـــــام لـــــه مشـــيئة علمـــتْ ... جَـــلَّ الإلـــهُ الـــرحيمُ الخـــالقُ المُبـــدي!

هَـــدَى أناســـاً إلـــى أنـــوار شِـــرعته ... فاستســـلموا ، وأطـــاعوا دونمـــا عِنـــد

ونفـــذوا كـــل تشـــريع طواعيـــة ... فـــأدرَكوا كـــل مـــا فـــي الكـــون مـــن سَـــعد

لله دَرُّهُـــــمُ فـــــي كـــــل مَنقبـــــةٍ ... كـــانوا الأوائـــلَ فـــي الإخـــلاص والزهـــد

وأكثـــروا ذكـــرَ رب الخلـــق عـــن رغـــب ... ويُفلـــحُ القـــومُ بـــين الشـــكر والحمـــد

وعـــامَلوا النـــاس بالحُسْـــنى ، فمـــا ظلِمـــوا ... وكـــل مَطمحهـــم فـــي جنـــة الخلـــد

وكـــــل عائلـــــةٍ تســـــمو إذا اتبعـــــتْ ... هـــديَ المليـــك بـــلا نقـــص ولا زيـــد

تحيـــا علـــى الجـــدِّ مـــا زاغـــتْ ، ولا هزلـــتْ ... لا يَســـتوي الهـــزلُ فـــي الميـــزان والجـــد

وكـــــل فـــــردٍ بهـــــا الـــــرحمنُ باركـــــه ... وخصَّـــــه بهُـــدىً! ســـبحان مـــن يهـــدي!

فـــلا تقولـــوا لنـــا: الآبـــاءُ نبـــعُ هُـــدَىً ... بهـــم تبلـــغَ بعـــضُ الوُلـــدِ للمجـــد!

دَورُ الأبـــــوة تبليـــــغ لمـــــن رُزِقـــــوا ... بعـــد الـــزواج مـــن البنـــات والوُلـــد

يـــــدْعون للخيـــــر أولاداً وأمهـــــمُ ... بكـــل رفـــق بـــلا جبـــر ولا كيـــد

يهـــدونهم لأمـــور الـــدين دون هـــوىً ... لا يعمَـــدون لمَـــزج الضـــدِّ بالضـــد

شـــتان بـــين هَـــوىً يُغـــوي وبـــين هُـــدىً ... شـــأنَ الـــذي يَخلـــط البطـــيخ بالهَبـــد

هـــذي الهدايـــة بالدلالـــة اتصـــفتْ ... فيهـــا النقاشـــاتُ بـــين الأخـــذ والـــرد

أمـــا الهدايـــة للتوفيـــق فاقتصـــرتْ ... علـــى المليـــك ، ومـــا لـــلأبِّ مِـــن يَـــدِّ

هـــل (نـــوحُ) قصَّـــرَ فـــي تبليـــغ دعوتـــه؟ ... هـــل علـــمَ ابنـــاً لـــه طرائـــقَ الجَحـــد؟!

حتـــى يُقـــالَ لـــه: (آوي إلـــى جبـــل)؟! وهـــل يَفِـــي جبـــلٌ يـــا غِـــرُّ بالقصـــد؟!

فعانـــدَ ابـــنٌ ، ولاقـــى جُـــرمَ شِـــقوته وبـــاء بـــالغرق المَنـــوط بالفقـــد!

هـــل قـــال (يعقـــوبُ): ألقـــوا اليـــوم (يوســـفكم) فـــي قـــاع جُـــبٍّ بكـــل الـــبُغض والحِقـــد؟!

هـــل قـــال (آدمُ): يـــا (قابيـــل) ، ألـــق أخـــاً بـــدون مَرحمـــةٍ مـــن قمـــة الطـــود؟!

ألـــم يقـــل: (آزرٌ): حـــقٌ ديانتنـــا وانظـــرْ صـــنيعَ أذى الأصـــنام بالعبـــد!

ألـــم يُبـــينْ لإبـــراهيمَ مِلتـــه؟ وفـــي الثنايـــا ابـــتِلا (مَـــردُوخ) بـــالزود!

وكـــان يَصـــنعُ أشـــكالاً لآلهـــةٍ! ويـــحَ التماثيـــل تلقـــى النـــدَّ بالنـــد!

فهـــل تشَـــرَّبَ (إبـــراهيمُ) خردلـــة مِـــن الضـــلال لـــه كتائـــبُ الجُنـــد؟!

وهـــل أقـــرَّ بمـــا تـــدين أســـرته مِـــن العبـــادة للأصـــنام عـــن عَمـــد؟!

وهـــل دعـــاه إلـــى تحطـــيمهن أبٌ يُناصـــرُ الحـــق بالتشـــجيع والجُهـــد؟!

وهـــل دعـــاه إلـــى التنظيـــر بعـــدُ أبٌ حتـــى يُقابـــلَ (نمـــروداً) علـــى حَـــرد؟!

لله فـــي خلقـــه شـــؤونُ قـــد خفِيَـــتْ علـــى الأنـــام بـــلا حَصـــر ولا عَـــد!

هدايـــة الله لا شـــيئٌ يُضـــارعُها يُضـــلُّ عبـــداً ، وعبـــداً آخـــراً يَهـــدي!

ضحية طبق الفول!

(كان الاقتصادي الكبير الأستاذ طلعت حرب يثق ثقة عمياء في الشاب الموهوب أحمد سالم! وكان قد أسند إليه عدة مناصب كبيرة في مجموعة شركات بنك مصر رغم صغر سنه ، وقفز به فوق رؤوس كبار الموظفين ، وأصبح أحمد سالم صاحب أكبر مرتب وصل إليه رجل أعمال في مصر ، وفشلت كل محاولات أصدقاء طلعت حرب في زعزعة أحمد سالم عن العرش الذى يجلس عليه ، ولم يصدق التقارير التي كتبت ضده ولا المستندات التي حاولت النيل منه! وذات يوم كان طلعت حرب مريضاً فى بيته ، وذهب أحمد سالم للاستفسار عن صحته ، فقال له: أرجوك يا أحمد أن تحضر لي معك صباح الغد طبق فول مدمس من محل التابعي ، الذي كان أشهر محل في هذا الخصوص ، وذهب أحمد سالم إلى عمله ، ثم سهر مع أصدقائه وفي الصباح ذهب إلى طلعت حرب لزيارته ، وكان قد نسي طبق الفول المطلوب ، وسأله طلعت حرب: هل نسيت الفول المدمس؟ وفوجئ بهذا السؤال ، واضطر لأن يكذب ، وادعى أنه ذهب إلى المحل ، فوجده مغلقاً لوفاة أخي صاحبه ، وبعد انصرافه استقل طلعت حرب سيارة ، وذهب إلى محل التابعي ، ووجده مفتوحاً ، فجلس إلى إحدى الموائد ، واستدعى التابعي صاحب المحل وقال له: البقية في حياتك يا فلان بن فلان ، فدهش الرجل دهشة عجيبة وغريبة ، وسأل التابعي: ألم يمت شقيقك؟ فقال: لا! وسأله: هل تأخرت في فتح المحل أمس؟ فقال: أبداً ، بل فتحت المحل الساعة الخامسة صباحاً كعادتى كل يوم ، وهنا اتجه الأستاذ طلعت حرب إلى مكتبه فى بنك مصر ، وأصدر قراراً فورياً بفصل أحمد سالم من جميع مناصبه! وبسؤل طلعت حرب: هل يساوي طبق الفول المدمس كل هذا العقاب الصارم القاسي؟ فقال: إن الرجل الذي يكذب عندي في طبق فول مدمس ، لن يتورع عن أن يكذب في مليون جنيه. إن هذه وظائف ثقة يا قوم! وما دام قد فقد ثقتي ، فهو لا يصلح للعمل معي لا اليوم ولا أمس ولا غداً! ولن يستعيد ثقتي أبداً! فقدان الثقة لا يعوضه شيء في الدنيا! الصدق ذلك الخلق العظيم ، المفتقد عند الكثيرين من أهل زماننا! حث عليه ربنا بقوله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين). والصدق كما قال حبيبنا محمد – صلى الله عليه وسلم –: يهدي إلى البرّ ، والبر يهدي إلى الجنة." وللصالحين والفضلاء في الصدق أقوال جميلة وعبارات سديدة أتحفكم ببعضها: قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -: (عليك بالصدق وإن قتلك) ، وقال أيضاً: (لأن يضعني الصدق - وقلما يفعل - أحب إلى أن من أن يرفعني الكذب وقلّ ما يفعل) ، وقال: (قد يبلغ الصادق بصدقه. ما لا يبلغه الكاذب باحتياله). وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر). وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين صاحبه". وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "والله لو نادى منادٍ من السماء أن الكذب حلال ما كذبت". وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: "لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق ، أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله" ، وقال الشعبي رحمه الله: "عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك. واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك". وقال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده: "علمهم الصدق كما تعلمهم القران". ولا يخفى أن مزية الصدق ترفع الصادقين بين الناس جميعاً! وفي هذا يقول الشاعر:

عـــود لسانك قـــول الصدق تحظ به ****** إن اللســـان لِما عـــودت معتـــــادُ

أيها الأخ الطيب الموفق: سل نفسك ما الذي يجعلك تخالف الصواب في قولك وفعلك أحياناً؟ وكم مرّة تقع في ذلك يومياً؟ وهل تذكرت آية المنافق (إذا حدّث كذب)؟ وهل أخذت على نفسك

عهداً ألا تقع في دائرة الكذب مهما كانت الظروف ، ومهما أضرّ بك الصدق ، وليس بفاعل؟ أخي اصدق القول والفعل تفز برضوان الله تعالى ولا يضيرك ما يقول الناس عنك أنه لا بد من المجاملات الكاذبة كي نتربع في قلوب الناس على حساب دخولنا في دائرة الوعيد. أخي: افتح صفحة صدق بيضاء نقية ليس من الغد بل من هذه اللحظة ، وارفع شعار الصدق في كل حين حتى تلقى ربك به ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً ، وأنت صدّيق – بإذن الله تعالى. إن أعظم ما في الصدق أنه يقود صاحبه إلى الجنة ، وهذا هو الفوز العظيم قال – صلى الله عليه وسلم -: (أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً) ، فهذا هو الرّبح الأوفر لأهل الصدق ، وأي ربح أعظم من الجنة لكن يبقى أن تسأل نفسك: ما هو نصيبك من هذا الخير العظيم؟ فإنه ما زاد نصيب الرجل في الصدق إلا وقلّ نصيبه من الكذب ، والعكس كذلك ، وقد قالوا: قد يكذب الصدوق ـ أي نادراً ولكن لا يصدق الكذوب ـ. وعود إلى طلعت حرب وأحمد سالم وطبق الفول! كتبت في هذا الموقف هذا النص!)

اصْـــدُقْ تعِـــشْ فـــي قِمـــة الإســـعادِ ... بالصـــــدق تبلـــــغ ذِروة الأمجـــــادِ

تُنجيـــك مِـــن أعتـــى الـــبلاء صَـــراحة ... وتصـــونُ عِرضـــك مـــن أذى الأوغـــاد

والصـــدقُ تـــاجٌ كـــم يُشـــرِّفُ صـــادقاً ... ويزيـــدُ رفعتـــه عـــن المعتـــاد!

واســـمع لقصـــة مـــن علـــتْ درجاتُـــه ... وســـما علـــى الرفقـــاء والأفـــراد!

وكفـــي بـــ (ـــطلعتْ حـــربِ) إنْ زكَّـــى وإنْ ... أمســـى بشـــخص واثقـــاً بجِيـــاد

يُضـــفِي عليـــه محبـــة ومَهابـــة ... بـــين الأنـــام وصـــفوة الأجـــواد

هـــذي الفِراســـة لا تســـلْ عـــن عُمقِهـــا ... إن (ابـــن حـــربٍ) ســـيدُ الآحـــاد

اختـــارَ (أحمـــدَ ســـالماً) ليُعِينـــه ... فـــي الاقتصـــاد ، فكـــان خيـــرَ عِمـــاد

كـــم حـــاز مـــن ثِقـــةٍ نـــأت عـــن غيـــره ... وبـــدون تقدِمـــةٍ ولا مِيعـــاد!

كـــم نـــالَ آفـــاقَ احتـــرام جَمَّـــة ... ومناقِبـــاً مَرســـومة الأبعـــاد!

وتمُـــرُّ أعـــوامٌ ، وطـــالَ مُرورُهـــا ... و(أحَيمـــدٌ) فـــي القـــوم مثـــلُ الحـــادي

حتـــى ألمَّـــتْ بـــ (ـــابن حَـــربٍ) وَعكـــة ... لـــزمَ الفـــراشَ ، وضـــاقَ بـــالعُوَّاد!

فـــأتوْا جميعـــاً كـــي يُواسُـــوا رأسَـــهم ... إذ صـــاح فـــيهم أيـــن خِـــل فـــؤادي؟!

قـــالوا: (ابـــنُ ســـالمَ) فـــي الإدارة عنـــده ... جَـــرْدٌ ، فكيـــف يجُـــوسُ بـــابَ النـــادي؟!

قـــال: اذكُرونـــي عنـــده ، فليـــأتني! ... فمَجيئُـــه يُفضـــي إلـــى الإســـعاد

قـــالوا: ســـنفعلُ فابتشـــرْ نحـــن الفـــدا ... فاســـمحْ لنـــا يـــا خِيـــرة الزهـــاد!

قـــال: اذهبـــوا فـــي صِـــحةٍ وسَـــلامة ... فـــي حِفـــظ ربـــي المُســـتعان الهـــادي!

وأتـــى (ابـــنُ ســـالم) بعـــد لأي باســـماً ... يُطـــري ، ويَمـــدَحُ كـــالهَزار الشـــادي

فـــإذا (ابـــنُ حـــربٍ) تنـــزوي أســـقامُه ... وقـــلا الـــورى مِـــن رائـــح أو غـــادي!

ورأى (ابـــنَ ســـالم) ، والسُّـــعودُ تزفـــه ... بلحونهـــا فـــي هَـــذْأة العُبَّـــاد

ألقـــى الســـلام مُرحِّبـــاً ومُواسِـــياً ... بعِبـــارةٍ شـــطنتْ عـــن القصَّـــاد

وأمَـــدَّ بالأخبـــار مَـــن يهفـــو لهـــا ... بتولـــهٍ وترقـــبٍ ورَشـــاد

فارتـــاحَ أنْ كـــلُّ الأمـــور علـــى الـــذي ... يرجـــوه مِـــن خيـــر ومِـــن إرشـــاد

حتـــى إذا وصـــلَ اللقـــاءُ خِتامـــه ... طلـــبَ (ابـــنُ حـــربٍ) منـــه بعـــضَ الـــزاد

هـــو صَـــحنُ فـــول يشـــتريه لخِلـــه ... مـــن مطعـــم (التـــابْعِيْ) بكـــل وداد

فـــأتى (ابـــنُ ســـالمَ) ناســـياً مَوعُـــودَه ... نســـيَ الوصـــية ، لـــم يكـــنْ بالعـــادي

لكنـــه كـــذِباً علـــى الله ادَّعـــى ... غلـــقَ المحـــل بـــدافع الإحـــداد!

فمضـــى (ابـــنُ حـــربٍ) يَســـتبينُ قضـــية ... فرضـــتْ عليـــه بزيفهـــا المَيَّـــاد

حتـــى إذا علـــمَ الحقيقـــة لـــم يُطِـــقْ ... كَـــونَ (ابـــن ســـالمَ) مُشـــرفُ الأفـــراد

أنهـــى ارتباطـــاً كـــم نـــأى إنهـــاؤه ... بعِبـــارةٍ قـــي صَـــولة الإزبـــاد

وإن استســـاغ الكِـــذبَ عَبْـــدٌ مَـــرة ... فلقـــد يُضـــيرُ الكِـــذبَ عَـــيشَ بـــلادي

فـــي صـــحن فـــول لا تُمـــرَّرُ كِذبـــة ... ولقـــد تُمَـــرَّرُ فـــي اعتمـــاد مـــزاد

وأراه فـــي المليـــون يكـــذبُ قانعـــاً! ... مهمـــا حكـــى مِـــن سِـــيرة الأجـــداد!

بأولادي ارتقيت!

(يقول هذا الرجل المكافح المحترم: لم أخبر أولادي قط عن ماهية وظيفتي ، وذلك لوضاعتها وإن كانت مباحة ، ويُبرر: لم أرد يومًا أن يشعروا بالخجل بسببي. فعندما كان يسألني ابني الصغير عن عملي ، كنت أخبره - بتردد - أني مُجرد عامل يدوي أعمل بنظام اليومية يا بني. وقبل أن أعود إلى منزلي يوميًا ، اعتدت الاستحمام في أحد الحمامات العامة ، حتى لا يعرفوا ماذا كنت أفعل! وأردتُ إرسال جميع أبنائي إلى المدرسة في الحي الذي أسكن فيه ، وأردت تعليمهم ، وأردتهم أن يقفوا أمام الناس بكل كرامةٍ واعتزاز. لم أُرد أن ينظر إليهم أحد باحتقار ، كما يفعل الناس معي ، لقد اعتادوا على إهانتي دومًا! وادخرت كل قرش ممكن من دخلي من أجل تعليم أبنائي. لم أشتر قميصًا جديدًا قط ، فبدلًا من ذلك كنت أشتري كتبهم الدراسية. "كنت أحاول المحافظة على الاحترام" ، وهذا ما تمنيت أن يكنّوه لي ، في الحقيقة ، وكوني عامل نظافة قد لا يجعلهم يفخرون بي ، فضلاً عن أن يحترموني! وفي اليوم السابق لموعد تقديم ابني الأول في الجامعة ، لم أتمكن من توفير رسوم القبول لها ، ولم أستطع العمل في ذلك اليوم. فجلست بجوار القمامة محاولًا أن أخفي دموعي. وكان زملائي ينظرون لي ، ولكن لم يقترب مني أحدٌ منهم أو حاول التحدث معي. لقد فشلت في تحقيق حلم ابني بدخول الجامعة ، وكنت أشعر بالحزن وانكسار القلب. ولا أعلم كيف سأواجه ابني اليوم ، وكيف سأجيبه عندما يسألني عن تلك النقود بمجرد دخولي المنزل! لقد ولدتُ فقيرًا ، وكنت مؤمناً أنه لا يمكن أن يحدث شيء جيد لشخص فقير ، وخاصة لشخص مثلي. وبعد العمل ، تقدم نحوى جميع زُملائي وقبل أن يتحدثوا بشيء ، جلسوا إلى جواري على الأرض وسألوني عن سلوكي الغريب ، فأخبرتهم بالحقيقة! فأسفوا لذلك ، وسألوني: هل تعتبرنا إخوة لك؟ وقبل أن أجيب ، وجدتهم يمدون إليّ أجر عملهم في ذلك اليوم. وعندما رفضت ، واجهوني قائلين: سنجوع اليوم إذا تطلب الأمر ، لكن لا بد أن يذهب ابننا إلى الجامعة ، فانهمرت عيناي بالدموع ، وخنقني البكاء ولم أستطع الرفض! وفي ذلك اليوم ، لم أذهب للاستحمام - كعادتي - قبل العودة إلى المنزل. فقد رجعت كعامل النظافة المُتسخ الذي كُنت عليه دومًا ، فلقد دخلتُ البيت في عُجالة من أمري! وعرف أبنائي الحقيقة حقيقة أبيهم! ومرتِ الأيام والسنون! والآن ، ها هو ابني على وشك الانتهاء من دراسته الجامعية. ثلاثة منهم لم يسمحوا لي بالذهاب للعمل مرة أخرى. فابني لديه الآن عمل بدوام جزئي بجانب الجامعة والثلاثة الآخرون لديهم منح جامعية مجانية! وأحيانًا ، يأخذني ابني لمكان عملي القديم ، من أجل تقديم الطعام لكافة زملائي القدامى. وأحدهم وجد الأمر مُضحكًا وسأل ابني: لماذا تُقدم لنا كُل هذا الطعام يا بُني؟! فأخبرهم ابني قائلاً بكل فخر: إن جميعكم تضورتم جوعًا يومًا حتى أستطيع أن أصير ما أنا عليه الآن ، فأدعو الله أن أتمكن من إطعامكم جميعًا كُل يوم! فسررت بمقالة ابني التي جاءت ارتجالية صادقة دون إعداد أو تحضير أو توقع! فكيف أكون فقيراً وأنا أمتلك أبناء كهؤلاء؟! إنني فخور كل الفخر بهم! لقد ارتقيتُ مرتقىً صعب المال بأولادي واجتهاداتهم وإنجازاتهم الرائعة المبهرة! فبارك الله تعالى فيهم ولهم وعليهم!)

إن مشـــــــوار حيـــــــاتي مُوبِـــــــقُ ... وبـــــــه الآلامُ ليســـــــتْ تُشـــــــفِقُ

والمحطـــــاتُ علـــــى الـــــدرب شـــــقا ... وابـــــــتلاءاتٌ وفقـــــــرٌ مُطبـــــــق!

وعـــــــذاباتٌ تســـــــامَى وصـــــــفها ... وانكســـــــارٌ بإبـــــــائي مُحـــــــدق!

عامـــــــلٌ تُعطـــــــى لـــــــه (يَوميـــــــة)! ... والتكـــــــاليفُ مَـــــــداها يَصـــــــعَق

تســـــــحَقُ العيشـــــــة هـــــــذي هـــــــامَتي! ... والمَطاليـــــــبُ اعتـــــــزازي تســـــــحق

لســـــــتُ ألقـــــــى المـــــــالَ يَكفـــــــي عَيشـــــــهم ... أشـــــــتهي مـــــــالاً علـــــــيهم يُنفَـــــــق!

كـــــــم أضـــــــحِّي كـــــــي أراهـــــــم ســـــــادة ... ولـــــــذا أعطِـــــــي لهـــــــم مـــــــا أرزق!

تلـــــــك مســـــــؤوليتي لا ترعـــــــوي ... لضـــــــحايا فـــــــي لظـــــــى العـــــــيش شَـــــــقوا

كـــــــم سَـــــــهرتُ الليـــــــلَ أشـــــــكو باكيـــــــاً ... لمليـــــــك النـــــــاس حـــــــالاً يُوبـــــــق!

كـــــــم لكســـــــب القـــــــوت نيلـــــــتْ عِزتـــــــي ... ربمـــــــا لـــــــم يلـــــــقَ ذا مَـــــــن يَســـــــرق!

كـــــــم ســـــــمعتُ مـــــــن كـــــــلام ســـــــاقطٍ ... لـــــــيس عـــــــن أفحـــــــش قـــــــول يَفـــــــرق!

كـــــــم خزايـــــــا فـــــــيَّ بـــــــاعوا واشـــــــتروا ... بـــــــافتراءٍ جُلـــــــه لا يَصـــــــدُق!

كـــــــم تحملـــــــتُ البـــــــذاءاتِ اعتـــــــدتْ ... دون حـــــــق ، والتجنـــــــي مَزلـــــــق!

وأنـــــــا جنبـــــــتُ أولادي الأذى ... كـــــــم بهـــــــم رغـــــــم ابتئاســـــــي أرفـــــــق!

لـــــــم أكـــــــنْ أرجـــــــو لهـــــــم أن يُكسَـــــــروا ... إن قلبـــــــي بالســـــــجايا يَخفـــــــق

لـــــــم أشـــــــأ يومـــــــاً لهـــــــم أن يُجرَحـــــــوا ... قـــــــد كفـــــــى حـــــــالٌ ضَـــــــنِيكٌ ضـــــــيق

وإذا تعـــــــويضُ ربـــــــي راقنـــــــي ... وعطـــــــاءُ الله غيـــــــثٌ مُغـــــــدِق

وفـــــــقَ المـــــــولى عِيـــــــالاً أخلصـــــــوا ... فـــــــي ذرى العليـــــــاء هـــــــا هـــــــم حَلّقـــــــوا

فعلـــــــى التوحيـــــــد شَـــــــقوا دربَهـــــــم ... لسِـــــــوى التوحيـــــــد هـــــــم لـــــــم يُخلقـــــــوا

خمسَـــــــهم صـــــــلوا علـــــــى أوقاتهـــــــا ... ولهـــــــم سَـــــــمتٌ جميـــــــلٌ شـــــــيق

واســـــــتقاموا دون إخـــــــلال بمـــــــا ... شـــــــرعَ الـــــــرحمن حتـــــــى يســـــــبقوا

شـــــــرفوني باجتهـــــــادٍ واضـــــــح ... إنهـــــــم شـــــــمسٌ علينـــــــا تُشـــــــرق!

وبـــــــأولادي ارتقيـــــــتُ للعُـــــــلا ... فـــــــي يـــــــدٍ مَجـــــــدٌ ، وأخـــــــرى بَيـــــــرق

أي فخـــــــر بعـــــــد هـــــــذا يـــــــا تُـــــــرى؟! ... وعلـــــــىَّ اليـــــــومَ كـــــــلٌ يُنفـــــــق!

بـــــارك الـــــديانُ فـــــي الســـــعي اســـــتمَى ... إن بـــــذلَ المَـــــرء نِعـــــمَ المَنطـــــق!

آيـــــــة هـــــــذي بَـــــــدَتْ أنوارُهـــــــا ... كـــــم أنـــــا فـــــي عُمقهـــــا أســـــتغرق!

أذكـــــــرُ التـــــــاريخ أيـــــــامَ الضـــــــنا ... وأنـــــا فـــــي قيـــــد فقـــــري مُوثَـــــق!

أنســـــجُ الآمـــــالَ ، أســـــتغني بهـــــا ... عـــــن حَضـــــيض فيـــــه نفســـــي تغـــــرق

لســـــتُ أنســـــى مِحنـــــة عايشْـــــتُها ... كـــــل خيـــــر أجتنيـــــه تمحَـــــق

وأنـــــا آتـــــي لبيتـــــي مُوجَعـــــاَ ... ومِـــــن الآلام تُـــــدْمي مُرهَـــــق

وأنـــــا أســـــألُ عـــــن شُـــــغلي ، فمـــــا ... ألتقـــــي لفظـــــاً لســـــاني ينطـــــق!

أحمَـــــدُ المَـــــولى ، وأطـــــري جُـــــودَه ... جَـــــلَّ شـــــأنُ الله رَبـــــاً يَـــــرزق

نصيحة محامية عاقلة!

(إنها رسالة رزينة جداً من محاميةٍ واقعيةٍ عاقلةٍ حكيمةٍ للزوجات الساعيات إلى الطلاق!
تقول وبالنص: (أنا كمحامية ليس مطلوباً مني تفصيل قانون على مقاسك يا أختاه ، بل المطلوب مني بذل المجهود والاهتمام بالقضية ، حتى أكون قد أديت واجبي تُجاهك! لكنْ لي كلمة حازمة مقنعة للزوجات! أخاطب كل واحدة منهم فأقول: يا أختاه ، لو صبرتِ على زوجك مثل صبرك على محاميتك ، فمن الممكن ألا تذهبين إلى المحكمة يوماً من الأيام! ولو أن كل زوجةٍ لبستْ لبساً حلواً مهندماً وجميلاً في بيتها ، كلباسها عند ذهابها إلى المحكمة ، ولو اهتمت بنفسها وبتفاصيل حياتها الزوجية ، كاهتمامها بالقضايا التي تنتوي رفعها ضد زوجها ، فإنه من المؤكد أن زوجها لن ينظر لغيرها مطلقاً! ولو عاملت زوجكُ بنفس الطريقة التي تعاملين بها الحاجب وسكرتير الجلسة والقاضي والمستشار ، عندما يصيحون فيك صياحاً يملأ ساحة المحكمة ، وحضرتك رغماً عنك تحافظين على الهدوء لدرجة أنك تنافقين! نعم تنافقين بكل ما تعنيه الكلمة من معان. لأنك رغم غيظك وقهرك منهم تتكلمين معهم بمنتهى التحفظ والذوق والاحترام! وتبتسمين إبتسامة صفراء ليست من قلبك بالطبع ، حتى تنجزي مصلحتك عندهم! ولو كان هذا رد فعلك عندما يغضبك زوجك كان سيمتنع عن إغضابك ، وسيحاول إرضاءك بأي شكل متاح وبكل طريقة ممكنة. ولو صبرت على مشكلات البيت كصبرك على عناء الطريق للمحكمة ، وانتظارك لموعد الجلسة ، وبنفس الحكمة والعقل والرشد ، فمن المؤكد أن المشاكل جميعها كانت ستُحل! وكذلك تحمل العناء في بيتك هو بطيعة الحال أسهل من تحمله في المحاكم ، ومجاملتك لزوجك في البيت ليست نفاقاً ، كمجاملتك نفاقاً لأي شخص في المحكمة! تذكري جيداً لحظة دخول القاضي للجلسة ، فإنك تلتزمين الصمت ، أنت وكل الموجودين في القاعة ، تغلقين جوالك غصباً عنك ، بالأمر المشدد ، مع أن زوجك لم يطلب منك يوماً إغلاق الجوال! وكذلك تلبية طلبات البيت والأطفال وطلباته فلماذا تتعصبين وتنكدين عليه وعلى الأولاد ، لمجرد أنه طلب منك الاهتمام بواجباتك الأسرية ، ذلك الاهتمام الذي أنت موجودة لأجله لا لأجل التلفون والتطبيقات والصاحبات. المقصود من الكلام يا أختاه هو أن صبرنا على أنفسنا أحسن وأفضل من صبرنا في المحاكم ، وليكن معلوماً أن بيوتنا أمانة في رقابنا!) وكانت هذه المحامية العاقلة الحكيمة قد أوردَتْ في رسالتها - للمطلقات والمختلعات وللراغبات في الطلاق - حواراً دار بينها وبين إحدى المطلقات! وقمتُ بتضمين فكرة الحوار وزبدته في القصيدة ، حيث إنني وجدتُ فيه تلخيصاً مبسَّطاً ورائعاً لفكرة القصيدة كلها! أشكر المحامية الفاضلة ، وقد أوردتُ نصيحتها كما هي إلا من تصحيح لبعض الأخطاء اللغوية والإعرابية والأخطاء الإملائية! وأنشد في هذه النصيحة الرزينة الهادفة الفذة هذه القصيدة!)

النصـــحُ كـــم يَعِـــظ النســـا ويُهـــذبُ ... ويُجيـــرُهن مِـــن الـــبَلا ويُـــؤدِّبُ!

ويَـــرُدُّ غاشـــمة لحـــازم رُشْـــدِها ... ويُـــريحُ حـــائرة تكِـــدُّ وتتعـــب!

ويَصُـــدُّ جهـــلاً أحرقـــتْ نيرانُـــه ... أمَـــة بجائحـــة الأذى تتلهـــب

ويُعِيـــدُ حقـــاً رغـــم شِـــدة غاصـــب! ... بُعـــداً لمَـــن يَئِـــدُ الحقـــوقَ ويَغصِـــب

وقـــرأتُ مـــا خطـــتْ محاميـــةٌ وَعَـــتْ ... لمُصـــاب (حـــواءٍ) ، فباتـــتْ تكتـــب

وغـــدَتْ مقالتُهـــا نـــذيراً صـــادحاً ... يَهَـــبُ الجـــراحَ علاجَهـــا ويُطبِّـــب

زُبَـــدٌ مِـــن التبصـــير تلفِـــتُ مَـــن غَـــوَتْ ... وتشُـــدُّ مَـــن تهـــوَى الوضـــوحَ وترغـــب

هـــيَ قـــد أبانـــتْ كـــل غامِضـــةٍ ، لِـــذا ... خرجَـــتْ نصـــيحتُها رشـــاداً يُطلـــب

هـــيَ ناولـــتْ توضـــيحَها لـــم تـــدَّخِرْ ... نصـــحاً ، فـــإن النصـــح كـــم يتوجـــب!

هـــيَ لـــم تُـــراهنْ فـــي الجـــدال علـــى هـــوىً ... يُـــردِي الحقيقـــةَ عامِـــداً ويُغيِّـــب

عابـــتْ طلاقـــاتٍ تَفـــاقمَ عَـــدُّها ... وكـــأن جـــيلاً بالشـــعائر يلعـــب

هـــل بـــات وحـــيُ الله مَـــدعاة إلـــى ... هـــزل يُمارسُـــه غـــواة خُيَّـــب

الله قـــد شَـــرَعَ الطـــلاقَ لعِلـــةٍ ... وضَـــحَتْ قرائنُهـــا ، فليســـتْ تُحجـــب

يُغنـــي كـــلا الـــزوجين إنْ يَتفرَّقـــا ... مِـــن فضـــله ، نِعـــمَ الصُّـــوَى والمَـــذهب!

لـــيس الطـــلاقُ لجلـــب ظلـــم أو أذى ... أو غصـــب أمـــلاكٍ لمَـــن يتغلـــب

لـــيس الطـــلاقُ لكـــي يُـــدان مُبَـــرَّؤٌ ... مِـــن ظلـــم فضـــلى ، أو يُبـــرَّأ مُـــذنب

مـــا هـــذه الفوضـــى؟ ومـــاذا بعـــدها؟! ... إنـــي علـــى نِســـوان قـــوميَ أعتِـــب!

حتـــى متـــى هـــذا الشـــقاءُ مُخيمـــاً ... والتيـــهُ مُـــدَّ لمَـــن يُحِـــبُّ فيَضـــرب؟!

نِسَـــبُ الطـــلاق تضـــاعفتْ أعـــدادُها ... إنـــي لأنكِـــرُ مـــا أراه وأشـــجُب

يـــا أختُ صـــبراً ، فالمشـــاكلُ مـــا نجـــا ... منهـــا بُيـــتٌ ، لســـتُ فـــي ذا أكـــذب

كـــلُّ البيـــوت لهـــا مشـــاكلها التـــي ... مـــا شـــذ عنهـــا مَشـــرقٌ أو مَغـــرب!

فلـــئن صـــبرتِ علـــى حليلـــكِ مثلمـــا ... تُبـــدِين صَـــبراً فـــي المحـــاكم يُنـــدَب

وإذا دعـــا القاضـــي ، وأغلـــظ قولـــه ... ألفِيـــتِ طائعـــةً تخـــافُ وتَرهَـــب!

وإذا يَعيبُـــكِ فـــي الفعـــال أتيتِهـــا ... أرهفـــتِ سَـــمْعَكِ للفِعـــال تُعَيَّـــب

وأتيـــتِ للجلســـاتِ أجمـــلَ غـــادة ... وعيـــونُ مَـــن حَضـــروا إليـــكِ تُصَـــوَّب

هـــلا لزوجـــكِ كـــان حُســـنُكِ زائنـــاً ... فلـــئن فعلـــتِ فكيـــف بيـــتٌ يُخـــرب؟!

ورســـــومُ أتعـــــاب القضـــــايا عَنفـــــتْ ... عَجلـــــى لتنفيـــــذ الطـــــلاق تُرتـــــب

وســـــألتُ عاقلـــــة شـــــهدتُ طلاقهـــــا ... مـــا الـــربحُ مـــن هـــذا؟ ومـــاذا المكســـب؟!

قالـــــت: وربـــــي خيبـــــة وندامـــــة ... وخســـــرتُ بيتـــــي ، والعِيـــــالُ تعـــــذبوا!

وشـــــماتة الأعـــــداء تُحـــــرجُ خـــــاطري ... وحُـــــزونُ أقـــــوام إلـــــيهم أنســـــب

أنـــا مـــا جنيـــتُ ســـوى الضـــياع بضـــاعة ... غرقـــتْ ســـفينتُنا ، وضَـــلَّ المركـــب!

يـــا معشـــرَ النســـوان تلـــك نصـــيحتي ... أنـــا لســـتُ أوجـــاعَ النســـاء أقلـــب

أنـــا لســـتُ أختـــارُ الطـــلاق وســـيلة ... لعـــلاج مشـــكلةٍ تُشـــينُ وتُعطـــب

واليـــوم سُـــوقُ (البكـــر) راجَـــتْ وانتشـــتْ ... وتـــذوقُ غائلـــة البَـــوار الثيِّـــب!

شـــبَحُ العُنوســـة فـــي الـــديار مُـــرَوَّجٌ ... ولـــه دَهـــاقنُ فـــي الخفـــاء تُؤلـــب!

هـــم شـــرُّ دَلالـــين قـــد وطئـــوا الثـــرى ... والـــبعضُ يَصـــطنِعُ الجفـــا ويُخبِّـــب

بلغـــتُ ، واللهُ المُهـــيمنُ شـــاهدي ... يـــا رب أصـــلحْ مـــا الطـــلاقُ يُخـــرِّب!

هداديك يا عامرية!

(تأثرتُ كثيراً بما حدث للشاعرة العامرية البدوية العراقية ، حيث إنها لما ابتُليتْ بفقد أمِّها أنشدتْ بيتاً من شِعرها هو السببُ المباشر في كتابتي هذه القصيدة على البحر الطويل! تقول:-

سـأبكيكِ حتى تُنفِدَ العينُ ماءَها وأنصبُ ما بين الضلوع مآتما!

فكتبتُ لها أذكّرها بأن الصبر عند الصدمة الأولى ، وأخذتُ على يدها بصدق أن تتماسك وتتجلد وتصطبر ، وناشدتُها بأن تُخليَ عنها الوجدَ والأسى فإنهما يخترمان بأسَ النفس وثباتَ القلب! ومن يتصبرْ يُصبرْه الله تعالى! ومن هنا سطرتُ سِينيتي في مواساة شاعرتنا العامرية! عسى الله تعالى أن يرحم أمها وأمي على وجه الخصوص ، ويرحم أموات المسلمين الذين شهدوا له سبحانه وتعالى بالتوحيد وشهدوا لنبيه بالرسالة والنبوة وماتوا على ذلك على وجه العموم! كما وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا بأن يربط على قلب العامرية كما ربط على قلب أم موسى – رضي الله عنها ، وصلى وسلم وبارك على ابنها الكليم - ، وأن يتقبل هذا التأبين الشعري ، ويأجرني عليه ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن تقع حروفه وكلماته وأبياته على قلب العامرية برداً وسلاماً ، فتكون سبيلاً إلى تصبيرها وطريقاً إلى بذل السلوان بين يديها ، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر الوحيد عليه!)

هَـدادَيكِ كُفـي الـدَّمعَ ، واسـتدفِعي الأسـى وكـوني بهـذا الـرُّزء مِـن أشـجع النسـا!

ألا وارحمـي نفسـاً دَهتْهـا حُزونهـا فكـم ودَّعـتْ بـالأمس يـا أختُ أنفسـا!

وأدري بـأن الأمَّ رُوحٌ لبنتهـا! كـأني بهـا جسـمٌ بـروح لـه اكتسـى!

وأوصـيكِ بالصـبر الجميـل تعبُّـداً كفـى باصـطبار المـرء فـي الكـرب مُؤنِسـا!

ألا يـا ابنـة البـدو المغـاوير هـوِّني عليـكِ اسـتزيدي مـن مُناجـاة (يونُسـا)!

حَنانيـكِ إن الحـزن كـم يُـوغِرُ الصِّـبا! فيُمسـي خـواءً مـن قـوى الـنفس مُفلسـا

يَهيـبُ العـراقُ الشـهمُ بـ (ـابنة عـامر) بـأن تتـرك الوجـدَ الـذي فـي الحِمـى جسـا

عسـى الله يُحـذيكِ السـكينة تجتنـي عـذابَ فـؤادٍ لـم يُطِـقْ ضـنكَه عسـى!

تهُـزُ ثبـاتَ القلـب سـربلة الجـوى فكيـف تلـي قلبـاً علـى البـأس أسِّسـا؟!

ولـن تُرجـعَ البأسـاءُ أمَّـاً إذا قضـتْ ولا يُرجـعُ الأحبـابَ إنْ رحلـوا أسـى!

وأذكـرُ (أمـي) يـومَ أبلِغـتُ فقـدَها بقِيـتُ حزينـاً طِيلـة الصـبح والمَسـا

وسـالتْ دمـوعُ العـين تنعِـي رحيلهـا ودنيـايَ أضـحتْ نصـبَ عينـيَّ حندسـا!

وأطرقـــتُ لـــم أنطِـــقْ لِمَـــا حَـــلَّ كِلمـــة ... كـــأن لســـاني آســـفاً قـــد تيَبَّســـا!

فلمَّـــا قـــرأتُ البيـــت بيتـــكِ راعنـــي ... وأهـــدى يراعـــي مِـــن ضـــنى الوجـــد أكؤسـا

لأكتـــب نصـــاً ينشـــدُ الرفـــقَ ، يَحتفـــي ... بـــنفس تهـــاوتْ ، عزمُهـــا مـــا تنفســـا

تقـــولين: تبكـــين الأمومـــة فارقـــتْ ... بـــنص وربـــي لـــم يَـــزُرْ قبـــل أرؤســـا!

ســـتبكين حتـــى ينفـــدَ الـــدمعُ كلـــه ... ومأتمُهـــا قـــد حـــاز فـــي الصـــدر مَجلســـا

فقلـــتُ: لمـــاذا تقتـــلُ الأخـــتُ نفســـها؟! ... وقلبـــي لِمَـــا يلقـــاه مـــن شِـــدةٍ قســـا!

فهـــلا ملكـــتِ الـــنفس يا(ابنـــة عـــامر) ... لكـــي لا يبيـــت القلـــبُ بالوجـــد أتعســـا؟!

أقـــدِّرُ مـــا تَلقِـــين إذ عشـــتُ مِثلـــه ... ومـــا كنـــتُ يومـــاً بعـــد (أمـــي) لأيأســـا!

بكيـــتُ عليهـــا ، ثـــم أبَّنـــتُ دامعـــاً ... قصـــيداً رقيقـــاً فـــاق تِبـــراً وسُندســـا

فـــذي قـــرة العـــين ، الحيـــاة بأســـرها ... وتـــرجحُ مـــا قـــد شـــافتِ العـــينُ مِـــن نِســـا

خِتامـــاً أعَـــزي مَـــن دَهـــى الـــرُّزءُ قلبَهـــا ... وليـــلُ مآســـيها مِـــن الكَـــرب عَسعســـا

وغـــارتْ نجـــومُ الليـــل ، وانجـــابَ نورُهـــا ... ومِـــن قبـــلُ كانـــت فـــي ســـما الكـــون كُنســـا

وأدعـــو إلـــهَ النـــاس دعـــوة مُحســـن ... فكـــنْ ربنـــا لـــلأمِّ فـــي القبـــر مُؤنســـا

وثبِّـــتْ فـــؤادَ (العامريـــة) ، واهـــدِها ... وأحـــرى بحـــزن أنْ يـــزول ويُدْرَســـا!

أفسد علي امرأتي!

(كَانَتِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ ، فَنَظَرَتْ يَوْماً إِلَى وَجْهِهَا فِي الْمَرْآةِ ، فَقَالَتْ لِزَوْجِهَا: أَتَرَى أَحَداً يَرَى هَذَا الْوَجْهَ لاَ يُفْتَنُ بِهِ؟! قَالَ: نَعَمْ ، قَالَتْ: مَنْ؟ قَالَ: عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ. (وشُهرتُه عُمَير) قَالَتْ: فَأْذَنْ لِي فِيهِ ، فَلأَفْتِنَنَّهُ ، قَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكِ ، قَالَ: فَأَتَتْهُ كَالْمُسْتَفْتِيَةِ ، فَخَلا مَعَهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، قَالَ: فَأَسْفَرَتْ عَن وَجْهٍ مِثْلِ فَلْقَةِ الْقَمَرِ. فَقَالَ لَهَا: يَا أَمَةَ اللَّهِ اسْتَتِرِي ، قَالَتْ: إِنِّي قَدْ فُتِنْتُ بِكَ ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِي. قَالَ: إِنِّي سَائِلُكِ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِنْ أَنْتِ صَدَقْتِينِي نَظَرْتُ فِي أَمْرِكِ. قَالَتْ: لاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ إِلا صَدَقْتُكَ ، قَالَ: أَخْبِرِينِي: لَوْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ أَتَاكِ لِيَقْبِضَ رُوحَكِ ، أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّي قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟! قَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ ، قَالَ: صَدَقْتِ ، قَالَ: فَلَوْ أُدْخِلْتِ فِي قَبْرِكِ وَأُجْلِسْتِ لِلْمُسَاءَلَةِ ، أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّي قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟! قَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ ، قَالَ: صَدَقْتِ ، قَالَ: فَلَوْ أَنَّ النَّاس أُعْطُوا كُتُبَهُمْ ، وَلا تَدْرِينَ تَأْخُذِينَ كِتَابَكِ بِيَمِينِكِ أَمْ بِشِمَالِكِ أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّي قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟! قَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ ، قَالَ: صَدَقْتِ ، قَالَ: فَلَوْ جِيءَ بِالْمَوَازِينِ وَجِيءَ بِكِ لاَ تَدْرِينَ تَخِفِّينَ أَمْ تَثْقُلِينَ أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّي قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟! قَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ ، قَالَ: صَدَقْتِ! قَالَ: فَلَوْ وَقَفْتِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْمُسَاءَلَةِ ، أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّي قَضَيْتُ لَكِ ، هَذِهِ الْحَاجَةَ؟! قَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ ، قَالَ: صَدَقْتِ ، قَالَ : اتَّقِي اللَّهَ يَا أَمَةَ اللَّهِ ، فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكِ ، قَالَ: فَرَجَعَتْ إِلَى زَوْجِهَا. فَقَالَ: مَا صَنَعْتِ؟! قَالَتْ: أَنْتَ بَطَّالٌ ، وَنَحْنُ بَطَّالُون. فَأَقْبَلَتْ عَلَى الصَّلاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعِبَادَةِ. قَالَ: فَكَانَ زَوْجُهَا يَقُولُ: "مَا لِي وَلِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، أَفْسَدَ عَلَيَّ امْرَأَتِي! كَانَتْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَرُوساً ، فَصَيَّرَهَا رَاهِبَةً. وتحت عنوان: (إصلاح النفس) يقول الأستاذ عبد الله بن سعيد آل يعن الله ما نصه: (لا شك أن الإنسان يمتلك قدرات عظيمة ، ومواهب جمّة سواء كان ذلك في الجوانب العملية ، أو الجوانب العلمية ، أو غيره. هناك مصدر أساسي للتفوق والنجاح ، وأعتقد أنه من المهم أن نعطي هذا المصدر الاهتمام البالغ ، سواء كان ذلك في تربية النفس ، أو تربية الغير. هذا المصدر هو إصلاح النفس ، وتربيتها التربية المثالية التي يريدها الله عز وجل منا. وهناك أمور كثيرة تساعد في تربية وتهذيب النفس ، ولعل الإنسان يطلع على مكنوناتها في أحد الكتب أو الأشرطة المسموعة! القرآن الكريم له أثره العظيم في إصلاح النفوس وتزكيتها ، وهذا كان اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته لأصحابه ، وخير شاهد على ذلك ما قاله جندب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، (الحَزَوَّر هو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم ، وهو الذي قارب البلوغ) ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً. فالاعتناء بالقرآن تلاوة ، وحفظاً ، وتدبراً ، مفتاح المفاتيح التي تبني النفس الإنسانية).هـ. وتحت عنوان: (العاقبة في ذكر الموت) يقول الأستاذ الفاضل عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي ما نصه: (ومن كان قلبه متعلقاً دوماً بالدنيا وهمه فيها ونظره مصروفاً إليها وسعيه كله لها وهو مع ذلك من طلابها المحرومين وأبنائها المكدودين لم ينل منها حظاً ولا رقى منها مرقى ولا نجح له فيها مسعى. إن ذكر له الموت تصامم عن ذكره ولم يمكنه من فكره وتمادى على أول أمره رجاء أن يبلغ ما أمل أو يدرك بعض ما تخيل. فعمره ينقص وحرصه يزيد وجسمه يخلق وأمله جديد وحتفه قريب ومطلبه بعيد يحرص حرص مقيم ويسير إلى الآخرة سير مجد كأن الدنيا حق اليقين والآخرة ظن من الظنون. وهذا إذا ذكر الموت أو ذكر به لم يخف أن يقطع عليه مهما من الأغراض قد كان حصله ولا عظيماً من الآمال في نفسه قد كان أدركه لأنه لم يصل إليه ولا قدر عليه لكنه يخاف أن يقطعه في المستقبل عن بلوغ أمل يحدث به نفسه ويخدع به حسه وهو يرى فيه يومه كما قد رأى فيه أمسه. قد ملأ قلبه بتلك الأحاديث المشغلة والأماني المرذلة والوساوس المتلفة قد جعلها ديدنه ودينه وإيمانه ويقينه. وربما ضاق ذرعه بالدنيا وطال

همه فيها من تعذر مراده عليه وقلة تأتيه له فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه وهذا من جهله بالموت وبما بعد الموت والذي يستريح بالموت والراحة بعد المغفرة غيره والذي يفرح به سواه إنما الفرح من وراء الصراط).هـ. فكتبتُ هذه القصيدة عن هذه القصة الطريفة ، بقطع النظر عن درجة صحتها وحدود مصداقيتها! ستبقى موعظة جميلة تنبثق عنها قصائد في الثبات والتحدي!)

رأتْ فـــي حُســـنها الطـــاغي نصـــاعة! فجَـــدَّتْ فـــي الترهُّـــل والوَضـــاعة!

وقالـــت: هـــل تـــرى فـــي مثـــل حُســـني تبـــارك صـــانعٌ ســـوَّى الصـــناعة

وأســـــواقُ النســـــاء لهـــــا رَواجٌ فهـــل كسَـــدَتْ بهـــا أحلـــى البضـــاعة؟!

فكيـــف يُطيـــقُ صَـــبٌ شـــافَ حُســـني؟! سيُصـــعَقُ إنْ رمـــى حُســـني شـــعاعه!

تشـــوفُ النـــاسُ هـــذا الحُســـنَ لحظـــاً وشَـــوفُ مُحِبِّـــه ســـيَظلُ ســـاعة!

وقالـــت لـــي: فمـــن يقـــوى عليـــهِ؟ تُحـــدِّثني ، وزادتْ فـــي الشـــناعة

فقلـــتُ لهـــا: هنـــاك فقيـــهُ قـــومي وعـــالمُ دارنـــا ، ليســـتْ إشـــاعة

ومـــن كـــ (ـــابن العُميـــر) أجـــلُّ شـــأناً يُتـــابعُ سُـــنة ، ويَلِـــي الجماعـــة؟!

هبيـــــهِ رآكِ قطعـــــاً لـــــنْ يُبـــــالي وإنْ حاولـــــتِ جاهـــــدة خِداعـــــه

وإنْ أوغلـــتِ فـــي الإغـــراء دهـــراً فلـــيس يُصِـــيبُ مِـــن نظـــرٍ لعاعـــة

وإن أقنعـــــتِ بـــــالإغراء قلبـــــاً ســـيُلقي القلـــبُ بـــالحق اقتناعـــه!

سيَعصـــمُه التقـــى مِـــن كـــل مَيـــل وإنْ مارســـتِ ألـــوان الخلاعـــة!

وعنـــد الغيـــر حُســـنكِ لا يُبـــارى وعنـــد العَـــفِّ لـــيس لـــه نصـــاعة

فقالـــت: ســـوف أســـأله ســـؤالاً لأرقـــبَ عنـــد أســـئلتي انطباعـــه

أتـــأذنُ لـــي لأفتنـــه بقـــولي فقلـــتُ لزوجتـــي: ســـمعاً وطاعـــة!

فزانـــت نفســـها ، ومضـــتْ إليـــهِ وأضـــمرتِ التجـــرؤ والبشـــاعة!

وقالـــت: مرحبـــاً بـــ (ـــابن عُميـــر)! ولـــي سُـــؤلٌ ، وأمتلـــك الشـــجاعة

فقـــال: أجيـــب إن أوتيـــتُ علمـــاً ولـــي شـــرعٌ أنـــا أهـــوى اتباعـــه

فقالـــت: أشـــتهي حبـــاً ووصـــلاً وعشـــقاً يبتغـــي قلبـــي متاعـــه!

وشـــالتْ عـــن جمـــال الوجـــه سِـــتراً ... فنـــدَّ الوجـــهُ عـــن حُســـن ، وذاعـــه!

فقـــال: ألا اســـتري وجهـــاً تبَـــدَّى ... بـــه افتـــتنَ الكِتـــابُ مـــع اليَراعـــة!

وزادَ: فهمـــتُ مـــا تـــرجين حقـــاً! ... وأســـألُ مَـــن شـــكتْ منهـــا الشـــناعة!

إذا مـــا مِـــتِّ ، هـــل تلقـــين ربـــاً ... بجعـــل الحـــب يَفتـــرسُ الضـــراعة؟!

وكيـــف تـــرين هـــذا عنـــد حشـــر؟! ... وجـــاءكِ شُـــؤمُه يُوليـــكِ باعـــه!

فـــأين ضـــميرُ مُؤمنـــةٍ تـــولى؟! ... عســـاهُ يعـــودُ يُهـــديكِ انتفاعـــه!

أتـــاكِ هـــواكِ مُجترئـــاً غشـــوماً ... يَمُـــدُّ إليـــكِ بالسُّـــوآى ذِراعـــه

وقلبـــكِ فـــي ســـراب التيـــه جـــاثٍ ... طـــواهُ الـــوَهمُ ، فاســـتحلى وجاعـــه

ومـــا تخـــذ النجـــاة لـــه ســـبيلاً ... فبالعصـــيان قـــد فقـــدَ التياعـــه

فقالـــت: تُبـــتُ عـــن غـــي دَهـــاني ... وأعلنـــتُ المثوبـــة والإطاعـــة

يَمـــينَ الله وعظـــك هـــز قلبـــي ... ونـــاولني الإفاقـــة والمناعـــة

فعـــادتْ والهدايـــة تحتويهـــا ... مِـــن البحـــر الـــذي قـــد غـــال قاعـــه

وقـــاربُ نجْوهـــا أهـــداه تـــوبٌ ... وأهـــدتْ طاعـــة المـــولى شِـــراعه

فعـــادتْ للحليـــل ، وقـــد أنابـــت ... هـــو القـــرآنُ ألزمَهـــا اســـتماعه

وســـاق لهـــا الحـــديثُ هـــدوءَ نفـــس ... فبـــاءتْ بالتبتـــل والقناعـــة

وجَـــدَّتْ فـــي قيـــام الليـــل ترجـــو ... وليســـتْ قـــط تنقصُـــها البراعـــة

ولـــيس تُضِـــيعُ مِـــن فـــرَص أتيحـــتْ ... كفـــى مـــا كـــان منهـــا مِـــن إضـــاعة

قـــد ارتفعـــتْ بهـــذا الســـمت شـــأناً ... وتقـــوى الله أهـــدَتْها الرفاعـــة

فقـــال الـــزوج: أفســـدَها (عُمَيـــرٌ)! ... وهـــاجمَ نصـــحَه ، وهجـــا اجتماعـــه!

لقـــد كانـــت عروســـاً كـــل يـــوم ... فعـــادت عَفـــة تُبـــدِي الضـــراعة

فـــرُدَّ إلـــيَّ يـــا (ابـــن عُميـــرَ) زوجـــي ... شـــكا حـــالي إلـــى ربـــي انصـــداعه!

شهداء بقيع مصر!

(الأرض المقدسة كما يسميها العوام ، أو بقيع مصر ، أو مدينة الصحابة ، لقبت هذي البقعة من أرض مصر بأكثر من لقب ، وذلك لوجود 5 آلاف جثمان من جثامين كرام الصحابة والتابعين بمقابرها ، ومنهم من حارب مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم في موقعة بدر الكبرى (غزوة الفرقان)! هنا في محافظة المنيا حيث قرية البهنسا ، والتي تعد واحدة من أهم المناطق الأثرية في مصر ، والتي يوجد بها الكثير من الآثار الإسلامية والقبطية والرومانية ، ومختلف أنواع الأماكن التي تعد قِبلة للزائرين المسلمين والنصارى على حدٍ سواء! وعن بُعد كانت لافتة كُتب عليها: (اخلع حذاءك. فأنت فى الأرض المقدسة). هنا في قرية البهنسا استشهد 5 آلاف من كرام الصحابة والتابعين ، من بينهم 70 صحابياً حاربوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في موقعة بدر الكبرى ، وبمجرد أن تطرق قدماك هذه القرية يسكنك شعور بالأريحية وعبق التاريخ ، فتلك القرية تفوح منها رائحة طيبة ، وتهب عليها نسمات عطرة ، وكيف لا وهي أرض تسكن بها أجساد طاهرة وتضم مقابر الصحابة والصالحين وترتوي بدمائهم الطاهرة الذكية ، فصارت أرض الشهداء والبقيع الثاني بعد بقيع المدينة المنورة. توجد قرية البهنسا مركز بني مزار في محافظة المنيا بصعيد مصر ، وتضم عدداً من مقابر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتشتهر بأنها أرض الشهداء ، لأنها شهدت وتشرفت بقدوم عددٍ من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم إبان الفتح الإسلامي على مصر بقيادة الصحابي الجليل "عمرو بن العاص" في خلافة سيدنا "عمر بن الخطاب" ، رضي الله عنهما ، أثناء حكم الرومان لمصر ، واستُشهدوا ودُفنوا بها أثناء الفتح الإسلامي عام 22 هجرية ، وسميت البقيع الثاني أو بقيع مصر ، وذلك لكثرة المسلمين الذين استُشهدوا بها ، وضمت مقابر عددٍ من الصحابة وآل البيت ، رضي الله عنهم ، والتابعين وتابعي التابعين والعلماء والأولياء الصالحين! وكما يروي المؤرخون إنه حضر إلى قرية البهنسا 10 آلاف عين رأت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، و70 بدرياً ممن شهدوا غزوة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأمراء والسادات وأصحاب الرايات ، ودفن بأرض البهنسا نحو 5 آلاف صحابي ، رضوان الله عليهم جميعاً ، ويقال: إن قبة البدريين من أهم معالم المنطقة الإسلامية ، وتحت أرضها يتواجد الصحابه الذين حضروا غزوة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجاءوا مع الفتح الإسلامي عام 21هـ في هذا المكان! وتم بناء قبة حول قبورهم سميت قبه البدريين ، ومنهم عقبة بن عامر الجهني وقلاع الحميري ومصروف بن العرصين وعقبة بن أبي سعيد بن الخطاب وهشام النجار وعبد الله بن الجمود! ومن أشهر الأماكن بقرية البهنسا بقيع مصر 18 قبة ضريحية للصحابة والتابعين ومنها قبة البدريين ، وقبة السبع بنات ، وقبة سيدي جعفر وعلي أولاد عقيل بن علي بن أبي طالب ، وقبة ومقام الأمير زياد بن الحارس بن أبي سفيان بن عبد المطلب! ومدينة البهنسا إحدى قرى مركز ومدينة بني مزار محافظة المنيا ، وتقع على بعد 15 كم من بني مزار على الجانب الغربى لبحر يوسف ، وتشتهر بجباناتها وتلالها الأثرية ، وقد مر بها العديد من التطورات والتغيرات على فترات وحقب التاريخ المختلفة ، بداية من العصر الفرعوني ثم اليوناني الروماني ، ونهاية بالعصر الإسلامى ، وكانت ذات مكانة هامة في العصر الإسلامى ، ودل على ذلك العديد من الآثار العمرانية القائمة ، والدراسة التي كانت تزخر بها مدينة البهنسا من جوامع وقباب ووكالات وحمامات وازدهار الفنون بها ، ومن أهمها النسيج والخزف والفخار والمسكوكات ، حيث كانت من أهم مراكز هذه الصناعات تعتبر

البهنسا متحفاً تاريخياً مفتوحاً ، وذلك من عصور مصريةٍ قديمةٍ ، ووجدت بها آثار تدل على تاريخ هذه الفترات المتعاقبة على مصر! هذا ولمنطقة البهنسا ببني مزار شمال المنيا والتي تشتهر بالبقيع الثاني لدفن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فعندما تطأ قدمك أرضها للمرة الأولى تشعر كأنك في مشهدٍ مهيب يأخذك إلى عهد الصحابة والتابعين! فالبهنسا "البقيع الثاني" كما يطلق عليها بعض المؤرخين تبعد عن مركز بني مزار حوالي 16 كيلومتر ناحية الغرب ، ورصد المؤرخون العديد من الصحابة والتابعين الذين حضروا في الفتح الإسلامي ومن بينهم ما يقرب من 70 صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شاركوا في غزوة بدر الكبرى ودفنوا في تلك المنطقة لتصبح تلك المنطقة قبلة الزائرين من مختلف الدول الإسلامية وكذلك أهالى المدن والقرى من مختلف أنحاء الجمهورية. كما رصد المؤرخون مشاركة ما يقرب 5 آلاف صحابي وتابع شارك منهم ما يقرب من 70 صحابياً ممن شاركوا في غزوة بدر الكبرى ، ودفنوا في تلك المنطقة المباركة! وتعد "البهنسا" مدينة أثرية قديمة عثر بها على برديات يعود تاريخها إلى العصر اليوناني الروماني ، وكانت محاطة بأسوار حصينه ولها 3 أبواب وعلى كل باب 4 أبراج ، وكانت تضم عدد من القصور والكنائس في عهد الرومان! وتحطمت أسطورة الجيش الروماني على أبواب البهنسا ، وذلك عندما أرسل عمرو بن العاص جيش المسلمين لفتح مدن الصعيد بقيادة قيس بن أبى سفيان ، ودارت معركة حامية بين الجيش الإسلامى وجيش الرومان ، سقط على أثر تلك المعركة عددٌ كبيرٌ من الصحابة والتابعين ودفنوا بها! وبعدُ فيُشرفني أن أكتب عن شهداء بقيع مصر رضي الله عنهم وأرضاهم!)

كـــم جَـــدَّ فـــي نَيـــل الفخـــار عُـــدُولُ ... فتحقـــــقَ المَرغـــــوبُ والمَـــــأمولُ!

كـــم مِـــن أنـــاس فـــي التـــراب جُسُـــومُهم ... ولهـــم علـــى طـــول المَـــدى تبجيـــل!

مـــــاتوا وتـــــذكُرُهم بخيـــــر ألسُـــــنٌ ... ولـــــذكرهم ترجيعُـــــه المطلـــــول

وثـــرى الكِنانـــة كـــم حـــوى مِـــن ماجـــدٍ ... مُترفـــــع ، ولـــــه الإبـــــاء دليـــــل

يســـــترجعُ التـــــاريخ ســـــالفَ مَجـــــدِه ... ويتيـــــه فخـــــراً مجـــــدُهُ المثلـــــول!

قـــالوا: (البقيـــعُ) ، فقلـــتُ: شـــرَّفَ (يثربـــاً) ... ومُنـــــوِّرُ الأصـــــقاع بعـــــدُ رســـــول!

قـــالوا: بمصـــــر (بقيـــــعُ) أعظـــــم ســـــادةٍ ... قلـــتُ: اصـــدُقوا كـــي لا تتـــوهُ عقـــول!

قـــالوا: (بقيـــعٌ) فـــي الصـــعيد يَزينـــه ... خـــــابَ الألـــــى أقـــــوالهم تـــــدجيل!

لمَّـــــا نقـــــلْ زوراً ، فكـــــنْ مُتحفظـــــاً ... ولـــــدى التقـــــاة كلامُنـــــا مَقبـــــول!

واســـــتقرئ التـــــاريخ ، وادرسْ نصـــــه ... هـــــو للحقيقـــــة مصـــــدرٌ وســـــبيل

فـــــي خمســـــة الآلاف نـــــصٌ قـــــاطعٌ ... كـــــم يهتـــــدي برُواتـــــه الضِّـــــلّيل

هـــم مِـــن صـــحابة (أحمـــدٍ) ، بُشـــرى لهـــم ... كـــــلٌ لنُصـــــرة دينـــــه مَقتـــــول!

جـــادوا بـــأرواح ، ومـــا بخِلـــوا بهـــا ... إن الكـــلام عـــن الخِيـــار يَطـــول!

كـــانوا الغطـــاريفَ الألـــى فتحـــوا الـــدُّنا! ... نِعـــمَ الفتـــوحُ زكـــتْ ، ونِعـــمَ رَعيـــل!

ودِمـــاؤهم فـــي أرض (مصـــرَ) عزيـــزة ... لا شـــيئَ عـــن بـــذل الـــدماء بـــديل

ليُلقنـــوا الرومـــانَ أعظـــمَ دَرســـهم ... فتعلمـــوا ، وســـبا العقـــولَ ذهـــول!

قـــالوا لهـــم: تفـــدي الهُـــدى أرواحُنـــا ... حتـــى يكـــون إلـــى الجنـــان وصـــول

والحـــربُ مـــا وضـــعتْ بهـــم أوزارَهـــا ... حتـــى طـــوتْهم أجبُـــلٌ وسُـــهول!

وإذا رأيـــت الخيـــلَ تقـــتحمُ الـــوغى ... والجـــيشُ فـــي دار الكِفـــار يَجُـــول!

والجُنـــدُ تســـبقهم طلائـــعُ كـــالردى ... وقتـــالهم صَـــلبُ المِـــراس وَبيـــل

والقـــادة اتفقـــوا علـــى أن يُحـــرِزوا ... نصـــراً تـــدُقُ لصـــانعيه طبـــول!

أكبـــرتُ خـــيلاً قـــدَّمتْ فرســـانها ... والنصـــرُ خلـــفَ ضِـــباحها مَبـــذول

لكـــنْ بـــآلاف الضـــحايا خمســـة ... رُصـــدوا ، فمـــا حَـــدْسٌ ولا تأويـــل

شـــهداءُ عنـــد الله جـــلَّ جلالـــهُ ... ونظـــنُّ لا قطـــعٌ ولا تفضـــيل

إنـــا لنحســـبُهم ، وربـــي حَســـبَهم ... وعلـــى الـــذي فعلـــوا الإلـــهُ وكيـــل

أرضُ الصـــعيد بهـــم تُفـــاخرُ قومَهـــا ... والفعـــلُ ممتـــدحٌ يليـــه القِيـــل

يـــا ربنـــا ارحمْهـــم ، وأكـــرمْ شـــأنهم ... فعـــزاؤهم أن المليـــك جليـــل!

المرأة العنيدة شؤم!

(أيها الجادون المقبلون على الزواج ، إياكم والمرأة العنيدة ، فإنها شؤمٌ محققٌ ، ولا تبني بيتاً ولا تربي ولداً ، ولا تسعد زوجاً! النساء العنيدات يا قومنا هن الفاشلات في الزواج وفي علاقتهن حتى مع الأقارب! لماذا يا تُرى؟! والجواب: لأنها ستدخل في شدٍ وجذب . وتتبع صوت أنانيتها لتغلبه ، وفي الحقيقة هي تفشل أمام عناد زوجها ، وعناد من حولها فالرجال يشتدون عناداً أمام الزوجة العنيدة ، ويلينون أمام المرأة الخاضعة! باختصار المرأة العنيدة غبية جداً ، فهي تظن أنها حينما تتشبث برأيها وتقف أمام العاصفة ستفوز ، وتنسى أنها إن فازت رأياً وموقفاً ، فهي تظن كذلك أنها انتصرت بحمقها ، إلا أنها خسرت قلباً ربما كان يحبها. وتدمر أسرة وتتسبب في يتم أطفال ، ولن تدرك معنى الخراب إلا مؤخراً! المرأة التي تنحني لتمر العاصفة ؛ هي المرأة الحكيمة العاقلة التي تعمر بيتاً للأبد ، والمرأة التي تقف كالعود اليابس هي من تنكسر وقد لا ينجبر كسرها! والمرأة العنيدة المتشبثة برأيها ، والتي تؤمن بمبدأ أنا أغلب وأنت تخسر ؛ إنما تدمر نفسها قبل أن تدمر الآخر. وتعيش حياة كلها حسرات تتجرع مرارتها في الدنيا والأخرة! إن النساء العنيدات ينتهي بهن الحال إلى الطلاق وفشل حياتهن الأسرية والاجتماعية! والأعرابية أمامة بنت الحارث توصي ابنتها ليلة زفافها بحكمةٍ رائعةٍ ومجربة ، ووصية أكدت عليها زوجات ناجحات وهي: (كوني له أمةً يكن لكي عبداً)! إن أغلب الرجال طيبون وكرماء وحليمون جداً ، إلا أن الزوجات العنيدات يُحَوِّلنهم إلى أعداء! ومن ظنت أنها بعنادها وكرامتها التي لا تريد أن تخفضها لزوجها وقد اطلع على كل شئ في جسدها ، وليس كرامتها فقط سوف لن يطلقها زوجها خوفاً على أولاده ، فهي مخطئة فلِصَّبره حدود قد يفيض الكأس يوماً ، ويستريح منها ، ومن عنجهيتها ، حتى لو أنجبت له موسى وعيسى!)

لا شـــيئ يُفسِـــدُ ذات البـــين كالعِنـــدِ ... وهـــل لبَعـــل تعـــيشُ الـــزوجُ كالنِّـــدِّ؟!

كـــم يُخـــربُ العِنـــدُ بيتـــاً عـــامِراً أبـــداً! ... مـــا كـــان يُخـــرَبُ لـــولا العِنـــدُ ، ذا قصـــدي

كـــم زوجـــةٍ حصَـــدَتْ بالعِنـــد شِـــقوتَها! ... ونـــارُ فتنتهـــا تـــأوي إلـــى الخَمـــد!

شُـــؤمٌ هـــو العِنـــدُ إنْ طمَّـــتْ كوامنُـــهُ ... ومـــا لنكبتـــه النكـــراءِ مِـــن حَـــد

تـــأبى العنيـــدة أنْ تحيـــا مســـالمة ... تريـــدُ بالسِّـــلم عيشـــاً وافـــرَ الســـعد

وللعنيـــدة مِنهـــاجٌ بـــهِ عُرفـــتْ ... لا تســـتريحُ سِـــوى فـــي المَكـــر والكيـــد

وتنقـــدُ الـــزوجَ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... بـــأفحش القـــول والتهويـــل والســـرد

مزاجُهـــا كخِضَـــمٍّ كـــم تُجَندِلـــه ... ريـــحٌ تُعـــاودُ بـــين الجَـــزْر والمَـــد!

إرضـــاؤها مســـتحيلٌ لـــيس يَبلغـــه ... زوجٌ تميَّـــز بالإقنـــاع والرُّشـــد

ولا تـــرى غيـــرَ مـــا رأتْ بصـــيرتُها ... ومـــا يـــرى الغيـــرُ لا تـــراه عـــن عمـــد

تُــزري بمــن حولهــا ، فــالكِبرُ طابعُهــا ... ولا تميــلُ إلــى الحُســنى ولا اللمــد

لا تستشــيرُ إذا الشــورى لهــا عَرَضَــتْ ... لكــنْ تلــوذ بمــا يُغــري مِــن العِنــد

تســيرُ والعُجْــبُ لا تقــوى تُبَــدِّدُه ... مِــن بعــد أنْ قطعــتْ أواصــرُ الــود

ولا تُــوقرُ زوجــاً فــي مجالســها ... ولا تشِــيدُ بــه فــي زحمــة الحشــد

ولا تُطيــعُ لــه أمــراً ، فضــاقَ بهــا ... ذرعــاً ، وكابــدَ بــين الأخــذ والــرد!

وتهجــرُ البيــت لا إذنٌ ولا طلــبٌ! ... ولــو تُراجَــعَ تُبــدي وازعَ الحقــد

وتُــدخِلُ البيــت مَــن تهــوى ، وقــد علمــتْ ... بُغــضَ الحليــل لعَمْــر دونمــا زيــد!

وتلــبسُ الثــوبَ وفــق العــادة اشــتهرتْ ... فــي الســاقطات بــلا حصــر ولا عَــد

واستســلمتْ لســراب الزيــف سِــيق لهــا ... مــن ســاقطي الصــين أو مــن هــازلي الهنــد

وبعــدُ قلــدَتِ المُوضــاتِ خاضــعة ... خضــوعَ جاريــة فــي الأســر والقيــد

فهــل رأتْ زوجَهــا عبــداً لتحْقِــره؟! ... شــتان شــتان بــين الحُــرِّ والعبــد!

مــا فــي العنيــدة خيــرٌ يُرتجــى أبــداً ... إن الــزواج بهــا يُــدْني مِــن اللحــد!

تــزوج الخَــودَ يــا ابــنَ النــاس طيبــة ... تنــلْ جمــال التقــى فــي رقــة الخَــود!

تُسَــرُّ إنْ نظــرتْ عينــاك هيئتهــا ... وذِكرُهــا فــي النســا أزكــى مِــن الــورد

وإنْ أمَــرْت أطاعــت دون حَذلقــةٍ ... وتَشْــفعُ الطاعــة العصــماءَ بالتيــد

وإنْ حلفــت عليهــا صَــدَّقتْ ، ولهــا ... صِــدقٌ تُعُوهِــدَ فــي وعــدٍ وفــي عهــد!

وإنْ تغِــبْ حفِظــتْ مــا قــد ترَكْــت لهــا ... مــن حُرمــة البيــت والأمــوال والوُلــد

تخــافُ ربَّ الــورى فــي الــزوج آمَنهــا ... فــي الســر يعلمُــه المهــيمنُ المُبــدي

وترتضــي العــيشَ بالقليــل قــد قنِعــتْ ... مــا أجمــلَ العــيشَ فــي مَنظومــة الزهــد!

هكذا يقتلون المواهب!

(كلفت مديرية التربية مفتشاً من مفتشيها بزيارة إحدى المدارس ، فذهب المفتش إلى المدرسة. وفي الطريق تعطلتْ سيارته ، فوقف حائراً رافعاً غطاء محرك سيارته! وفجأة مرّ طفل فسأله إذا كان يريد المساعدة! فقال المفتش: وهل تفهم شيئاً عن السيارات يا بُني؟ فرد الطفل قائلاً: والدي يعمل ميكانيكياً وأساعده أحياناً! فألقى نظرة على المحرك وطلب من المفتش مجموعة من المفاتيح والأدوات ، ولحسن الحظ ، كانت هذه الأدوات وتلك المفاتيح مع المفتش في سيارته! وبعد دقائق من العمل ، والمفتش يراقب الوضع باندهاش ، طلب منه الطفل تشغيل المحرك ، وفجأة عادت السيارة للسير من جديد. فشكر المفتش الطفل ، وسأله: لماذا لم تكن في المدرسة في هذا الوقت؟ فأجاب الطفل: لأن المفتش سيزور مدرستنا اليوم ، ولأني الأكثر غباءً في الصف كما يقول المعلم ، فقد أمرني ألا أحضر اليوم ، ولكن أبقى في البيت! وهكذا يتم اغتيال المواهب. فالذكاء والإبداع ليس مقتصراً على فهم المنهج الدراسي فحسب. وإنما بوضع كل شخص في مكانه المناسب لتتجلى إبداعاته! لا يوجد غباءٌ إنما تتعدد مواهب ، فمِن مستغل لها ، مِن قاتل!)

فـــي ســـماء التيـــهِ طـــارَ النـــورسُ ... ورفـــاقُ التيـــه ذِكـــراهُ نسُـــوا

تُخْبـــرُ الأعمـــالُ عـــن أصـــحابها ... كَكِتـــاب مُحتـــواهُ الفهـــرس

والعطـــاءاتُ تُزَكِّـــي أهلهـــا ... لـــيس جُـــودٌ فـــي البرايـــا يُطمَـــس

والمغـــاويرُ إذا مـــا جـــاملوا ... ذكـــرتْ مـــا قـــدَّموهُ الأنفـــس

ولأهـــل العِلـــم شـــأنٌ فـــي الـــورى ... والخطايـــا فـــي المَزايـــا تُغمـــس

والأمـــاديحُ تلـــي مَـــن عَلمـــوا ... لـــيس تعلـــيمٌ بجهـــل يُـــبْخس

كـــل مَوهـــوب يُريـــدُ عالمـــاً ... لا ينـــي فـــي نصـــحهِ ، أو ييـــأس

يَصـــقلُ الطاقـــاتِ فـــي إبداعـــه ... ويُنمِّـــي جهـــدَه إذ يَـــدرس

ويُغـــذي العقـــلَ بـــالنور الـــذي ... فـــاز لـــو ثـــوبَ المعـــالي يلـــبس

لـــيس عقـــلٌ مِـــن ســـنا الحُســـنى خـــلا ... قبـــل أن يَطغـــى عليـــه الحِنـــدِس

لكـــنِ الإهمـــالُ يَجتـــثُ المَضـــا ... وبفقـــد العـــزم تشـــقى الأنفـــس

ويمـــوتُ الفهـــمُ فـــي ألبابهـــا ... ومِـــن التفكيـــر حَتمـــاً تُفلـــس

هـــل تُـــرى منهـــا خيـــورٌ تُرتجـــى! ... أو بهـــا رُشـــداً ووعيـــاً نـــأنس

إن قتـــلَ العبقريـــات العمـــى! ... والعمـــى مِـــن كـــل سُـــوءٍ أشـــرس

خـــبط عشـــواءِ الفتـــى يُـــودِي بـــه ... والتزيِّـــي بالتـــدَني يُـــتْعس!

أمنياتٌ فات أوانها!

(ممرضة استرالية قامت بتأليف كتاب بعنوان: (أكثر خمسة أشياء نندم عليها عندما نكبر). يتضمن الكتاب ملخصًا: تم سؤال العديد من كبار السن قبل وفاتهم عن أبرز الأشياء التي ندموا على فعلها (أو عدم فعلها) لو عادوا إلى سن الشباب. فكان الملاحظ وجود خمس رغبات اشترك في ذكرها معظم كبار السن وهن: أولًا: تمنيت لو كانت لديّ الشجاعة لأعيش لنفسي ولا أعيش الحياة التي يتوقعها أو يريدها مني الآخرون. فقد عبّر معظمهم عن ندمه على إرضاء الغير (كرؤسائهم في العمل) أو الظهور بمظهر يُرضي المجتمع أو من يعيشون حولهم. ثانيًا: تمنيت لو أنني خصصت وقتًا أطول لعائلتي وأصدقائي بدلًا من إضاعة العمر كله في روتين العمل المجهد. ثالثًا: تمنيت لو كانت لديّ الشجاعة لأعبّر عن مشاعري بصراحةٍ ووضوح. فالكثيرون كتموا مشاعرهم لأسباب مثل تجنّب مصادمة الآخرين ، أو التضحية لأجل أناس لا يستحقون. رابعًا: تمنيت لو بقيت على اتصال مع أصدقائي القدامى أو تجديد صداقتي معهم ، فالأصدقاء القدامى يختلفون عن بقية الأصدقاء كوننا نشعر معهم بالسعادة ونسترجع معهم ذكريات الطفولة الجميلة. ولكننا للأسف نبتعد عنهم في مرحلة العمل وبناء العائلة حتى نفقدهم نهائياً أو نسمع بوفاتهم فجأة. وخامساً وأخيرًا: تمنيت لو أنني أدركت مبكراً المعنى الحقيقي للسعادة ، فمعظمنا لا يدرك إلا متأخرًا أن السعادة كانت حالة ذهنية لا ترتبط بالمال أو المنصب أو الشهرة. إن السعادة كانت اختيارًا يمكن نيله بجهد أقل وتكلفة أبسط ، ولكننا نبقى متمسكين بالأفكار التقليدية حول تحقيقها! يقول الله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"! حقاً إنه يوم لا ترى فيه إلا الصمت الرهيب ، والكبت الرعيب ، والخشوع المهيب الذي لا يتخلله كلام ، ولا يقطعه اعتذار فاليوم يوم العقاب لا يوم العتاب! سماه الله تعالى يوم الآزفة ، ويوم التناد ، ويوم الفصل ، ويوم النشور ، ويوم الدين ، ويوم البعث ، ويوم الحساب ، لكن الاسم الذي يزلزل القلوب ويورث الفزع ويهزّ المشاعر هو أن ذلك اليوم هو يوم الحسرة! يأمر الله نبيه وكل ورثته من الدعاة والواعظين أن ينذروا الناس ذلك اليوم الذي تتقطع فيه قلوب الغافلين حسرات ويكثر فيه الندم والزفرات. إنه يوم حسرة على الكافرين والظالمين والمعرضين حينما يبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون. إنه يوم الحسرة والندامة! يندم الكافر على كفره ، والظالم على ظلمه ، والمقصّر في طاعة ربه على تقصيره ، ولكن لا ينفع الندم! (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) إنه يوم الحسرة ؛ لأنه يوم يعلو فيه البكاء والعويل ، وتكثر الأمنيات والتوسلات ، فما أكثر من يقول: (رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْت)! وما أكثر من يقول: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)! وما أكثر من يقول: (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)! إنه يوم الحسرة ، يومئذ يتذكر الإنسان الحقّ ويتعظ بما يرى ، ولكن بعد فوات الأوان وأنّى له الذكرى! وحين تتجلى الحقيقة يقول: (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)! إنها الآمال والأماني الضائعة التي فات أوانها وضاع ميعادها! (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)! ولكن يا حسرة على العباد! تُتاح لهم فرص النجاة فيُعْرِضُون عنها ، ويفتح الله لهم أبواب رحمته ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة وهو يناديهم: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ)! إنه يوم الحسرة ، وأيّ حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنّته ، واستحقاق سخطه ودخول النار! (يوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرٰبًۢا)! إنه يوم حسرة على التابعين يوم أن يتبرأ منهم المتبوعون: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)! إنه يوم حسرة فيا حسرة مَن ينادي: (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)! ويا حسرة مسلمة أسلمت نفسها لدعاة الشهوات فأغروها بخلع الحجاب: (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ)! إنه يوم حسرة على الظالمين ، يوم أن يأتوا بحسنات أمثال الجبال ويأتون وقد سفكوا دم هذا ، وأخذوا مال هذا ، وقذفوا هذا ، وضربوا هذا ، وآذوا هذا ؛ فيأخذ هؤلاء من حسناتهم وهؤلاء من حسناتهم ، فإن فنيت حسناتهم قبل أن يُقْضَى ما عليهم أُخِذَ من سيئاتهم فطُرِحَتْ عليهم ، ثم أُلْقُوا في النار! سيقول قوم: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) ، فيُجبَهم بعد مدة: (اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)! يوم يقول فيه المفـرِّط: (يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)! أمنيات فاتتْ!

كـــم أمـــانٍ فـــي مَشـــهد التيـــه لاحـــتْ ... واشـــتكتْ مِـــن أصـــحابها واســـتجارتْ!

هـــل يعـــيشُ شـــهمٌ علـــى أمنيـــاتٍ ... دون بـــذل بـــه العـــزائمُ قامـــت؟!

إن نفســـاً تهـــوَى ســـرابَ التمنـــي ... دون ســـعي ، واللهِ ضَـــلتْ وخابـــت!

تحتفـــي دومـــاً بالضـــياع ، وتهـــذي ... وعلامـــاتُ الهـــزل فـــي الـــدرب بانـــت

والتـــرَدِّي عُقبـــى نفـــوس تـــدَنتْ ... والمآســـي بعـــد التـــدني اســـتبانت

لـــم تكـــنْ تُعطـــي للســـقوط احتمـــالاً ... غرَّهـــا العـــزمُ حـــين صـــالتْ وجالـــت

بعـــد مـــاذا كانـــت إفاقـــة (زيـــدٍ) ... ليـــت نفســـاً مِـــن غيهـــا مـــا أفاقـــت!

لا تعـــودُ ذكـــرى إذا مـــا تولّـــتْ! ... هـــل تعـــودُ الأضـــواءُ إمـــا تلاشـــت؟!

كـــل درب حـــوى طيوفـــاً تُنـــاجي ... قلـــبَ مُشـــتاق إذ تهـــادتْ وغابـــت

كيـــف ينســـى الإنســـانُ أعـــذبَ ذِكـــرى ... كـــان يهـــوَى مُرورَهـــا يـــومَ طابـــت؟!

فـــي زوايـــا العُمـــر المُـــودِّع أنّـــتْ! ... والأنـــينُ ممـــا تُعانيـــهِ صـــامِت!

فـــي الفـــؤاد لهـــا اشـــتياقٌ يُسَـــلي ... مَـــن دعاهـــا للعَـــود لمَّـــا اســـتحالت

هـــل بهـــذا التـــذكير أي اعتبـــار ... بعـــدما الحـــالُ للترهـــل آلـــت؟!

لـــو تعـــودُ الـــذكرى بمـــال أعِيـــدَتْ! ... والعيـــونُ إمَّـــا رأتْهـــا اســـتكانت

كـــم تحِـــنُّ نفســـي لـــذكرى تمَضَّـــتْ ... بُعـــدُها يَكـــوي ، والعـــذاباتُ طالـــت!

بنت الصعيد منى بكر!

(الدكتورة الصعيدية منى بكر محمد ، ولدت في عام 1971 م بمدينة أسيوط ، وحصلت علي الثانوية العامة سنة 1987م ، وعلى بكالوريوس علوم كيمياء من جامعة أسيوط عام 1991م ، وكانت الأولى على دفعتها ، كما حصلت ماجستير في الكيمياء الفزيائية من جامعة أسيوط عام 1994م ، وعلى دكتوراة في الكيمياء الفيزيائية من معهد جورجيا للتكنولوجيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، تحت إشراف الدكتور مصطفى السيد ، والذي أرسلها إلى أمريكا في بعثةٍ من جامعة أسيوط لمدة أربع سنوات ونصف ، وذلك حينما كان أستاذاً بمعهد علوم الليزر بجامعة أسيوط ، ثم ذهبت بعدها إلى (سويسرا) ليُشرف على أبحاثها الدكتور ماجد شرقية ، عالم النانوتكنولوجى ، لمدة خمس سنوات ، وعادت بعدها إلى جامعة أسيوط ، ثم انتقلت إلى جامعة القاهرة لتلتحق بمركز الليزر ، الذي أسهمت من خلال خبراتها في تأسيس مدرسة علمية هي الأولى ، التي تُسهم فيها عالمة مصرية تختص بعلم النانوتكنولوجى في مصر. وحصلت على درجة الماجستير في الكيمياء الفيزيائية وبكالوريوس في الكيمياء من جامعة أسيوط. وحصلت على درجة الدكتوراه في الكيمياء الفيزيائية من معهد جورجيا للتكنولوجيا ، بولاية أتلانتا الأمريكية عام 2002 م ، تحت إشراف العالم الكبير الدكتور مصطفي السيد. وعملت معيدة بقسم الكيمياء في كلية العلوم جامعة القاهرة ، ثم مدرساً مساعداً بنفس القسم ، ثم باحثة ما بعد الدكتوارة في معهد الفيزياء بجامعة لوزان بسويسرا. وأما عن إنجازتها في مجال النانو تكنولوجي ، فكانت مديرة مركز النانو تكنولوجي ، وعضواً بأكاديمية البحث العلمي منذ العام 2009م ، كما أن لها 4 براءات اختراع دولية مسجلة باسمها ، منها استحداث عقار يعمل علي زيادة نسبة الهيموجلبين في الدم. وأسست أول شركة في مصر والعالم العربي في مجال النانو تكنولوجي. وأسست الدكتورة والعالمة منى بكر مدرسة مكونة من 43 طالباً في الدراسات العليا ، والذين عملوا علي تصنيع المواد النانوية وتطبيقاتها في الخلايا الشمسية ، وتنقية المياه وتحلية المياه والتطبيقات الطبية الحيوية. ولها أكتر من 56 مقال دولي و100 رسالة ماجستير ودكتوراه مشرفة عليهم ، وتم الاستعانة بها كمرجعية دولية في الأبحاث العلمية ، وجاءت في التصنيف الدولي رقم 20 في مجال النانو تكنولوجي ، وتم الاستشهاد بأبحاثها أكتر من 1800 مرة. وعملت كباحث رئيسي استخدام جسيمات النانو فضه في الصناعة لتعقيم المنتجات من الفيروسات والبكتيريا. هذا ولقد عملت الدكتورة منى ، بالتعاون مع عدد كبير من العلماء ، على استحداث عقار جديد يساعد علي زيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم من7 إلى 16 أملاً في علاج أكثر من70% من سكان مصر المصابين بالأنيميا وخاصة الأطفال والسيدات. وهو مسجل كبراءة اختراع دولية عن طريق المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية! كما عملت كأستاذٍ مساعدٍ بالمعهد القومي لعلوم الليزر بجامعة القاهرة. وحصلت على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم التكنولوجية المتقدمة عام 2009م. كرمتها مؤسسة مصر الخير لكونها واحدة من أهم 5 علماء مصريين والمرأة الوحيدة من بين المكرمين الذين تم الاستعانة بدراستهم كمرجعية دولية والاستشهاد بها في الأوراق البحثية. وأما عن وفاتها ، فتوفيت على إثر الإصابة بمرض نادر عن طريق مهاجمة أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء في الأوعية الدموية المغذية للأطراف ، وتنشط في البرودة الشديدة ، مما يسبب «غرغرينا» في الأطراف. كما شخص الدكتور «محمد علي الداروتي» ، استشاري الأمراض الجلدية ، المشرف على حالة الدكتورة منى بكر حالتها المرضية ، وأرجع سبب

الوفاة لإصابتها بصدمةٍ صديديةٍ نتيجة الجلوس بالمستشفى فترة طويلة وعدم الحركة ، وإصابتها بعدوى بكتيرية من الجو ، ويؤكد أستاذ الجلدية على أن حالة الدكتورة منى كانت بدأت في التماثل للشفاء ، لكن حالتها تدهورت فجأة بسبب مضاعفات العدوى البكتيرية. ومازال الغموض يسيطر على وفاة الدكتورة (منى بكر محمد) العالمة المصرية مديرة مركز النانو تكنولوجي والأستاذ المساعد بالمعهد القومى لعلوم الليزر بجامعة القاهرة وعضو أكاديمية البحث العلمي صاحبة الأربع براءات إختراع دولية مسجلة بإسمها منها استحداث عقار لزيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم في ظل تجاهل تام من الإعلام العربي والمصري والعالمي! ماتت الدكتورة (منى بكر) مديرة مركز النانو تكنولوجي ، ولم تحصل على جواز سفر دبلوماسي ، ولم تدخل أو تخرج من صالة كبار الزوار ، ولم تحجز على مقاعد الدرجة الأولى مثل أقل فنانة. كما لم تسافر للعلاج علي نفقة الدولة مثلها مثل كبار رجال الأعمال ، بل عاشت وماتت في صمت ، بدون أن تتحدث عنها قناة فضائية واحدة أو وضع شريطة سوداء ولا حفل تأبين! وبالتأكيد لم يسمع ملايين العرب عن اسم الدكتورة منى بكر ، لأنها لا تعمل في الغناء ، ولم تمارس التمثيل بينما إسمها رغم سنها الصغيرة معروف ومتداول عالمياً فى مجال أبحاث الليزر والنانو تكنولوچي ، ورفضت الدكتورة (منى بكر) عروضاً أوروبية ، لاستكمال أبحاثها عن النانوتكنولوجى بعيداً عن مصر ، وآثرت استمرار أبحاثها في بلدها وإفادة المجتمع ، فهل كان عقابها هو الموت! الفقيدة كما أسلفنا أسست أول شركة في مصر والعالم العربي في مجال النانو تكنولوچي ، وكان تخصص الدكتوراه الخاصة بها في مجال الكيمياء الفيزيائية تحت إشراف العالم الدكتور (مصطفى السيد) في الولايات المتحدة الأمريكية ، والذي وصفها بأنها ملكة النانو تكنولوچي في الشرق الأوسط كله! هذا كان جزءاً من حياة بنت من بنات صعيد مصر ، ولدتْ وعاشت بأقل الإمكانات المتاحة ، حتى أصبحت عالمة في نظر العالم كله إلا في بلدها! توفيت الدكتورة (منى بكر) بعد تدهور حالتها الصحية فجأة ، عقب عودتها من مؤتمر علمي بالصين ، وألم في ساقيها تطور إلى تورم باللون الأزرق تم تشخيصه بأنه مرض نادر أصاب المناعة عن طريق مهاجمة أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء ، واستدعى علاجها بجرعات الكورتيزون ، والتي أثرت على صحتها ، وتوقفت مسيرة عالمة شابة كنا ننتظر منها اختراعات جديدة في علمها ، بل كانت مشروع نوبل جديد لمصر والعالم! وأنا كشاعر صعيدي يُشرفني أن أكتب عن الدكتورة (منى بكر محمد) بوصفها دكتورة فذة مصرية متفوقة صعيدية!)

(بنـــتَ الصـــعيد) رأيـــتُ طيفـــك يَعتِـــبُ ... وعـــن الأســـى يكـــوي المشـــاعر يُعْـــربُ

ويَســـوقُ مِـــن زُبَـــد البيـــان مَقاطعـــاً ... عَصـــفتْ بنـــا ، والـــذكرياتِ تُؤلـــب!

ويَلومُنـــــا أنْ لـــــم نُـــــؤبنْ فـــــذة ... كَـــفٌ العلـــوم ببحثهـــا تتخضـــب!

قـــــدَّمتِ خيـــــرَكِ للأنـــــام رَضِـــــية ... دومـــــاً ، ونفسُـــــكِ بالعطـــــاء تُرحـــــب

آثـــــرتِ دارَكِ بـــــالخيور عظيمـــــة! ... بَـــذلٌ جميـــعُ النـــاس منـــه تعجبـــوا

ورضِـــــيتِ بـــــالأجر القليـــــل تكلفـــــاً ... لمَّـــا يَكـــنْ لـــكِ فـــي المطـــامع مَـــأرب

وجعلـــتِ عِلمَـــكِ للمنـــافع مَـــوئلاً ... لمَّـــا تشـــدَّكِ رفعـــة أو مَنصـــب

وظهـــرتِ للـــدنيا مَـــلاكَ حضـــارةٍ ... وســـعى إليـــكِ عـــن الـــديار تغـــرُّب

فقبلـــتِ أعوامـــاً ، وعُـــدتِ عليمـــة ... بتخصـــص منـــه الأبـــاة تهيبـــوا

وامتـــدَّ نحـــوكِ كـــل عَـــرض يشـــتهي ... بعـــضُ الهُـــواة ظلالـــه إنْ طولبـــوا!

والقـــومُ أذهلهـــم نشـــاط خبيـــرةٍ ... فـــي كـــل ســـهم فـــي التخصـــص تضـــرب

وأتتْـــكِ بالإلحـــاح إغـــراءاتُهم ... وكأنهـــا غيـــثٌ غزيـــرٌ صَـــيِّب

وأتتـــكِ تســـهيلاتُهم تســـبي النهـــى ... وكأنهـــا بَـــرقٌ فظيـــعٌ خلـــب

فـــاخترتِ مُكثـــكِ فـــي الـــديار عزيـــزة ... مهمـــا طغـــى مـــالٌ ، وراجَ المكســـب!

والتوصـــياتُ أتتْـــكِ تســـتبقُ الخطـــا ... هُوجـــاً ، وضـــمَّ ذوي القـــرار المَوكـــب!

فـــرَجَعتِهم يتجرعـــون عَـــذابَهم ... وبـــردِّكِ القطعـــي هـــا هـــم خيِّبـــوا

ومســـاوماتُ القـــوم تُنبـــيءُ أنهـــم ... بـــ (ـمُنى) وهمتهـــا العليَّـــة أعجبـــوا!

وعظـــيمُ إنجازاتـــكِ اجتـــازتْ مَـــدىً ... عضـــلتْ بهـــم خطواتُـــه ، إذ يَصـــعُب!

(النـــانوتكنولوجي) يَشِـــيدُ بفـــذةٍ ... بمـــدائح تُتلـــى ، وأخـــرى تُكتـــب

و(المعهـــدُ العلمـــيُّ) يَنعـــى مَـــن قضـــتْ ... بـــدموع عـــين بالأســـى تتصـــبب

وكـــذا (علـــومُ الليـــزر) انفجـــرتْ بُكـــا! ... والحـــزنُ خـــيَّمَ ، ثـــم ســـاد الغيهـــب!

تبكـــي (بـــراءاتِ اختـــراع) أربعـــاً ... ورثاؤهـــا فـــي حســـرةٍ يتوجـــب

ســـتين بحثـــاً قـــد كتبـــتِ قلائـــداً ... هـــي فـــي مجـــلات (الأباعـــد) تُرغـــب!

ترتيبُـــكِ العشـــرون فـــي (النـــانو) زهـــا ... متبختِـــراً بـــين الجـــوائز يَطـــرب!

ورســـائلاً مائـــة أجـــزتِ صِـــحابَها ... المَشـــرق اســـتهدى ، وأطـــرى المَغـــرب!

وبرعـــتِ فـــي (كيميـــاءَ فيزيائيـــةٍ) ... والنـــاسُ جـــاؤوا اليـــومَ كـــي يتـــدربوا!

و(مُنـــى) تُـــوجههم بزاخـــر عِلمهـــا ... والكـــل هشـــوا فـــي اللقـــاء ، ورحَّبـــوا!

والغـــربُ أكبرَهـــا ، وأطـــرى ســـعيَها ... ومضـــى لأبحـــاثٍ لهـــا يترقـــب

وهنـــاك فـــي (الصـــين) العلـــوم تلاقحـــتْ ... واســـــتقبلَ الحَمَـــــلَ الوديـــــعَ الأذؤب!

واللهُ أعلـــــمُ بالـــــذي كـــــادوا لهـــــا ... مِـــن بعـــد مـــؤتمر يُخِيـــفُ ويُرعِـــب!

عـــادتْ لنـــا (بنـــتُ الصـــعيد) مريضـــة ... مرضـــاً بصـــحتها العفيـــة يـــذهب

شـــييءٌ أصـــاب مناعـــة فـــي جســـمها ... و(الكـــورتيزونُ) هـــو العقـــارُ المُعطِـــب

أفنـــى قواهـــا ، واســـتباحَ صـــمودَها ... وعليـــه مَـــن - إمَّـــا بغـــى – يَتغلـــب؟!

ذهبـــتْ ضـــحية كيـــد غـــرب مُعتـــدٍ ... لكـــنْ وأنـــى يُســـتبانُ المُـــذنب؟!

ماتـــتْ ضـــحية مهملـــين تعـــالموا ... فهُـــمُ عـــن التشـــخيص حقـــاً غيَّـــب!

لـــم يُـــدركوا مـــا عنـــدها مِـــن عِلـــةٍ ... كـــي يُـــدركوا بـــالطبع كيـــف تُطبَّـــب!

(بنـــت الصـــعيد) عليـــكِ رحمـــة ربنـــا ... مـــا أشـــرقت شـــمسٌ وزيَّـــن كوكـــب!

(أســـيوط) لـــن تنســـى مســـيرة بنتهـــا ... ســـتُذيعُ ســـيرتها ، وبعـــدُ تُطيـــب

يـــا (بنـــت بكـــر) حُـــزتِ أشـــرفَ رُتبـــةٍ ... فـــالعِلمُ أعظـــمُ مـــا يُنـــالُ ويُوهـــب

وحُبيـــتِ مِـــن بـــين النســـا وطنيـــة ... كـــل الألـــى خبَـــروا مَـــداها اســـتغربوا

يـــا ربنـــا فـــارحمْ (مُنـــى) ، واغفـــرْ لهـــا ... هـــذا الـــدعاءُ ، ولســـتُ بعـــدُ أعقـــب!

شهاب الدين الغوري!

(هل سمعتم بهذا الاسم من قبل؟ هذا البطل المسلم الذي أرعب مشركي القارة الهندية ، وأول من جلس على عرش الهند ، وأطلقت باكستان اسمه على القنبلة النووية إنه البطل المسلم: شهاب الدين الغوري! قال عنه ابن الاثير: (كان رحمه الله شجاعاً مقداماً كثير الغزو إلى بلاد الهند ، عادلاً فى رعيته ، حسن السيرة فيهم ، حاكماً بينهم بما يوجب الشرع المطهر). مما جعل الكثير من مشركي الهند يتحالفون ضده ويتآمرون عليه ، خوفاً على ملكهم! وكان ذلك بقيادة قائدهم (كولة) عام 583 هـ ، ودارت معركة رهيبة دارت الدائرة فيها على المسلمين حتى فر بعض الأمراء المسلمين من ساحة المعركة! أما البطل شهاب الدين فبقي يقاتل بسيفه في مقدمة من بقي معه من جيشه حتى قتل بيده أربعة أفيال وظل يجاهد حتى كثرت جراحه وسقط على الأرض وتكاثر عليه الأعداء فقاتل المسلمون ببسالة دفاعاً عن قائدهم حتى أنقذوه! ولما أعجبتني شخصية البطل شهاب الدين الغوري ، أنشدت عنه هذه القصيدة الرقيقة!)

نسيمُ البطولةِ يُشجي الدنا ... ويَغمرُ أرحابَها بالسنا

وأقوالُ أهلِ الهُدى عذبةٌ ... وذِكرُ المَغاوير يسمو بنا

وسيرة أهلِ التقى مَنهجٌ ... يقودُ خطانا إلى ربنا

وذِكرى (شِهابٍ) تذرُّ الشذى ... ونورٌ يُضيئُ الدروبَ لنا!

وبالأمس أرعبَ مَن أشركوا ... وكان على رُشده بَرهنا

وكم بالبطولةِ خاضَ القنا ... وتشهدُ بالبأس كلُّ الدنا!

ولم يخشَ في الحرب كيدَ العِدا ... ولم يكُ كيدُ العِدا هيِّنا

وكم وطنَ النفسَ أنْ لا تني! ... وروحاً كذا في الوغى وطنا!

إلى أن غدا الرأسَ في قومه ... ونالَ به العرشَ أسمى المُنى

غزا ، ثم أثخنَ مستبسلاً ... ببأس الجهاد أقامَ البنا

وهاجَ وماجَ على مُعتدٍ ... يُلقنه الدرسَ مُستيقنا

وأرغى وأزبدَ لمَّا غزا ... وسلمَ أعداءَه للفنا!

حَمَى الدارَ مما تعُجُّ به ... مِن الكفر عاندَ إذ هيمنا

ورسَّخ عَدلاً يسودُ به ... وصانَ الثغورَ فقد أمَّنا

وحكَّمَ شرعاً بتطبيقه ... يَعُمُ ديارَ السلام الهنا

أزالَ عـــــن النـــــاس ظلمـــــاً طغـــــى ... وعمَّـــــتْ مســـــاوئه أزمنـــــا

وعـــــاد الهنـــــودُ الطغـــــاة إلـــــى ... مكائـــــدَ لمَّـــــا تـــــدَعْ مَوطنـــــا

و(كُولـــــة) فـــــي جيشـــــهم قائـــــدٌ ... بحـــــرب (الشـــــهاب) أتـــــى مُمعنـــــا

يُعيـــــدُ الـــــبلادَ إلـــــى شِـــــركها ... عنيـــــداً ، وبـــــالأمس قـــــد أذعنـــــا

وقاتـــــلَ أهـــــلُ الســـــلام العِـــــدا ... وسَـــــعَّرَ أهـــــلُ الضـــــلال القنـــــا

وســـــالتْ دمـــــاءُ (الشـــــهاب) ، ولـــــم ... يكـــــنْ مـــــا جـــــرى لحظـــــة موهنـــــا

وجنـــــدلَ أفيـــــالهم أربعـــــاً! ... وكـــــان بنصـــــر الهُـــــدى مُوقِنـــــا

ولكـــــنْ هـــــوى بالـــــدما مُثخنـــــا ... هُوَيَّـــــاً لمـــــن جالـــــدوا مُحزنـــــا

فجـــــاؤوا ليســـــتنقذوا فارســـــاً ... أبـــــى أن يُسَـــــلّم ، أو يُـــــذعِنا

فأنقـــــذه الجُنـــــدُ مِـــــن نكبـــــةٍ! ... وربُّ الأنـــــام لـــــه مَكّنـــــا!

أمنية كافور الإخشيدي!

(كثيرٌ من الناس يظن أن الأماني تصنع أصحابها! والعكس هو الحقيقة! فإن أصحاب الهمم العالية هم الذين يجتهدون حتى يحققوا آمالهم وطموحاتهم! بعد استعانتهم بالله تعالى بالطبع! وواحد من هؤلاء (كافور)! كان كافور الإخشيدي عبداً حبشياً ، وكان أسود اللون ، ولم يكن على سواده وسيماً ، بل كان دميماً قبيح الشكل ، مثقوب الشفة السفلى ، مشوه القدمين ، بطيئاً سمجاً ، ثقيل القدم! دخل مصر عبداً ليُباع في سوق النخاسين ، وبينما هو كذلك سأل رفيقاً له عن أمنيته ، وهما في ذات الظرف وذل الرق ، فقال رفيقه: "أتمنى أن أباع إلى طباخ لآكل ما شئت متى شئت"! أما كافور فقال: "أما أنا فأتمنى أن أملك هذه البلاد! تخيلوا يا قومنا! عبد في سوق النخاسين ، ويتنافس الناس لشراء حريته ، وهو يتطلع لحكمهم! ومرت السنوات ، وبيع كافور لقائد في الجيش ، فعلمه القائد أصول الجندية ، حتى صار فارساً مغواراً ثم قائداً عظيماً! ثم أصبح ملكاً وأحد حكام الدولة الإخشيدية ، لينال ما تمنى ، بينما صاحبه في المطبخ يأكل كما اشتهى ووقتما يحب! فالإخشيد اشترى كافوراً ، ورباه وأحسن تربيته ، ثم أعتقه ، ثم جعله من كبار قومه لما يمتلكه من حسن التدبير والحزم ، بل إن بعض المؤرخين يُعيد لكافور الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية! ويكفي أن نعرف أن الفاطميين كلما عزموا على غزو مصر تذكروا كافوراً فقالوا: "لن نستطيع فتح مصر قبل زوال الحجر الأسود يعنون كافوراً! وأصبح كافور سنة ٩٦٦ م والياً على مصر ، حيث حكمها ، ثم توسع إلى بلاد الشام ، ودام حكمه لمدة ٢٣ عاماً! اشتراه في عام 923 م محمد بن طغج مؤسس الأسرة الإخشيدية كرقيق من الحبش ، وكان مخصياً وكان أسود اللون ، ولم يكن كافور وسيماً ، بل كان دميماً قبيح الشكل مثقوب الشفة السفلى مشوَّه القدمين بطيئاً ثقيل القدم ، فوقع في يد أحد تجار الزيوت فسخره في شؤون شتى. وقاسى كافور الأمرين ، ولقي الكثير من العنت من سيده. حتى إذا خرج من تحت قبضة سيده ، ووقع في يد محمود بن وهب بن عباس الكاتب ، فعرف كافور السبيل نحو القراءة والكتابة ، فنفض يديه متاعب المعصرة وأدران الزيت ، فالسيد الجديد ابن عباس الكاتب الإخشيدي هذا كان موصولاً بمحمد بن طغج ، ويعرفه منذ كان قائداً من قادة (تكين) أمير مصر وقتها ، وقبل أن يصبح ابن طغج على حكم مصر. حمل كافور هدية من مولاه إلى ابن طغج ، فعينه الإخشيد كمشرف على التعاليم الأميرية لأبنائه ، ورشحه كضابط في الجيش المصري. وكان يفضل البقاء والإخلاص لسيده ، ليس طمعاً في إرثه أو هداياه كما فعل بقية الناس ، وعندما انتبه سيده لذكائه وموهبته وإخلاصه ، جعله حراً وأطلق سراحه. وأرسلَ كافورٌ كقائد عسكري في عام 945 م لسوريا ، كما أرسل ليقود حملات أخرى في الحجاز ، كما أن له خلفية بالترتيبات والشؤون الدبلوماسية بين الخليفة في بغداد والأمراء الإخشيديين. وأصبح الحاكم الفعلي لمصر منذ 946 م ، وذلك بعد وفاة محمد بن طغج (كوصي على العرش) وتوفي في القاهرة ، كما أنه دفن في القدس. على الرغم من أن المؤرخين وصفوه بأنه حاكمٌ عادلٌ ومعتدل ، إلا أن شهرته ارتبطت بالقصائد الساخرة الموجهة ضده من قبل المتنبي الشاعر الأكثر شهرة عربياً! ومن المشهور عنه كذلك رعايته للأدب ، فلقد اكتسب شعبية بين العلماء والأدباء ويجد راحته مع العلماء والشعراء. وكان يحيط نفسه برجال الدين وأكرمهم بالكثير من الهدايا. وعرف برعاية المهرجانات ، وقام المتنبي أحد أشهر الشعراء المعاصرين له بمدحه ، ومع ذلك لم يكافئه (أبو المسك كافور) بمنصب رفيع ، ولم يمنحه الهدايا المنشودة ، فسخر منه وهجاه ، وكان من أشهر أبيات الشعر التي هجا بها المتنبي كافوراً قوله: (لا تشتر العبد إلا

والعصا معه ** إن العبيـد لأنجاس مناكيـد!) وارتبط بزوغ كافور في الدولة الإخشيدية بالظروف السياسية لهذه الدولة ، فقد استطاع أن يدير دفة الدولة عقب وفاة محمد بن طغج الإخشيد ، حيث إن أنوجور (محمود) بن محمد بن طغج كان لا يزال صبيًا في الخامسة عشرة من عمره ، ويروي أن كافور لم يكن ليتيح لأونوجور هذا الفرصة كي يمرن نفسه على الحكم فيفيد منه ، ولم يكن ليدعه يظهر للناس حتى لا يعرفوه ، فأفل نجم أونوجور سريعاً ليسطع نجم كافور الذي دعا له الخطباء على المنابر دون أونوجور ، في الوقت الذي كان ينال فيه أونوجور ما خصصه له كافور من مال بلغ أربعمائة ألف دينار في العام! وآلت الأمور لكافور الذي ملك السلطة والمال في يده ، وضاق الأمر بأونوجور وقتها ، فترك العاصمة وادعى بأنه سيخرج للهو والصيد ، فاتجه إلى ناحية الرملة بأرض [فلسطين] ليمكن نفسه ويجمع شتات من حوله ومن هم بَرِمُون بأبي المسك كافور ، وفي قرارة نفسه ونيته انتزاع ما سُلب من ملكه ، ولكن أماً لأونوجور كانت أبصر من ابنها رأت بأن الضجر بكافور لم ينته إلى قلوب كثيرة من ذوي النفوذ ، والجند على الدوام رهنٌ بأرزاقهم يعطون قلوبهم حيث يضمنونها ، ورأت أن ما في خزائن ابنها لا يكفي ، فهو شيء قليل لا يكاد أن يكفي ما هم طامعون فيه ، فحذرت ابنها من مغبة الهزيمة ، ورأت في الوقوف إلى جانب أبي المسك كافور مزية ومكسباً لأسرتها ، وهنا نجد أن كافور قد تنازل عن جانب من كبريائه ، وبطيب خاطر كتب لأونوجور يسترضيه ويمنيه. ولكن الملك الصغير كان قد نسي مسألة الملك هذه وقنع بما يصله من دريهمات ، وهنا أصبحت الأمور جادة وبقي كل شيء في يدي أبي المسك من جديد ، وظل الأمر هكذا حيث مات أونوجور عن عمر يناهز الثلاثين عاماً وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين من الهجرة ، عاش منها كافور في ظل أونوجور سلطاناً حقيقياً ممسكاً بكل مقاليد الحكم مدة أربعة عشرة عاماً ، وقيل أن كافور دس له السم ليستريح منه وليزيحه من طريقه ، فتولى من بعده أخوه علي بن الإخشيد الذي كانت نفسه تمتلئ رعباً من سطوة كافور وشدة بأسه ، وكافور يعطي لعلي بن الأخشيد مثلما كان يعطيه شقيقه أونوجور في السابق ، ولكن السلطة التي قبض عليها كافور بشدة جعلته يُضيق الخناق عليه فلم يتركه يظهر للشعب مما جعل الصبي ينحدر إلى حياة اللهو والدعة ، ثم اتجه للانقطاع للعبادة يجد فيها سلواه ، حتى إذا أرهقته العبادة شمر عن ساعديه ليبحث عن حقه المسلوب يطلبه ، فما كان من كافور إلا أن عجل بموته بعد أن دس له السم أيضاً.ولكن أخبار (السم) الذي دسه كافور لعلي بن الإخشيد ولأخيه (أونوجور) من قبل ، لم يوثقها أحد من المؤرخين الثقات! ولم يحصل كافور على تفويض من قبل الخلافة العباسية في أول الأمر. ولكن مدحه بنو العباس فيما بعد ، ورأوا أن خطراً لا يأتي منه! بيد أنه لم يواجه اعتراضًا من قبلها ، وكان يلقب بالأستاذ ، ويكنى بأبي المسك ، وكانت السياسة الخارجية لكافور استمرارًا لسياسة محمد بن طغج الإخشيد في الحفاظ على علاقة متوازنة مع كل من العباسيين والفاطميين! وبصفة عامة ، فقد كان قريبًا من قلوب المصريين لكونه سخيًا كريمًا ؛ وينظر بنفسه في قضاء حوائج الناس والفصل في مظالمهم ، وفي عهده بدأ نشاط دعاة الفاطميين للأسف في مصر. وشغل أبو المسك كافور دولة بني الإخشيد قرابة واحداً وعشرين سنة أو تزيد ، كانت هذه الدولة قد دام حكمها لمصر مدة أربعاً وثلاثين عاماً ، عاش كافور يدبر أمور الحكم في الدولة مع مولاه ، حتى قيل أن هذه الدولة ما حكمت بقدر ما كان الحكم فيها لكافور ذاته ، بل ويمكن القول أن دولة بني الإخشيد هي التي سوت الطريق وجعلته ممهداَ ليفتح سبيل حكم مصر أمام هذا الرجل ، الذي ملأ مكانه كما لم يملأه أحد من قبله ، حتى أنه

شغل شعراءها ، فنجد شاعراً بقامة أبي الطيب المتنبي مدح كافوراً فأنصفه ، وحين انقلب عليه وهجاه لم ينصفه! وعلى هذا فيمكن وصفه بالمرتزق بالشعر أكثر منه بالشاعر المتجرد! واحترتُ جداً ، وأنا أريد الكتابة عن عظيم أمنية (كافور) ، واحترتُ أكثر وأنا أجمع الأخبار التي تناقض أكثرُها ، ولم يوثقْ أغلبُها! فرشحتُ للكتابة الأخبارَ الموثوقة المقطوعَ بصحَّتها فقط!)

للمُلـــــكِ فـــــي أصـــــحابه تـــــأثيرُ ... مَجـــــدٌ تمنـــــى نيلـــــه (كـــــافورُ)!

إن المُنـــــى كـــــم تصـــــطفِي أربابَهـــــا! ... وبهـــــم تلـــــفُّ مطـــــامحٌ وتـــــدور

وتُـــــداعِبُ الآمـــــالُ مَـــــن يحيـــــا لهـــــا ... ولهـــــا نســـــيمٌ فـــــي الـــــدلال عطيـــــر

أســـــألت نخاســـــيهِ مـــــا أثمانُـــــه؟! ... عبـــــدٌ يُبـــــاعُ ، ومـــــا لـــــه تســـــعير!

ومَـــــن اشـــــتراه فقائـــــدٌ ذو همَّـــــةٍ ... خبَـــــرَ الرجـــــالَ ، لـــــه بهـــــم تنظيـــــر!

ورأى بـــــ (ـــــكافور) خِـــــلالَ رجولـــــةٍ ... هـــــذي الخِـــــلالُ يُعِزهـــــا التحريـــــر

شـــــكرَ الشـــــراءَ لســـــيدٍ متفضـــــل ... وجميلـــــه بـــــين الـــــورى مَقـــــرور

واهـــــتمَّ لـــــم يتركْـــــه عبـــــداً مُهمَـــــلاً ... وفـــــؤادُهُ كالقِـــــدر حـــــين يَفـــــور!

بـــــل علـــــمَ العبـــــدَ الرمايـــــة ، فاســـــتمى ... ونمَـــــتْ لديـــــه مَقاصِـــــدٌ وأمـــــور

وتعلـــــمَ الجُنديـــــة ابتشـــــرَتْ بـــــه ... وتعلـــــمَ المِغـــــوارُ كيـــــف يُجيـــــر

وســـــلوكُه الهيجـــــاءَ مُعتـــــركٌ لـــــه ... - إمـــــا أغـــــارَ علـــــى العـــــدا – تـــــدبير!

والفـــــذ (إخشـــــيدُ) الـــــديار لـــــه حِجـــــا ... إذ علّـــــمَ (الكـــــافورَ) كيـــــف يُـــــدير

ربَّـــــاهُ تربيـــــة تعـــــذر وصـــــفها ... فالعبـــــدُ فـــــي قلـــــب النظـــــام وزيـــــر!

(كـــــافورُ) أمَّـــــلَ مُلـــــكَ دار بـــــاذلاً ... جهـــــداً إلـــــى أنْ جـــــاءه التـــــأمير!

مـــــا انفـــــك يَختبـــــرُ التحمُّـــــلَ والقـــــوى ... ويَجـــــدَّ فيمـــــا يبتغـــــي ويثـــــور

مـــــازالَ يرســـــلها شـــــرارة طـــــامح ... يســـــعى ، ولـــــيس علـــــى الحقـــــوق يجـــــور!

مـــــازال يَـــــدْأبُ فـــــي اصـــــطبار دائـــــم ... ويَســـــوقُ رأيـــــاً للمَـــــلا ويُشـــــير

مـــــازال يقـــــتحمُ الصِّـــــعابَ غضـــــنفراً ... لـــــم تعضُـــــل البطـــــلَ الهُمـــــامَ ثغـــــور

الفـــــارسُ المِغـــــوارُ تصـــــقله القنـــــا ... والقائـــــدُ المِقـــــدامُ بـــــات يُغيـــــر

الفـــاتحُ الغـــازي تُشـــرِّفه الـــوَغى ... ويُثيـــرُ خـــاطرَه الجســـورَ نفيـــر!

والجُنـــدُ فـــي الميـــدان طـــوعُ بنانـــه! ... أسَـــدٌ علـــى خيـــر الجنـــود هَصُـــور

أبقـــى علـــى (الإخشـــيد) دولتـــه التـــي ... كـــم غالهـــا التضـــييعُ والتتبيـــر!

واســـتقرئ التـــاريخ عـــن غزواتـــه! ... فـــالفتحُ بعـــد الفـــتح ، والتبشـــير!

وســـل الـــروافضَ أدركـــوا ســـلطانه ... وبأنـــه إمَّـــا غـــزا منصـــور

وكـــم ارتجـــوا موتـــاً يـــزف زوالـــه ... أو أن يكـــون لمُلكـــه التـــدمير!

مُتشـــيعون ، ويَـــدَّعون شـــرافة ... فهـــل الشـــرافة يـــا غثـــا (دِيكـــور)؟!

برئـــتْ مِـــن الضُّـــلّال (فاطمـــة) الهُـــدى ... هـــذا انتســـابٌ يَعتريـــه الـــزور

قـــالوا عـــن (الكـــافور) أســـوأ قـــولهم ... وهـــمُ العُتـــاة المجرمـــون البُـــور!

حَجَـــراً رأوهُ أســـوداً مُتغلبـــاً ... فـــي حُكـــم (مصـــرَ) ، وفـــي لقـــاهُ شـــرور!

لكنـــه بالعـــدل قـــاد ديـــاره ... والمـــالُ فـــاضَ بمصـــرَ ، والتيســـير!

هـــذا هـــو التـــاريخ أصـــدقُ شـــاهدٍ ... لمـــن اشـــتهى حقـــاً ، فـــلا تزويـــر!

نـــادى المنـــادي مَـــن يريـــد زكاتنـــا ... والنـــاسُ قـــالوا: حالنـــا ميســـور!

وبعهـــده أعطـــى التوسُّـــعَ حِصـــة ... وعلـــى بـــلاد الشـــام كـــان ظهـــور

وعلـــى (الحجـــاز) تكثفـــتْ حَمَلاتُـــه ... لمَّـــا يكـــنْ فيهـــا وَنـــىً وفتـــور

عقـــدان فـــي حكـــم الـــبلاد فمـــا اشـــتكى ... فـــردٌ ، ولـــم يـــكُ فـــي الـــديار فقيـــر

هـــي ســـيرة (الأســـتاذ) عـــاطرة الشـــذى ... مهمـــا تطـــاولَ حاقـــدٌ مَوتـــور

هـــذا (أبـــو المســـكِ) الكـــريم عطـــاؤه ... هـــو بـــالألى افتقـــروا إليـــه خبيـــر

هـــو عظـــمَ العلمـــاءَ ، أكـــرمَ شـــأنهم ... فـــي باحـــة القصـــر العظـــيم بُـــدور

حلقـــات علـــم لا تســـلْ عـــن حســـنها ... ودروسُ فقـــهٍ شـــرحُهن يَســـير

هـــو قـــرَّبَ الشـــعراءَ ، تـــاقَ لشِـــعرهم ... ورعـــى القصـــيدَ كأنـــه الجمهـــور

ومواقـــفُ (المتنبـــيْ) لـــيس تعيبُـــه ... بـــئسَ القصـــائدُ مـــا بهـــا تـــوقير

المـــدحُ كـــان لجلـــب داعيـــة الغِنـــى ... والـــــذمُّ كـــــان وراءه التقتيـــــر!

وإذن فمرتـــــــزقٌ يُؤمـــــــلُ حَصـــــة ... مِـــن مـــال مَـــن أودى بـــه التعييـــر!

وإذا القصـــائدُ أســـفرتْ عـــن رجســـها ... وعـــلاجُ مَـــن أدلـــى بهـــا التعزيـــر!

يـــا ســـيدَ (الأحبـــاش) صِـــيتُك طيـــبٌ ... ولأنـــت ممـــا قيـــلَ فيـــك طهـــور

واســـألْ (بنـــي العبَّـــاس) عـــن مـــدح الـــذي ... نصـــرَ الحنيفـــة ، واحتوتْـــه الـــدور!

ولـــه بمصـــرَ رَعِيـــة فخـــرتْ بـــه ... والشـــعبُ ممـــا شـــاده مبهـــور!

(كـــافورُ) عـــانى ظلـــمَ أســـيادٍ مضـــوا ... كـــم عـــذبوه ، ولـــم يكـــنْ تبريـــر!

لـــم يـــنسَ تـــاجرَ زيتـــه وعصـــيره ... خابـــتْ تجارتُـــه ، وخـــابَ عصـــير!

قاســـى مِـــن الجَـــور الكثيـــرَ ، فمـــا اعتـــدى ... والعـــادلُ المحبـــوبُ لـــيس يجـــور!

لكنمـــا (الإخشـــيدُ) قـــدَّرَ جُهـــدهُ ... ولكـــل فـــذٍ مُحســـن تقـــدير

لمَّـــا يكـــنْ (كـــافور) يقـــرأ أســـطراً ... وكـــذاك لـــم يكتـــبْ ، فحـــلَّ النـــور!

إذ علّـــمَ (الإخشـــيدُ) عبـــداً مخلصـــاً ... فـــتلا وسَـــطرَ ، واســـتمى التســـطير!

ورفيـــق (كـــافور) ضـــحية بطنـــه ... وطموحُـــه نـــارٌ زكـــتْ وقـــدور!

وتحقـــق الأمـــلُ الـــذي هـــو رامَـــه ... فـــالبطنُ ممـــا قـــد حـــواه قريـــر

ورفيقـــه (كـــافورُ) أدرك مـــا ارتجـــى ... المُلـــكُ جـــاء ، لـــذا اســـتراحَ ضـــمير

للأمنيـــات صِـــحابُها ودروبُهـــا! ... إن الـــذي يهَـــبُ الأنـــامَ قـــدير!

بداوة الصعيد!

البداوة طبيعة تجري في دم الصعيدي! فلا تنفك عنه ، ولا ينفك عنها! وخاصة الذي ينشأ في البادية ، ويتزيا بزيها ، ويتقلد بتقاليدها! وتحت عنوان: (بداوة الانتماء والعصبيات في المنطقة العربية) يقول الأستاذ أحمد شيخ علي ما نصه بتصرفٍ يسير: (ذهب ابن خلدون (1332-1406م) إلى أن البداوة مرتبطة بالمجتمع القبلي وحفاظ أفراده على جملة التقاليد والعادات المتجذرة فيه ، واتفق مع ابن منظور(1232-1311م) الذي سبقه في لسان العرب على أن البداوة نقيض الحضارة ، والشائع أن البداوة هي صفة للتجمعات البشرية غير المستقرة في المدن (الحضر) ، والتي تميزت باعتمادها على الغزو ، ثم الرعي في تأمين قوتها. والتجمع البدوي قائم في الأساس على رابط قرابة الدم ، وهو الأساس في تشكيل القبيلة وتميزها عن قبيلة أخرى ، فالأصل في كل قبيلة أنها تعود إلى جدٍ واحدٍ ، وعند ظهور المدنية واعتماد البدوي على الرعي وزوال الغزو شيئاً فشيئاً ، قلَّ تنقُّل البدوي ، وأصبح أقرب للاستقرار مع بدء الزراعة إلى أن استقر واعتمد في تأمين قوته على الزراعة كمصدر أساسي! فكان استقراره خارج المدينة في البادية ، ثم اقترب من المدينة ليستقر في الريف على حدود المدن ، أو أن المدن اتسعت لتصل حدودها إلى أماكن إقامته. فالبدوي مَن يعيش في البادية أو الريف ، والحضري من يعيش في الحضر (المدن) ، وعليه فالبداوة نقيض الحضارة. وبالتالي فإن هذا يطرح إشكالية تستحق التوقف عندها مفادها: أن البداوة قائمة على ركيزتين أساسيتين وهما العصبية القبلية فقط ، ومكان الإقامة وهذا خاطئ. والصحيح أن للبداوة ركائز تتمثل بما يلي:- عصبية الانتماء (وليس بالضرورة أن يكون عصبية الانتماء للقبيلة فقط ، فالعصبية القبيلية واحدة من عصبيات متعددة أخرى. الانقياد الأعمى لشخص أو مجموعة ، ورفض تقبل أي جديد ما دام مصدره خارج منظومة العصبية المنتمي لها). والاعتماد على التلقي الشفهي للمعلومة وتصديقها دون تثبت (ما يمكن تسميته بالثقافة الشفهية. وللبداوة علاقة وثيقة بمكان الإقامة ، فالإقامة في البادية أو الريف (خارج المدن) ليس شرطاً وحيداً للبداوة ، فالبداوة قائمة على العصبية (بكل أنواعها وليس العصبية القبلية فحسب) ، وقد يتخلى ابن الريف أو البادية عن عصبياته ، وقد يتسم الكثير من سكان المدن بعصبية انتماءاتهم ، وهذا ما تعيشه المنطقة العربية في الحضر ، فغالبية شعوب المنطقة (سواء أكانوا يعيشون في الريف أو المدينة) يتميزون ببداوة الانتماء التي تضيق عن الانتماء للوطن ، رغم أنهم يعيشون في دول تدعي شمولية احتواء الوطن لأبنائه بكل أطيافهم ، ولكن تغلب الانتماءات الضيقة ، ويُختزَل مفهوم الانتماء للوطن إلى عصبية الانتماء العرقي أو الديني أو الطائفي أو الإثني أو حتى التحزبي ، لتتحول مصلحة الانتماء الضيق بأذهان هذه الجماعات إلى مصلحة الوطن. هذه الانتماءات العصبية تتميز ببداوتها ، ولا تتعلق بمكان الإقامة أياً كان !).هـ. وإذن فبداوة الصعيد المصري تختلف عن أي بداوة في مجتمعنا العربي ، ذلك أنها تغلب جانب القيم والأخلاق والمباديء! ذلك أنها حقاً في عمومها نبعت من معينين أصيلين الأول: هو الدين ، والثاني: هو مكارم الأخلاق!)

بَـدْوُ الصـعيدِ سَـمَوا فـي النـاس بالـدِّينِ ... وصِـحَّة القـول زِينـتْ بـالبراهينِ

شـادُوا المناقِـبَ ، مـا بغيرهـا عُرفـوا ... تُـروَى وتُنشـرُ بـين الحِـين والحِـين

لهـم تقاليـدُ تُعلـي مَـن تمثلهـا ... جَلـتْ عـن الهُـزء والتعييـب والـدُّون

لهـــم مَـــوازينُ لا تلقـــى بهـــا خلـــلاً ... والطيبـــون لهـــم أرجـــى المَـــوازين

لهـــم مَعـــاييرُ يَحميهـــا جحاجحـــة ... راجَـــتْ ودِيـــنَ بهـــا بـــدون تدشـــين

تُوافِـــقُ الشَّـــرعَ ، تحيـــا فـــي مَقاصـــدِه ... ونفعُهـــا فـــي البرايـــا غيـــرُ مَمنـــون

حـــي القبائـــلَ فـــي الصـــعيد دَيـــدنُها ... إقامـــة الشـــرع بالإقنـــاع واللـــين

لـــم تتخـــذ لغـــة الإكـــراه مَطرقـــة ... فـــوق الـــرؤوس ، فلـــيس العـــيشُ بـــالرُّون

لـــم يَطـــغ مَـــن قويـــتْ فـــي الخلـــق شَـــوكتُه ... بـــدون حـــق علـــى قـــوم مَســـاكين

لـــم يـــأكلوا مِـــن قـــدور النـــاس طعمـــتَهم ... حتـــى تنـــالَ جســـومٌ بعـــضَ تســـمين

إذ للبـــداوة فـــي الصـــعيد رَجـــعُ صَـــدىً ... تســـري عُذوبتُـــه فـــي النـــاس والطـــين

بـــداوة صَـــبغتْ بالحُســـن سُـــؤدَدَها ... وجَمَّلـــتْ سَـــمتها بـــالعِلم والـــدين

أنـــا (الصـــعيدي) أخلاقـــي تُبلغنـــي ... ذؤابـــة المجـــد ، هـــذا الفـــوزُ يَكفينـــي!

أهـــلُ الصـــعيدِ لهـــم فـــي ذِي الـــدنا قِـــيَم ... طابـــتْ ، وطـــابَ لهـــا أصـــيلُ تمكـــين

علـــى المَذلـــة لا تُلـــوى عَمـــائمُهم ... ومـــا ارتـــأوا ذلهـــم يومـــاً بمَيمـــون

علـــى الإهانـــة لا يَحيـــا جحـــافلهم ... فـــلا يَعيشـــون فـــي ذل وتـــوهين

مهمـــا قســـا العـــيشُ هـــم أكـــارمٌ نُبُـــلٌ ... ونُـــبلهم بالتـــدَني غيـــرُ مَقـــرون

مـــنهم أرانـــي ، ولا أرجـــو بهـــم بـــدلاً ... وكـــم أتِيـــه بـــأقوامي الأســـاطين!

كـــم فـــي الصـــعيد مِـــن الأماجـــد انطلقـــوا ... فـــي العِلـــم كانـــت لهـــم أعتـــى الأفـــانين!

وكـــم أشـــدتُ بهـــم فـــي كـــل مُصـــطدم ... وكـــم مَـــدَحتُ عطـــاءات الميـــامين!

لـــيَحفظِ اللهُ أهـــلاً كنـــتُ واحـــدَهم ... وأمـــرُ ربـــيَ بـــين الكـــاف والنـــون!

الطبل والتطبيل!

(إنها لكارثة كُبرى أن لا تكون لغة إلا التطبيل والتمييع والتطويع! وقد ألفناها كثيراً ، ومَقتناها أكثر! وكرهنا أصحابها ، ولكن لمَّا طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، كان لا بد من قصيدةٍ عن الطبل والتطبيل ، تضعُ الأمر في نصابه ، وتردُّ القوسَ إلى باريها ، والخبز إلى خبازيه ، لتُعْلِم الطبالة أن في الساحة مَن يفهمونهم ، ويكشفون خِداعهم! واحترتُ حيرة شديدة في هذه القصيدة! على أي بحر وعلى أية قافيةٍ يمكن أن أكتبها! فوقع في خاطري أن أجاري الشاعر حسين الدجاني في مطلعه:- (ألا بالصبر تبلغ ما تريدُ!) فأقول مجارياً له:-

ألا بالطبـــــل تبلـــــغ مـــــا تريـــــدُ وبالتطبيـــــل يعتـــــدلُ الحديـــــدُ

فطبِّـــلْ مـــا اســـتطعت لعـــل طـــبلاً تُفيـــدُ بـــه الـــورى ، أو تســـتفيد

ولكنني لم أرتح لهذا المطلع ، واستهجنت أن أحل التطبيل محل التقوى التي اشترطها الدجاني في مطلعه الجميل الساحر! فقلت: أذهب إلى امرئ القيس شاعر الجاهلية الأولى في مطلعه الجميل: (وليل كموج البحر أرخى سدوله)! فقلت مجارياً امرئ القيس:-

وطبـــل كمثـــل الرعـــدِ وافـــى بجُعـــره فأحـــدثَ أهـــوالاً بَـــدَتْ لمُطبِّـــلِ

ألا أيهـــا الطبـــلُ المُخـــذلُ عزمَنـــا أجِرْنـــا مـــن الجُعـــر الفظيـــع المُجَلجِـــل

وعدتُ فوازنتُ مرة ثانية ، فوجدتُ أن مقام البحر أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى الشاعر العباسي أبي تمام في مطلعه البديع: (السيف أصدق أنباءٍ من الكتب)! وارتأيت لنفسي أن يطيبَ لي هذا الاختيار المحترم ، فقلت مجارياً أبا تمام:-

الطبـــل أكثـــرُ أنغامـــاً مـــن الكتـــبِ فـــي ضـــربه يُمـــزجُ التهـــريجُ باللعـــبِ

بـــيض الجلاجـــل فـــي رَنـــاتهن صـــدىً يُجلـــي عـــن الـــنفس مـــا عانـــتْ مِـــن النصـــب

وعدتُ فوازنتُ مرة ثالثة ، فوجدتُ أن مقام السيف أسمى بكثير جداً من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى أبي العتاهية شاعر الرشيد في مطلعه الطيب القائل: (ألا ليت الشباب يعود يوماً؟)! لأعقد مقارنة بين طبول الماضي (دفوف الأعراس والحروب) ، فقلت مجارياً:-

ألا ليـــت الطبـــولَ تعـــودُ يومـــاً لنخبرَهـــا بعالمنـــا المَعيـــبِ

يـــرى فـــي الطبـــل بُـــرءاً لا يُبـــارَى يُطبِّـــلُ فـــي الشـــروق ، وفـــي الغـــروب

وعدتُ فوازنتُ مرة رابعة ، فوجدتُ أن مقام طبول أو دفوف الأعراس والحروب أسمى بكثير من مَقام طبول الجاهلية المعاصرة ومُطبليها! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى أمير الشعراء شوقي في مطلعه المبدع: (قم للمعلم وفه التبجيلا)! فقلت مجارياً لشوقي:-

قـــم للمُطبِّـــل وفـــه التخـــذيلا كـــاد المُطبِّـــل أن يُضِـــلَّ الجـــيلا

أرأيـــت أحقـــرَ مِـــن مُطبِّـــل قومـــه تطبيلـــه يَصـــفُ الخنـــوعَ ســـبيلا

وعدتُ فوازنتُ مرة خامسة ، فوجدتُ أن مقام المعلم أسمى بكثير من مقام الطبل والتطبيل! فقلتُ في نفسي: إذنْ أذهب إلى إمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي الفقيه الشاعر والشاعر الفقيه في مطلعه الرائع: (نعيب زماننا والعيب فينا)! فقلت مجارياً للشافعي:-

نعيـــبُ طبولنـــا ، والعيـــبُ فينـــا ومـــا لطبولنـــا عَيـــبٌ سِـــوانا

وقـــد نهجـــو الطبـــولَ بغيـــر ذنـــب ولـــو للطبـــل حنجـــرة هجانـــا

وعدتُ فوازنتُ مرة سادسة ، فوجدتُ أن مقام الزمان أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إذن إلى الشاعر القدير أحمد عبد الهادي الشاعر الصعيدي الأسواني في مطلع جاريته قديماً فقلت فيه: (سئمت الحياة وأشجانها)! فقلت مجارياً:-

ســـــئمتُ الطبـــــولَ وأصـــــواتها وعِبـــتُ المُطبِّـــلَ يُـــزري بهـــا

ورُحـــــتُ أوضِّـــــحُ مستبســـــلا لكـــــل المخـــــاليق تضـــــليلها

وعدتُ فوازنتُ مرة سابعة ، فوجدتُ أن مقام الحياة أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى الشاعر العباسي المعروف أبي العلاء المعري رهين المحبسين في مطلعه المحترم: (غيرُ مُجدٍ في ملتي واعتقادي)! فجاريتُه قائلاً:-

غيـــرُ مُجـــدٍ فـــي رُؤيتـــي ضـــربُ طبـــلِ بـــين كفـــيْ مُســـتهتِر أو شِـــبلِ!

وشـــبيهٌ قـــرعُ الطبـــول بـــداري بالـــدعاوى يَســـوقها بعـــضُ (هِبـــل)!

وعدتُ فوازنتُ مرة ثامنة ، فوجدتُ أن مقام الملة والاعتقاد أسمى بكثير من مقام الطبل والتطبيل! فقلتُ في نفسي: إذن أذهب إلى الشاعر إبراهيم ناجي في أطلاله ، حيث يقول في مطلعه الساحر الباهر:- (يا فؤادي رحمَ اللهُ الهوى)! فقلتُ مُجارياً لناجي:-

يـــا فـــؤادي الطبـــلُ أزرى بـــالورى باعثـــاً فـــيهم أضـــاليلَ الهـــوى

وأنـــا أســـأل نفســـي دائمـــاً: هـــل ســـبيلٌ للتعـــافي يـــا تُـــرى؟!

وعدتُ فوازنتُ مرة تاسعة ، فوجدتُ أن مقام مناجاة الفؤاد أسمى بكثير من مقام الطبل والطبالة! فقلتُ في نفسي: إذن أذهب إلى الحصري القيرواني الشاعر الأندلسي في مطلعه الطيب:- (يا ليلُ الصبُّ متى غده)! فقلت معارضاً للقيرواني:-

يـــا طبـــلُ الخيـــرُ متـــى غـــدُه هـــل يـــأتي غضـــاً سُـــؤْدَدُهُ

أنهكنـــا التطبيـــلُ ، فـــذبنا شـــوقاً لهُـــدوءٍ نشـــهدُه

والحقيقة أن هذه المطالع كلها لم ترُقني ، وإنما عمدتُ إلى اختيار مطلع مختلفٍ بمذاق مختلف! ذلك أن الطبل والتطبيل قد ارتفعتْ وتيرتُهما جداً ، وانتقلتِ العدوى إلى البقاع والأصقاع ، كما انتقلتْ إلى الحَواضر والبَوادي! وهانَ كل شيئ في سبيل الطبل والتطبيل! وتعساً للطبالة!)

قـــــــرَعَ الأراذلُ للعُتـــــــاة طبُـــــــولا ... واســــــتعذبوا إيقاعَهـــــا المَخبـــــولا

صَـــنعوا بقـــرع الطبـــل مَجـــداً زائفـــاً ... خـــــدعَ الأنـــــامَ ، ورَوَّجَ التضـــــليلا

كـــم حَسَّـــنوا بالطبـــل أقـــبَحَ صـــورةٍ ... فيهـــــا العُتـــــاة تبتلـــوا تبتـــيلا!

كـــم زيَّفـــوا التـــاريخ يَفضـــحُ مـــا ادَّعَـــوا! ... كـــــم زوَّروا ليُمَـــــرِّرُوا التـــــدجيلا!

كـــم شـــيطنوا الحـــق المبـــينَ تشـــفياً ... حتـــــى يُزيغـــــوا أنفســـــاً وعقـــــولا!

كـــم مثلـــوا دَورَ الحـــريص نكايـــة! ... خـــــابَ الأراذلُ أتقنـــــوا التمثـــــيلا!

كـــم صَـــوَّروا البُهتـــان صِـــدقاً خالصـــاً ... فغـــــدا لنـــــا معلـــــومُهم مجهـــــولا!

كـــم شـــوَّهوا أهـــلَ العقيـــدة سَـــخطة ... لِطغـــــاة عصـــــر فضـــــلوا تفضـــــيلا!

وتكلفـــــوا الكِـــــذبَ الصُّـــــراحَ تحـــــايلاً ... والنـــــاسُ طبعـــــاً صَـــــدَّقوا التجهـــــيلا

وتطـــاولوا حِقـــداً علـــى أهـــل الهُـــدى ... وهـــــمُ أشـــــدُ العـــــالمين ذحـــــولا!

طبالـــــة التهـــــريج هـــــا هـــــم بـــــالغوا ... ولهـــم بصـــائرُ فـــي التخـــرُّص حُـــولى!

أدوارُهـــم فـــوق المســـارح مـــا انطلـــتْ ... إلا علـــى الحمقـــى ، وســـاءَ رَعـــيلا

منهـــاجُهم حَبْـــكُ المـــدائح والفِـــرى ... حتـــى غـــدَوا فـــي النـــاس أكـــذبَ قِـــيلا

لا ديـــنَ يَـــردَعُهم إذا مـــا عَربـــدوا ... شـــابوا علـــى كيـــل السِّـــباب كُهـــولا

هـــم أشـــهروا لمـــن اهتـــدى أغلالهـــم ... يُشْـــفون فـــي أهـــل الصـــلاح غلـــيلا

لعِقـــوا نِعـــالَ مَـــن افتـــرى ، وتشـــرذموا ... واســـــتعذبوا التلفيـــــقَ والتـــــأويلا

لـــم يَنصـــروا قِيَمـــاً بقـــرع طبُـــولهم ... والنصـــرُ كـــم يســـتهجنُ التطبـــيلا!

وقـــد اســـتبانَ الـــدربُ: هـــذي فِرقـــة ... جعلـــتْ تزلفهـــا الـــرخيصَ ســـبيلا

والســـحرُ أبطِـــلَ ، والحقيقـــة حَصحصـــتْ ... والطبـــلُ جامـــلَ مُفســـداً وعمـــيلا

ويمـــوتُ طبـــالٌ ، فمـــا اعتبـــروا بـــهِ ... وسِـــواه مـــات مُجنـــدلاً مَغلـــولا

كـــالوا التـــرَحُّم ، أظهـــروا تـــأبينهم ... واســـتبدلوا ببكـــائهم إكلـــيلا

والـــبعضُ فـــي ليـــل الجنـــازة حَـــثهم ... أن يصـــحبوا فـــي الظلمـــة القِنـــديلا

إذ لا اعتبـــار لأي قـــارع طبلـــةٍ ... أمســـى عـــن التـــوب الوشـــيكِ كَسُـــولا

طبالـــة التطويـــع شِـــيباناً غـــدَوا ... وقبـــورُهم نـــادتْ: كفـــى تهلـــيلا

عُـــودوا إلـــى الـــرحمن يُصـــلِحْ شـــأنكم ... فـــاللهُ خيـــرٌ مُصـــلِحاً ووكـــيلا

وكفـــى انحطاطـــاً يـــا حُثـــالات الـــورى ... هيـــا اجعلـــوا نهـــجَ الرشـــاد دلـــيلا

واســـتغفروا ربَّ الســـما يَغفـــرْ لكـــم! ... ويَزيـــدكم مـــن فضـــله تبجـــيلا

ســـتُودِّعون طبـــولكم ، فتنبهـــوا! ... أخـــراكُمُ خيـــراً تفـــوقُ الأولـــى

وكبيـــرُكم قـــد عـــاشَ أشـــرسَ آكـــل ... سيَضـــمُّه قبـــرٌ ، ويَلقـــى السُّـــولا

ويبيـــتُ فـــي القبـــر الوشـــيك مُوَسَّـــداً ... ويبيـــتُ عـــن أهـــل الـــدنا مســـؤولا

ويبيـــتُ مَـــن أكـــلَ الأطايـــبَ والحَـــلا ... واللحـــمَ ـ مُلتـــذاً بـــه ـ مـــأكولا

إن قلـــتُمُ هـــذا أضـــلَّ جميعَنـــا ... ســـيكونُ فـــي ســـاح الحســـاب خـــذولا

لمَّـــا يَـــزلْ أمَـــدٌ فتوبـــوا تُفلحـــوا ... وتُخوَّلـــون نجـــاتكم تخـــويلا

وكثيـــرٌ الهَلكـــى ومَـــن لحِقـــوا بهـــم ... لكـــنْ أرى أهـــلَ النجـــاة قلـــيلا

أبلغـــتُكم ، واللهُ يَعلـــمُ نِيتـــي ... واللهُ خيـــرٌ ضـــامِناً وكفـــيلا!

اعتذار الراجحي!

(شاعرنا اليمني الكبير / فواز خالد الراجحي كان قد حصل على شهادة تقدير في الشعر ، في بعض مجموعات الفيس بك الشعرية! وكنت أحد المشتركين فيها ، فقمتُ بتحيته والمباركة له قائلاً بأنه يستحق كل تقدير وتكريم ، ولو كرَّمناه بمنحه كأس الأمم الأفريقية لما كان كثيراً عليه ، بل هو قليل ، عليه وعلى أشعاره العظيمة! وفهم الرجل كلامي كله على وجهه الأمثل إلا التذييل: (كأس الأمم الأفريقية) ، فتوهم أنني أسخر منه! وكان عليه أن يسألني لأخبره عن مرادي! ولكنه تسرَّع وكان منه ما ينبغي أن نضرب عنه الذكر صفحاً! فعزمتُ على أن يكون حكماً بيننا الله رب العالمين! فراجع الراجحي حساباته وعاتب نفسه ، ووسط بيني وبينه الأخت العبقرية الراسخة في معرفتي جهاد العلي ، فقلتُ لها: (أجرنا من أجرتِ يا جهاد)! على غرار قول النبي – صلى الله عليه وسلم لابنة عمه فاختة بنت أبي طالب – رضي الله عنها -: (أجرنا من أجرتِ يا أم هانيء!) وها أنا ذا أورد اعتذار الراجحي شعرا ونثراً ، وأقبل اعتذاره نثراً وشعراً! وهذا نص رسالته: (عذراً يا أخي ، لم أعلم أن كلامك كان مدحاً لا سخرية ، وإني أعتذر إليك جداً على سوء فهمي وتسرعي! وما كان ما كان مني إلا لجهالتي وصغر سني وقلة خبرتي. فاعذر فتىً جهلَ فأساء! وإنك إذ كتبت كلامك الأخير هذا ، وقر في نفسي أني ظلمتك دون علم ، ويعلم الله أني ما كنت من ذوي الظلم ، ولكني جهلت معنى كلامك ، فظننتك تسخر ، فقلت ما قلته لك ، وها أنا أعتذر لك جداً. ثم إني حين علمت أني أخطأت جعلت الأم جهاداً تكلمك وتخبرك أنني أعتذر إليك ، فهي من أعرف الناس من المشتركين بيننا في الأصدقاء هنا! وقال:

إليـــك اعتـــذاري فهـــل يُقبـــل؟ فعفـــوك نبغـــي وكـــم نأمـــلُ

تســـرعتُ طيشـــاً علـــى غِـــرَّةٍ فســـوءُ صـــنيع فتـــى يجهـــلُ

ولـــو كنـــتُ أدري بمـــا قلـــتَ حقـــاً لمـــا قلـــت ويحـــيَ ذا المقـــولُ

وإنني لأعتذر إليك بشدة ، والله جهلت فسامحني ، غفر الله لي ، وسأطلبك للصداقة مجدداً ، ولك الخيار: إن شئت قبلت ، وان شئت رفضت! لكن يكفي أن تسامحني على ما بدر مني من تسرع في الحكم جهلاً وطيشاً! والسلام.) وعموماً العفو عن الناس وكظم الغيظ والصفح عن الظالمين المسلمين المؤمنين الموحدين ، هذي كلها من العبادات التي لها أجر كبير عند الله تعالى! وللعفو آثارٌ طيبة وعظيمة على العبد في الدنيا والآخرة ، وليست مقصورة ولا محصورة في العبد أو عليه فقط ، بل على الفرد والمجتمع ، فما ذكرنا آنفاً من فضل العفو والصفح هو راجع في الغالب على العبد في الآخرة من الثواب العظيم والرفعة والجنة. وأما في الدنيا ، فراحة النفس وطمأنينة القلب وهدوء البال وسلامة الأعصاب وصحة الجسد ، وسعادته في الدنيا ، وهذا كله يعود على الفرد. أما على المجتمع: فتتآلف القلوب وتتماسك الصفوف ويتطهر المجتمع من أمراض الغل والحقد والحسد وقلة الجرائم من السرقة والقتل ، وغير ذلك من تقليل عدد القضايا التي تثقل كاهل السادة القضاة المؤمنون في محاكمهمُ الشرعية ، في أمور تافهةٍ من جراء عدم العفو والصفح! وختاماً: نقول لو أن الناس جميعاً أخذوا بمبدأ العفو والصفح ، لحفظهم ربهم سبحانه وتعالى من أمراض القلوب من الغل والحقد والحسد! وأنصح لكل من استشكل كلمة أو جملة أو عبارة قرأها لفلان أو سمعها من عِلان أن يحملها خير

المحامل ، وألا يتسرع في الحكم عليها أو تأويلها بمفرده! فليستفسر من كاتبها أو قائلها ، أو يسأل الراسخين في معرفة الرجل ، ولا يتهور فيبني عليها أحكاماً صاحبها بريء منها! فلما اتصلتْ جهاد العلي ، وشفعتْ للشاعر الراجحي وأجارت ، قبلتُ شفاعتها احتراماً لها ، ووعدتُ بإعادة المياة إلى مجاريها فكتبتُ هذه القصيدة العاجلة بهذه المناسبة ، وأعطيته هذا العنوان!)

قبلـــــــتُ اعتـــــــذارَك ، ذا أفضَـــــــلُ ... وحَققـــــتُ للخِـــــلِّ مـــــا يأمـــــلُ

ومَـــــن أنـــــا حتـــــى أمُـــــنَّ بعفـــــوي؟! ... وعفـــــوُ المليـــــك هـــــوَ الأمثـــــل

وأحْـــــذِيك عهـــــداً جديـــــدَ الصُّـــــوى ... وفـــــي ظِـــــل إرشـــــادِه نعمـــــل

ولا لـــــــنْ أردَّ (جهـــــــاداً) بمـــــــا ... حَكَتْـــــــه ، وإن الصـــــــفا أجمـــــــل!

مَللـــــتُ الخِـــــلافَ يزيـــــدُ الشـــــقا ... وزعـــــمُ انتفـــــاعي بـــــهِ مُبْطِـــــل

ويُـــــزري الشـــــقاقُ بأهـــــل الهُـــــدى ... فـــــإن سُـــــربِلوا ابتســـــمَ العُـــــذل

وبالصـــــفح نبلـــــغُ مـــــا نشـــــتهي ... وفـــــي سُـــــوحه يُـــــدرَكُ المِأمـــــل

و(فـــــواز) لـــــم يُـــــدركِ المبتغـــــى ... وقـــــولاً علـــــى خيـــــره يُحْمَـــــل

يمينـــــاً مـــــدَحتُ الـــــذي نالـــــه ... بـــــنص بإطرائـــــه يَكْمُـــــل

وإذ أشـــــكلَ الـــــنص أحـــــرى بـــــه ... سُـــــؤالي ، لأشـــــرحَ مـــــا يُشْـــــكِل!

فكـــــم بالســـــؤال اســـــتبانَ صُـــــوَىً ... لـــــنص تفاصـــــيله تعضُـــــل!

فيـــــا (راجحـــــيُ) اسْـــــتبنْ ، وادَّكِـــــر ... إذا كنـــــت فـــــي مَبحـــــثٍ تَفصِـــــل!

ولا تَـــــرْم يومـــــاً بريئـــــاً ســـــما ... عـــــن العيـــــب والـــــذمِّ ، ذا يقتـــــل!

ويـــــا ذا (اليَمـــــانيُّ) كـــــنْ عـــــاقلاً ... ينـــــالُ الســـــعادة مَـــــن يَعقـــــل!

مِـــــن الهـــــزل قطعُـــــك جِيـــــدَ الـــــذي ... يُحِبُّـــــك! خـــــابَ الـــــذي يَهـــــزل!

أدامَ المليـــــــكُ الإخـــــــا بيننـــــــا ... وعَلمـــــــك اللهُ مـــــــا تَجهـــــــل!

هل هؤلاء بشر؟!

(تحكي إحدي عاملات دار المسنين هذه القصة! قائلة: توفيتْ منذ شهر نزيلة بالدار اسمها الحاجة عائشة عن عمر يناهز الثانية والثمانون عاماً تقريباً! ولقد أتت إلي الدار منذ عشرين عاماً! وأنا أتذكر هذا اليوم جيداً! لقد أتي بها ابنها الدكتور ياسر! ولقد كان وجهها شاحباً وتكاد لا تتحدث إلا بإيماءاتٍ قليلة! وعندما تحدثت معها أخذت في البكاء الشديد! وقالت: لقد كنت أعمل بمهنة التدريس للغه الفرنسية ، وتعرفت علي زميل لي مدرس للغة الفرنسية أيضاً! وصارحني بإعجابه بي ورغبته في الزواج مني ووافقت علي الفور لأن أخلاقه طيبة وصفاته جيدة! ولقد تم الزواج والسنين مرت سريعاً! وأنجبت ثلاثة أبناء:- (ياسمين وعبير وياسر)! وكاد لا يمر علي زواجي عشرة سنوات ليتوفي زوجي إثر حادث ليترك لي مسؤولية ثلاثة أنباء مسؤولية كاملة! وأكملت رسالتي مع أبنائي ، ورفضت الزواج مرة أخري رفضاً قاطعاً ، مع كل الضغوطات من عائلتي لأن عمري وقتها كان لا يتعدي الخامسه والثلاثين! ولكن كرست كل حياتي لهم! وعملت بالمدرسة وبالدروس الخصوصية ليلاً ونهاراً ، لأكمل تعليمهم في مدارس انترناشونال! وليظهروا بمظهر جيداً أمام المحيطين بنا ، وكذلك أمام زملائهم بالمدرسة والنادي! وكان يومي مشغولاً جداً ما بين عملي ومذاكرة أولادي وتمارين النادي! ولكن مرتِ الأيام سريعاً! ليكبر أطفالي ويتخرجوا من كليات القمة كما يقولون! وسافرت ياسمين لاستكمال دراستها بإنجلترا وتعرفت علي زميل لها وتزوجت واستقرت بالغربة! وابنتي الثانية لقد تزوجتْ بأستاذها بالجامعة وجاءه عمل بدولة عربية وسافرت معه! أما ابني الدكتور ياسر فتزوج من طبيبة زميلته! وطلب مني أن يتزوج في منزلي ، ووافقت علي الفور ، وتم تجديد المنزل من كل شئ لأرى السعاده في عين ابني! وتزوج وإذا بزوجته تعاملني معاملة غريبة الشكل وكأنني خادمة لها! ولكن أمام ابني تتعامل معي وكأنها هي خادمة لي! ومرت الأيام ورزق الله عز وجل ابني بأطفال وضاق المنزل علينا! والظروف لا تسمح بتوفير منزل أوسع من هذا! وذلك لأن زوجته تصرف مبالغ طائلة علي ملابسها ومظهرها ، وكل عام تقوم بتغير نوع سيارتها للأحدث ، ولم يتبق إلا بعض المصاريف الشهرية! فاقترحتْ زوجته أن يذهب بي إلي دار للعجزة! وأنا لا أعلم شيئاً إلا أن في يوم من الأيام قال لي ابني: أمي أحضري حقيبتك ، فأنا أريد أن أذهب معك في نزهة! ولقد فرحت فرحاً شديداً فأنا منذ زمن لم أتنزه ، فقد كان يأخذ زوجته وأولاده إلي المصيف ، ويتركني وحيدة أتحدث مع جدران منزلي! فقلت له: إلي أين يا بني؟! قال: إلى البحر! وبالفعل وضعتُ كل ما هو جميل من ملابسي وأشيائي في حقيبتي! وفي الصباح ، قال ياسر: هيا أسرعي يا أمي! فقلت له: أنذهب أنا وأنت فقط؟! يا بني أحضر معنا زوجتك وأولادك! فقال لي: لا فالنزهة لك أنت وحدك! وبالفعل ركبنا السيارة! وبعد نصف ساعه توقف ياسر ، وقلت له مسرعة: أوصلنا بهذه السرعة؟! وقال بحدة: انزلي يا أمي ، وبعد بضعة دقائق أري أمامي لافتة مكتوب عليها دار العجزة! ولقد تسمرتُ مكاني ، وزادتْ ضربات قلبي ، وأنزلني رغماً عني وها هنا انا الآن أمامك يا سيدتي! وبذلك أنهت حديثها الحاجة عائشة! وخلال العشرين عاماً لم يأت أحد من أبنائها لزيارتها! إلا ياسمين فقد أتت مرتين أو ثلاثة بالكثير لرؤية والدتها! وقبل وفاة الحاجة عائشة ، اتصلنا بأبنائها وشرحنا لهم حالتها الصحية ورغبتها الملحة في رؤيتهم هم وأحفادها ، ولكن للأسف لم يأت أحد لزيارتها! إلا بعد وفاتها أتى الثلاثة أبناء معاً ، لاتخاذ إجراءات إعلان الوراثة! إنني عندما قرأتُ هذه القصة تساءلت: هل هؤلاء بشر؟ هل في الدنيا أبناء وبنات كهؤلاء؟! والله

العزيز قد تتورع البهائم والعجماوات والسوائم عن مثل هذا! وكم رأينا من عبر وعظاتٍ تدل على رحمة الحيوانات بالناس وبأنفسها! فهل يصبح بعض الأبناء والبنات اليوم في مرحلةٍ أخس وأحقر وأدنى من الحيوانات والبهائم؟ ولا يتساوون بالكلاب والقطط في معاملة والديهم؟)

العُـــرفُ يـــرفضُ مـــا تـــأتون والـــدينُ ... وكـــــل مُتصِـــــفٍ بـــــالعَق ملعـــــونُ

وكيـــف ترجـــون مِـــن رب الســـما فرَجـــاً ... وكـــــل سَـــــعيكمُ بـــــالظلم مَقـــــرون؟!

وهـــــذه الأم لـــــم تُهمـــــلْ رســـــالتها ... بـــل جُهـدُها بعـد مـوت الـزوج ممنـون!

تقـــــدَّمَ الخـــــاطبون الحُـــــبُّ يَســـــبقهم ... وفـــي الضـــمائر بَـــذلُ الـــودِّ مَكنـــون

جميلـــــة تأسِـــــرُ العيـــــونَ رؤيتُهـــــا ... وعَفـــــة ، ولهـــــا الإعجـــــابُ عربـــــون

لكنمـــــا طعنـــــتْ جمـــــالَ خِلقتهـــــا ... فـــي كفهـــا بعـد طعـن الحُسـن سـكين

وســـــربلتْ حُســـــنها بـــــدون مرحمـــــةٍ ... والحُســـنُ ممـــا أتـــتْ بـــالكرب مَرهـــون

وآثـــرتْ فـــي دجـــى البلـــوى أيومتهـــا ... كـــــي لا تُهـــــدِّدُها المعيشـــــة الـــــدون

لمّـــــا تُـــــردْ زوج أم لا يُعـــــاملهم ... بكـــل عطـــفٍ ، فمـــا فـــي قلبـــه لـــين!

ضَـــحَّتْ ، ولـــم تنتظـــرْ مـــنهم مكافـــأة ... وقلبُهـــا بســـهام العـــيش مطعـــون

واستســـــلمتْ لعـــــذاباتٍ يَضـــــيقُ بهـــــا ... أقـــوى الرجـــال ، ويَخشـــاها الـــدهاقِين

وواصـــــلتْ يومَهـــــا والليـــــلَ كادحـــــة ... حتـــى يكـــون لهـــم فـــي العـــيش تـــأمين

وعلمـــــتْهم ورَبَّـــــتْهم ، فـــــدامَ لهـــــا ... بـــــين الخلائـــــق تكـــــريمٌ وتمكـــــين

حتـــــى إذا كبـــــروا زاغـــــتْ بصـــــائرُهم ... وكـــــان مـــــنهم لهـــــذي الأم تخـــــوين

وأوقـــــدوا فتنـــــة العقـــــوق ســـــاعرة ... إذ لـــــم تعُـــــدْ قِـــــيمٌ ولا مَـــــوازين!

حتـــــى البُنيـــــات مـــــا فـــــيهن مَرحمـــــة ... كأنمـــــا اســـــتهوتِ الغِيـــــدَ الشـــــياطين

كـــلٌ تزوجـــتِ الـــزوجَ الـــذي رَغِبـــت ... وعـــيشُ كُـــلٍّ مِـــن التشـــتيت مَصـــوون

وســـــافرتْ لـــــبلاد الغـــــرب واحـــــدة ... واســـتقبلتْ أختهـــا فـــي الغربـــة الصـــين

وقـــــال الابـــــنُ لهـــــا: عيشـــــي مُكرَّمـــــة ... وحُـــبُّ زوجـــي لأمـــي اليـــوم مضـــمون

والأم مـــــا عارضـــــتْ سُـــــكناه شـــــقتها ... وأقلمَـــــت نفسَـــــها ، وســـــاد تـــــوطين!

وبعـــد حـــين بـــدَتْ جهـــراً حقيقتُهـــا ... إذ قلبُهـــا بســـعير الكيـــد مَشـــحون

إمـــا أتـــى زوجهـــا تكـــون طيعـــة ... وقولهـــا بشـــذى الرمـــان مَـــدهون!

وإن يَغِـــبْ تُظهـــر الرعنـــاءُ قســـوتها ... فالفعـــلُ مرتـــذلٌ ، والقـــولُ مِنتِـــين!

وذات يـــوم أتـــتْ بشـــرح مُقتـــرح ... يفـــوحُ مِـــن هولـــه ظلـــمٌ وتـــأفين

قالـــت وبـــئس الـــذي قالتْـــه آثمـــة: ... البيـــتُ ضـــاق ، وتُخزينـــا البـــراهين

(دارُ المســـنين) أولـــى بـــالتي طعنـــتْ! ... وفـــي قـــرارك يـــا زوجَـــاهُ تفطـــين!

فـــأودِعَ الأم كـــي ترتـــاحَ زوجتـــه ... فـــي (الـــدار) رفقتُهـــا فيهـــا المســـاكين

والكـــل قاطعَهـــا ، والـــرأي مُتحـــدٌ ... وضـــاعَ جُهـــدٌ ، وأذرتْـــه الطـــواحين!

وجاءَهـــا المـــوتُ ، فاشـــتاقت لهـــم وغـــدتْ ... فـــي التـــو تطلـــبُهم ، والنشـــدُ مـــوزون

فمـــا أتـــى أحـــدٌ حتـــى يُودِّعَهـــا ... إذ كـــل فـــردٍ بمـــا لديـــه مفتـــون!

وماتـــتِ الأم ، والأبنـــاءُ مـــا حضـــروا ... ولـــم يكـــن مـــنهمُ لـــلأم تـــأبين!

والقـــائمون علـــى الـــدار اســـتبد بهـــم ... شـــكٌّ تُغلـــفُ فحـــواه الأظـــانين!

هـــل هـــؤلاء بمـــا قـــد أحـــدثوا بشـــرٌ؟! ... واللهِ موعـــدُهم فـــي العِيشـــة الهُـــون!

جـــاؤوا لتقســـيم ميـــراثِ التـــي رحلـــتْ ... وكـــل فـــردٍ بـــإرث الأم ميمـــون

لا بـــد تلحقهـــم لعـــائنٌ وجبـــتْ ... أمـــا الجُســـومُ ستُضـــنيها الطـــواعين!

ربَّ الأنـــام انتصـــرْ مِـــن كـــل مُجتـــرم ... وأمـــرُك الأمـــرُ (كـــافٌ) بعـــدَه (نـــون)!

دينارٌ واحدٌ يكفيني!

(دخل رجل عجوز إلى المحكمة ليقدم شكواه ، فقال القاضي: شكواك ضد من؟ فقال العجوز: ضد ابني فلان! فنظر القاضي إلى من معه من القضاة مستغرباً كلام العجوز ، وسأله وما هي شكواك بالضبط؟ قال العجوز: إنني أطلب من ولدي مصروفاً شهرياً حسب استطاعته! فقال القاضي: وهذا من حقك على ابنك دون نقاش أو جدال. فقال الأب العجوز: يا حضرة القاضي ، رغم أني غني وغير محتاج إلى المال إطلاقاً ، إلا أنني أريد أن أخذ مصروفاً شهرياً من ابني! فاستغرب القاضي كثيراً ، وتعاطف مع الموقف ، وأخذ بيانات الابن واسمه وعنوان سكنه وأمر بإحضاره على الفور! فجيئ به ، واجتمع الابن بأبيه أمام المحكمة! وعندها توجهَ القاضي للابن سائلاً: هل هذا أبوك؟ قال: نعم سيدي القاضي ، إنه والدي! فقال له القاضي: هل تعلم أن أباك تقدم بشكوى ضدك يطالبك بمرتب شهري وبمبلغ زهيدٍ حسب قدرتك؟! قال الابن مستغرباً كيف يطلب مني مصروفاً وهو يملك الكثير ولا يحتاج نقود أحد؟! فقال القاضي: هذا طلب أبيك ، وهو حر فيما يطلب. فقال الأب العجوز: يا سعادة القاضي ، لو حكمتم لي بدينار واحدٍ في كل شهر سأكون سعيداً وهذا الدينتر يكفيني ، ولكن بشرط واحد! فقال القاضي: وما هو شرطك؟! فقال الأب: أن أقبضه من يده في أول كل شهر دون تأخير! فقال القاضي: نعم سيكون لك ذلك بكل تأكيد ، وأضمن لك تحقيق ذلك! فدعا الأب للقاضي بالصحة والتوفيق! وهنا أصدر القاضي حكمه على الابن قائلاً: حكمت المحكمة على فلان بإعطاء أبيه مصروفاً شهرياً وقدره دينارٌ واحدٌ فقط ، حسب رغبة الأب دون انقطاع ، على أن يكون هذا المصروف مدى الحياة ، على أن يُسَلم المبلغ من يد الابن ليد الأب مباشرة ، دون وجود أي وسيطٍ بينهما! وقبل أن يترك الأب والابن قاعة المرافعة ، قال القاضي للأب أمامإبنه: اسمح لي أن أسألك: لماذا فعلت ذلك ، وشكوت ابنك ، وطلبت مبلغاً زهيداً جداً ، رغم إنك غني ، ولست بحاجةٍ للمال؟ قال العجوز وهو يبكي بمرارة: يا سيدي القاضي ، إني أشتاق لرؤية ابني هذا ، وقد أخذته مشاغله الكثيرة مني ، ولا أراه أبداً ، رغم أن قلبي متعلقٌ به تعلقاً شديداً ، فهو لا يُكلمني حتى على الهاتف ، ولأجل أن أراه تقدمتُ بهذه الشكوى مكتفياً بلقاءٍ واحدٍ كل شهر ، فانهار القاضي ومن معه من البكاء والوجع ، وقال للأب: والله لو تكلمت بالسبب الحقيقي منذ البداية ، لأمرت بحبسه وجلده أيضاً! فقال الأب العجوز وهو يبتسم يا سعادة القاضي: وهذا الحكم سيؤلم قلبي أيضاً! ليت الأبناء يدركون حجم معزتهم في قلوب آبائهم قبل فوات الأوان! وليتهم يعلمون أن الأب جبل يحتمي به الأبناء! يسخن الماء لوالده بإلصاقه تحت فراشه بأحشائه! روى المعلى بن أيوب قال: سمعت المأمون يقول: "لم أر أبر من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بره بأبيه: أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بالماء الحار ، وكان في السجن ، فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلةٍ باردةٍ ، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم يسخن فيه الماء ، فملأه ، ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبحوا! حكى غير المأمون: أن السجان فطن لارتفاقه بالمصباح في تغيير الماء ، فمنعهم من الاستصباح في الليلة القابلة ، فعمد الفضل إلى القمقم مملوءاً فأخذه معه في فراشه ، وألصقه بأحشائه حتى أصبح وقد فتر الماء! قال الشافعي: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت أمي فإنها أحق الناس بحسناتي. وقال عامر بن عبد الله بن الزبير: مات أبي ، فما سألت الله ـ حولاً ـ إلا العفو عنه. وقال ابن عباس: من نظر إلى أباه شزراً فقد عقه. بعض الشباب والفتيات لا يراعون حق أبويهم ولا يرونه لازماً ، يرفعون أصواتهم على الأب والأم ، خاصة بعدما كبرا وضعفا واقتربا من القبر واحتاجا إلى العطف والبر ، أنكروا حقهما وجحدوا معروفهما ، ومن فضل الله تعالى أن بر الوالدين ، لا ينقطع عنهما أحياءً وأمواتاً. كتبت في هذا عن شاكي ابنه ، أقول:)

إن الـــــــــــــــدينارَ ســـــــــــــــيكفيني ... وابنـــــــي عـــــن رَغَـــــم يـــــأتيني

هـــــذا شـــــرطي ، وبـــــه أرضـــــى ... لا شـــــيءَ سِـــــواه سيُرضِـــــيني

ورفعـــــتُ الـــــدعوى مُقتنعـــــاً ودرســـــتُ أســـــاسَ المَضـــــمون

وســـــؤالُ القاضـــــي أحرجنـــــي إذ طعـــــنَ القلـــــبَ بســـــكين

وطرحـــــتُ مُبـــــرِّرَ تعقيبـــــي أسِـــــفاً بالـــــدمع المَقـــــرون

يســـــبقني عـــــزمٌ ممـــــتحنٌ لأب يُعلـــــي شـــــأن الـــــدين

وأســـــائلُ ولـــــدي عـــــن رَغَـــــب إذ تاهـــــتْ كـــــل عنـــــاويني

وَصْـــــلي أوَلـــــيس شـــــريعتنا وعُقـــــوقي لـــــيس بمســـــنون؟!

ولـــــدي ، مـــــاذا تعـــــرفُ عنـــــي عـــــن حـــــالي البـــــائس وشـــــؤوني؟!

هـــــل تعـــــرفُ مـــــاذا ينقصُـــــني لتُجامـــــل ترجـــــو تســـــكيني؟!

هـــــل تعـــــرفُ عـــــن وجعـــــي شـــــيئاً لتكـــــف عقوقـــــاً يكـــــويني؟!

هـــــل تعـــــرفُ مـــــاذا يُســـــعدُني؟! هـــــل تعـــــرفُ مـــــاذا يُشـــــقيني؟!

أنـــــا محتـــــاجٌ بعـــــضَ نقـــــودٍ لأحصِّـــــلَ حِصـــــة تمـــــويني!

دينـــــارٌ شـــــهرياً يـــــأتي هـــــذا الـــــدينارُ ســـــيكفيني

لكـــــن مِـــــن كفـــــك يـــــا ولـــــدي لأراك ، فتنشـــــرحُ عيـــــوني!

وأسَـــــرُّ سُـــــروراً يجعلنـــــي أزري ببلائـــــي وشـــــجوني

أتملـــــى مِـــــن طلعـــــة ولـــــدي ومُحَيَّـــــا يَـــــذهبُ بحُزونـــــي!

كـــــم كنـــــتُ أحـــــبُّ زيارتـــــه برضـــــىً ، لا نـــــصَّ قـــــوانين!

وعليـــــه فلـــــن أدعـــــوَ ربـــــي فيُجيـــــب دعـــــاءَ المَحـــــزون!

ربـــــاهُ فأصـــــلحْ لـــــي ولـــــدي! والأمـــــرُ بكـــــافٍ والنـــــون

بائعة الخبز التونسية!

(ألا إن قصة هذه القصيدة لقصة عجيبة حقاً! أما زمانها فيعود لأربعة عقودٍ مضت! وأما مسرح حدوثها فمدنٌ ثلاثة في تونس الخضراء: (تونس العاصمة – باجة – سوسة)! وأما عن الشخصيات فمعلم وتلميذته! يقول واحدٌ من المدرسين: كنت أدرِّس في مدرسةٍ ريفيةٍ في منطقةٍ نفزة ولاية باجة في تونس. وكل يوم كنت أشوف خارج الفصل الدراسي ، وتحديداً جنب الشباك بنتاً مسكينة وجميلة تغمرها براءة ، وراحت تبيع العيش (الخبز) لأمها كل صباح. حيث تخبزه الأم في دارها ، ثم تحمله البنت لتبيعه! وهذي البنت كانت قد تركت المدرسة هذه السنة بسبب الظروف المادية لعائلتها ، حيث عندها أربع أخوات صغيرات ، وأبوها توفي مخلفاً هذه اليتيمات وأمهن التي تأيمت على أطفالها ، وعلى هذا فالبنت تساعد أمها في مصاريف المعيشة وذلك ببيع العيش (الخبز) عند المدرسة. وفي يوم من الأيام ، كنت أشرح درساً في الحساب ، وبائعة العيش تتابعني من شباك الفصل وهي خارجه. سألتُ سؤالاً صعباً ، وخصصت له جائزة. وللأسف لا أحد من الطلبة ولا الطالبات عرف الجواب عليه. وفجأة نظرت خارج الصف من الشباك ، فوجدتُ بائعة العيش تؤشر بإصبعها من خارج الشباك وتصرخ: "أستاذ أستاذ" تسمح لي أن أجاوب على السؤال. فأذنتُ لها بالإجابة. فأجابت وكانت إجابتها صحيحة! ومن هذا اليوم راهنتُ عليها ، وتكفلتُ برعايتها وكل مصاريفها من مرتبي ، وعلى قدر ما أستطيع من حاجاتٍ بسيطةٍ تساعدها على التعليم. واتفقت مع مدير المدرسة على أن يسجلها ثانية ويعيد لها قيدها في سجلات المدرسة. وعندما خرجت نتائج الامتحانات كانت هي الأولى على المدرسة! وكمَّلت في نفس النهج بإشرافي اليومي ، إلى أن وصلتها بفضل الله للمرحلة الثانوية. وبعدها انتقلتُ لمسقط رأسي في مدينة سوسة. وانقطعتْ صلتي بيها لمدة 20 سنة. وبعد هذه الفترة الطويلة ، حدث أنني ذهبت مع صديق لي للعاصمة التونسية ، وكان عنده ابن يدرس في كلية الطب بتونس مع ابني ، فطلب مني أذهب وولدي معه إلى الجامعة. وبينما أنا في الكافتيريا ، وجدت امرأة شابة جميلة تحدق فيَّ بشوق واستغراب وحنين ، وملامح وجهها كانت قد تغيرت لما شافتني ، وأنا لا أدري لماذا تُحملق هذه المرأة فيَّ هكذا! سألت ابن صديقي إذا كان يعرفها ، وأشرت إليها خفية ، فقال لي: "أعرفها طبعاً ، هذي البروفيسورة التي تدرس طلبة كلية الطب." سألني: "أتعرفها يا عمي؟ " قلت: "لا والله يا بُني ، لكن نظراتها لي غريبة جداً! "وفجأة جرت المرأة نحوي ، وأقبلت عليَّ في سرعة مذهلة وهي تبكي بحُرقة ، وبصوتٍ لفت نظر كل اللذين في الكافتيريا! وظن الجميع أني والدها! وهي تبكي وتقول لي: "ألا تذكرني يا أستاذي؟ أنا البنت التي كانت حطام إنسانة ، وأنت صنعت منها إنسانة ناجحة! أنا البنت التي كنت أنت السبب في رجوعها للمدرسة ، وصرفت عليها من حُر مالك لحد ما وصلت للذي هي فيه الآن! وهذا بفضل الله تعالى أولاً وآخراً ، ثم بفضل رعايتك واهتمامك وموقفك الإنساني الفريد. أنا بنتك لمياء (بائعة العيش)! "وهنا كدت أقع على الأرض مغمىً عليَّ من دهشتي وشدة تأثري من جانب ، وفرحي بها من جانب آخر! والله ، بكيت كثيراً لما افتكرت ماذا كانت بالأمس وماذا أصبحت اليوم؟ وبعد ذلك رحبتُ بها ، وجلست معنا في الكافتيريا تشرب الشاي بالنعناع ، وتحكي لي عن مشوارها الطويل من لحظة ما تركتها وقريتها في الثانوية العامة إلى اليوم! ودعتني أنا واللذين معي ومجموعة من الزملاء لبيتها ، وأخبرت أمها وأخواتها وكل الموجودين عني ، وهي تتكلم عن المعلم الإنسان اللذي ساندهم وكان سبباً في تغيير مجرى حياتهم. وألقيت كلمة قلت فيها جملة واحدة وأنا أبكي: "لأول مرة في حياتي أشعر أني معلم وإنسان!" ومن هنا كتبتُ قصيدتي هذي وأعطيتُها عنوان: (بائعة الخبز التونسية) تلك التي كانت مثالاً في الاجتهاد والطموح والتصميم ، حتى بلغت مبلغاً عظيماً! فاستحقتْ بذلك قصيدة حلوة ، تحث على الطموح ، وترسم الطريق للمجتهديـــن!)

(لميـــــاءُ) أقصوصـــــة تســـــتلفتُ القـــــاري! وتســـــتحِقُ – وربـــــي – مَـــــنحَ (أوســـــكارِ)!

يـــا قِصـــة ثبتـــتْ فـــي كـــل مُصـــطدم ... وأثبتـــتْ أنهـــا تُـــزري بأوعـــار!

يـــا قِصـــة ذكَّـــرتْ قومـــاً لينتبهـــوا ... وأصـــبحتْ فـــي المعـــالي خيـــرَ تِـــذكار

يـــا قِصـــة (تـــونسُ الخضـــراءُ) تغبطهـــا ... علـــى الشـــجاعة لـــم تعبـــأ بأخطـــار

يـــا قِصـــة كُتِبـــتْ بـــالفخر أســـطرُها ... فاســـتأثرتْ فـــي الـــدنا بكـــل إكبـــار

يـــا غـــادة لـــم تُعَرقلهـــا أنوثتُهـــا ... بـــرغم مـــا لقِيـــتْ مـــن شـــر إحصـــار

ومـــا اســـتكانتْ لِمَـــا فـــي الـــدار مـــن إحَـــن ... فلـــم يكـــنْ همُّهـــا عِبئـــاً علـــى الـــدار

فـــي (باجـــةِ) الحُســـن لـــمْ يَـــزغ لهـــا بصـــرٌ ... وإنْ يَـــزغ حولهـــا كثيـــرُ أبصـــار

هـــذي اليتيمـــة قـــضَّ اليُـــتمُ مَضـــجعَها ... ولـــم يُصِـــبْ عزمَهـــا بـــأي إضـــرار

والخـــالُ والعَـــمُّ لا حِـــسٌ ولا خبَـــرٌ ... ولا قلـــوبٌ لهـــم ، بـــل صُـــمٌّ أحجـــار

لـــم يَكفلـــوا أســـرة (لميـــاءُ) عائلهـــا ... ومـــا لهـــا مَـــددٌ مـــن أي أجـــوار

هـــذي العِصـــامية المَضـــاءُ طابَعُهـــا ... وفـــي مَســـيرتها وَفيـــرُ آثـــار

لهـــا شـــقيقاتٌ الحيـــاةُ مـــا رحمَـــتْ ... لهـــن يُتمـــاً ، وتبقـــى رحمـــة البـــاري

يَصـــغرْنها أربـــعٌ ، والأمُّ بائســـة ... يَحْيـــين فـــي كُـــرَب تكـــوي وأكـــدار

مـــاذا عليهـــا ، وقـــد طمَّـــتْ بليتُهـــا؟! ... وكـــم يلـــوكُ اليتـــامي ذلَّ أمـــرار!

خَلـــتْ دِراســـتَها فـــي بـــاح مدرســـةٍ ... وآثـــرتْ ســـعيَها بكـــل إصـــرار

تبيـــعُ خبـــزاً ، ولا تحيـــا تمُـــدُّ يـــداً ... مَـــدُّ الأيـــادي يُصِـــيبُ الـــنفسَ بالعـــار

وعينُهـــا ترقـــبُ الـــدروسَ عـــن كثـــب ... والأذنُ تُنصِـــتُ للمقـــروء والقـــاري

نوافـــذ الصـــف لـــم تغلـــقْ لتمنعَهـــا ... مِـــن التصـــنت بـــين الجـــار والجـــار

وكـــان درسُ حســـاب تســـتلذ بـــه ... وللمعلـــم شـــرحٌ يبلـــغ الســـاري

وراحَ يســـألُ طلابـــاً لـــه حضـــروا ... فلـــم يُجيبـــوا ، فنـــادى: أيـــن حُضـــاري؟!

فـــزاد: عنـــدي لمـــن يُجيـــبُ جـــائزة ... فحـــاولِوا ، وأنـــا أدلـــي بأفكـــاري!

واســـتأذنتْ خـــارج الشـــباك طالبـــة ... لمَّـــا تعُـــدْ بيـــنهم لـــبعض إعســـار!

فصـــاح: قـــولي وهـــذي بعـــدُ جـــائزتي ... هـــذي الخيـــارات يـــا (لميـــاءُ) فاختـــاري

حتـــى أجابـــتْ فنالـــتْ خيـــرَ جـــائزةٍ ... ورُحـــتُ أســـألُ فـــي شـــوق وإنكـــار

مـــا سِـــر هـــذي أجيبـــوني بـــلا كـــذب؟! ... يُـــزري بعالمنـــا غمـــوضُ أســـرار!

قـــالوا: المصـــاريفُ غـــولٌ لـــيس يَصـــرَعُه ... إلا الـــــذي مالـــــه دُرٌ بقِنطـــــار!

قـــال: النقـــودُ أنـــا لكـــم ســـأدفعُها ... خَصَصـــتُ (لميـــاءَ) يـــا قـــومي بإيثـــاري

وعـــادتِ الغـــادة العصـــماءُ يَســـبقها ... حَنـــينُ عـــزم لـــه شـــديدُ إقـــرار

أن تبـــذل الجهـــدَ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... وأنْ تُفاجئنـــا بخيـــر أخبـــار!

حتـــى إذا انتظمَـــتْ فـــي الـــدرس وانطلقـــتْ ... وأخلصَـــتْ دِينهـــا وقـــولَ أذكـــار

كانـــت نتيجتُهـــا الأولـــى بـــلا حَسَـــدٍ ... فـــي مركـــز أول فـــي عامهـــا الحـــالي

حتـــــى إذا وصـــــلتْ لثانويتهـــــا ... غـــادَرْتُ قريتهـــا ، أنهيـــتُ مشـــواري!

وجئـــتُ (سُوسَـــة) يَحـــدُوني الحنـــينُ لهـــا ... تضـــمُّ أهلـــي وخِلانـــي وأصـــهاري!

مكثـــتُ عشـــرين عامـــاً لا أتابعُهـــا ... وعـــاقني بُعـــدُ بُلـــدان وأمصـــار

مـــا بـــين (سُوسَـــتنا) و(باجـــةٍ) أمَـــدٌ! ... ولـــم يكـــنْ لـــي إليهـــا أي أســـفار

أخبـــارُ (لميـــاء) عنـــي هكـــذا انقطعـــتْ ... لـــو بـــاعَ أخبارَهـــا فـــردٌ أنـــا الشـــاري!

وجـــاءني ابنـــي ، وأغرانـــي بمُقتـــرح ... فقـــال: تصـــحَبني بـــدون أعـــذار!

(كُليَّـــة الطـــب) تأتيهـــا تُنوِّرُهـــا ... حتـــى أفـــاجئهم بســـر أنـــواري!

فقلـــتُ: أذهـــبُ هـــذي (تـــونسٌ) ، وكفـــى ... عَلّـــي ألاقـــي بهـــا عَتيـــقَ سُـــمَّاري!

جلســـتُ فـــي (الكافتريـــا) أســـتعيدُ صَـــدَىً ... لخيـــر طـــور مضـــى مِـــن جُـــل أطـــواري

وحَملقـــتْ فـــيَّ – يـــا للخجلـــة - امـــرأة ... إلـــيَّ قـــد لفتـــتْ عجيـــبَ إنظـــار

وقـــد عجبـــتُ لهـــا تُطِيـــلُ نظرتهـــا ... هـــل أخطـــأتْ نظـــراً؟ أم سُـــوءُ إضـــمار؟!

هنـــا تســـاءلتُ: مَـــن هـــذي؟ أنـــا حَـــذِرٌ ... فهـــل تُفيـــدُ فـــؤاي بعـــضُ أحـــذاري؟!

فقِيـــل: هـــذي؟ أجَـــلْ ، إنـــا لنعرفهـــا ... مشـــهورة شُـــهرة زيـــدتْ بإشـــهار!

(برُوفيســـورَتُنا) نـــارٌ علـــى عَلَـــم ... كمـــا يقولـــون! هـــل علمـــت بالنـــار؟

فـــي الطـــب عالمـــة لا يُســـتهانُ بهـــا ... والطـــبُّ (كـــارٌ) ، وذي مليكـــة (الكـــار)!

وأقبلـــتْ تحمِـــلُ البُشـــرى ، وتســـألني ... ألســـت تـــذكرُني يـــا خيـــرَ أقمـــاري؟!

فقلـــتُ: لا ، وأنـــا فـــي الـــرُّزء مُنجـــدلٌ ... وفـــوق رأســـي رســـا ثقيـــلُ أوقـــار

مَـــن أنـــت؟ قالـــت: أنـــا حُطـــامُ ضـــائعةٍ ... وأنـــتَ أنقـــذتها مِـــن شـــر أوضـــار!

والـــدمعُ يغمـــرُ عينيهـــا وراحتهـــا ... يَســـيلُ منحـــدراً يُـــزري بأنهـــار

وأكملـــتْ زبـــدة التعريـــف قائلـــة: ... أنـــا التـــي عُلتُهـــا فـــي عمـــر أزهـــار

أنـــا التـــي بعـــتُ خبـــزي أســـتعينُ بـــه ... علـــى بـــلاءٍ غـــزا فـــي محنـــةٍ داري

ســـخرت مالـــك طوعـــاً كـــي تُعلمنـــي ... أنـــا المَدينـــة مـــن رأســـي لأظفـــاري!

واليـــوم فـــي (الطـــب) لـــي مكانـــة عظمـــتْ ... والســـعي ســـعيٌ عظـــيمٌ مُجهـــدٌ ضـــاري

(لميـــاءُ) مـــا نسِـــيَتْ بـــانيْ شـــرافتها ... وللتصـــدُّق أجـــرٌ ثابـــت جـــاري

لـــو كنـــتُ شـــاعرة نظمـــتُ ماضـــيَنا ... قصـــيدة نظمُهـــا مِـــن خيـــر أشـــعار

أو كنـــتُ كاتبـــة كتبـــتُ قِصـــتنا ... نثـــراً يفـــوقُ بهـــا جميـــع أنثـــار

حتـــى إذا فرغـــتْ مِـــن حُـــرِّ خطبتهـــا ... بكيـــتُ مُســـترجعاً لطيـــفَ أقـــداري

وجهـــزتْ دعـــوة طابـــتْ وليمتهـــا ... بـــدون ســـابق إعـــلام وإنـــذار!

دعـــتْ إليهـــا لفيفـــاً عَـــز مَعشـــرُهم ... وأعلمَـــتْ قومَهـــا بكـــل إكبـــار

ونـــاولتْني مِـــن التقـــدير أشـــرفه ... ومِـــن تحايـــا لأهلـــي نصـــفَ قِنطـــار!

وقلـــتُ ســـاعتها قـــولاً أتِيـــهُ بـــه ... وســـوف يُـــذكرُ بعـــدي بضـــعَ أدهـــار

أنـــا المعلـــمُ ، والتعلـــيمُ يشـــهدُ لـــي! ... أقـــول ذلـــك عـــن وعـــي وإقـــدار!

رَعـــاكِ ربُّـــك يـــا (لميـــاءُ) مـــا ســـطعتْ ... شـــمسٌ بضـــوءٍ ، وعمَّتْنـــا بـــأنوار!

الموسوعة العالمية أدب!

(الموسوعة العالمية للشعر العربي ، أو الموسوعة العالمية أدب ، أو (اختصارًا: أدب) هي موقع على شبكة الإنترنت ، يهتم بالأدب العربي والشعر العربي خصوصًا ، ويحتوي على قصائد شعرية من العصر الجاهلي القديم ، وكذلك على دواوين العرب الشعرية القديمة والحديثة! وكانت قد بدأت مسيرتها الشعرية الأدبية المباركة الميمونة منذ عام 2000م! وقد قسم إلى أربعة أقسامٍ رئيسية وهي: (الشعر العربي الفصيح - الشعر العامي باللهجة العامّية لكل بلد - الشعر العالمي مُصحّحًا للعربية - الشعر العربي مترجمًا للغة الإنجليزية - وينقسم الشعر العربي الفصيح إلى قسمين:- الشعر العربي القديم: ويشمل هذا القسم الشعر العربي القديم في عصوره المختلفة ، عبر أربعة أقسام رئيسية: شعراء العصر الجاهلي - شعراء العصر الإسلامي - شعراء العصر العباسي - شعراء العصر الأندلسي! وأما دار أدب للنشر والتوزيع – فهي مبادرة دار أدب للنشر والتوزيع ، متخصصة في قطاع الترجمة ، والنشر والتوزيع ، وتهتم بالتنمية الوعي والفكر الإنساني! وكنتُ قد نشرتُ في الموسوعة العالمية للشعر العربي ما يقارب ال 1880 قصيدة! فاستحييت من نفسي أنني لا أخصها بتحيةٍ هي محاولة لرَدِّ جميلها علي! وفقها الله تعالى وجزى القائمين عليها خيراً كثيراً! فكانت قصيدتي هذي التي تحمل اسم الموسوعة عنواناً لها ، هي تحيتي الشعرية للدار وللقائمين عليها! فمن مجد إلى مجد! ومن تطور إلى تطور ، ومن عز إلى عز ، يا موسوعتنا العالمي (أدب) تحياتي!)

(موســـوعة الأدب) القـــريضُ بـــكِ اختضَـــبْ ... وإليـــكِ فـــي شـــوق المُحبـــين انجـــذبْ

ورآكِ داراً تستضـــــــــــيفُ طيوفـــــــــــه ... فحَلـــتْ لـــه الأنســـامُ يَحـــدُوها الطـــرب

والنشـــــرُ داعبَـــــه ، وأذهـــــبَ وَجْـــــدَه ... لمَّـــا يعُـــدْ يشـــكو الـــبلا ، أو ينتحـــب

كـــــم أزه فـــــرط الرقـــــاد مُجنـــــدلاً! ... كـــم بـــات مـــن فـــرط العـــذاب لـــه حَـــدب!

كـــــم هـــــدَّه التفكيـــــرُ فـــــي أحوالـــــه ... والعائـــــداتِ لهـــــا الـــــتمكنُ والغلـــــب!

كـــــم كابـــــدَ العقبـــــاتِ تُـــــوهِنُ عزمَـــــه! ... ويُســـائلُ العقبـــاتِ دومـــاً مـــا الســـبب؟!

كـــــم عرقلتْـــــه عـــــن الظهـــــور مكائـــــدٌ ... ودَهتْـــــه منهـــــا بالتعَنـــــتِ والكُـــــرَب!

وطوتْـــــه أوهـــــامٌ تـــــروحُ وتغتـــــدي ... وعليـــه عَـــز - مِـــن المواجهـــة - الهـــرب

كـــــم زار دُورَ النشـــــر ينشـــــدُ عطفهـــــا! ... ولـــدى ولاة الأمـــر قـــد عـــز الطلـــب!

فـــأوى إلـــى (التوزيـــع) يختصـــرُ المـــدى ... لكـــنْ لأمـــر غـــمَّ لـــم يُقـــضَ الأرب

فشـــكا إلـــى أهـــل الطباعـــة حالـــه ... لكـــنْ لهـــم مكـــرٌ يُغلفـــه اللعـــب

وتنكّـــروا لمَّـــا رأوا صِـــدقَ الفتـــى ... مـــاذا يُفيـــدُ الصـــدقُ أربـــابَ الكـــذب؟!

(موســـــوعة الأدب) الرفيـــــع تحيـــــة ... يـــا مَوئـــلَ العِلـــم المُحَقـــق والأدب!

شـــرُفتْ بـــكِ الأشـــعارُ إذ قـــدَّمْتِها ... للنـــاس تأخـــذ بـــالنواظر كالـــذهب!

قـــدَّمْتِها شمســـاً لتُشـــرق فـــي الـــدجى ... تُزجـــي اليقـــينَ ، ولا تُهـــدِّدُها الرِّيَـــب!

لـــم تُبـــدِ مـــن ضِـــيق ، ولـــم تتململـــي ... والنشـــرُ مَحفـــوفٌ بـــألوان النصـــب

والأجـــرُ عنـــد الله غيـــرُ مُضـــيَّع ... لا يخـــذلُ الـــرحمنُ عبـــداً يحتســـب!

والشـــعرُ عنـــدكِ قـــد تركـــتُ أمانـــة ... إنـــي أخـــافُ عليـــه مـــن أن يُنتهـــب

صُـــونِيهِ مِـــن مُتطـــاول أو ناحـــل ... وتعقبيـــه إذا تجـــرَّأ واقتـــرب

أبقـــاكِ ربـــكِ للقـــريض مَنـــارة ... وغـــدوتِ ذخـــراً لا تُعَرقلـــه النـــوَب!

والقـــائمون عليـــكِ أكْبِـــرُ ســـعيَهم ... فجمـــيعُهم نشـــروا القصـــيد كمـــا يجـــب

نهضـــوا بمـــوقعهم نهوضـــاً بالغـــاً ... مَـــن زاره يومـــاً تمتـــعَ ، وانجـــذب

فالشـــعرُ مِـــن كـــل العصـــور مُرَصَّـــعٌ ... مِثـــلُ اللآلـــيء تُقتنـــى أو تُرتغـــب

والموقـــعُ اتســـعتْ لنـــا صـــفحاتُه ... والشِّـــعرُ بالزينـــات رَحَّـــب واختضـــب!

(موســـوعتي) بُوِّئـــتِ أســـمى مَنـــزل ... ووقـــاكِ ربـــك مَـــن يَكِيـــدُ ويحتـــرب

وحمـــاكِ ربـــك مِـــن تســـلط حاقـــدٍ ... أحقـــادُه تكـــوي وتحـــرقُ كاللهـــب

يـــا (عالميـــة) لا تُبـــالي بالغثـــا ... وهُـــراؤهم يومـــاً علـــيهم ينقلـــب

ولـــكِ احترامـــي ، والفخـــارَ أزفـــه ... شِـــعراً يَفـــوقُ صـــدى الخطـــب

يـــا ربِّ باركْهـــا ، وبـــاركْ جُهـــدَها ... لتكـــون مَفخـــرة الأعـــاجم والعـــرب!

أول القصيدة كُفر!

(يُحكي أنه في عصر الدولة الفاطمية بمصر في زمن حُكم المعز لدين الله الفاطمي ، وعندما وطأت قدمه أرض مصر ، مدحه الشاعر الأندلسي ابن هانئ بقصيدةٍ لينال عطية منه قال في مطلعها الكفري الشركي:-

مـــا شِـــئت ، لا مـــا شـــاءت الأقـــدارُ! فـــاحكم فأنـــت الواحـــدُ القهـــارُ

وكأنمـــــا أنـــــت النبـــــي محمـــــدٌ وكأنمـــــا أنصـــــارُك الأنصـــــار

أمعـــــز ديـــــن الله إن زماننـــــا بـــك فيـــه بـــأوٌ - جـــلَّ - واســـتكبار

هـــا إن مصـــر غـــداة صـــرت قطينهـــا أحـــرى لتحسُـــدها بـــك الأقطـــار

ولما سمع المصريون القصيدة والتي بها العديد من المبالغات الكفرية في مدح المعز ورفع مرتبته لدرجة الذات الإلهية ، قالوا في صورة ساخرة: (أول القصيدة كفر). وبذلك سار مثلاً نقوله عندما يبدأ شخص ما كلامه بشئ غير منطقي ، فيرد عليه الآخر معترضاً: أول القصيدة كُفر! وفي محاضرة عنوانها: (مقدمات عن الشعر العربي) يقول الأستاذ حامد الطاهر ما نصه بتصرف: (هناك علاقة وثيقة بين الشعر والفكر ، أو بالأحرى دور الفكر فى الارتقاء بمستوى الشعر . والواقع أن قصيدة خالية من الفكر ، أو حتى من لمسة بسيطة منه ، لن تكون أكثر من صرخة فرح ، أو نوبة بكاء ، أو انفجارة غضب ، أى مجرد انفعالات متناثرة يطلقها إنسان فى حالة غير طبيعية. أما الفكر فهو الذى يضبط عشوائيه الانفعالات ، ويجعلها تتماسك فى بناء فنى يجعل منه نمطاً إنسانياً يتشارك فيه مع الشاعر كل من يتلقى قصيدته ، ويكون قد مرّ بنفس التجربة التى مرّ بها. وقد قارن أحد النقاد بين شعراء اللفظ ، وشعراء الفكرة فقال ساخرًا: إن شعراء الألفاظ وحدها يغارون. تماماً كما تغار الزجاجات الفارغة من الزجاجات الممتلئة! وقال نيتشه: إن الشاعر يحمل منتصراً أفكاره فى عربة الإيقاع ، لأن هذه الأفكار في العادة لا تستطيع أن تمشي على قدميها. وقال بول فالبرى: إن الشاعر الحقيقى هو الذى تنبع أفكاره من خلال المعاناة المرتبطة بفنه الشعري. وأخيرًا يقول كومبرسون: إن أبيات القصيدة عبارة عن زنزانات فى سجن ، توجد الأفكار داخلها فى خزائن! ونسأل ونجيب: ما هو دور الشعر فى حياة الناس؟ من الممكن جدًا أن يعيش بعض الناس ، بل الكثير منهم بدون الشعر. فهو ليس خبزًا يومياً ، لكنه يمثل لطائفة من الأفراد ، فى كل العصور والمجتمعات – قدرًا من الإمتاع الذى يتمثل فى روح المشاركة. فأنت عندما تجلس فى رحلة قطار أو طائرة بجوار شخص ، من أى مكان فى العالم ، وتكون لديه بعض أفكارك وتصوراتك تحسُّ بقدر كبير من الراحة ، بل من السعادة. ونفس الأمر يحدث عندما تقرأ أو تستمع إلى قصيدة شاعر من بلدك ، أو حتى من أى مكان فى العالم ، ثم تجده قد صور فيها شعورًا مر بك ، أو إحساسًا عانيته يوما ، أو فكرة جميلة طافت برأسك ذات مرة – فإنك تنجذب إلى تلك القصيدة ، ويسعدك أن تكررها مرارًا! لكن كما يكون بعض الشعر رقيقًا وناعمًا ، تقرأه وأنت فى سريرك قبل النوم ، يمكنه أيضًا أن يكون وحشياً وثورياً (وهذا ما يخيف منه السلطات) وكم استمعنا وشاهدنا بعض الهتافات (الشعرية) التي كانت تتردد فى مختلف ميادين بقعةٍ ما ، وهى بإيقاع موزون ، وذات قافيه محكمة ، وكيف

كانت الملايين ، وليس الآلاف ، ترددها بحماس وإصرار حتى تحققت مطالبهم بإسقاط الواقع البئيس الصارم ، الذى استمر لمدة ثلاثين عاماً. وفي اعتقادى أن الذين صاغوا تلك الهتافات هم شعراء على مستوى عال من الشاعرية ، ومشكلة النقاد عندنا أنهم لا يلتفتون إليهم ، ويتركونهم يغيبون فى زحمة الأحداث دون أن يسجلوا أسماءهم وأعمالهم في صفحة ناصعة من التاريخ الأدبى للوطن).هـ. وأنا كمصري استهجنتُ ما قاله ابن هانيء في المعز الفاطمي العبيدي المُتشيع الخبيث ، غير أن استِهجاني أخذ عنوان: (أول القصيدة كفر) والذي استلهمتُه من قومي المصريين ، وصُغتُه شعراً يحمل مثلَ الكلمة التي قالوها يصفون بها نص ابن هانئ الأندلسي! وأعوذ بالله تعالى من ابن هانيء ومن أبياته الكفرية التي قالها ، وأصحح المفاهيم!)

مـا شـاء ربـك ، لا مـا شـاء مَـن خلقـا! والحُكـمُ حكـمُ الـذي عِبـادَه رَزقـا!

قـولُ (ابـنِ هـانئَ) كُفـرٌ لا اعتـدادَ بـه وفـي ثنايـاه إنْ حققـت فيـه شَـقا

ولا يُـرَدِّدُه فـي النـاس ذو رَشَـدٍ إلا إذا بـات بالإسـلام مرتزقـا

أفتـى خُزعبلـة ، والشـعبُ ضـاقَ بهـا ذرعـاً وذاع علـى المسـحور بعـضَ رُقـى

إذ لا يقـولُ الـذي يقـول مُتـزنٌ فـي قلبـه لمليـك النـاس أيُّ تقـى

ولا يُقِـرُّ بهـذا الكفـر ذو خلـق إلا إذا وَدَّعَ الإيمـانَ والخلقـا

إن العقيـدة تُعلـي مَـن يعـيشُ لهـا وينصـرُ الحـق مَـن مِنهاجـه اعتنقـا

وصـاحبُ الـدين لا تلقـاهُ مُنبطحـاً بـل فـارسٌ ضـربٌ يُصـارعُ النزقـا

مَـن يَرْقـعُ الـدين بالـدنيا أسـيرُ هـوىً وكيـف يُفلِـحُ ذو عقـل إذا فسـقا؟!

ولا يُفـرِّط شَـهمٌ فـي شـريعته لأنـه لهُـدى تطبيقهـا خلِقـا

ولا تهـونُ علـى ذي الحـق عِزتـه وإن غـدا جسـمه فـي صَـونها مِزقـا

يَسـتعذبُ الحُـرُّ مـا يُؤذيـه مـن مِحَـن ولا تـراه إذا حَـلَّ البلا فرِقـا

وذو المبـادئ لا تُلـوى عزيمتُـه يبقـى عزيـزاً ، وإلا فالحِمـامُ بَقـا!

والشـاعرُ الحـقُّ مَـن سَـمَتْ مَناقِبُـه ولا يعـيشُ لجَمـع المـال مُسـتبِقا

فكـم تحـدَّى لكـي ترقـى قضـيته! وكـم لنصـرتها حُسـامَه امتشـقا!

وكـم أبـانَ مفاهيمـاً ووضـحها لأن فـي عقلـه لبسـطها أفقـا!

وكـم تعقـبَ أخبـاراً ، وحققهـا! وعـابَ ناشـرَها ومـن بهـا وثقـا!

وكـــم تكبَّـــدَ آلامـــاً ، وغـــصَّ بهـــا! وكـــافحَ الجهـــلَ والإعـــراضَ والخرقـــا!

وكـــم ترفـــعَ عـــن دنيـــا تُســـربله! وغيـــرُه فـــي دجـــى بحورهـــا غرقـــا!

وكـــم تحمَّـــلَ تهديـــداتِ ذي سَـــفهٍ وصَـــهدَ نـــار علـــى شـــفيرها احترقـــا!

وكـــم تلظـــى بتضـــييق الألـــى حكمـــوا! فهـــل زنـــى يـــا ولاة الأمـــر ، أو ســـرقا؟!

وحـــاكموه علـــى الأشـــعار أنشـــدَها تُحِـــق حقـــاً ، ونِعـــم الحـــقُ مُرتفقـــا!

ونـــاولوه مـــن الإقصـــاء حِصـــته فجابـــه النفـــيَ والتشـــهيرَ والمِشَـــقا

وأســـلموه إلـــى التهمـــيش كـــبشَ فِـــدا عمـــداً. فقاســـى الضـــنا والكبـــت والقلقـــا

والشـــاعرُ الســـاقط المـــرذولُ بُغيتُـــه مـــالٌ ، ليُكسِـــبَه قريضُـــه حـــذقا

لا يُنشِـــدُ الشـــعرَ إلا أن ينـــال بـــه دراهمـــاً جعلـــتْ لســـانه لبقـــا

يُطـــوِّعُ الشـــعرَ للطـــاغوت مفتخـــراً ولـــيس يَخجـــلُ لـــو حِـــذاءَه لعِقـــا

وقـــد يُؤلهـــه بـــلا مؤاخـــذةٍ وإنْ يُراجَـــعْ علـــى مَـــن راجـــعَ انحمقـــا

يقـــول: مـــا شـــئت لا مـــا شـــاء خالقنـــا والحكـــمُ حكمُـــك لا تســـتعتِبِ الفرَقـــا!

والصـــحبُ صـــحبُك أتبـــاعٌ لقائـــدهم وبـــايعوك ، وصـــاروا بعـــدها حِلقـــا!

أنـــت النبـــيُّ ، وهـــم أنصـــارُ أســـوتهم وكـــل فـــردٍ علـــى تمكينـــك اتفقـــا

مثـــل (ابـــن هـــانئ) والتـــاريخ ســـجَّلها يَـــذرُّ فـــي نصـــها التغييـــرَ والحَنقـــا

وإن (أندلســـاً) تأســـى لكبوتـــه وســـاء شـــعراً غفـــا! وســـاء منطلقـــا!

ومنـــك (أنـــدلسُ) القصـــيد قـــد بَرئـــتْ تـــراك عبـــداً مـــن التوحيـــد قـــد مرقـــا!

وســـوف تلقـــى بمـــا نظمـــت خالقنـــا ولـــن يَطيـــب بمـــا جازفـــت فيـــه لقـــا!

وســـوف تنـــدمُ أن ألهـــت مُبتـــدعاً فـــؤادُه لـــم يكـــن يحظـــى بـــأي نقـــا!

يهـــوى التشـــيُّعَ مُعتـــزاً بباطلـــه وفـــي الضـــلال لـــه بـــين الـــورى رُفقـــا!

الشعر لا يقتات به!

(كم سألني أولادي وأصدقائي والراسخون في معرفتي: ماذا استفدت من الشعر؟ كم عاد عليك من المال بشعرك؟ كم ربحت من المكاسب من الدواوين والأمسيات الشعرية وتحقيق الكتب؟ ولا أحري جواباً سوى: الأجر عند الله موفور ومدخر يا قوم! والشعر يا أحبابنا ليس مهنة ولا حرفة ، إنما هو رسالة! وكل شاعر تاجر بشعره ، خرج شعره متصنعاً متكلفاً في عمومه ، ليس يحمل رسالة ولا يصحح مساراً ولا ينقد واقعاً ولا يرسم صورة مثلى للحياة والأحياء! مقال للأستاذ عبد العزيز جويدة يقول فيه: (في كل لقاءٍ يَجمعُني بفصيل من الشعراء الشباب أقول لهم ، ومازلت أكرر مقولتي لهم ، بأن كتابة الشعر في العالم العربي ليست من مصادر الرزق ، ولكن الشعر لدينا من باب الترفيه ، وكل من راهنوا على أن يكون الشعر مصدر قوت يومهم ولقمة عيشهم خسروا خسارة فادحة ، وكرهوا الشعر ، وكرهوا الحياة ، وعاشوا وماتوا فقراء ، وأصبح الشعر مصدر تعاستهم وفقرهم! فلا تتعاملوا مع الشعر بمبدأ الوظيفة! فالذين كانوا أعظم منكم موهبة قتلهم الفقر وقتل موهبتهم! فالشعر يحتاج إلى من ينفق عليه ، مثل كل طيور الزينة. الشعر يحتاج إلى سقف لا نهائي من الحرية. وحرية الشاعر لا تتأتى إلا بالتحرر من قيوده المادية ، كي لا تذله الحاجة ويقهره العوز في هذا الزمن الصعب للغاية! ذلك لأنك لن تستطيع أن تُبدع وأنت جائع ، ولا وأنت رهين المحبسين: الفقر والمرض! والحرية المادية لها حدٌ أدنى ، إن لم يتوفر تُصبحُ حياة الشاعر كلها أزماتٍ متصلة! والشاعر المتأزم بصفةٍ مستمرةٍ يفقد ذاته شيئاً فشيئاً ، ويفقد شهية الكتابة ومتعة القراءة ، وتتصلب فيه شرايين الحب ، ويتقوقع ذاتياً ، ويزهد في مخالطة الناس ، لأن الفقر هو أسرع طريق للشيخوخة المبكرة للقلوب ، وعندما يشيخ القلب تتعطل الحواس ، وتصيب المبدع بلادة في الشعور ، وتتكرر صوره وكلماته وأوجاعه فلا جديد لديه ، لأن المَعين يَنضب والروافد تجف والمياه تغيض ، فيصبح الشاعر ناقماً على الحياة وكارهاً للجميع. وتذكروا دائماً مقولة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (لو كان الفقر رجلاً لقتلته)! وإياك أيها الشاعر الشاب في لحظة ، أن تتوقع أن جائزة ما في مسابقةٍ ما ستُغنيك وتُؤمن مستقبلك! فعشراتٌ قبلك حصلوا على الجوائز ، ولم يبق منهم شيئٌ: لا الشعر ، ولا الجائزة! فعليك بالعمل والجد والاجتهاد والصبر ، والمواصلة في أي عمل شريفٍ تُحبه وتتكسب منه ، فمعظم الشعراء الشباب لا يعملون عملاً منتظماً بحجة أنهم يتفرغون للشعر! والحقيقة أنهم يجلسون على المقاهي ليل نهار يصبون جام غضبهم على الظروف والحظ ، ويوزعون أحقادهم على بقية شعراء جيلهم ، ويحددون من يستحق ومن لا يستحق ، ويظل كل منهم ينفخ في نفسه على الفاضي والمليان ، بأنه شاعرٌ لن يجود الزمان بمثله ، على أساس أن كلمة شاعر هذه جعلتْه من علماء وكالة ناسا الفضائية! يا سيدي إذا أردت أن يكون لك أسرة تُنفق عليها ، وأولادٌ تُعلمهم ، وحياة سوية مثل كل الأسوياء ، فعليك بالعمل من أجل هذا الحلم! وأوصيك بالعمل الشاق ، والتصميم على النجاح ، وتحقيق الهدف! وأما إذا كنت تتوقع أن شاعريتك مهما بلغت ستُحقق لك حد الكفاف من العيش نظيرَ مبيعات دواوينك ، فأنت مخطئ! وستدفع ثمن هذه الغيبوبة التي يجب أن تُفيق منها حالاً أيها الموهوم!) وتحت عنوان: (التكسب بالشعر) قال الشيخ المنجد ما نصه بتصرف:- (إذا كان أصل العمل مباحاً جاز التكسب به من حيث الأصل ، ولا ينتقل إلى الحُرمة أو الكراهة إلا لعارض! وقد نص الفقهاء رحمهم الله على أن حكم التكسب بالشعر فيه تفصيل! فإذا كان الشاعر يتكسب بالشعر من خلال إرهاب الناس بهجائه ، أو قدحه في أعراضهم ، وإنما أعطاه الناس أموالهم درءاً لشره وكفاً للسانه: فهذه الأموال المتحصلة هي من السحت الحرام! أما إذا كان شعراً مباحاً أو مندوباً ، وتحصَّل الشاعر على بعض المال بسبب شعره: فهذا لا حرج عليه فيه ولا بأس! عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَرْجِ ، إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ - لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا) رواه مسلم. وقال الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله: "إنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفعل مع هذا الشاعر ، لِمَا علمَ من حاله ، فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عُرف من حاله أنه قد اتَّخذ الشعر طريقًا للكسب ، فيُفرط في المدح إذا أعطي ، وفي الهجو والذمِّ إذا مُنع ، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم". ولا خلاف في أن كل من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام ، وكل ما يقوله حرام عليه من ذلك ، ولا يحل الإصغاء إليه ، بل يجب الإنكار عليه ، فإنَّ لم يمكن ذلك: فمن خاف من لسانه تعيَّن عليه أن يداريه ما استطاع ، ويدافعه بما أمكن ، ولا يحل أن يعطيه شيئًا ابتداء ؛ لأنَّ ذلك عون على المعصية ، فإن لم يجد من ذلك بدًّا أعطاه بِنِيَّة وقاية العِرض ، فما وقى به المرء عرضَه كُتب له به صدقة". انتهى من المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم. ويقول أبو عبد الله القرطبي رحمه الله: قال ابن حبيب: "لا بأس بالإجارة على تعليم الشعر والرسائل وأيام العرب ، ويكره من الشعر ما فيه الخمر والخنا والهجاء". انتهى باختصار من الجامع لأحكام القرآن. وجاء في "رد المحتار" من كتب الحنفية: "ومن السُّحت ما يأخذه شاعرٌ لشعر ؛ لأنه إنما يدفع له عادة قطعاً للسانه. فلو كان ممن يؤمن شره فالظاهر أن ما يدفع له حلال ، بدليل دفعه عليه الصلاة والسلام بُردته لكعب لمَّا امتدحه بقصيدته المشهورة".) انتهى. وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله السؤال الآتي: هل يجوز التكسب من الشعر؟ فأجاب بقوله: "إذا كان الشعر مباحاً ، طيباً ، في مصالح المسلمين ، المؤلف يبيعه ويكتسب ، مثل: شعر في الآداب الشرعية ، شعر في الأحكام ، شعر في الصناعة المباحة ، ويبيعها ، فلا بأس ، مثلما تباع الكتب المؤلفة". انتهى. والناقد الأدبي الكبير الأستاذ نوار الماغوط يقول في هذا الصدد ما نصه بتصرف: (المعروف عن العرب في قديمهم الذي وصلنا ، أنهم أباة ، ويفضّلون الغزو والتجارة بل ويفضلون الغزو والموت على حالة الجوع. ولكن عوامل القحط وانصراف الناس إلى التجارة والغزو جعل هناك فرقاً بين الناس ، فمنهم من يملك الماشية ، ومنهم لا يمتلكون شيئاً سوى مهنة الرعي! وهنا نشأ أفراد يجود على الفقراء يُطلق عليهم صفة الكرم ، وفي المقابل نشأت جماعات استفادت من هذا الكرم وتغنّت به وشكرت صاحبه ، ثم تطور هذا الشكر بمرور الأيام إلى ما يُعرف بشعر المديح ، فبعد أن كان الشاعر يشكر الكريم لأنه مد إليه أو إلى جماعته يداً بيضاء ، أخذ يمدحه مقدمًا لينال من يديه ، وانقلب الشعر من الوفاء والشكر إلى المديح والاستجداء ، سواء مدح بما فيه من صفات إلى ما ليس فيه ، وتشكّلت ظاهرة ما يُعرف بشعراء التكسّب! وشعراء التكسّب في العصر الجاهلي. وبدأت مسيرة شعراء التكسّب بالنابغة الذبياني والأعشى ، وظهرت في أقبح صورها عند الحطيئة ثم انتظمت الآفاق ولا تكاد تلقي عصاها حتى يومنا هذا. فالنابغة تكسّب مالاً كثيراً من النعمان بن المنذر حتى كان أكله وشربه في صحاف من الذهب والفضة ، وقال في النعمان مدحاً لم يصل إليه شاعر من قبل وفضّله على كل الملوك. (فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ)! وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنه أشعر العرب) ، ومع هذه المرتبة فقد حط هذا التكسّب من قدره. أما الأعشى فلم يُفرِّق في مدحه بين ملك وعربي وفارسي ، وفي سبيل ذلك كان نهماً في جمع المال ، ولم يتوان في سبيل ذلك عن المديح والهجاء معاً. ثم جاء من بعده الحطيئة ، ففتح المجال أمام الجميع ، ولا يُعدّ الحطيئة بفتحه هذا الباب واحداً من الشعراء المتكسّبين بالمدح أو الهجاء فحسب ، وإنما يعد رائداً من رواد شعراء التكسّب في نهاية العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي. ولننظر إلى شعراء التكسُّب في العهد الأموي:- لقد سار خلفاء بني أمية مسيرة الجاهليين من تشجيع للشعر والشعراء ، فكان لكل خليفة فريق من الشعراء

يكفيهم مؤونة عمرهم ، ولم يكتف الخلفاء بهذا ، بل أضافوا إليه جديداً هو استخدام الشعراء في الأمور السياسية ، ولعله لم يشذّ أحد عن هذه القاعدة إلا عمر بن عبد العزيز الذي كان يمنعه ورعُهُ وحرصه على مال المسلمين فلا يصرفه في غير حقه ، فلم يكن يستمع للشعراء المداحين له! أما بقية الخلفاء فقد كانوا يهبون بالمئات والألوف ، ولا يتورعون عن أن يهبوا أموال المسلمين إلى هؤلاء الشعراء الكذابين بالمدح والذم. ولننظر إلى شعراء التكسّب في العصر العباسي:- فنرى الخلفاء قد ورثوا ملك بني أمية ، وزادوا عليه ما اكتسبوه من الفرس ، فبعد أن كان العربي يأنف الخضوع لغير الله رأينا هؤلاء الشعراء يُقبلون الأرض التي يمشي عليها الخليفة أو يُقبلون يده التي تنبع منها المكرمات والأرزاق ، وحدَث مرةً أن أحدهم قبّل حافر الحمار الذي كان يركب عليه هارون الرشيد رحمه الله! ويعد بشار بن برد على رأس الشعراء الذين يتكسب بمدحه وذمه معاً ، ويرى أن الهجاء أوفر كسباً من المديح! وكذلك كان أبو العتاهية وهو من أحرص الناس على جمع المال ، وقد بلغ به التذلل مبلغاً جعله يتمنى لو جعل من خده نعلاً لحذاء الخليفة! فماذا عن أبي تمام والبحتري والمتنبي؟! لم يشتهر من الشعراء أحد شهرة أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فقد كان أبو تمام متكسّباً بشعره سائلاً به ، وأما البحتري فقد بدأ حياته بمدح الباعة ثم ارتفع إلى مرتبة مدح الأمراء والوزراء والملوك. أما المتنبي ، فقد ثأر لنفسه وللشعراء فاشترط أن يمتدح وهو جالس على خلاف ما اعتاد الشعراء أن يمدحوا الأمراء وهم وقوف ، وكان المتنبي يتخذ من شعره مجالاً يتحدث به عن نفسه في أثناء مدحه الآخرين! فماذا عن تجارة الشعر والشعراء التجار؟! لقد أصبح الشعر تجارة ، وأصبح الشعراء تجاراً يعرضون أنفسهم على من يزيد ويمدهم أصحاب المال لمدحهم أو لذم عدوهم وأصبح الشعراء يوصفون – للأسف - بباعة الشعر! ولقد قلّد الشعراء في عصور انحطاط الأدب سلفهم الصالح والطالح معاً ، وهبطوا إلى درك الشحاذين ورضوا لأنفسهم العبودية والذل ، وأصبحت كلمة العبودية وخدمة أعتاب أسيادهم وغير أسيادهم من أبرز الصفات التي رضوها على أنفسهم! فإذا كان هذا حال "شعرائنا العظام" الذين تتلألأ شهرتهم في سماء مجدنا الأدبي ، فما هو حال شعرائنا في الزمن المعاصر؟! تمر السنوات والعقود والقرون ، والأدب العربي يترنّح تحت أثقال التقليد وفقد جذالته ، والملوك ما زالوا هم الملوك ، والشعراء ما زالوا هم الشعراء ، نراهم مدّاحين مكتسبين ، حتى أطلّ القرن العشرين وأطل معه شعراء لم يغادروا من متردم ، ورأينا زعيم النهضة الشعرية محمود سامي البارودي يصوغ المدائح في الخديوي ، وحافظ إبراهيم في عزيز مصر وخليفة المسلمين. يُسخّرون الشعر لمدح الزعماء الذين يتعيشون في أكنافهم ، وحتى أمير الشعراء أحمد شوقي رضي لنفسه أن يكون شاعر الأمير. وهكذا اختلط التكسّب بالفن والحاجة بالإبداع ، فخسر الشعر العربي روائع كثيرة ، ليعيش بعض الشعراء في بحبوحةٍ وهناء ، ومن نأى عن التزلف إلى الملوك لعزة نفسه عاش رهين المحبسين ، كما فعل المعري واضطر إلى أكل الحشيش. وإذن فلا شاعر عظيم في بلادنا! وهذه وصمة عار في أدبنا العربي تلحق بالملوك والرعية على حد سواء ، وتلقي بلومها الأكبر على الشعراء ، فقد كان من الممكن أن يتخذوا لهم حرفة يتعيشون منها ، ويتركوا للشعر عزّته ورفعته ولا يدنسوه بمطامعهم وشهواتهم! ولا يزال في عصرنا للخلفاء خلفاء ، وللشعراء خلفاء أيضاً ، وما زالت المدائح تُتلى في البلاط وفي المجالس والنوادي الثقافية والمنتديات والأمسيات الشعرية وخوان "شاعر المليون" وبلاط "أمير الشعراء" ، وفقد الشعر هيبته وفقد سويّته الفنية العالية ، وبقي الشعراء الرديئون الذين يفتقرون للموهبة الشعرية والسوية الإبداعية! وحفنة من المتسللين إلى الصحافة ، يستثمرون ثقافة العلاقات العامة على حساب غيرهم من المبدعين الذي تظل بضاعتهم كاسدة لا تجد من يسألهم عنها! فالشعراء الرديئون هم الأوفر حظاً في الظهور وفي احتلال مساحات ليست لهم ، وفي المقابل نجد الشاعر الحقيقي

يتوارى خجلاً من فوضى المشهد وخزيه ويفضّل الغياب على المجابهة التي لن يخرج منها سالماً! وهناك شعراء عظام كرام لهم استثناء في الشعر العربي! فبعض الشعراء احتفظوا بكرامتهم ، ولم يريقوا ماء وجوههم بالسؤال ، كما هو شأن عمر بن أبي ربيعة وأبي فراس الحمداني والرصافي والإمام الشافعي وغيرهم ، ويتميز شعرُهم أنه لم يكن يُقصد منه التكسُّب أو التقرب إلى أصحاب المال والجاه والسلطان ، بل كان شعرُهم في أغلبه يتناول الحكمة ، ولذلك انتشر شعرهم بين الناس ، ولا يزال شعرهم متداولاً حتى الآن ، وصارت بعض أبياتهم أمثالاً يتداولها الناس في حياتهم اليومية).هـ. وأشكر أديبنا الناقد الماغوط على ما تفضل به ، وأزيده من الشعر بيتاً فأقول بأن شعراء القيم العِظام العِزاز في زماننا المعاصر ، أصبح معظمهم نهباً لدور النشر والطباعة والتوزيع التي أصبح معظم أصحابها كالأوابد ، فللشاعر السهر والنصب والكتابة والإبداع ، وللأوابد هؤلاء المكسب والربح ، وحجتهم قديمة جديدة وجاهزة معلبة: (الناس لم يشتروا الكتاب) وسوف نصفي دوراتنا التوزيعية ، ولك الخيار يا شاعرنا في تجديدها أو الكف! فإذا اختار الكف حصل على نصف كمية الكتاب! وأين ذهب النصف الآخر؟ فيقولون: تلفيات وإهداءات للترويج ودعاية وإعلانات! وإذا تركنا هذه الساحة ، فلنذهب لساحة (الميديا) والتي الحسنة الوحيدة فيها للشاعر هي نشرُ شعره إليكترونياً! ولكن بلا مقابل كذلك! وفي هذا المضمار ظهر شحيط ومحيط ونطاط الحيط من المستشعرين والمتشاعرين المرتزقة ، الذين جمعوا إلى ضحالة فهمهم وتصوراتهم الكتابة الركيكة وأغلبها بالعامية! الأمر الذي أتى على حساب اللغة العربية وشعرها المحترم! وحدث ولا حرج عن الألقاب اللماعة: (الأعجوبة – الهويس – ملك الشعر – متنبي زمانه – زهير عصره – فرزدق الشام - شوقي الزمان والمكان – عنترة القريض) وغير ذلك! والله يشهد إنهم لا يستحقون لفظ الشعراء! فالشعر بريء منهم وهم بُرآء منه ، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليهما سلام الله تعالى! والآن لنتابع ما منَّ الله تعالى علينا به في هذا الصدد!)

أتُزيلُ جوعَك يا سفيهُ قوافي؟! أيُبَلِّغ التقصيدُ حَدَّ كَفافِ؟!

أيُحَقِّقُ الآمالَ شِعرٌ صُغتَه بدم الفؤاد ومَدمع ذرَّاف؟!

أيُقِيلُ عَيشَك مِن عَثار مُدْقِع شِعرٌ تجلببَ بالجلال الضافي؟!

هل يَجلِبُ الأقواتَ شِعرٌ ثائرٌ أبداً على التجويع والإجحاف؟!

أيُعيدُ حقاً بالقصائد أفصَحَتْ عن كل خير في الضمائر خافي؟!

أو كل حق في القلوب مُطلسمٌ والرمزُ حوَّله رَويَّ القافي؟!

الشعرُ في الماضي سَبيلٌ للغِنى ووسيلة للكسب بالآلاف!

بالأمس كان الشعرُ دربَ سعادةٍ وعلى الكلام مُوافقٌ ومُنافي

لكنه التاريخ يَشهدُ بالذي دونتُ بالنص الصريح الصافي

أن القريض هناك أغنى أهله وأعاشَ في عِز وفي استشراف!

وعلـــــى الكـــــلام أدلـــــة مَبســـــوطة ... بشـــــهادة الماضـــــين والأســـــلاف

فتكســـــبَ الشـــــعراءُ بالشـــــعر الـــــذي ... قـــد أنشـــدوا فـــي حضـــرة الأشـــراف!

كـــــان اســـــتماعٌ واهتمـــــامٌ ، فاســـــتمى ... شِـــعرٌ زهـــا فـــي سُـــؤددٍ وطِـــراف

فقصـــــيدة تُتلـــــى ، فيَســـــطعُ نجمُهـــــا ... ويُجيزُهـــــا مَـــــولى ، وبعـــــدُ يُكـــــافي!

وقصـــــيدة تلقـــــى علـــــى مُتشـــــوق ... فتُثيـــــرُ فيـــــه مكـــــامنَ الأطيـــــاف

فيُجـــلُّ شـــاعرَها ، ويُمعِـــنُ فـــي العطـــا ... لا يُلجـــيء المُلقِـــي إلـــى اســـتعطاف!

كانـــت لـــنظم الشـــعر أعظـــمُ قِيمـــة ... فـــي أهـــل تطريـــب وأهـــل قـــوافي

وتفيـــأ الشـــعراءُ أشـــرفَ مَجـــدِهم ... إذ حققـــوا مـــا كـــان مـــن أهـــداف

فالشـــعرُ ديـــوانُ الحيـــاة وضِـــدِّها ... والشـــعرُ دربُ النـــاس للإيـــلاف!

والشـــعرُ آلـــتُهم لإشـــعال الـــوغى ... إذ يـــنفخ الثـــاراتِ فـــي الأســـياف

والشـــعرُ عُـــدَّتُهم لنشـــر فضـــائل ... تغشـــى الحواضـــرَ ، أو تجـــوسُ فيـــافي

والشـــعرُ مَـــنهجُهم لإرســـاء الإخـــا ... بـــين الـــورى بترفـــع وعفـــاف!

بالشـــعر تنـــدلعُ الحـــروبُ ، فيكتـــوي ... بســـعيرها قـــومٌ بكـــل تَجـــافي!

ويُبـــادُ قـــومٌ أبريـــاءُ تشـــفياً ... مِـــن آخـــرين أتَـــوْا بســـوء خِـــلاف

وتـــزولُ أرواحٌ ليَحصـــدَها الفنـــا ... ويَبـــوءُ مَـــن قتِلـــوا بالاســـتخفاف!

بالشـــعر تبتسِـــمُ الحيـــاة ، فـــلا تـــرى ... حِلفـــاً يُصـــارعُ بـــاقيَ الأحـــلاف!

بالشـــعر تُشـــرقُ شـــمسُ سِـــلم وادع ... فالأقويـــاءُ ترفقـــوا بضِـــعاف

بالشـــعر تنعقِـــدُ الصُّـــلوحُ علـــى المَـــلا ... والكـــل تحـــت مَظلـــة الإنصـــاف!

الشـــعرُ فـــي جُـــلِّ الأمـــور رفـــيقُهم ... ويُمـــدُّهم بـــالعزم والألطـــاف

والقـــومُ فيـــه فمُكثِـــرٌ أشـــعارَه! ... حتـــى طغـــتْ كالوابـــل الغـــرَّاف!

وسِـــواهُ – واأســـفى – مُقِـــلٌّ شِـــعرَه ... فـــيهم كطـــلٍّ جـــاء بعـــد نفـــاف!

واليـــوم أيـــن الشـــعرُ؟! أيـــن رُواتُـــه؟! ... أمســـى يُكابـــدُ كبـــوة الإســـفاف

ضـــــاعتْ قضـــــيته ، وخـــــابَ دِفاعُهـــــا! مـــــا نفـــــعُ تشـــــجيع وطـــــولِ هتـــــاف؟!

والحكـــمُ أصـــدرَه القضـــاة ، فلـــيس مِـــن نقـــض لِمـــا حكمـــوا ، ولا اســـتئناف

والســـــاحة امـــــتلأتْ بقـــــوم جُهَّـــــل يَستشـــــعرون بســـــيئ الأوصـــــاف

تَخِـــذوا القـــريضَ مَطِيـــة لتـــربُّح والـــبعضُ بـــالنص الرَّقيـــع يُـــوافي

والـــبعضُ فـــي لغـــة المَصـــاطب قـــابعٌ والـــبعضُ آثـــرَ لهجـــة الأجـــلاف

لمَّـــا يعُـــدْ ذوقٌ يُحِـــسُّ ويَصـــطفي ويُقـــيِّمُ الشِّـــعَرا ، وبعـــدُ يُصـــافي!

يـــا قـــوم ضـــجَّ الشـــعرُ مِـــن دعَـــواتكم لا تجرحـــوا الإحســـاسَ باســـتظراف

لمَّـــا يعُـــدْ للشِّـــعر ســـابقُ عهـــده مِـــن طيِّـــب الغايـــات والأهـــداف

مَـــن ظـــن أن الشِّـــعرَ مصـــدرُ رزقـــه فـــالظنُّ خـــابَ ، وخـــابَ عبـــدٌ غـــافي!

إلا إذا نـــــاجى الغـــــوانيَ عابثـــــاً وأوى إلـــــى الســـــيقان والأرداف

ودعـــا إلـــى الـــرجس المَقِيـــت صـــراحة وأثـــارَ شـــهْوات الشـــباب (الفـــافي)!

وأتـــى بليلـــى ، واســـتباحَ جمالهـــا حتـــى يُهِـــيجَ غرائـــز الأضـــياف

واســـتعذبَ الفســـقَ الحقيـــرَ صـــراحة وتنـــاولَ القسَـــماتِ بالإرهـــاف

لمَّـــا يَخـــفْ ربـــاً ، ولـــم يَعبـــأ بمـــا قـــد جاءنـــا فـــي ســـورة (الأحقـــاف)!

وأشـــاحَ بالوجـــه المُجـــافي للهُـــدى لـــم يتـــلُ مِـــن (هـــودٍ) ، ولا (الأعـــراف)!

يومـــاً مصـــيرَ مجـــاهر بضـــلاله ربِّ اكفنـــا مِـــن هولـــه يـــا كـــافي

وأنـــا الـــذي عُوفيـــتُ مِـــن هـــذا الخنـــا ســـبحان مَـــن يُـــؤتي الهُـــدى ، ويُعـــافي!

لمَّـــا أرِدْ بالشـــعر خيـــراً عـــاجلاً لأخـــط مـــا يَقلـــو الهُـــدى ويُجـــافي

مَرَضـــاً أراه ، ولا عـــلاجَ يُزيلـــه إلا الـــذي شـــرعَ الطبيـــبُ الشـــافي

المعروف لا يضيع!

(أحد المسافرين رأى شاباً غضاً ممددًا على سيارته غائبًا عن شعوره لا يرى عليه أثرًا لحادث أو سببًا مباشرًا لهذه الحال ، لم يتح لنفسه كثيرًا من التساؤلات ، بل قطعها بإغاثة هذا المسكين ، فما أن أمسكه بيده حتى أحس بحركةٍ بطيئةٍ في يدي هذا الشاب ، يشير بيديه إلى أنفه وفمه ، مبينًا له بذلك أنه لم يعد له نفس يعيش به ، فرح صانع المعروف بحياته ، وأحس بأن الله أرسله إليه لينقذه على يده تحرك بسرعة لأخذه إلى طبيب حاذق في شأن أمراض الصدر بمدينةٍ قريبة ، متكفلاً بكل المصاريف المهنية والعلاجية والدوائية لهذا المريض حتى يشفيه الله تعالى! فما إن وصَل إلى هناك قام الطبيب بالأمانة المُلقاة على عاتقه خير قيام ، وصانع المعروف واقفٌ على رأسه ، يرقب ذلك النفس المتقطع والصدر المتحشرج نسي سفره الذي خرج من أجله وترك الدنيا من ورائه ، وأقبل على إنقاذ روح كادت أن تفارق صاحبها ، ليُعيدها بأمرِ الله إليه ، لا لمعرفةٍ سابقةٍ ، ولا لمصلحةٍ دنيويةٍ لاحقة ، ولا لأنساب أو مصاهرة بينهما! إنما فقط حب صنيع المعروف الذي أكرمه الله به ، وما زال كذلك يرقب الشاب بعينيه ، ويحيطه برعايته ، ويلهج لسانه بالدعاء له ، أن يمُن الله عليه بالشفاء ، ويعيده إلى الحياة ، وشيئًا فشيئًا حتى سمع الأنفاس تتراجع ، والأزمة تِخف ، والأطراف تتحرك ، وبدأ نور العينين يخفق ببصيص من الحياة ، وصانع المعروف يحدق في وجه الطبيب يبحث عن الأمل في وجهه يتلمس ابتسامة النجاة على ثغره ، وبدأت الحياة تدب في أوصال ذلك الشاب ، وبدأت أسارير وجه الطبيب تتهلل بشرًا ، وتبشر بالحياة من جديد ، حينها تعرّف صانع المعروف على هاتف منزل أهل المصاب من المصاب نفسه ، واختفى من المستشفى حتى لا يتعرف عليه أحد ، وذهب ليتم معروفه بنجاح وحكمةٍ ليتصل على أهل المصاب ، فأخبرهم خبر ابنهم ومكانه. ولكن: من أنت أيها المتحدث؟ من أنت وفقك الله؟ من أنت يا صانع المعروف؟! أخبرنا باسمك ، دعنا نحدِّث الناس بشهامتك ، دعنا نصف للناس معروفك ، دعنا نردُّ لك شيئًا من جميلك ، وأي جميل يمكن أن يُرد لمثلك وقد كنت سببًا في رد الحياة إلى ابننا بإذن ربه سبحانه! أما لنا نصيب من إكرامك ، والإحسان إليك؟ فكان رده: أنا فاعل خير. فقط. كلمتان أجاب بهما صانع المعروف محتسبًا أجره عند الله الرحمن الرحيم ، ألا بوركت يا صاحب الخير كفاك الله شر مطارق السوء ، وسددت على الخير خطاك ، وحفظك الله من كل سوء ورعاك ، وبارك لك في صحتك ، وحياتك ، وذريتك ، وجعل الجنة مأوانا ومأواك. ينبغي على المسلم أن لا يتردد أن يقضي حاجة لأخيه ، ولو على حساب وقته أو جهده! إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ). رواه البخاري. ويقول كذلك: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء). رواه الطبراني وهو حديث حسن. ويقول كذلك: (وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ). متفق عليه!) وجاء في مدونة "فضاء الأطلس المتوسط" /آزرو ، وتحت عنوان: (المروءة تُولد مع ذويها) قال الأستاذ محمد عبيد ما نصه بتصرف يسير: (الشرف يكتسب من الواقع ، بحكم التفاعل مع مختلف المكونات الثقافية ، التي تزود المجتمع بنبل القيم ، التي ترفع مستوى الأفراد إلى درجة الشرفاء ، الذين يعتز بهم الشعب ، ويعتز بهم الوطن. أليست الشروط الموضوعية ، والذاتية ، التي يعيشها الإنسان ، أي إنسان ، ومهما كان هذا الإنسان ، هي التي تتحكم في تحديد ما يكونه الإنسان: شريفاً ، أو غير شريف ، حريصاً على إشاعة الشرف في المجتمع ، أو غير حريص عليه؟ ولماذا نجد أن الشرفاء منعدمون بين العاملين في الإدارات العمومية ، ولا يتواجدون فيها إلا نادراً؟ أعتقد أن

الشرف يولد مع الإنسان. فلا يمكن أن لا تعتبر الرضيع شريفاً. لكن سيتنازل عن هذه القيمة الاجتماعية أو يتشبث بها حسب مختلف الشروط التي ذكرت. إن الإنسان الذي لا يُقاوم أو لا يرفض أو لا ينقد أو لا يحتج أو لا يطمح. إن هذا الإنسان فاقد المستويات. إنه إنسان بلا تفاسير الإنسان .فالناس معادن ، فكما أن المعادن لا تخرج إلا بالتنقيب عنها من داخل الأرض. فكذلك البشر لا يُعرَفون إلا بالتنقيب عن طرق التجريب. صحيحٌ قد يكون مظهر بعضهم غيرَ مرغوبٍ فيه ، ولا مرضي ، وإن كان الجمال مطلباً لكل إنسان ، والله جميلٌ يحب الجمال ، إلا أنه قد تتغلب بعض الظروف على بعضهم فيكون هذا حاله ، وهذه طبيعته. ولكنَّه يحمل في جوفه قلباً أبيضَ ، ونية صافية أصفى من الماء ، وسريرة بينه وبين الله ، تُستجابُ بها دعوته. وكما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "ربَّ أشعثَ أغبر ذي طمرينِ مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه". (أو كما في الحديث). والقلوب التي في الصدور كالجواهر المكنونة ، التي لا تعرف قيمتها إلا إذا أخرجتْ من مَكنونها ، فالمَظهر ليس بدليلٍ قطعي على المَخبر. وقيمة الناس عند الله بالقلوب لا بالمظاهر والأجسام. وكما في الحديث: "إن الله لا ينظرُ إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم". والعجيب أن القلوب هي الميزان عند الله في الدنيا. ويوم القيامة لا يدخل الجنة إلا صاحب القلب السليم ، كما قال عز وجل: "يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم). فالناسُ لا تُعرف إلا عند الضيق ، والحاجة ، والمِحن ، والشدائد ، وعند الكروب والحروب! فلا يَغرنك لمعان البرق حتى يمطر. ولا هتان المطر حتى يسيل. فكم من مليح فصيح كاذب؟! ومن كسير الثنيتينِ دليع اللسان صادق؟! والمخادعون بمظاهرهم كثيرون. لا يعرفون إلا وقت الخذلان على نهج ابن أبيّ. وعندها تنكشف الحقيقة ويعرف الصادق من الكاذب).هـ. يقول الدكتور فيصل الحليبي في كتابه: (حدائق المعروف) ما نصه: (إن فضل الله كبير فهو القائل: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} ، فلنبحث عن طرقه ومواطنه ، وإن من أجل مواطنه الإنفاق على الأهل والأقارب بنية القربة إلى الله تعالى ، فهذه أم سلمة رضي الله عنها تأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتقول له: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ). رواه البخاري. وهل يخلو يوم لا ننفق فيه على أزواجنا وأولادنا؟! غير أن الأمر يحتاج إلى احتساب وطلب أجر من رب العالمين ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ). رواه البخاري. فإن كتب الله لك البركة في رزقك فلا تبخل على نفسك وإخوانك في بلدك وخارجه من نفقة مباركة قليلة أو كثيرة! أما قليلة ، فتذكرني بما ذكره لي أحد أئمة المساجد من أنه كان يعظم في أحد عمال النظافة المساكين سرعة استجابته لنداء الإنفاق في سبيل الله ، فإنه مع ضعفه ومسكنته كان لا يتردد عن ذلك ، بل كان كل مرة يبذل نصف ريال أو قريبًا منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً! نصف ريال فقط! انتبه أن تقع في نفسك موقع الاحتقار ، فإن لها عند الله بإذنه شأنًا عظيمًا ، أتعلم لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ). رواه البخاري. إنه نصف ريال فقط . لكنه ربما تحوّل إلى وقايةٍ عاصمةٍ بإذن الله من نار السعير ، ألا تذكر معي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النار ولو بشق تمرة). متفق عليه. ولندلف معًا إلى إحدى جهات الخير لنشاهد هذا المنظر السخي: صبي في ليلة العيد يقدِّم للموظف المسؤول عن جمع التبرعات مبلغًا قدره مائتا ريال تقريباً ، وعمره لا يتجاوز العاشرة ، فسأله متعجبًا منه: من أين لك هذا المبلغ؟ وماذا تريد أن نصنع به؟ فأجاب: إنه

مبلغ أعطاني إياه والدي لأشتري به كسوة العيد ، وإني أريد أن يشتري به أحد أيتام المسلمين ثياباً له في العيد جديدة ، أما أنا فتكفيني هذه الثياب التي أرتديها! ألا سقى الله هذا البيت الذي ترعرعت فيه ونشأت بين أكنافه يا بني ، وجعلك له قرة عين في الدنيا والآخرة).هـ. وعَودٌ إلى بطل قصيدتنا صانع المعروف الذي أدى معروفهعلى خير وجه ، محتسباً على الله تعالى بذله وإنفاقه ، مختفياً من المَشهد حتى لا يعرفه أحد ، لندرك أن المعروف لا يضيع أجره عند الله ، وإن ضاع عند الناس!)

صَـــــنيعُك للعُـــــرف مـــــا أمْلحَـــــهْ! وأنعِـــــمْ بتجرتـــــك المُربحـــــة!

بـــــذلت الخيـــــورَ لأصـــــحابها وراعيـــــت مـــــا تقتضـــــي المَصـــــلحة

ولـــــم تـــــرجُ مـــــدحاً تـــــدِلُّ بـــــهِ ولـــــم تـــــرجُ شـــــكراً ولا أوشِـــــحة

وقمـــــت بمـــــا قمـــــت مُســـــتروحاً أريجـــــاً ، وغيـــــرُك مـــــا اســـــتروحه

وعنـــــه سُـــــئِلت فلمَّـــــا تُجـــــبْ وكنـــــت توَرَّعـــــت أن تشـــــرحه

وعَـــــز الجـــــوابُ علـــــى ســـــائل فصـــــاغ الســـــؤالَ بـــــلا وَحوحـــــة

وخِفـــــت ضـــــياعَ الثـــــواب الـــــذي تمنيـــــت بالهمـــــة المُفلحـــــة

وأجـــــرُك عنـــــد المليـــــك غـــــداً ويومـــــاً ســـــتهتفُ مـــــا أملحـــــه!

صـــــنائعُ عُـــــرف الفتـــــى جُنـــــة عـــــن الخيـــــر يَلحقـــــه مُفصِـــــحة!

تقِيـــــهِ المصـــــائبَ إنْ أقبلـــــتْ وكانـــــت لهـــــا فـــــي الـــــورى مَســـــلحة

وترفـــــعُ ذاتـــــك إن جُنـــــدِلتْ وأضـــــحتْ بمـــــا ســـــاءها مُقمَحـــــة

جهـــــادٌ مـــــع الـــــنفس مُستبســـــلٌ وســـــعيٌ إلـــــى الخيـــــر مـــــا أربحـــــه!

وبـــــابٌ لتحقيـــــق مـــــا يَشـــــتهي فـــــؤادٌ يُنـــــاجي بهـــــا مَطمحـــــه

وأقـــــوى ســـــلاح لشـــــحذ التقـــــى يَفـــــوقُ بإخلاصـــــه الأســـــلحة

وتحيـــــا المُـــــروءة مَشـــــكورة وتزهـــــو بأفعالهـــــا المُفرحـــــة

وأكـــــرمْ بأهـــــل العطـــــاء لهـــــم نفـــــوسٌ لمَـــــن حـــــولهم مُصـــــلحة

ولا يرعـــــوون لأهـــــل الهـــــوى ولا يَصـــــحبون ذوي الأرجحـــــة

ومعـــــروفهم عنـــــد رب الســـــما ومـــــا عنـــــد ربـــــك مـــــا أربحـــــه!

السم غير القاتل!

(ذات مرة تعبتْ امرأة جميلة شابة من حياتها الزوجية ، وأرادتْ قتل زوجها والتخلص منه! وفي الصباح توجهتْ إلى أمها ، وقالت لها: "يا أمي تعبتُ من زوجي ، ولم أعد قادرة على العيش معه ، أريد أن أقتله ، ولكن أخشى أن يُحَملني قانون الأرض المسؤولية ، هل يمكنكِ مساعدتي يا أمي؟" ، أجابت الأم: ماذا حدث منه لتقُدمي على هذا الصنيع الإجرامي؟! وتركتْها الأم تحكي كما يقول العوام: (في الخمر يا ليل)! فشرَّقتِ ابنتها وغرَّبتْ ، وحذفتْ وأضافتْ ، وشيطنته أي جعلت منه شيطاناً ، وملّكِتْ نفسها أي جعلتْ من نفسها ملاكاً! فأدركتِ الأم بفطرتها وحرصها أن ابنتها بالغتْ ولا شك! فقالت لها: يستحق زوجك هذا القتل ويمكنني مساعدتك ، ولكن ، هناك مهمة صغيرة تتكون من عدة عناصر! فسألت الابنة: أية مهمة تلك؟ أنا مستعدة لها جداً ، بل ومستعدة لبذل أية تكاليف أخرى للتخلص منه؟ قالت الأم حسناً:- أولاً: سيكون عليك أن تتصالحي معه ، حتى لا يشتبه فيك أحد عندما يموت! وثانياً:- سيكون عليك تجميل نفسك حتى تبدين شابة وجذابة بالنسبة له! وثالثاً:- عليك أن تعتني به جيداً ، وأن تكوني لطيفة جداً ومقدرة له ولأهله! ورابعاً:- يجب أن تكوني صبورة ومحبة وأقل غيرة ، وأن يكون لديك آذان أكثر استماعاً ، وأن تكوني أكثر احتراماً! وخامساً:- أنفقي دون إسراف ولا تغضبي ، حتى عندما يعطيك المال لأي شيء لا تسرفي أبداً! وسادساً:- لا ترفعي صوتك عليه ، وشجعي السلام والحب ، حتى لا يشتبه فيك أحد عندما يموت! هل يمكنك القيام بكل ذلك؟ نعم أستطيع. أجابت البنت! قالت الأم: حسناً ، خذي هذا المسحوق وضعي منه قليلاً جداً في وجبته اليومية الإفطار: (سندويتشات الجبن والبيض والفول والمشكل) ، سوف تقتله ببطء ، وذلك بعد أربعة أسابيع تقريباً! وبعد 30 يوم رجعت الفتاة لأمها مذعورة وقالت:- أمي ، ليس لدي أي نيةٍ لقتل زوجي أو التخلص منه مرة أخرى. الآن صرتُ أحبه لأنه تغير تماماً ، هو الآن زوجٌ لطيفٌ جداً أكثر مما تخيلت! ماذا يمكنني أن أفعل لإيقاف مفعول السم؟ أرجوك ساعديني يا أمي. دعت بنبرةٍ حزينة! أجابت الأم ؛ لا تقلقي يا ابنتي ، ما أعطيتك إياه في البداية ، كان مجرد ملح طعام عادي على هيئة مسحوق ، ولن يقتله أبداً! في الواقع ، كنتِ أنتِ السم الذي كان يقتل زوجك ببطء ، بالتوتر والخلاف والمشاكل! فعندما بدأت تحبينه وتكرمينه ، وتعتزي به رأيته يتغير إلى زوج وَدودٍ ولطيفٍ جداً ، واصلت الأم حديثها ؛ يا ابنتي الرجال ليسوا أشراراً حقاً ، ولكن طريقتنا في الارتباط بهم تُحدِّد استجاباتهم ومشاعرهم تجاهنا! إذا كنت تستطيعين إظهار الاحترام والتفاني والحب والرعاية والالتزام مع زوجك سيكون لك ومن أجلك! من أجل هذه القصة الطريفة كانت هذه القصيدة التي عنوانها منها وهو فيها: (السم غير القاتل)!)

أســـــدَيتِ نصـــــحَكِ طيِّـــــبَ الأفكـــــارِ ... فمضـــــى الرشـــــادُ بســـــيِّيء الأخطـــــارِ

يـــــا ربـــــة الفهـــــم الصـــــحيح تحيـــــة ... مشـــــــفوعة بـــــــالود والإكبـــــــار

لمَّـــــا أتتْـــــكِ بُنيـــــة مقهـــــورة ... مـــــن صُـــــنع زوج ظـــــالم مكـــــار!

وســـــمعتِ منهـــــا دون قطـــــع حـــــديثها ... فاسترســـــلتْ فـــــي ذِكْـــــر كـــــل ضِـــــرار

صـــــدَمَتْكِ بالأخبـــــار صِـــــحَّتها فقـــــط ... عنـــــد المليـــــكِ الواحـــــد القهـــــار!

وكأنمـــــا الـــــزوجُ اســـــتباحَ ودادَهـــــا ... وطغـــــى عليهـــــا دون خـــــوف البـــــاري!

ذكرتْـــــه بالأوصـــــاف يُخجـــلُ ذِكْرُهـــــا ... وبـــــدون تقدمـــــةٍ ولا إنـــــذار!

عابثْـــــه فـــــي دِق الأمـــــور وجِلهـــــا! ... نعتثْـــــه بالمُســـــتهتر المِهـــــذار!

واســـتعظمتْ مـــا كـــان أنزلـــه بهـــا ... مـــن ســـييء الأحـــداث والأغيـــار

وأضـــافت الشـــيء الكثيـــر علـــى الـــذي ... جـــاء الحليـــلُ مِـــن الأذى والعـــار!

حتـــى اســـتغاثَ الكـــل مـــن أفعالـــه ... وأذاه طـــال الأهـــلَ بعـــد الجـــار!

والأم لـــم تُـــوغِرْ بقـــول صـــدرَها ... بـــل رحَّبـــت معهـــا بأخـــذ الثـــار!

مـــا كـــذبتْها فـــي الـــذي جهـــرَتْ بـــه ... كـــلا ، ولـــم تـــكُ فـــي الكـــلام تُمـــاري

بـــل ســـلمتْ بحـــديثها وبكائهـــا ... وشـــكاتها وبـــدمعها المِـــدرار!

وتظـــاهرتْ بالوَجـــد فـــي مأســـاتها ... ورَجَـــتْ ســـلامتها مـــن الأكـــدار!

هـــيَ أبـــدتِ التصـــديقَ رغـــم تزيُّـــدٍ ... أبدتْـــه نبـــرة كيـــدها المتـــواري

وتصـــنعتْ أن تســـتجيبَ لمطلـــب ... أملتْـــه طائفـــة مـــن الأفكـــار

لمَّـــا يُقِـــر بـــه مُعـــاقِر خمـــره ... كـــلا ، ولا هـــو مَطلـــبُ الخمـــار!

وزبـــائنُ الحانـــات مـــا نطقـــوا بـــه ... حاشـــا ، ولـــم يـــذكرْه أهـــلُ البـــار!

القتـــلُ أبشـــعُ مـــا يكـــونُ جريمـــة ... مهمـــا يكـــنْ مـــن طـــاريء الأعـــذار

إزهـــاقُ روح الـــزوج هـــل ذا منطـــقٌ؟! ... هـــل موتُـــه خيـــرٌ لأهـــل الـــدار؟!

لكـــنَّ أمَّـــاً فكـــرَتْ فـــي بنتهـــا ... وتعاطفـــتْ ، مِـــن أجـــل ذاك تُجـــاري!

مـــا جادلتْهـــا لحظـــة فيمـــا ارتـــأتْ ... كـــي لا تُحَـــرِّق بنتهـــا بالنـــار!

قالـــت: لـــديَّ السُّـــمُّ يُزهِـــقُ رُوحَـــه ... بقضـــاء رب النـــاس والأقـــدار!

لكـــن عليـــكِ ببـــرِّه وبـــوُدَّهِ ... لتكـــونيْ فـــي مَنـــأى عـــن الأنظـــار!

والملـــحَ أعطيـــتِ البُنيـــة خُدعـــة! ... وتلطفـــتْ زوجٌ بكـــل يَســـار!

وإذا المعاملـــة احتفـــتْ بوقارهـــا! ... يســـمو التعامُـــلُ عاليـــاً بوقـــار

وسَـــبتْ بإحســـان فـــؤادَ حليلهـــا ... لمَّـــا يعُـــدْ فـــي البيـــت بالجبـــار!

فـــإذا بـــه يُمســـي ويُصـــبحُ طيبـــاً ... لمَّـــا يَعُـــدْ بـــالمجرم الغـــدار!

يرعـــى الجـــوارَ ، ولـــيس يَخفـــرُ لحظـــة ... وهـــو الـــذي لـــم يَعتبـــرْ بجـــوار!

يحمـــي الـــذمارَ ، ولا يُهـــينُ حليلـــة ... يرجـــو ثـــوابَ الـــراحم الغفـــار

فأتتْـــكِ يَســـبقها ســـرورُ فؤادهـــا ... ودمـــوعُ عينيهـــا كمـــا الأنهـــار

والحـــزن يُلجـــمُ وجنتـــي غـــدَّارةٍ ... قتلـــتْ بـــرش الســـم فـــي الإفطـــار

فأرحْتِهـــا مـــن شـــر طارقـــة الأســـى ... وجهـــرتِ بالبُشـــرى بـــلا إضـــمار

وســـألتِ مـــاذا تطلبـــين أيـــا ابنتـــي ... أفشِـــي إذن مـــا غـــابَ مـــن أســـرار

قالـــت: أريـــد الـــزوجَ حيـــاً ، إننـــي ... أصـــبحتُ أحســـبُه مـــن الأخيـــار!

أخشـــى أكـــونُ قتلتُـــه بترصُّـــدٍ ... مـــع ســـبق مـــا أخفيـــتُ مـــن إصـــرار!

فبـــذلتِ بُشـــرى للبُنيـــة أشـــرقتْ ... شمســـاً تُباغـــتْ ليلهـــا بنهـــار!

إذ قلـــتِ: لا لـــم تقتُليـــه أيـــا ابنتـــي ... فلتهنئـــي بحلـــول الاستبشـــار!

لمَّـــا يكُـــنْ مســـحوقنا السُّـــمَّ الـــذي ... يُـــردي ، ويُنهـــي بـــاقيَ الأعمـــار!

بـــل كـــان مِلحـــاً لـــيس يَقتُـــلُ آكِـــلاً! ... هـــذي وربـــي خِيـــرة الأفكـــار!

السُّـــمُّ أنـــتِ إذا تعمَّـــدْتِ الأذى ... فـــأذاكِ يُعقِـــبُ شـــؤمَ كـــل خســـار!

السُّـــمُّ يـــأتي مِـــن نشـــوزكِ قـــاتلاً ... مُتوشـــحاً مَنظومـــة الأوزار

السُّـــمُّ إن عانـــدتِ دون مُبَـــرِّر ... والعِنـــدُ لـــيس طبيعـــة الأبـــرار

كـــوني لـــه أمَـــة لتســـبي قلبَـــه! ... فلكَـــمْ سَـــبَتْ مُهـــجَ الرجـــال جَـــواري!

لا تُسْـــمِعيه مـــن الكـــلام قبيحَـــه! ... بـــل ناوليـــه القـــولَ كالأشـــعار!

أنـــا قـــد نصـــحتُكِ ، إنْ قبلـــتِ نصـــيحتي ... جَنبـــتِ نفسَـــكِ بُـــؤسَ كـــل شَـــنار

وعليـــكِ مِـــن رب الأنـــام ســـلامُه ... مـــا زارَ نحْـــلٌ عـــاطرَ الأزهـــار!

ياسمين ولد دالي!

(المتميزة جداً ياسمين ولد دالي من ولاية المدِيَّة الجزائرية ، تتحصل على المرتبة الأولى عالمياً في "مسابقة التبيان القرآنية" بالولايات المتحدة الأمريكية! فهنيئاً لك يا ابنة العمارية الفوز في هذه المسابقة العالمية! وأسأل الله تعالى أن ينفعكِ بالقرآن الكريم ، ويرزقكِ العمل به كما رزقك استظهاره عن ظهر قلب! وأكتب لك هذه التهنئة الشعرية لأن تحايا الشعراء ينبغي أن تكون من جنس ما حباهم الله تعالى وميزهم به عن سواهم ، ألا وهو الشعر! والآن لنطالع القصيدة ، وهي ثالث عمل جزائري!)

غبَطتُكِ من فؤادي يا بُنَية ... فصُغتُ الشعرَ يُهديكِ التحية

وأكبرتُ الفتاة تَحُوزُ مجداً ... وترفلُ في سماء المكرمية

تفوقُ الكل في القرآن ، هذي ... ورب الناس نِعمَ العبقرية

قد استظهرْتِ وحيَ الله طوعاً ... وبالتقوى بلغتِ الألمعية

وأتقنتِ القراءة باجتهادٍ ... ومَن يُنصِتْ يقولُ: (جزائرية)!

وحَبَّرتِ التلاوة بالتغني ... فشرَّفتِ (الجزائر) و(المدِيَّة)!

وكنتِ بذلك الإنجاز فخراً ... لأمتنا المجاهدة الأبية

فيا بنتَ (العمارية) بُشرى ... أسَطرُها قريضاً يا بُنية

أباركُ (للجزائر) خيرَ سَبْق ... تُعِيدُ به السِّماتِ اليَعرُبية!

هو القرآنُ يرفعُ شأنَ عُرب ... فلا يَرْضَون عيشَ الجاهلية

وإما طبَّقوهُ غدَوا كِراماً ... وهل كالشرع سَمتٌ أو هوية؟!

حياة ذلك القرآن صِدقاً ... لمَن يَهوى العُلا والأفضلية

وفي (التبيان) (ياسَمينُ) أولى! ... وأولى في التقى والأريحية

عليكِ بالالتزام بما حفظتِ ... بنفس عن مَقادرها رَضية

ولا يُشغلك هزلٌ عن سَدادٍ! ... ضَعِي عنكِ اتباعَ المذهبية

دعي أهل التحزب ، واهجريهم ... لأسلافٍ لنا اصطحبي الحَمية

أحِلّي ما أحَلَّ كتابُ ربي ... لكي تحْيَي مُشَرَّفة تقية

كذلك حَرِّمي ما جاء فيهِ ... من التحريم ، كوني له وفية

ولا تدَعيـــــه يُفلـــــتُ منـــــكِ يومـــــاً! ألا فتعهـــــــــدي الآي العليـــــــــة

أشـــــدُّ تفلتـــــاً هـــــو مـــــن بعيـــــر إذا ألفـــــــاكِ شـــــاردة قصِـــــية

لقـــــد أعطـــــاكِ ربُّـــــكِ خيـــــرَ ذخـــــر! كتـــــــابُ الله ، أنعـــــمْ بالهديـــــة

بياسْـــــمين أبـــــاهي كـــــل بنـــــتٍ! إذا جعلتـــــكِ فـــــي الحســـــنى أخيـــــة

بأمريكـــــا التفـــــوقُ والتســـــامي تُطِـــــلُّ علـــــى الـــــدنا مِـــــن مَشـــــربية

وتغـــــرسُ فـــــي ديـــــار الغـــــرب نبتـــــاً نجـــــا مِـــــن شـــــر فتنتـــــه الغويـــــة

وجاهـــــدَ نفسَـــــه حتـــــى تُزكـــــى وعـــــاش لـــــه بهـــــا أســـــمى قضـــــية

يُجاهـــــدُ مـــــا يلاقـــــي مِـــــن تحَـــــدٍ وفـــــي الإصـــــلاح بعـــــدُ لديـــــهِ نيـــــة

بياسْـــــمين أرى نـــــوراً تبـــــدَّى يُنيـــــرُ لنـــــا مَرابعَنـــــا الدجيـــــة

ويملؤنـــــا افتخـــــاراً واعتـــــزازاً فبـــــالقرآن لا نرضـــــى الدنيـــــة

نعـــــيشُ لـــــه ، ووفـــــق هُـــــداه نحيـــــا وأنفسُـــــنا بطاعتـــــه حَريـــــة

ومَـــــن يعـــــدلْ بهـــــذا الـــــذكر شـــــيئاً تجنـــــدلَ فـــــي حضـــــيض الفوضـــــوية

بياسْـــــمين أغِـــــيظ الغـــــربَ حتـــــى تَبِـــــينَ لـــــه النجـــــاة لـــــذي الصـــــبية

نجَـــــتْ مـــــن كيـــــده ، والكيـــــدُ عـــــاتٍ ومنهـــــا ســـــوف تُذهلـــــه البقيـــــة

ســـــتُتحفنا بإحيـــــاء الســـــجايا وســـــوف تكـــــونْ فـــــي الهيجـــــا (سُـــــمَية)!

وتـــــدعو قومهـــــا لـــــذرى المعـــــالي وللقـــــــرآن تبقـــــــى الأولويـــــة

وللتوحيـــــد تنتصـــــرُ انتصـــــاراً ليُصـــــبح قومُهـــــا خيـــــرَ البريـــــة

فيـــــا بنتـــــاه أوصـــــيكِ اســـــتجيبي! وخيـــــرُ القـــــول مـــــا احتـــــوتِ الوصـــــية

علـــــى القـــــرآن عيشـــــي ، واســـــتقيمي ولا تـــــدَعي حجابـــــكِ يـــــا حَييـــــة

وجـــــدِّي فـــــي اختيـــــار صُـــــوَيحباتٍ يُعِـــــنَّ علـــــى التقـــــى ، لا المَظهريـــــة

وأخـــــتِمُ داعيـــــاً رب البرايـــــا بـــــأن يُنْجيْـــــكِ مِـــــن شـــــر البليـــــة

الخاتمة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه. الحمد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ ولدًا ، ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وما كان معه من إله ، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه ، هو المستحق لجميع أنواع العبادة ، ولذا قضى ألَّا نعبد إلا إياه: (ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ، وأن الله هو العلي الكبير). (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور). عالمُ الغيب والشهادة: الذي استوى في علمه ما أسرَّ العبد وما أظهر! الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين). فالله سبحانه له العلم المطلق: (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها). (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟). (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى). (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى). (الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً). كيف لا وهو الذي خلق وقدر وهدى. رَحْمَنُ الدنيا والآخرة ورحيمُها: الذي كتب على نفسه الرحمة ، وهو أرحم الراحمين ، الذي غلبت رحمتُه غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين ، الذي وسعتْ رحمتُه كل شيئ وبها يتراحم الخلائق بينهم ، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين: (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لمحيي الموتى ، وهو على كل شئ قدير). الملك: الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، ولا شريك له في ملكه ولا معين. المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء وكذلك الإماتة والهداية وكذلك الضلال (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين). لا رادَّ لقضائه ولا مضادَّ لأمره ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين). له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وإليه المصير. القدوس السلام ، الذي اتصف بصفات الكمال والجلال والجمال ، وهو سبحانه تقدس عن كل نقص ومحال ، وتعالى عن الأشباه والأمثال ، حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه (ليس كمثله شئٌ وهو السميع البصير). المؤمن: الذي أمّن أولياءه مِنْ خزي الدنيا ، ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية ، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دارَ المُقامة في جنةٍ عالية. المهيمن: الذي شهد على الخلق بأعمالهم ، وهو القائم على كل نفس بما كسبتْ ، لا تخفى عليه منهم خافية ، (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً). العزيز: الذي لا غالب له ولا مرام لجنابه ، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة. وهو الذي يجبر كل كسير مما به ، المتكبر: الذي ليس ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه ، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن نازعه صفة منها أُحِلَّ به غضبه ومقته وتدميره: (وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم). الخالق البارئ المصور: لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير: (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ، خلق السماوات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم ، وإليه المصير). (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، إن الله سميع بصير). الغفار: الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة. القهار: الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره. الوهاب: الذي كل موهوب وصل إلى خلقه ، فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه. الرازق: الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ما أنقص من فضله

العزيز ، يرزق كل ذي قُوت قُوته ، ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرًا متقنًا محكمًا! يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم ، أموالًا وأولادًا وأهلًا وخدمًا ، ولا يرزق الآخرة إلا أهلَ توحيده وطاعته. قضى ذلك قضاءً حتمًا مبرمًا ، وأشرف على الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم الحق والعمل الصدق والحكمة وتبيين الهُدى المستنير. الفتاح: الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم ، يفتح على هذا مالًا ، وعلى هذا ملكًا ، وعلى هذا علمًا وحكمة: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم). (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم). (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم). العليم: الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآتٍ وظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل وحقير ، علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وكذا أرزاقهم وآجالهم ، ومَن هو من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) ، وما من جبل إلا ويعلم ما في وعره ، ولا بحر إلا ويدري ما في قعره (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) (ولله غيب السماوات والأرض ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير). القابض الباسط: فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم ، كل ذلك إليه ، إذ هو المتفرد وحده بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير. الخافض الرافع الضار النافع المانع المعطي: فلا رافع لمن خفضه ، ولا خافض لمن رفعه ، ولا نافع لمن ضره ، ولا ضار لمن نفعه ، ولا مانع لما أعطى ، ولا معطي لمن هو له مانع ، فلو اجتمع أهل السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع. المعز المذل: الذي أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأيدهم بنصره المبين ببراهينه القوية المتظاهرة ، وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصَغار، وجعل عليهم الدائرة ، فما لمن والاه وأعزه من مذل ، وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير. السميع البصير: لا كسمع أحد من الورى ، ولا كبصر أحد منهم ، القائل لموسى وهارون: (إنني معكما أسمع وأرى) ، فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه عزَّ وجَلَّ أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبًا ، وقد خاب من افترى ، (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير). الحكم العدل: في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولًا وفعلًا: (إن ربي على صراط مستقيم). فلا يحيف في حكمه عزَّ وجلَّ ولا يجور: (وما ربك بظلام للعبيد). (إن الله لا يظلم الناس شيئاً). (وما ظلمهم الله). الحكم العدل الذي حرّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا ، ووعد الظالمين الوعيد الأكيد وفي الحديث: «إنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلتْه» ، وكذلك في الآية: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد). وهو عزَّ وجلَّ الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئًا ، بل يحْصي عليهم حتى الخردلة والذرة والفتيل والقِطمير والنقير. اللطيفُ: بعباده معافاة لهم وإعانة ، وعفوًا ورحمة ، وفضلًا وإحسانًا ، ومن مَعاني لُطفه عزَّ وجلَّ إدراك أسرار الأمور

حيث أحاط بها خبرة وتفصيلًا وإجمالًا ، وسرًّا وإعلانًا ، الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا؟ وكيف عملوا؟ وأين عملوا؟ ومتى عملوا؟ حقيقة وكيفية ومكانًا وزمانًا: (إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير). الحليم: فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب ، بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا ، فيتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم العظيم ، الذي يتصف بكل معنى يوجب التعظيم ، وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب ، خضع لعظمته وجبروته جميع العظماء ، وذل لعزته وكبريائه كل كبير. الغفور الشكور: الذي يغفر الكثير من الزلل ، ويقبل اليسير من صالح العمل ، فيضاعفه أضعافاً كثيرة ، ويثيب عليه الثواب الجلل ، وكل هذا لأهل التوحيد ، أما الشرك فإنه لا يغفره ولا يقبل معه من العمل لا القليل منه ولا الكثير. العلي: الذي ثبت له كل معاني العلو ، علو الشأن ، علو القهر ، وعلو الذات ، الذي استوى على عرشه ، وعلا على خلقه بائنًا من جميع المخلوقات ، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه ، وأخبر عنه رسوله الكريم في أصح الروايات ، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد وأهل العلم والبصيرة بلا نزاع بينهم ولا نكير. الكبير: الذي كل شيء دونه (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه). كما أخبر بذلك عن نفسه نصًّا بينًا محكمًا. الحفيظ: على كل شيء فلا يعزب عنه عزَّ وجلَّ شيء من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، الذي وسع كرسيهُ السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما ، حفظ أولياءه في الدنيا وفي الآخرة ونجاهم من كل أمر خطير. المغيث: لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوف إلا نجاه ، الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، فنعم المولى ونعم النصير. الجليل: الذي جلَّ عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال وجمال ، الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال. الكريم: الذي لو أنَّ أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما يُنْقِص المِخْيط إذا أدخل البحر ، كما روى عنه نبيه ، ومن كرمه أنْ يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات والتقصير. الرقيب: على عباده بأعمالهم ، العليم بأقوالهم وأفعالهم. الكفيل: بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم ، المجيب: لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير. الواسع: الذي وسع كل شيء علمًا ، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون به علمًا. الحكيم: في خلقه وتدبيره ، إحكامًا وإتقانًا والحكيم في شرعه وقدره عدلًا وإحسانًا ، وله ـ عزَّ وجلَّ ـ الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ومَنَ أكبر مِنْ الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهانًا. فهو العدل: وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل ، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. الودودُ: الذي يحب أولياءه ويحبونه ، كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات ، المجيب الدعوات: يجيب دعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان ، وفي أي وقت من الأوقات كان ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تختلف عليه المطالب ، ولا تشتبه عليه اللغات ، وكذا لا تشتبه عليه الأصوات ، فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو السِّتير. المجيدُ: الذي هو أهل الثناء كما مجّد نفسه ، وهو الممجّد على اختلاف الألسن وتباين اللغات ، بأنواع التمجيد. الباعث: الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، إنه هو الفعال لما يريد. الشهيد: الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدًا: (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)؟ هو الحق: وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير. القوي: المتين الذي

لم يقم لقوته شيء ، وهو الشديد المحال. الولي: للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه ، وإذا أراد بقوم سوءًا فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ. الحميدُ: الذي ثبت له جميع أنواع المحامد ، وهل يثبُت الحمد إلا لذي العزة والجلال ، فله الحمد كما يقول وخيرًا مما نقول لا نحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، وكيف يحصي العبدُ الضعيفُ ثناءً على العلي الكبير المتعال العظيم. المُحصي: الذي أحصى كل شيء عددًا ، وهو القائل: (كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، إنا كنا فاعلين). ، (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين). المُبدئ المعيدُ: الذي قال وهو أصدق القائلين: (وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه). وأنَّى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئًا ، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير. المحيي المميت: الذي انفرد بالإحياء والإماتة. فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها ، أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا أبدًا ، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلَّام الحي الدائم الباقي الذي لا يموت ، وكل ما سواه زائل كما قال تعالى: (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام). القيوم: الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ، (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) ، فلا يحتاج إلى شيء ، وكل شيء إليه فقير. الواحد الأحد: الذي لا شريك له في ألوهيته ، ولا شريك له في ربوبيته ، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله ، لا ضد له ولا نظير ولا ند ولا شبيه ولا كفوَ ولا مثيل ولا عديل. الصمدُ: الذي يصمد إليه جميعُ الخلائق في حوائجهم ومسائلهم. فهو المقصود إليه في كل الرغائب والمستغاث به عند المصائب ، فإليه منتهى الطلبات ومنه يسأل قضاء الحاجات ، وهو الذي لا تعتريه الآفات ، وهو عزَّ وجلَّ حسبنا ونعم الوكيل ، فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده. وهو العظيم: الذي كمل في عظمته ، والحليم: الذي قد كمل في حلمه ، والعليم: الذي كمل في علمه ، والحكيم: الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في صفات الكمال ، ولا تنبغي هاتيكمُ الصفات لغير الملك الجليل تبارك وتعالى. القادر المقتدر: الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه على كل شيء قدير. المقدمُ المؤخرُ: بقدرته الشاملة ، ومشيئته النافذة على وفق ما قدره ، وسبق به علمه ، وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير. الأول: فليس قبله شيء ، والآخر: فليس بعده شيء ، والظاهر: فليس دونه شيء ، هكذا أخبر عنه البشير النذير. الولي: فلا منازع له ولا مضاد ، المتعالي عن الشركاء والوزراء وغير ذلك من النظراء والأنداد. البر: وصفًا وفعلًا وقولًا ، ومن بره المنّ على أوليائه بإنجائهم من عذابه ، كما وعدهم على ألسنة رسله أنه لا يخلف الميعاد ، التواب : الذي يرزق مَن يشاء بغير حساب ، وهو سبحانه وتعالى يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير. المنتقم: الذي لم يقم لغضبه شيء ، وهو الشديد العقاب والبطش والانتقام (إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدئ ويعيد). (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام). العفو: بمنِّه وكرمه عن الذنوب والخطايا والآثام. وهو الرؤوف بالمؤمنين. ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينة ؛ ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الجاهلية إلى قِسط الإسلام ، ومن درك الأصنام والأوثان إلى ضياء التوحيد وإشراقات العقيدة في الله عزَّ وجلَّ ، ومن رأفته على عباده أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحِمام ، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي

والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير). مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعز من يشاء ، وربنا يعز لحكمة ويذل لحكمة لا يسأل عما يفعل ، بل يفعل ما يشاء ذو الجلال والإكرام والعزة والبقاء والملكوت والجبروت والعظمة وله الكبرياء. المقسط: الذي أرسل رسله بالبينات ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير. الجامع: لشتات الأمور ، وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد. الغني المغني: فلا يحتاج إلى شيء ، ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه مَعصيةُ العاصين من العباد ، وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى لهم عنه وعن بابه طرفة عين أو أقل من ذلك. وهو الكفيل: بهم رعاية وكفاية ، وهو الكريم الجواد ، وبجوده عمَّ جميع الأنام من طائع وعاصٍ وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير. نورُ السماوات والأرض ومن فيهن ، كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به عبده ورسوله محمد ﷺ مستعيذًا به: «أعوذُ بنور وجهك الذي أَشْرَقَتْ له الظلمات ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرةِ أنْ يحلَّ بي غضبُك ، أو أنْ ينزلَ بي سخطُك لك العُتبى حتى تَرْضَى ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله». فبصفات ربنا تعالى نؤمن وبكتابه وسنة نبيه ﷺ نحكم وبحكمها نرضى ونسلم ، وإن أبى المُلحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه: (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير). الهادي: الذي بيده الهداية والإضلال ، فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى: (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً). (من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم). (قل إن هدى الله هو الهدى). (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير). (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير). البديعُ: الذي أبدع السماوات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال، الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال. الوارثُ: الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإليه عزَّ وجلَّ المَرجعُ والمآل ، فبإيجاده كل موجود وجد ، وإليه كل الأمور تصير. الرشيدُ: في كل أقواله وأفعاله ، فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم. الصبورُ: الذي لا أحدَ أصبرَ منه على أذى سمعه أو علمه أو رآه ، ينسبون إليه الولدَ ويجحدون أنْ يعيدهم بعد الموت ويحْييهم ، وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ، ثم هو يرزقهم ويعافيهم ، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ، وهم كذلك لم يبلغوا ضره فيضروه ، وإنما يعود نفعُ طاعتهم إليهم ، ووبال عصيانهم عليهم وحدهم ، واستغنى الله ، والله غني حميد: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم ، وذلك على الله يسير). لقد خطب قس بن ساعدة الإيادي ـ وكان على ملة إبراهيم عليه السلام ـ فقال: «أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا وقولوا ، وإذا قلتم فاصدقوا ، مَن عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتْ ، مطر ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داجٍ ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبر وآثام ، إنَّ في السماء خبرًا وإن في الأرض عِبرًا ، يحار فيهن البصر ، مِهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور وبحار لا تفور ، ومنايا دوان ، ودهر خوان ، كحد النطاس ووزن القسطاس ، أقسم قس قسمًا ، لا كاذبًا فيه ولا آثمًا: لئن كان في هذا الأمر رضى ليكونن سخط! ثم قال: أيها الناس ، إن لله

دينًا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه». ثم قال: «ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أبداً! أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ وفي بعض ألفاظها قال: شرْق وغرْب ، ويتم وحزب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وإناث وذكور ، وبراري وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات تأتي في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورب وأصنام ، لقد ضلَّ الأنام ، نشأ مولود ، ووأد مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغني ، ومحسن ومسيء ، تبًّا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل من عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى. أما بعد ، فيا معشر إياد ، أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ وأين العليل والعُواد؟ كل لهُ مَعاد. يقسم قس برب العباد وساطح المهاد ، لتحشرن على الانفراد ، في يوم التناد ، وإذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، ووعظ الواعظ فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ. فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر ، في يوم الفصل وميزان العدل ، إذا حكم القدير وشهد النذير وبعد النصير وظهر التقصير ، فريقٌ في الجنة وفريق في السعير». ورحم الله قسَّ بن ساعدة الإيادي ورضي عنه وغفر له. ونحمد الله القدير على جزيل إنعامه ، ووافر أفضاله ، نشكره على جليل إحسانه ونواله ، وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله ، وله الحمد على عدله قدرًا وشرعًا ، وله الحمد في الأولى والآخرة. وهو الحكيم في كل ما قال وأمر ونهى وشرَّع ، والخبير بعباده وبما يصلحهم في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم. ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق العلي الكبير ، تعالى في ألوهيته وربوبيته عن الشريك والوزير ، وتقدس في أحديته وصمديته عن الصحابة ، وعن الولد والوالد ، وعن الولي والنصير والمعين ، وتنزه تبارك وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفؤ والنظير ، وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين ، والمشير والظهير ، وجلَّ في بقائه وديمومته وقيوميته عن المُطعِم والمجير. ونشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير ، المرسَل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهُدى المنير. بعثه الله عزَّ وجلَّ رحمة للعالمين ، وأنزل عليه كتابه المهيمن والنور المبين والهدى المستبين ، والمنهج المستنير. والشرك مضطرمة ناره ، طائر شراره ، مرتفع غباره ، لا مغير له ولا نكير فقام بالرسالة فبلغها خير تبليغ! وجاهد في الحق حق جهاده إعلاءً لكلمة الله الملك العلَّام ، حتى جاء الحق وزهق الباطل ، وحتى أدبر ليل الكفر والضلالة ، وانفجر فجر الإيمان والإسلام الحق ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرقت أنواره ، ونكست راية الشرك وانكسرت شوكته وخمدت ناره ورمي بناؤه بالدمدمة والكسر والتحطيم والتدمير. صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه شموس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم ، وتابعيهم الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله: (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم). وعلى كل من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم ، وجعلنا الله من المقتدين بهم والمهتدين بهديهم والمتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهم نسير. وأشهدُ ألا إله إلا الله عليها أحيا وعليها أموت وفي سبيلها أعمل ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه خير نبي أرسله ، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد. فإن ديوان (الله الله في شعر أبيكم!) هو بعض عمري أضعه بين أيدي القراء

الأحبة والقارئات الحبيبات من أهل التوحيد والإيمان ، والحقيقة أن هذا الديوان خلاصة تجربةٍ حقيقيةٍ عشتُها سنة بسنة ، بل شهرًا بشهر ، بل أسبوعًا بأسبوع ، بل يومًا بيوم ، بل ساعة بساعة ، بل دقيقة بدقيقة ، بل ثانية بثانية ، بل لحظة بلحظة ، بل طرفة عين بطرفة عين. عشته ألمًا وأملًا فرحًا وترحًا ، نفحات ولفحات ، محنًا ومنحًا. عشتُ في كل حرف من حروفه أنشد الخير وأندد بالشر ، أبتسم للقيم وأناغيها ، وأتجهم للرذائل في عالمنا وأعاديها ، أشرح وجهة نظري بكل صدق فني شعري أدبي وبكل عاطفة صادقة متألقة وبكل إحساس منفعل بنفحات الحقيقة الدافئة وبكل شعور دفعني إلى صياغته بكاءُ قلبي على ما آلت إليه أحوالنا وأحوال أمتنا في هذا الوقت المُعاش على هامش الحياة ، لقد عشت بداية الطريق ، وكنت أحسبه كما يحسبه كثيرون غيري مليئًا بالورود والرياحين ، بل كان الطريق مفروشًا بالدماء المُرة والأشلاء الدامية ، فأدركتُ أن سلعة الله غالية بصورة لا توصف قط. وأدركتُ أنَّ أمانة عندما عُرضت على السماوات والأرض والجبال ، فأبيْن أن يحملنها ، وأشفقن منها ، أدركتُ أن أمانة هذا شأنها لا بد وأن تكون عظيمة عظمة غيرَ متناهية ، وإنما حملها الإنسانُ لظلمه وجهله: (وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً). وكانت بداية طريقي بصحبة أهل ملتي ومن يتكلمون بلغتي وبكلماتي. ففتحت لهم قلبي وأطلعتهم على الذي كتمته عن غيرهم ، وكانت المفاجأة الكبرى لي عندما تحول هؤلاء وما كنت أظن بهم سوى الخير إلي ذئاب وعقارب وحيات في جُثمان الإنس ليس سوى. وما صدَّقتُ فيهم الوشاة ، والله عزَّ وجلَّ ، يعلم. جمعني بهم اللقاء وتثبتُّ من الوشاية ومما يقال ، وذلك علي ألسنتهم هم فراجعتهم ، فلم ينكروا ، فصبرتُ وحلمتُ وفوضتُ أمري إلى الله واسترجعتُ وقلتُ جاهرًا شاديًا: حسبنا الله ونعم الوكيل ولا زلت أرددها إلى لحظتنا تلك ، وسوف أحيا أرددها إن شاء الله حتى ألقى الله ما دام في فمي لسان. من أجل هذه الاعتبارات وغيرها الكثير كانت قصائد ديوان: «الله الله في شعر أبيكم» ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ويفعل ربي ما يشاء ، ولا يسأل ربنا عما يفعل وهم يسألون. وربي سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لبشر ممن خلق الخيرة. كانت قصائد ديوان: «الله الله في شعر أبيكم» إشارات على الطريق ولافتات عليه لمن سلكه من بعدي ولمن سوف يسلكه إلى يوم القيامة: أكشف عبرها النقاب عن النفاق وأهله ، وأكشف الرياء والسُمعة والمفاخرة ، وأُبيّن للقوم حقيقة ما هم عليه ، وحقيقة ما كان ينبغي أن يكونوا عليه ، ولا أخاف في شيء من ذلك إلا الله ربي ورب السماوات والأرض رب العالمين ، ولا أبتغي من وراء ذلك إلا رضاه والجنة ، فلا أجرّح أحدًا ولا أذكر اسمًا ولا أنال من أحد. إنْ أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وإن أريد إلا بيان الحق قدر الذي أستطيعه فقط ، وإن أريد إلا إظهار حقائق أمور قد يُخْفَى معظم أحجامها على كثير من العامة والدهماء وسَواد الناس الأعظم. من أجل ذلك آثرتُ أنْ تكون القصائد كلها لُحْمة واحدة ونسيجاً موحداً لتخدم في أول المطاف وفي نهايته أمرًا واحدًا ألا وهو طريق الدعوة وسبيل المؤمنين ، فلم أعْنِ بالطريق أبدًا طريق العُشاق والمحبين كما قد يفهم البعض من عنوان الديوان ، ولكن أعني طريق كل مخبتٍ إلى ربه وموقن بلقائه وخائف من عذابه ، وراغب في نيل ثوابه وجنته ، إن مثل هذا الطريق يحتاج الكثير من القصائد ، وما كتبته وكتبه كذلك غيري من شعراء العقيدة ليس يعادلُ عُشر مِعشار ما ينبغي أن يكتب فيه وفي أهله وفي أعدائه طبعًا! هذا المقياس إذا وضعنا في الحسبان أنَّ شعراء الجاهلية المعاصرة لا يكفون أبدًا أبدًا عن الإفصاح عن هويتهم وكتابة الشعر القبيح الحقير الذي يندى لقراءته الجبين من كلام العشق المُسِف والدُعر الساقط الرديء الخبيث ، وكذلك شعراء المِلل

والنِّحل من هنا وهناك من أصحاب العقائد المنحرفة عن سواء السبيل. وإنني بادئ ذي بدء أعتذر عن نزعة الحزن التي تغشى قصائد هذا الديوان ، وربما كانت هذه النزعة قاسماً مشتركاً في جُل ما كتبت من الشعر. والدكتور أحمد السعدي ينظر نظرتنا للحزن في مقال له يقول: (يتفق علماء الأصول على أنَّ شرعنا لم يقع به تكليف بما لا يُطاق ، فما لا قِبَلَ للمسلم بفعله لا يكون مأموراً به من الشارِعِ. وبناء على هذه القاعدة المتفق عليها نستطيع وبسهولة أن نقول: كل ما يقال عن عشق ممنوع وفرح مكروه وحزن واجب ونحو ذلك من أحكام تكليفية على العواطف البشرية أمر لا يصح في شرعة الله سبحانه. ذلك أنَّ الشعورَ انفعال لا قِبَلَ للمرء بدفعِهِ ، فكما أنَّ الإسلام لا ينهى عن الألم ولا يأمر باللذة لذاتهما ، كذلك لا ينهى عن الحزن ولا يأمر بالحبِّ لذاتهما. و كلُّ ما صورَتُهُ أمْرٌ بالعواطف و المشاعر فإنما المقصود منه المسببات أو المقدمات ونحو ذلك . فالأمر بحبِّ رسولِ الله صلى الله عليه و سلَّم ـ مثلاً ـ أمرٌ بما يُوصِلُ إليه ، وذلك مفهومٌ بالبداهة ؛ لأن الحبَّ ليس شيئاً يُفْعَلُ بمقدور الإنسان وإرادته المجرَّدة).هـ. وإذن فالحزن الذي يُخيم على معظم قصائد هذا الديوان ليس مصطنعاً ولا متكلفاً! بل هو حزن طبيعي على أحوالي إن نظرتُ لنفسي! وحزن طبيعي إن أنا تجاوزت النظر إلى نفسي ، ونظرت إلى أحوال أمتي في مجموعها! وقد جاوزت الستين بشهور ، فيكون شعوراً طبيعياً أن أودع الحياة والأحياء ، وتلك سنة الله تعالى في خلقه! فانتابني شعورٌ بالحزن على ذلك الرحيل! تذكرتُ عبر هذا الشعور رحلتي مع الأدب العربي شعراً ونثراً وتاريخاً وتراجم! وأذكر يداً أنني كنت ولا زلت لي ولعٌ شديد وغرامٌ أشد بمطالعة الأدب العربي والتوغل في دروبه العميقة! فاعتدتُ أن أقع في هذه الدروب على المقطعات من عيون شعر العرب! وكانت قد حسُن كل شيئ فيها: نصوصها ومفرداتها وأساليبها ، صورها وأخيلتها ، بيانها وبديعها ، وكأنما سبكت من الجوهر الخالص! واعتدت فيما اعتدت على أن أجد اسم الشاعر أو الكاتب ، وكان قد ذكر مناسبة نصه وفيمن قال وفيم قال ولم قال هذا النص! وأحياناً اعتدت على أن أبحث لهذا النص عن هوية فلا أجد ما يشفي غلة ، ولا يروي ظمأ ، إلا مثل قولهم قبل هذه المقطعات: كقوله ، أو كما قال الشاعر ، أو وقال آخر ، أو هكذا دون معرفة بالقائل ، ولا المقول فيه أو له! وحقيقة كان حالي أمام هذه المقطعات وتلك الدرر من الشعر كحال من تُعجبه القطعة من الثياب ، قد جاد نسيجها ، وأحكم تفصيلها وتطريزها ، فيقلبها بحثاً عن ملصق عليها ليعرف مم صنعت ، أو من الصانع ، أو في أي بلد كان الصنع فلا يجد ، ولا يدري أهي قطعة أصيلة أم مزورة؟! والنصوص بهذا الوصف الأخير تشبه مخلوقاً حسن الخلق لا يملك هوية وليست له شهادة ميلاد! ومن هنا ألزمتُ نفسي بتتبعها في بطون التاريخ وأسفار التراجم بغية الوصول إلى المعلومات عن النص الذي أعجبت به! وإن أردتُ جعله جزءاً من مقدمة قصيدة أو سطوراً أوردها في إهداء أو افتتاحية أو مقدمة أو خاتمة ، فإنني أورده مشفوعا باسم صاحبه وسبب كتابته والمناسبة التي قيل فيها ولمن قيل وفيمن قيل! هذا على حسب تيسير الله رب العالمين وفتحه علي! وعمدتُ إلى أملأ ديواني بالتنويع في الموضوعات والأوزان والبحور والقوافي ليكون أشبه بالطبق المتنوع الطعوم من شهي الجنى ، من حديقة الشعر ، وأقدمه للقارئ ليستمتع به ، وتلذ له مؤانسة اللغة العربية الغنية بكنوز الجواهر الثمينة! فإن كنتُ قد وُفقتُ في ذلك ، فلله الحمد أولاً وآخراً! فمنه العون ، ووجهه قصدتُ بطلب الأجر! ثم الشكر موصول للقارئ الكريم الذي شمل جهدي الضعيف بكريم القراءة! وإن كانت الأخرى ، فالإعذار إلى الله أولاً من التقصير في خدمة اللغة. ثم الاعتذار إلى القارئ عن قلة البضاعة وضعف المحصول!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (اللهَ اللهَ في شعر أبيكم!)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
الإهـــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــداء	7
الـــمـــ	ـــقـــ	ـــدمـــ	ـــة	13
الافـــ	ـــتـــتـــ	ـــاحـــ	ـــيـــة	17
1	صناعة الأغبياء!	المديد	مناعة	21
2	دمعة على الزنداني!	البسيط	زنداني	23
3	كـــم أعطـــوك؟!	البسيط	مُحَياهُ	28
4	كذبتني ، فهل صدقت؟!	الكامل	الجافي	31
5	فاعدِلْ بينهم!	البسيط	تشويها	35
6	الخديعة الكبرى!	الطويل	الطنْسِ	41
7	الوريثُ الوحيد!	البسيط	صادق الوعدِ	52
8	نحن جاهزون للطلاق!	الكامل	الخِداع الألكَدِ	55
9	(اللهَ اللهَ في شعر أبيكم!)	البسيط	تأليها	58
10	سأعَلمها وأربِّيها!	الكامل	لِمُدَانِ	61
11	أخبره أني أخته!	المتقارب	ما أملحَهْ	64
12	الأخت الكُبرى الضحية!	الكامل	والإكرامِ	66
13	الأعمى البصير!	الكامل	القرآنِ	70
14	ذهب النشوز بالحب!	الكامل	أن تنظرا	72
15	زوج رومانسي!	المجتث	في التحدي	75
16	أربعة قروش كل يوم!	مخلع البسيط	رَقيقُ	77
17	ضحايا الروتين اليومي!	الكامل	الشيطان	79
18	الجهل سلاح المرتزقة!	البسيط	تبريرا	83
19	شكرٌ أتى متأخراً!	الخفيف	تحية	87
20	صلاة التراويح الظافرية!	الكامل	تقواكا	90
21	لماذا خذلتني يا أبتاه؟!	الرمل	بين البشرْ	94
22	لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!	البسيط	إني لمظلومُ	97
23	حياتُهم ثمنُ حقهم!	منهوك الرجز	جاءَ الأثرْ	101
24	أخلاقك شخصيتك!	المديد	كريمُ	103
25	عُقبى حُب الظهور!	السريع	جَهَرا	105
26	اذْكُرْ دراجَتك وقفاصَتها!	الكامل	الأفاكا	109

27	جمع بينهما القرآن!	الكامل	على الإيمانِ	112
28	شتان بين اللجنتين!	الخفيف	الارتقاءُ	116
29	فاعفوا واصفحوا!	البسيط	الضررا	122
30	خياران أحلاهما مُر!	الخفيف	عِندي	126
31	تبادلُ الزوجات!	الكامل	وتَشرَقُ	128
32	قالت رحاب ، وقلتُ!	الطويل	في نفسي	145
33	ما تغيرَ الحالُ ولا الخال!	البسيط	أجيالُ	152
34	بطرس البستاني أبو القواميس المعاصرة!	الكامل	الأشجانِ	155
35	بقدر احترامي كان احتقاري!	المتقارب	أشقى النسا	160
36	شجر الدر بين الرق والملك!	الرمل	مَن حققوا	163
37	عائشة التيمورية خنساء العصر!	الكامل	يافعٌ وكبيرُ	172
38	رَدُّ سادةِ القبائل على اليَمامة!	البسيط	الرَّغَثُ	178
39	فراق الدكتور فكري حجازي!	المجتث	ورَقا	181
40	عبيد من ينفق عليهم!	المديد	صامِتْ	183
41	العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)	الكامل	الاستسلامُ	186
42	حربٌ تُخَضبها الدماء! (محاكاة للشاعر أحمد عبد الحي)	الكامل	شمساً تُشرقُ	189
43	مأساة سُليمى! (محاكاة للشاعرة العامرية العراقية)	الطويل	بقلب معذبِ	191
44	حنانيك يا عبد الحي! (محاكاة للشاعر أحمد عبد الحي)	الكامل	فؤادي	193
45	ما غابت الشمس! (محاكاة للشاعرة نسرين بدر)	الكامل	ومن أمطار	195
46	تأبين سعيد عبد العظيم! (إمام الدعوة السلفية)	الكامل	نُواحِ	197
47	إدانة وإهانة وإبانة!	الوافر	باعا	201
48	الأمانة بين الصيانة والخيانة!	البسيط	مزدَجَرُ	206
49	اليتمُ دَربُ الغِنى!	الرمل	العَنا	210
50	هداية الأبناء من الله!	البسيط	الرُّشْدِ	213
51	ضحية طبق الفول!	الكامل	الأمجادِ	216
52	بأولادي ارتقيت!	الرمل	تُشفِقُ	219
53	نصيحة محامية عاقلة!	الكامل	ويُؤدِّبُ	222
54	هداديك يا عامرية!	الطويل	أشجع النسا	225
55	أفسد عليَّ امرأتي!	الوافر	والوضاعة	227
56	شهداء بقيع مصر!	الكامل	والمأمولُ	230
57	المرأة العنيدة شؤم!	البسيط	كالند	233

58	هكذا يقتلون المواهب!	الرمل	نسُوا	235
59	أمنياتٌ فات أوانها!	الخفيف	واستجارتْ	236
60	بنت الصعيد منى بكر!	الكامل	يُعْرِبُ	238
61	شهاب الدين الغوري!	المتقارب	بالسنا	242
62	أمنية كافور الإخشيدي!	الكامل	كافورُ	244
63	بداوة الصعيد!	البسيط	بالبراهينِ	249
64	الطبل والتطبيل!	الكامل	المخبولا	251
65	اعتذار الراجحي!	المتقارب	يأملُ	255
66	هل هؤلاء بشر؟!	البسيط	ملعونُ	257
67	دينارٌ واحدٌ يكفيني!	المتدارك	يأتيني	260
68	بائعة الخبز التونسية!	البسيط	منحَ أوسكارِ	262
69	الموسوعة العالمية أدب!	الكامل	انجذب	262
70	أول القصيدة كُفر!	البسيط	رزقا	268
71	الشعر لا يقتات به!	الكامل	كفافِ	271
72	المعروف لا يضيع!	المتقارب	المُربحة	277
73	السم غير القاتل!	الكامل	بسيء الأخطارِ	280
74	ياسمين ولد دالى!	الوافر	التحية	283
الـــخـــ	ـــاتـــ	ـــمـــ	ـــة	285
الـــفـــ	ـــهـــ	ـــــ	ـــرس	293

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (الله الله في شعر أبيكم!)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله! وأما الدواوين والقصائد والمجموعات والكتب:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نِهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيزُ النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سُويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأملُ الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذلُ الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموعُ التصبر: (ديوان شعر).
12 – عِتابٌ وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوهُ ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مِسبحتي وتَغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عَزة الخير: (ديوان شعر).
17 – مَنارُ الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ مِن قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلامُ الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجَمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعرُ رَحِمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وَداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كُنْ لي شاهداً! (ديوان شعر).
28 ـ اللهمّ تقبَّلْ مِني شِعـــري! (ديوان شعر).
29 ـ اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم! (ديوان شعر).
30 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية).
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء! (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار!
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف! (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو! (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية! (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية! (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً!
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً!
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي! (النص الوحيد من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى! (مدح الله تعالى)
21 – الآن طاب الموت! (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة!
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء!
24 – فاعفوا واصفحوا!
25 – أبجديات شعرية!
26 – الشعر رَحِمٌ بين أهله!
27 – الله يرحمُ مُزنة!
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف!
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لِحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم! (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب! (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب! (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي! (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث! (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية! (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع! (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رُفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –!
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سُمية بنت خياط – رضي الله عنها –!
61 – سنسافر أنا والكتب! (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها! (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة! (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين! (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس! (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل!
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن! (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض!
75 – لقاؤنا في المحكمة!
76 - لوعة الرحيل!
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى! (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء!
81 – منار الخير! (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها! (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية! (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
86 - تلميذي البار شكراً!
87 - القصيدة الزينبية! (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس) 2
88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
90 - الخلق والعلم معاً! - الأستاذ محمد الكيلاني!
91 - الشعر حَنينٌ ورنينٌ وأنين!
92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
94 - زواجٌ بالإكراه!
95 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
98 - امرأة تزوجتْ رجلين!
99 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
100 – مروءة ولى زمانها!
101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
102 – زلزال تركيا المدمر!
103 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
104 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
105 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
106 – دمه وماله وعِرضه! (الصهر الكذاب)
107 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
108 – رمضان أشرقْ!
109 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
110 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
111 - القطة وإمام المسجد! – وليد مهساس
112 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
113 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
115 – المقابر تتكلم 7 (المبالغة في البناء)
116 – شبعة من بعد جوعة! (رسالة إلى أسرةٍ وضيعة)
117 – فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسِّب بالقرآن!)
118 – عَظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
119 – لا تقولوا: ضحِية زوجته!
120 – غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
121 – منتقبة لا مُنقبة!

122 – نقابي حِشمتي!
123 – منتقبة لها دَورُها!
124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
125 - أخرْتُ عمّنْ هان رَدَّ سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
126 – لا يُؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
127 – النقابُ ثلاثة أنواع!
128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
129 – ليتني أطعتُ صِحابي!
130 - غِريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
131 - منتقبة ذات علم وخلق!
132 – الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
133 – الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
134 – المنتقبة الصغيرة!
135 – تدل على الرجال مواقفهم! (محمود هلال)
136 – وليس العُري كالستر!
137- إعصار ليبيا المُدَمر (دنيال)
138 - المنتقبة والعصفور!
139 - عروسة المولد!
140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
141- العدل بين الزوجات أولى!
142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروسٌ تموت وهي ترقص!
143 - المنتقبة الفارسة!
144 - ممارسات تُزري بالمنتقبة!
145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
146– ذات النقاب والفارس!
147 – منتقبتان في الحديقة!
148 – المنتقبتان الضرّتان!
149 - المنتقبة والبحر!
150 - المنتقبة والقطة المبتلاة!
151 - المنتقبة واليتيمتان!
152 - دعاء مغترب!
153 - لباقة منتقبة!
154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
156 - عندما يتبرج النقاب!
157 – هدية امرأة منتقبة!
158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
159 - منتقبة تتزود للآخرة!
160 - من فات قديمه تاه!
161 - أبتاه عُذراً!
162 – نقاب غطته الدماء! (رزان)
163 – النقاب للستر ، لا للنشر!

164 – أطفال تحت الأنقاض!
165 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
166 – القارئ المرتل ظافر التائب!
167 – نجومٌ في ظلمات حياتنا!
168 – إحدى الحسنيين!
169 – أرسلوا النعوش والأكفان!
170 – الحجاب ليس حِكراً على النساء!
171 – السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
172 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
173 – الوقت كالسيل لا كالسيف!
174 – النفس وظلمات التيه!
175 – جرح المتهم البرئ!
176 – رسالة إلى الشاعر (الفولي عصران)!
177 - البدوية المنتقبة!
178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
179 - النصر حفيد الصبر!
180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
181 - بريءٌ دَهته المنايا!
182 - فيم الصمتُ عن أرض الرباط؟
183 - القمرُ المنتقبُ الصغير!
184 – المقابرُ تتكلم 8 (بدع الجنائز والمقابر)
185 - الأزهري الصغير معاذ!
186 - المُنتقبات الخمس الصديقات!
187 - النقاب تشريع لا تقليد!
188 - منتقبة تشتكي إلى الله! (نانا)
189 – عهد المنتقبات!
190- رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
191 – تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
192 - لك حُبي واحترامي!
193 - لا وقت للدُمَى ، يا بُنَي!
194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
195 – سنرحلُ ويبقى الأثر! (المَشالي & عَطية)
196 – لماذا تبكي النّساء؟!
197 – هرقل والمُلك الزائل!
198 – هل في القزع جمال؟!
199 – في مكتب مدير المدرسة (1)!
200 – في مكتب مدير المدرسة (2)!
201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
202 – أختٌ من الأب!
203 – مالكُ بنُ دينار وابنته!
204 – تذكَرْ يوسف وموسى!
205 – التجمّل الباطل في وسائل التواصل!

206 – حَميد الله الهندي!
207 – البذاذة من الإيمان!
208 – مُحْيي الدين عبد الحميد!
209 – كلابُها أصدق من أهلها!
210- رسالة منتقبة حكيمة!
211 – عليهِ العِوَض ، ومنهُ العِوَض!
212 – هل مات العريس؟!
213 – الله الله في شعر أبيكم!
214 – هل أصبحتُ وباءً؟!
215 – من المحنة تأتي المنحة!
216 – الخمسة أولادي!
217 – رجلٌ جمعَ القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)
218 – ياسمين والرحيل إلى الله!
219 - سامحوني أيها الأبناء!
220 – هل في القزْع جمال؟
221 – كذبتني ، فهل صَدَقتَ؟!
222 – امرأة بألف رجل!
223 – الواعظة الصغيرة!
224 - زوجات مبتكرات!
225 - اللهم تقبل مني شعري!
226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!
227 – قالت رحابُ ، وقلتُ! (محاكاة لرحاب المحمود)
228 – خياران أحلاهما مُر!
229 – كم أعطوك؟!
230 – الخديعة الكُبرى!
231 – نحن جاهزون للطلاق!
232 – الوريث الوحيد!
233 – فاعدل بينهم!
234 – سأعَلمها وأربِّيها!
235 – الأعمى البصير!
236 – ذهب النشوز بالحب!
237 - الأخت الكُبرى الضحية!
238 – أخبره أني أخته!
239 – اذكر دراجتك وقفاصتها!
239 – ضحايا الروتين اليومي!
240 – شتان بين اللجنتين!
245 - الجهل سلاح المرتزقة!
246 – شكرٌ أتى متأخراً!
247 – لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!
248 – لماذا خذلتني يا أبتاه؟!
249 – عُقبى حُب الظهور!
250 - صلاة التراويح الظافرية!
251 - تبادل الزوجات!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات!
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال!
4 – أمتي الغائبة الحاضرة!
5 – أنات محموم وآهات مكلوم!
6 – أوبريت هيا إلى العمل! (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية ، والرد عليها!
8 – رمضان شهر الخير والبركة!
9 – عندما لا نجد إلا الصمت!
10 – يا أماه ويا أختاه كُفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء!
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء! (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان!
15 – رسائل سليمانية شعرية!
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة!
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضِدَّان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة! (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمِرُ العِتاب!
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائدُ لها قِصصٌ مُؤثرة! (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره!
24 – مساجلات سليمانية عشماوية!
25 – مُراودة ومُعاندة! (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –!
27 – الزاهية تُحدثنا عن نفسها! (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العِلل والداءات!
30 – الصعيد مهد المجد والسعد!
31 – الضاد بين عدو وصديق!
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى!
33 – الغربة دُربة على الطريق!
34 – الغيرة غير القاتلة!
35 - القصيدة ابنتي!
36 – اللغة العربية وصراع اللغات!
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل!
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة! (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال!
41 – الوحدة بر الأمان! (مسرحية من فصل واحد)

42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم!
43 – أمومة وأمومة!
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر!
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا أوباش؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير! (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة! (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية!
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب!
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة!
63 – من أناشيد الأفراح!
64 – نحويات شعرية!
65 – نساء صَقلتهن العقيدة!
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان!
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر!
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان

84 – بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري!
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة!
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المُرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون!
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية! (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق!
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد!
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 – النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!

126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!
132 – حسابي مع الأوباش!
133 - ضرب الزوجات!
134 - نصيب أسرتي من شعري!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye, My Poetry! 27– Oh, My Poetry, Be my Witness! 28 – Oh, Allah, Reward my Poetry! 29 – Allah, Allah, in your father's Poetry! 30 – The Life-Style of Ahmad Ali Solaiman
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life